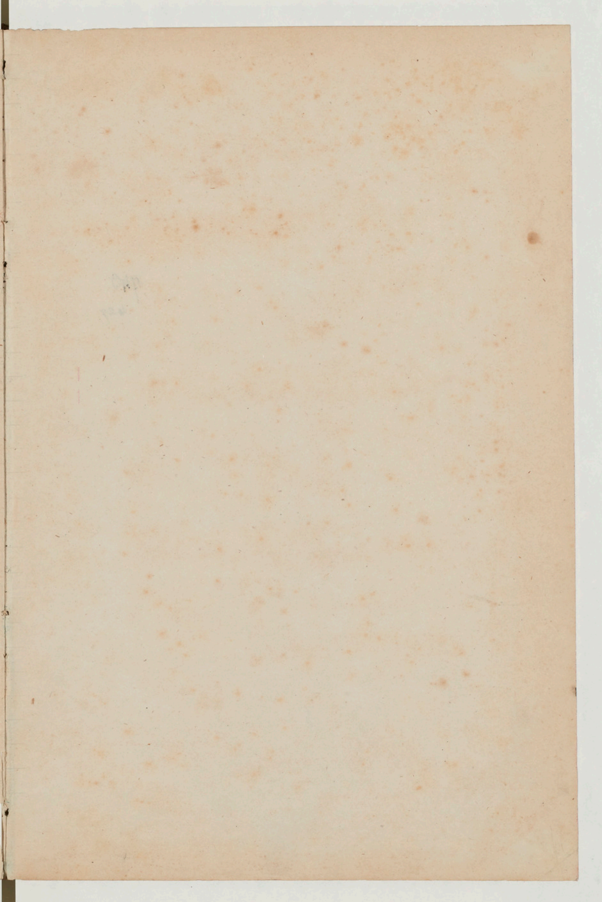
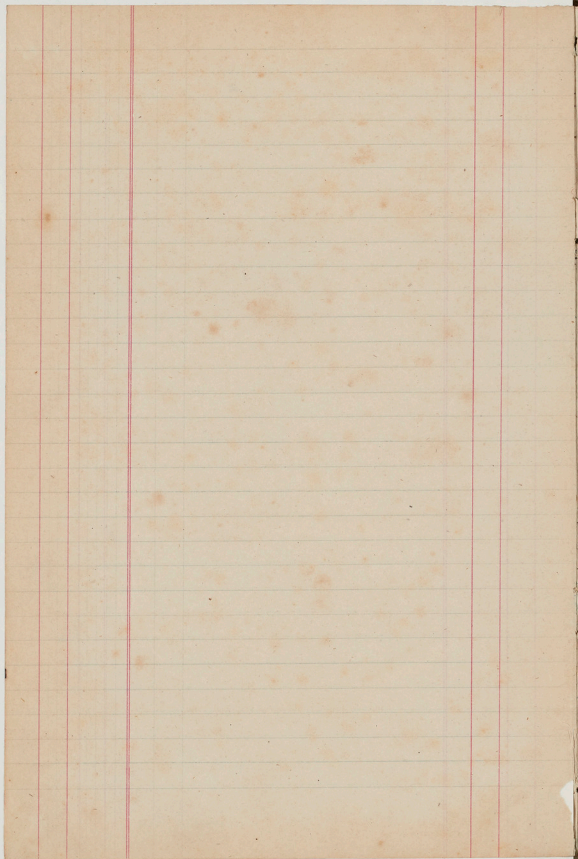
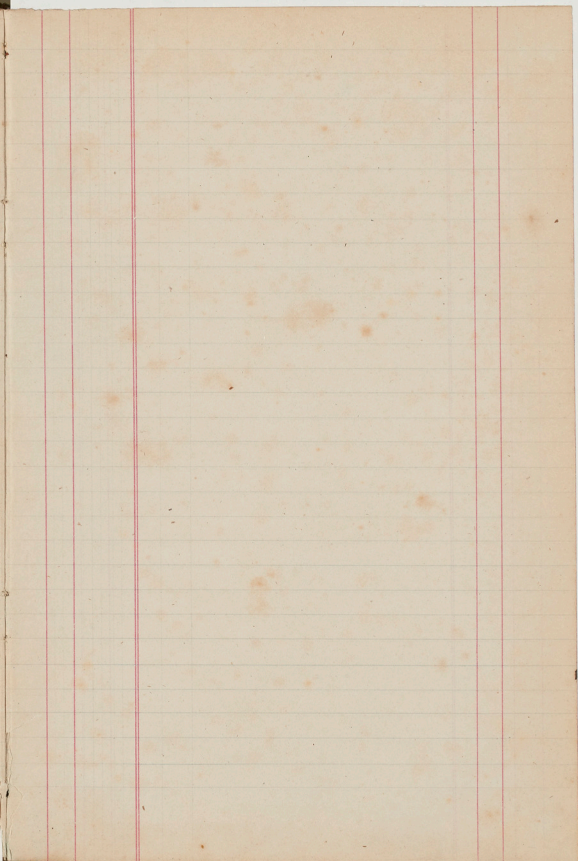
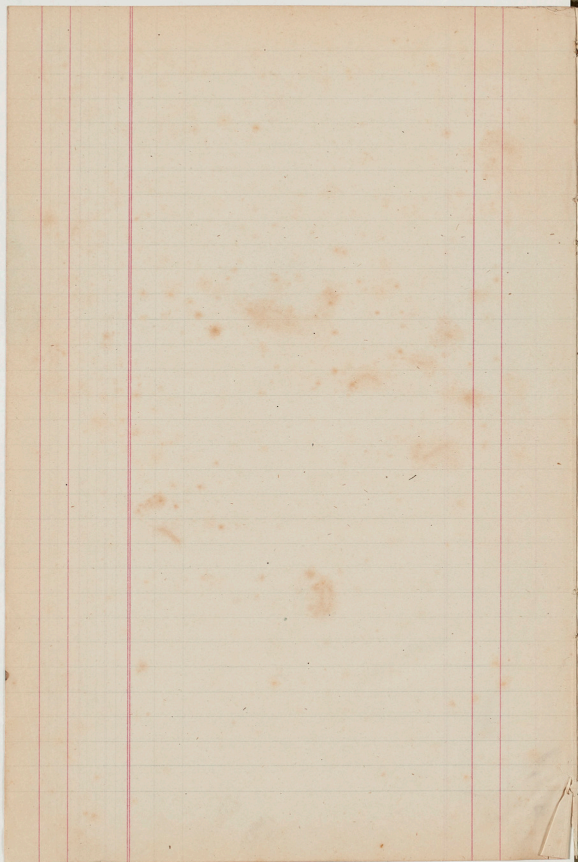
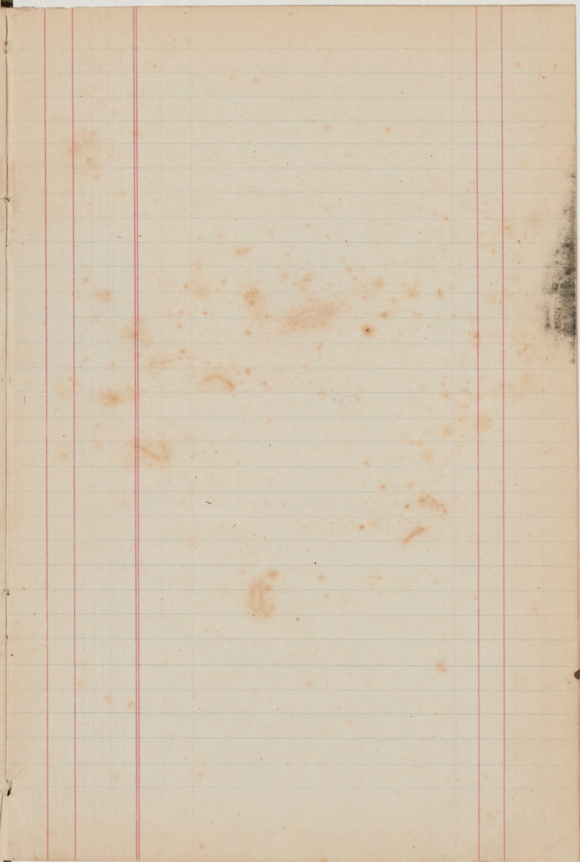


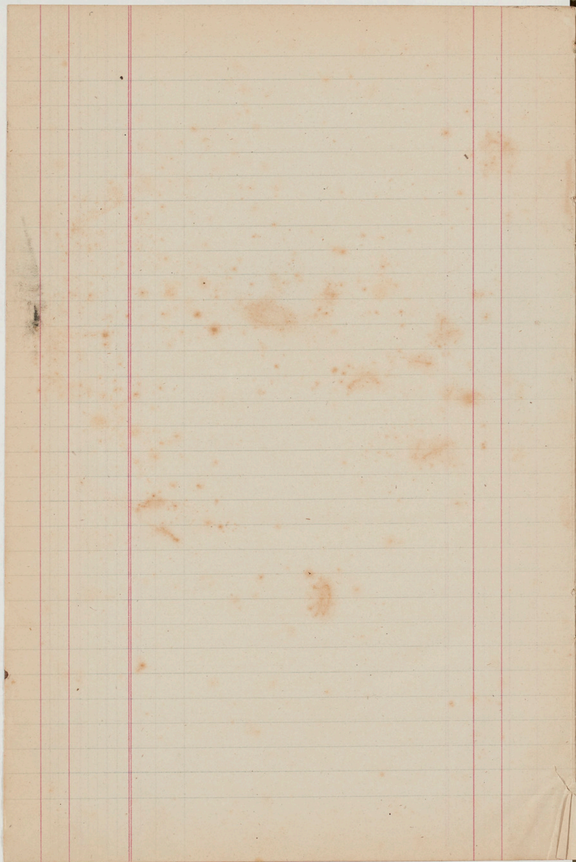


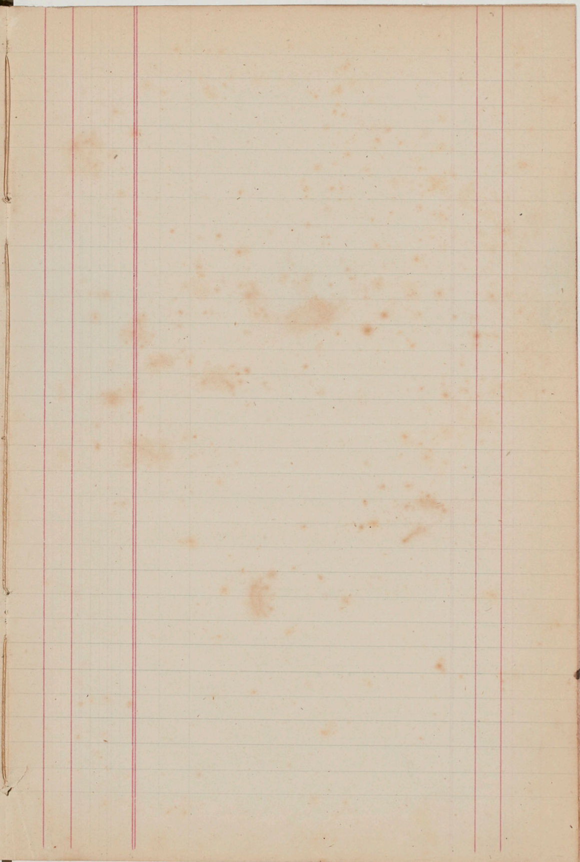


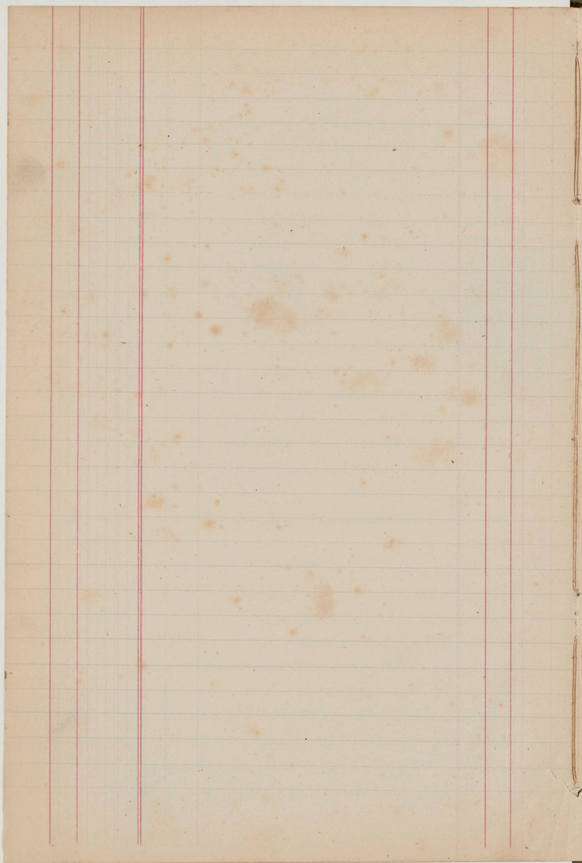


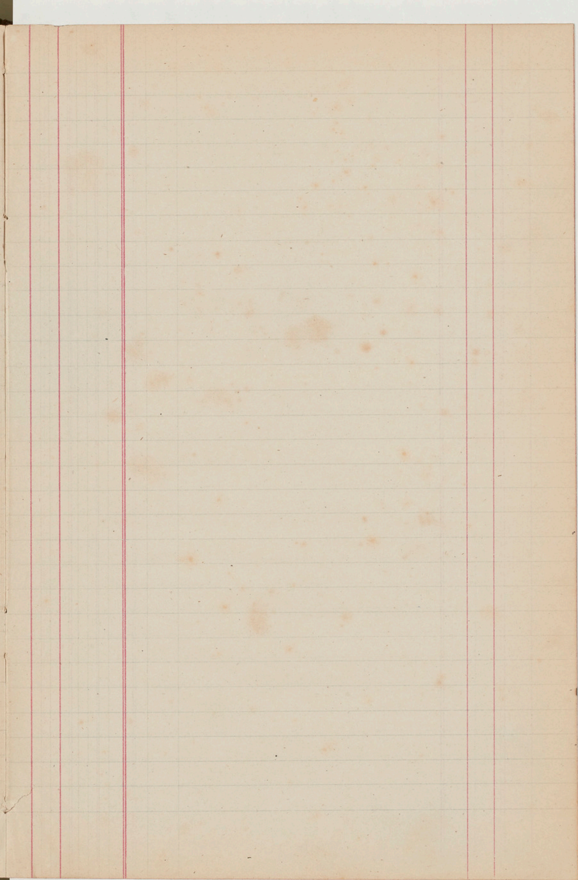


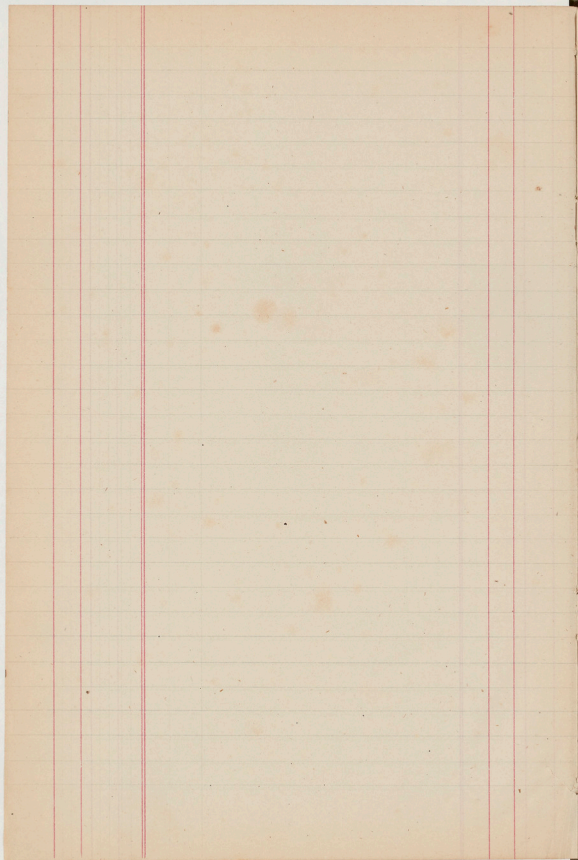


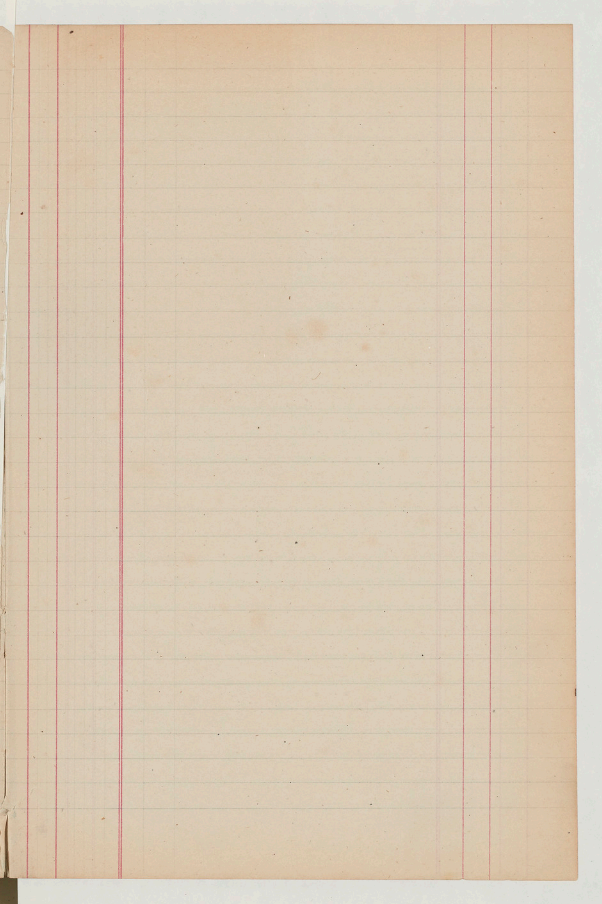


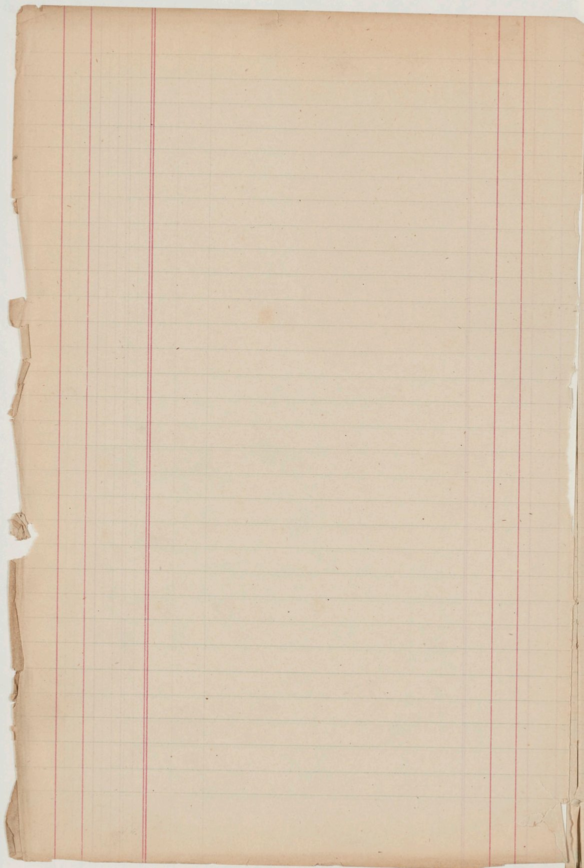


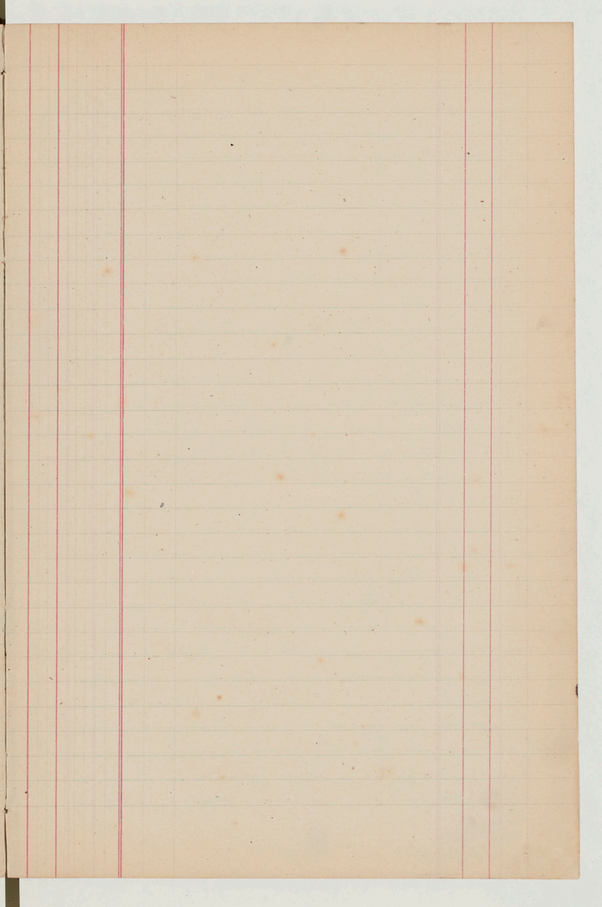


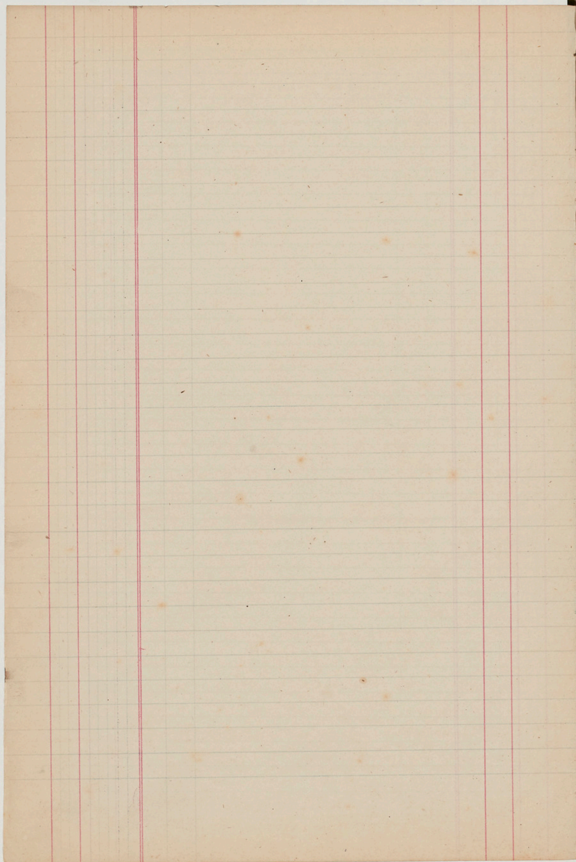


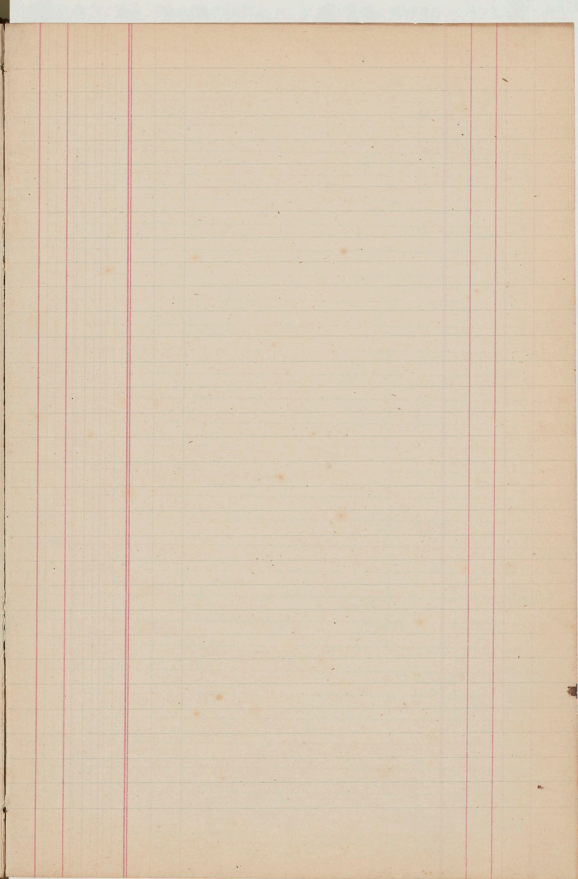


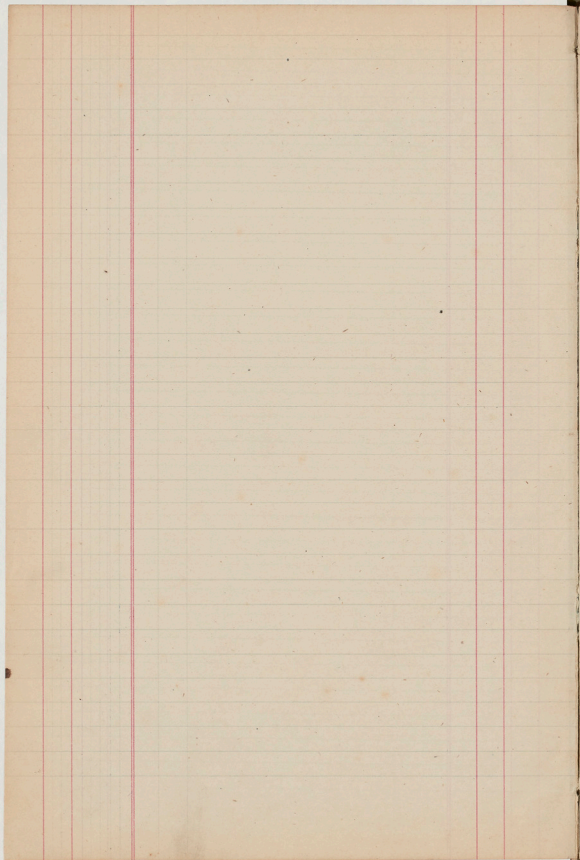


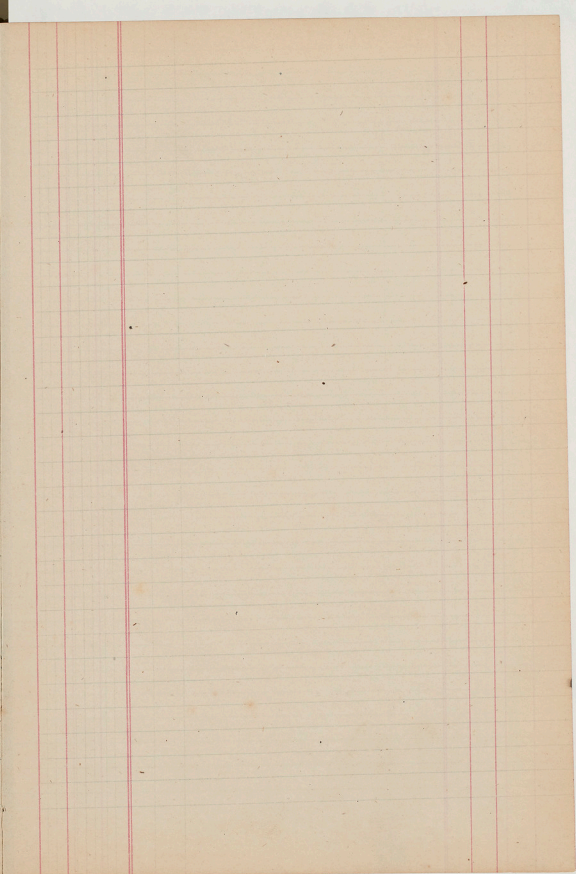


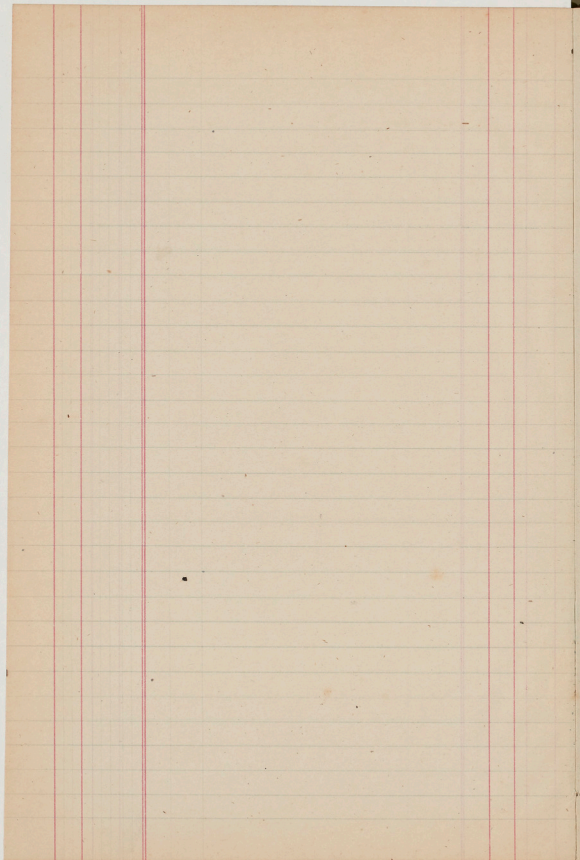


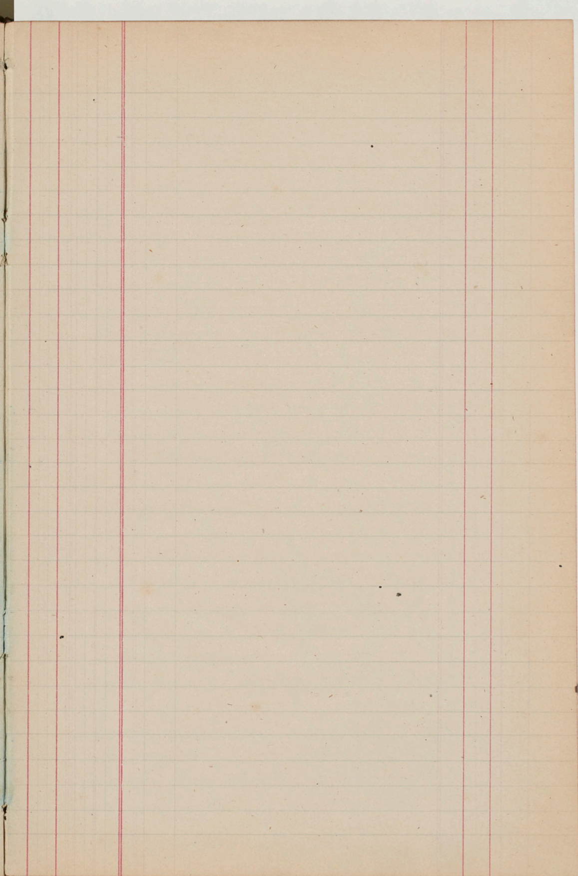


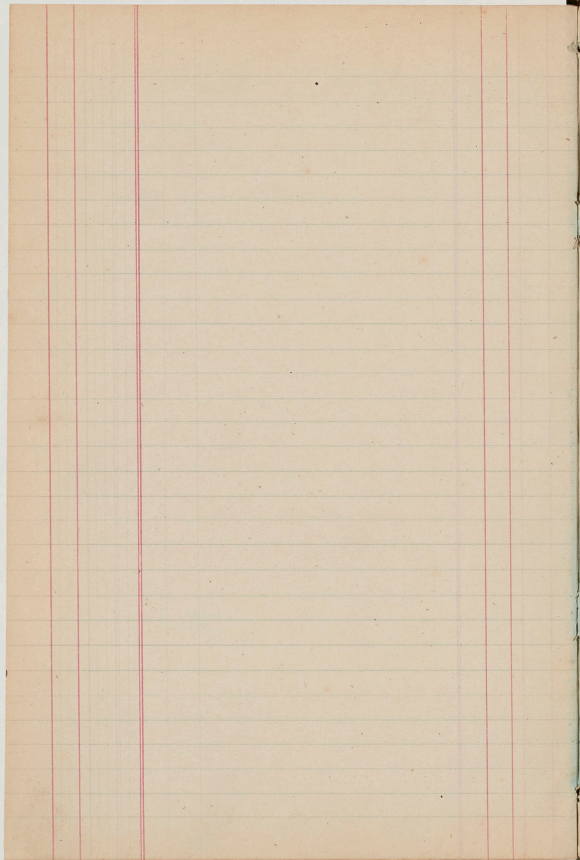


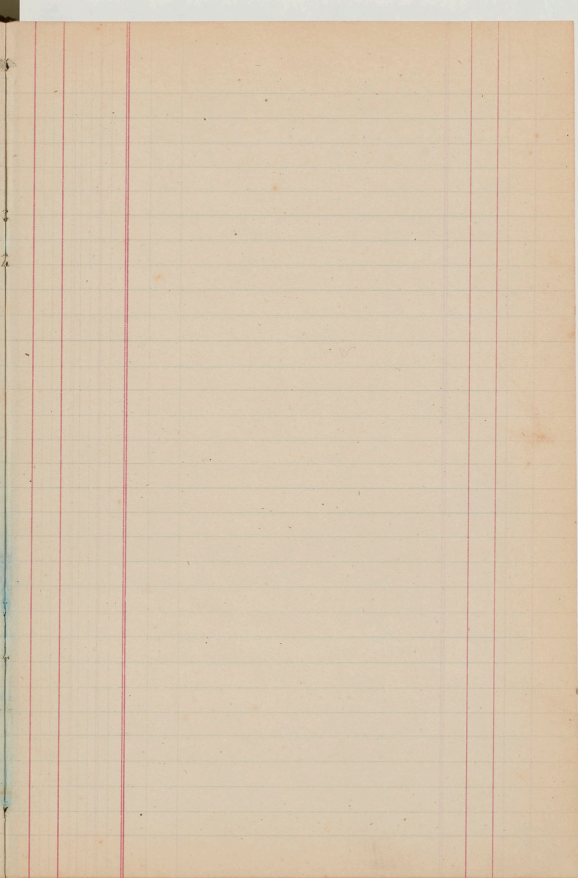


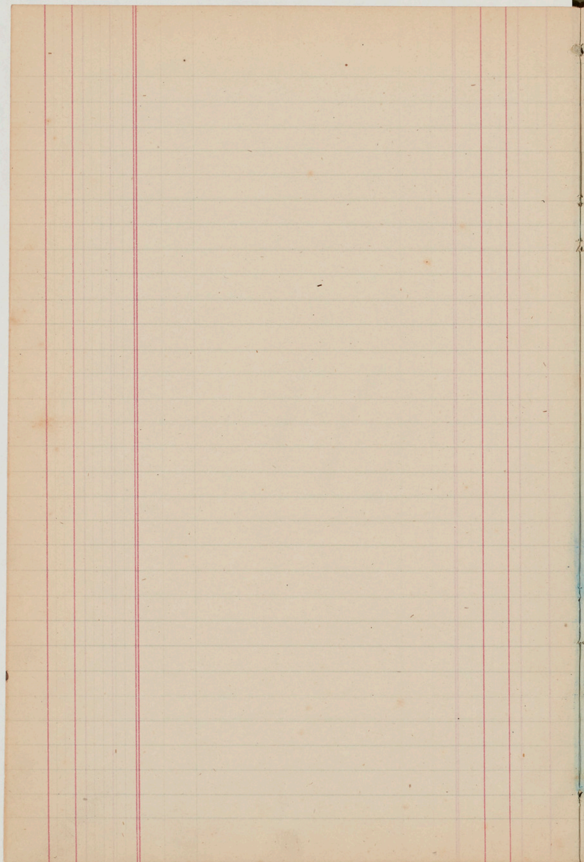


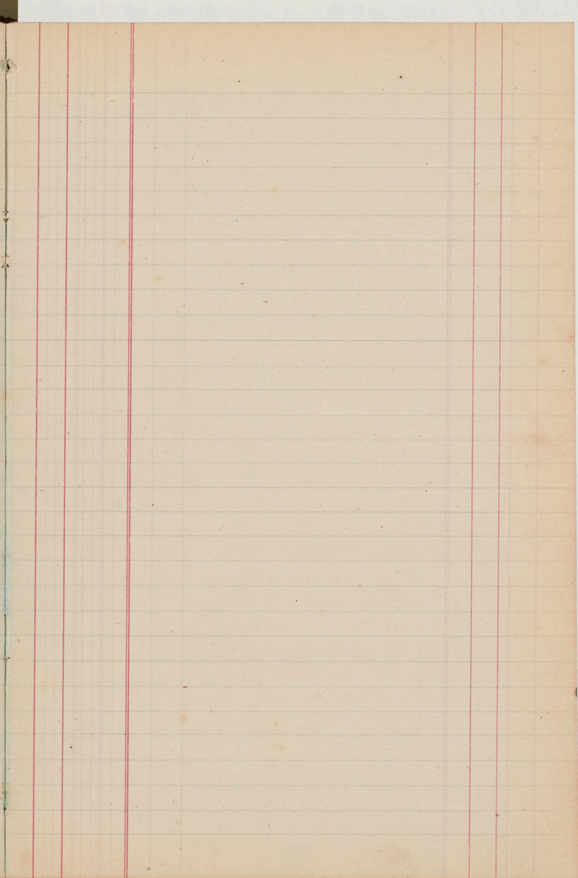


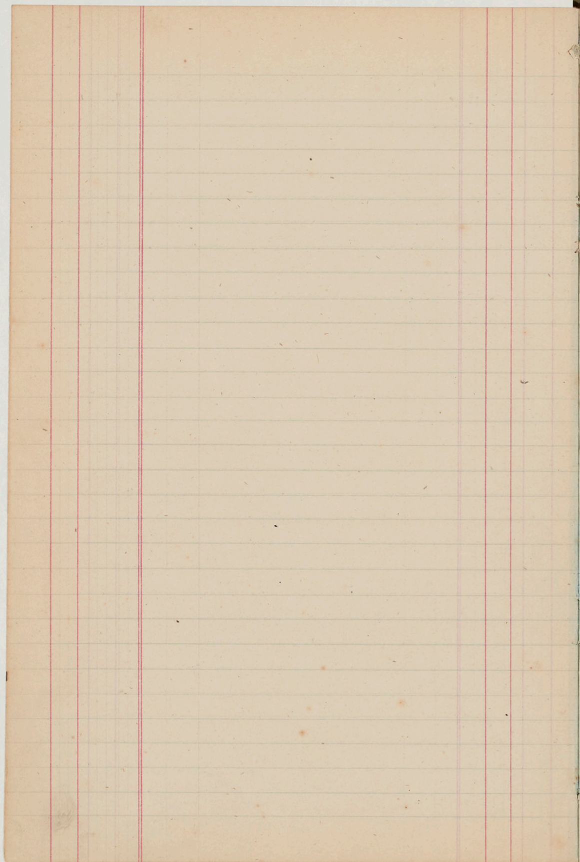


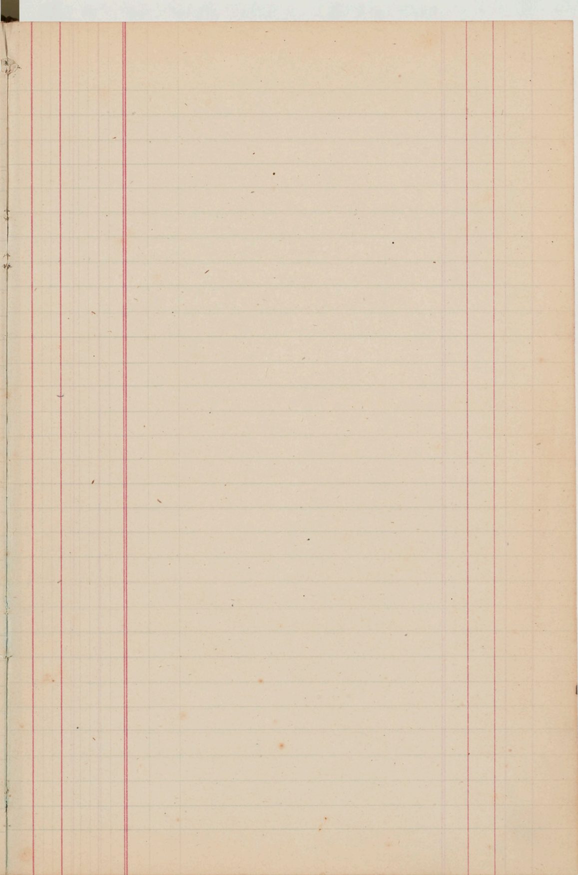


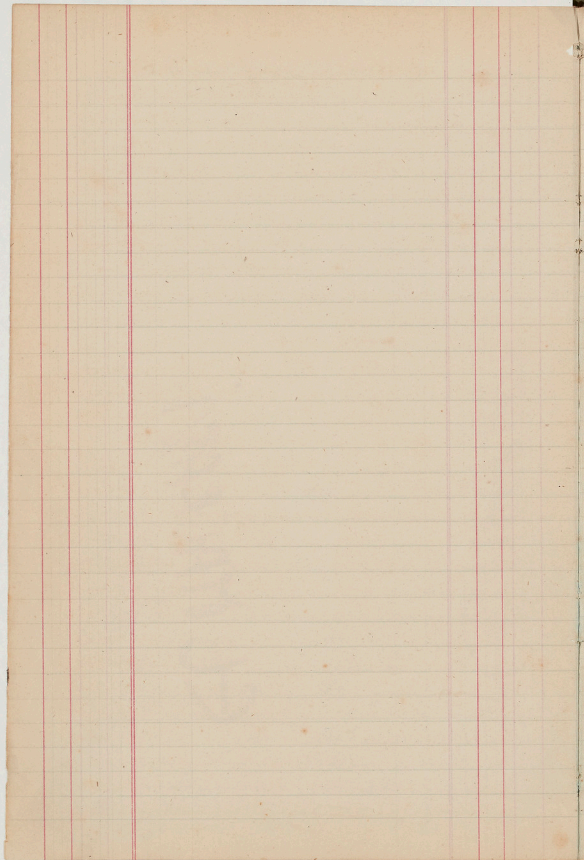


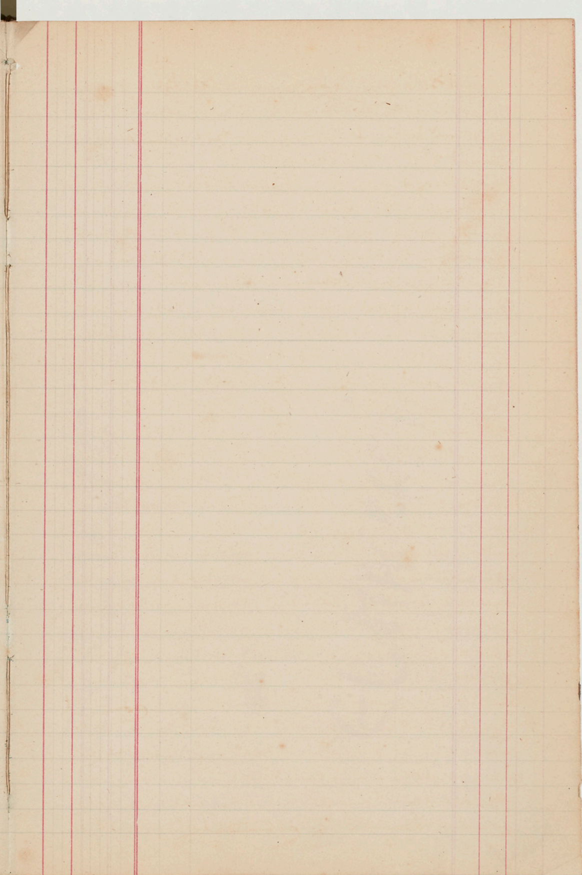












Féraud

[illegible]

[illegible]

الحمد لله وحده سبحانه تعالى

هذه نبذة من تاريخ المرحوم الحاج حمودة بن عبد العزيز اوردنا فيها ما نقله من تاريخ ابن دينار لتتميم تاريخ افريقيه وتونس بما يحتاج للناظر وبها يحصل المقصود والصواب والى الله المرجع والمئاب

ثم بلغه الخبر ان صاحب الجزاير حسن باي قد اقبل بمحلته الى افريقية بانزعج لذلك وارتحل اليه محمد على القيروان باغلقوا الابواب دونه فلم يتعرض لهم وسار الى ان تلقى الجزايري وقد نزلت محلتهم بالعرس فنزل قريبا منهم وارسل اليه اهل الكاف بطاعتهم فسر بذلك وتحقق عنده ان صاحب الجزاير انما اتى للاصلاح بينه وبين اخيه وعمه فارسلوا الى محمد باي يقدم من المستير والى محمد الحفصي يقدم من القيراوان واجتمع ثلاثتهم مع صاحب الجزاير وعقد بينهم الصلح على ان يكون الملك لعلي باي ويكون محمد الحفصي باشا بمقتضى امر السلطان وان يستقر محمد باي بالقيروان واجعابها ويحل ابنه احمد رهنا تحت يد اخيه علي باي وتقرر الامر على ذلك وانعطفوا عليه ورجع صاحب الجزاير بمحلته الى بلده وتوجه محمد باي الى القيروان ورجع علي باي بمحلته ومعه عمه الى الحضرة وبعد ايام قليلة جهز كاباق ثلاث مراكب للسفر الى بلد الروم فلما تم جهازها ارسل الى محمد الحفصي واركبه احداها منها **ولما** بلغ غار الملح خرج علي باي كالموج له فسلب له جميع امواله ولم يترك له شيئا حتى انزع له خاتمه من اصبعه والزمه بطلاق زوجته ابنة عبد الرحمان باشا فطلقها وسافروا به فانزلوه بجزيرة قندية ورجعوا وذلك سنة ١٠٤ه **وكان** كاباقان ثما



لما وقعت المغاضبة بينه وبين الجعجعي كتب الى السلطان
خفية يشكوه ويذكر سوء سيرته فما اتاه الجواب الا وهو في نفيه
ولم يزل بدار الروم الى ان توفي في شعبان سنة ١٠٤٧ ووضع
في تابوت وجيء به الى تونس ودفن بتربة والده رحمة الله عليه
وكان كاباق قد بقيت عليه رواتب للعسكر لم يدفعها لهم دفع
المال ايام الفتنة فلما كان في شهر ربيع الاول من سنة ١٠٤١
دفع لهم رواتبهم وبقي عليه رابتان لم يكملهما لهم فلما كان
يوم تبديل الاغة بالديوان اول شهر ربيع الثاني دخلوا
الديوان واخرجوا الاغة منه فخلعته جانبا ونادوا به انت
كبيرنا فاستوف لنا راتبنا واخذوا اسلحتهم فخافهم كاباق
واغلق باب القصبة وتحصن بها وارسل الى علي
باي وهو غائب فجلبه فاسرع اليه ودخل باردو واوفى
للعسكر ما بقي لهم من رواتبهم وافتتح كاباق القصبة
وسكنت الفتنة واقبل اهل الحضرة للتهنئة وكان
من قودتهم في الحركة الذي اطفانا بعد الفتنة فاجلبهم
الماء بحمى نارها ابريني ماء من كل دار كناية عن المال
ثم وضع عليهم المغارم واستوفاها منهم عنفا شديدا
ثم ان علي باي تنكر لملكية كاباق وعزم على قتله واحس
كاباق منه فبادره الشر فلما كان يوم عيد الفطر من
سنة ١٠٤٣ تاخر كاباق عن الوصول اليه على ما جرت به
عادته فقلق لذلك علي باي وارسل اليه مع الغد القايد
مراد يتلطف له وحثه عن الوصول اليه فخرج من القصبة
بجوانبه ولما توسط الطريق فيما بين تونس وباردو جالت
خيل علي باي بينه وبين تونس خشية ان يعود
اليها فيتحصن كاباق لذلك وانتهى الى باردو فلما دخل
اغلق الباب دون اصحابه وجوانبه فرجعوا واخذ كاباق
فسجن سبعة عشر يوما ثم اخرج منفيا الى غار الملح
مع جماعة من الديوان فلما انتهوا به الى راس الكنايس
مع نوابه الى بستانها فخنقوه ولما انبه عليه علي
باي ارسل اخاه رمضان باي وكاهيته القايد مراد
وجماعة من الاتباع الى اغة القصبة احمد شلبي

فخلع عليه واولاه ايالة مكان قابان بالكاف الجدايم وفرح اهل
الديوان واعيان البلد للتهنية وكان فتيهم شجاعا مهيبا
ذا راي وحسن سياسة وسار مع الناس سيرة حسنة
حتى فسد ما بينه وبين علي باي

ذكر ثورة احمد شلبي

كان السبب في ذلك ان احمد شلبي منذ ولي لم يكن لعلي
باي من اجل نكبته لقابان مع شدة مناصحته له وزاد نفارا
عنه انه كان يوثر الانتصاف للمظلوم من الظالم وكان حشم علي
باي وخدامه قد استرسلوا في الظلم وتجاوزوا الحد في الجور
ولم يكن لهم من مواليهم زاجر ولا ناه فكان احمد شلبي يسوءه
جدا ما يصدر منهم من الجور والظلم ولا يقدر على الانتصاف
واخذ الحق منهم لمكانهم من صاحبهم فيقصد تلك نيته
الى ان صدرت من ابن خليفة بن زايد الورشفاني
فعلة شنعاء منكرة وذلك انه كان على راس الجبل بلد بنتي
غائب بحروس ترقب الى فعلها فاغتصبها من بين اهلها
وافترعها وافتضح بكارتها وارسلها فاستعدى عليه
اهلها احمد شلبي واتوه مستصرخين كاشفين رؤوسهم
فارسل اليه من جاء به فسجنه فاتاه ابوه خليفة
ابن زايد وكلمه في شانه فلم يجبه فاغلظ له في
القول اذ لا يمكنه من صاحبه وكان فيما قاله اني وابني
لسنا ممن تذكر ولا تحكم فراح خليفة بن زايد في شكايته
واعانته بالقول فاشتاط الباي غضبا وامر بخنقه
ايضا مع ابنه ما لم يكن في حسابهم وركب من تخلف
بالحضرة من اصحاب علي باي والتحقوا به وفيهم مصطفى
سبنيول فخبروه بما صدر من احمد شلبي فعظم عليه جدا وغضب
غضبا شديدا وزحف الى الحضرة في خمسة وعشرين
الف فارس لانه استشعر الخلاف من احمد شلبي فكان
كما ظن وتبع اهل الحضرة كلهم احمد شلبي واطاعوه
لما كانوا يخافون من اتباع علي باي فنزل علي
باي بجنوده الجريرة وحاصر الحضرة ووقع القتال بين
الفريقين وحامى احمد شلبي كثرة اجناد علي باي
ارسل

ارسل الى اخيه محمود باي بكانه من القيروان يستنهضه لنجدته
كي يملك البلد فلم يسرع اليه محمود باي وارسل له مددا فاشتد
عضده بذلك فارتحل علي باي عن الجريدة بعد محاصرة تسعة
ايام ونزل على اريانه وامر بحرق الزيتون وشق الغابة وقتل
كثيرا من خبوبيه وكانت ابله سايبة بالمرسى فركا جنبه
فخرج جيش عظيم من الحضرة ومعهم اولاد سعيد فاخذوا
الابل ورجعوا بها فلما كانوا بالحضرة ادركهم علي باي
فقاتلهم قتالا شديدا وهزمهم هزيمة شنعاء واسترجع
الابل منهم ومات خلق كثير من الجانبين واشرف على
اخذ البلد ثم قدم محمد باي من القيروان فعقد احمد شلبي
ديوانا اجتمع فيه اهل الحل والعقد فبايعوا محمد باي وخلعوا
عليه وباشر حرب اخيه ودام القتال بينهما اياما وفي
خلال هذه الفتنة قتل علي باي اخو اخيه محمد باي
الذي كان مرتضيا لخدمته بعد امر الطبيب بفصده وترك الدم
يسيل الى ان فاضت نفسه واشتفى بها اشتفاء منكرا
ثم ورد الخبر عليه بان محلة الجزاير اقبلت مددا لاخيه
واحمد شلبي فارتحل عن الحضرة ينهب وياخذ ما وجد
امامه وفر عنه كثير من عسكر المحلة التي معه الى
ان انتهى الى الكاف فجعل حرمه وولده مراد واخاه رمضان
وما بقي عليه من ذخايره بقلعتها وترك بها جيشا لحمايتها
لنظر القايد فرج ومعه مصطفى سبنبول وبن موسى
خزنه دار ونزل هو بمحلته بجبيرة الكاف في حر محلة
الجزاير وقد نزلت قريبا منه وثار شي من القتال فلم يخرج
القوم اليه ولا قاتلوه فبينما هم كذلك اقبل محمد باي
بمحلته ونزل على محلة الجزاير واختلط بهم وصارت
المحلتان محلة واحدة فركب علي باي لقتالهم على عادته
فتركوه الى ان كاد ان يخالط محلتهم فاخذوه فكانت
هزيمته وذلك اواخر جمادى سنة ١٠٤٥ فانتهى الى
قلعته فمنعه اهلها من دخولها وردوه عنها فرجع
عنها ومر تحت جبل الفكار فطمعوا فيه فتخلصه منهم
الى جبل فسين فدخلها ومرض بها مرضا شديدا

ثم احس وثوق من اهلها بداخلة احمد شلبي في بعث من يخطبها
في البحر بمركب البحرانس سوسة فدخلها في شوال من سنة
وافاق بها من مرضه واما اخوه محمد باي فانه لما كسر
محلة اخيه قتل من كبرائه من اصحابه وارتحل بالجزائريين
فنزل على الكاف وقد اتاه اهلها بطاعتهم وبقي اصحاب
علي باي متحصنين بالقلعة فلما تحقق مراد انه ما خرج
جلس على برميل بارود واضرم به نارا فطارت اشلاؤه مع
الدخان وارخ بها بابيها وظم وكذلك جرى بين موسى
خزنه دار ابن مصطفى سبنيول نفسه بجنح والشوى
محمد باي على القلعة لما بيعها وكم اليه اخاه رمضان وابن
اخيه مراد وجميع حرم اخيه وارتحل بالجزائريين مقفيه
الى ان انزلهم بالخضرة من الجريدية ونعى اول مرة
ليزلوا على تونس وكان محمد باي عازما على ان يرتحل
بهم مقفيه لمنازلة اخيه بسوسة فوقعت منافرة بينه وبين احمد
شلبي ايضا واعقبها كائنة ان ذكره فتنته وحاولوا محمد باي
على محاربته فامتنع ثم وقعت منافرة بينه وبين احمد شلبي
ايضا واعقبها عقد الصلح بينهم وارتحل محمد باي من الجريدية
فنزل مرناق وارتحل الجزائريون الى بلدهم والعداوة تدب
بين محمد باي واحمد شلبي وعكر المحلة عن السعي لسوسة
مقفيه فلما تحقق محمد باي [انه] ما نعم من البلد طلب الاستقلال
بعدو لم يكن له به قبل ارسل الى اخيه بمكانه من سوسة
يدعوه الى الصلح على ان يقتسما البلاد ندبين فاجابه
الى ذلك ووقعت المقاسمة على يد الكاتب [illegible]
عبد الرحمان خلف فكان في قسمة محمد باي باجة ونحوها
والقيروان والمستنير وفي قسمة علي باي الكاف ووسلات
وسوسة وبقية الساحل وارسل محمد باي الى اخيه
بحرمه اللاتي ضمهن اليه فدفعه الكاتب صحبة ابنيه
مراد واخيه رمضان ومعهم مؤونة حسنة وارتحل محمد باي
من مرناق وخرج اخوه من سوسة فالتقيا بينهما وبين
القيروان فطلب محمد باي من اخيه تجهيز مائة خباء
فادعى ان ليس عنده ما يقوم بذلك فعاتبه محمد باي
وقال

وقال له تملك البلد سبع سنين ثم تعجز عن تجهيز محلة وقد
افنيت الاموال في اغراض اصحابك وجهز ما في عنده وحشد
الجموع من العرب وارتحلا فنزل محمد باي بمحلته بفحص السلطان
على مرحلة من تونس ونزل علي باي بمحلة المعاوبين
على مرحلتين من تونس فاخرج احمد شلبي محلة لقتال
محمد باي وكان فيها الف فارس من الترك صباحية
ومعهم كاهيته من اولاد سعيد والمسعي شيخ بني رزق
بمن تبعه فخرجوا ليلا وهجموا على محلة محمد باي على حين غفلة
فاخذوها ونجا محمد باي في فرسان اصحابه واستولى
احمد شلبي على محلته بجميع ما فيها واخذت حرمه وجيء بهم
الى احمد شلبي وكان خطبا عظيما ولما بلغ الخبر اولاد
مسعود الذين مع علي باي بالدخلة نبذوا طاعته
وانتهبوا محلته وتفرقت عنه جموعه ومر فارا بنفسه
ومال الناس الى احمد شلبي واجتمع له من العرب
جمع عظيم وكان من مماليكه خزندار له اسمه محمد
منيوك فخلع عليه وجعله بايا واركبه بابهة الملك
ثم ان محمد باي واخاه حشدا الجموع ثانية وعسكرا بالقلم
دون القيروان فاخرج احمد شلبي المحلة لقتالهما لنظر محمد منيوك
ومعه من العرب ما لا يحصى فعقد محمد باي الجسور على
وادي القلم فلما عبرتها جيوشه قطعها ليلا
فجاء احمد امصرا ورجع اليهما محمد منيوك فكانت الهزيمة
على الاخويين واخذ جميع ما كان لهما من خيل وركاب
وسلاح وخيام وقتل من جنودهما خلق واكثر ما
كان الضرر عليهم من قطع الجسور وطار الخبر بذلك
الى احمد شلبي من محل ابه من يومه وجيء بعشرة احمال
من رؤوس القتلى موضوعة بكيطاء القصبة وسر
احمد شلبي سرورا عظيما وانتهت الهزيمة بالاخويين
الى القيروان وعلما ان لا كفاءة لهما باحمد شلبي الا باعانة
صاحب الجزائر وكان صاحبها في ذلك الوقت ابراهيم
خوجة فارسل اليه محمد بن شكر كاتبه محمد باي يطلب
منه اخراج المحلة والتزم له بجميع ما يحتاج اليه وما يصرف

عليها وكان يدفع اليه لخرج ابراهيم خوجة بتبسة في محلته
من الجزاير وخرجت معه محلة قسنطينة لنصرها حينها
عبد الرحمان باي فلما تشاوروا بافريقية سار اليهم محمد باي
واخوه وتعاونوا على حرب احمد شلبي ونزلوا على الكاف
ثم رجع الاخوان الى باجة فملكاها واستنزلا طايفة من العسكر
من قلعتها لحق الخشماية واضافوهما الى عسكرهما وعقدا ديوانا
على تولية قطاش باي وذلك بعد وقايع وامور جرت
بباجة قبل وصولهما **ولما** بلغ ذلك احمد شلبي
عقد ديوانا بباب القصبة شهده الاعيان من الديوان
واهل الحضرة واتفقوا على طاعته والقتال دونه ودون انفسهم
واموالهم وبعد ذلك عقد ديوانا اخر بجامع الزيتونة
وشهده اضعاف من شهد الديوان الاول واحكم العقد معهم
على ما عاهدوه عليه من قبل ورتب العسس في الابواب
وعرض جنوده من العسكر واهل البلد وانزل اولاد سعيد
شاكير البحيرة من الزلاج الى القصاربين ثم اقبل محمد باي
واخوه كل منهما بمحلته واهل الجزاير وقد لحق بهم
محمد بن عبد الرحمان باي بمحلته ثالثة فنزلوا بالحريرية
وكان ذلك يوم الاثنين لست بقين من شوال سنة ١٠٩٦
وحاصروا تونس واقاموا عليها الحصار من هذا
التاريخ الى اليوم العشرين من رجب سنة ١٠٩٧
والقتال مستمر فتراجعوا مع اهل تونس في هذه
المدة بضعة وعشرين زحفا كان الحرب فيها سجالا والمدد
مترادف على اهل الجزاير من بلدهم في البحر **وفي** شهر ربيع الثاني
سنة ١٠٩٧ ارتحلت محلة الاخوين واهل الجزاير
من الحريرية ونزلوا براس الطابية وركبوا البونبة
على البلد والحوا بالحصار وضيقوا على الحضرة وفزعوا
الناس من رمي البونبة وبعد ذلك اخذ امر احمد
شلبي في الانحلال واخذ عسكره واهل البلد في الهروب
عنه الى الاخوين وخرجت بنزرت وغار الملح
عن طاعته ودخلت في طاعة الاخوين وحاصر
محمد باي قلعة حلق الوادي وضيق عليها ومنع
المدد

المدافع على الحضرة من ناحية البحر فاشتد الخناق على احمد شلبي
وقتل ابراهيم بن زاهية شيخ الطرابلسية في زحف
وقع في منتصف جمادى الثانية وكان هو المدبر للامر لاحمد
شلبي والقائم له بامر الحرب وكان قد اعتدى على اناس
كثيرة من اهل الحضرة رماهم بالمظاهرة للاخويين فاخذ منهم
مقدار ذهبا وطريا اخذ بالكلفة وبظلم ارباب النعم
واشتد الخطب بسبب ذلك على اهل الحضرة حتى
صاروا لا ينتجون ولا يجتمعون فانحرفت عنه القلوب وفر عنه
كثير من الناس الى المحلة فيهم جماعة من روساء
الاجناد الى ان كان يوم الجمعة الثامن من رجب فارتحلت
اولاد سعيد مرابطا واشتهرت بيوتهم وفي ذلك اليوم
هرب الشيخ رمضان الذي قام مقام ابراهيم بن زاهية
فتبعه جمع كثير وتخاذلت انصار احمد شلبي وتسارع الناس
الى الاخويين واستدعاهما اهل ربض بني جماد ونصبوا
السلاليم واخذوا طائفة من الجند الى الربض المذكور
وسكنوه ومن اجل ذلك اغلق احمد شلبي على نفسه باب
القصبة محصورا بها وملك الاخوان البلد فلما جن
الليل خرج من القصبة هاربا من باب الغوري لمة
من غلمانه واتباعه فيهم محمد منيوك فانذر بهم
العسكر بسبخة سيجوم واتى الصريخ الى المحلة
فركبت الخيل في اثره فقاتلوه حتى اثخنته الجراحة
وثقل فاسروه واتوا به الى المحلة فاعتقل بها
تحت نظر ابراهيم خوجة صاحب الجزائر واسر ايضا
محمد منيوك فاعتقل عند محمد باي ومن الغد وهو يوم
الاحد العاشر من رجب دخل محمد باي واخوه علي باي
الحضرة وتلقاهما اعيان الناس من العلماء واكابر
الديوان وجددت لهما البيعة والحاج مقطاش بابا

ذكر مقتل علي باي واستقلال محمد باي

فلما كان بعد ايام من الفتح اجتمعت العساكر التونسية
والجزائرية ولبسوا السلاح وخرجوا الى

المحال لكنهم من راس الكتابة وتنادوا بلسان واحد لا يتولانا
الا محمد باي ولا نرضوا بغيره باي ولا يكون علينا ركانا
في ذلك الوقت بضرب ابراهيم خوجة بالمار ايا القبيحة
خرجا من عنده ونسلا بامر محمد باي بالخارج الى ربوة
بالرواتب ووقف عليها ينتظر ما يكون واما علي باي
فذهب الى محلته ثم خرج له في خيل غاز وحتى بلغ
منوبة فتبعه بعض خاصته وقال له كيف تذهب قبل
ان تعرف الامر وقد الامر خلاف ما فهمت وهذا
اخوك واقف بازايك لم يعرف موقفه فاقبلت خيول
سريته من الخيل ركضا فظنهم مبشرين فلما قربوا
منه رموا المكاحل عليه عن يد واحدة فاصيب وخر
قتيلا فقطع راسه وجيء به الى بطحاء القصبة
واحتملت جثته فدفن بتربة جده وانتهبت محلته
وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب
وفي الليلة التي بعدها خنق احمد شلبي وارتحل صاحب
الجزائر بمحلته وتبعه محمد باي الى ان دخل محلته
ووفى له بجميع ما شرط له وزاده عطايا جمة وهدايا
سنية ورجع الى بلده وعفى عن محمد منيوك الذي
اقامه احمد شلبي باشا مكانه **حكم الوزير**
محمد تلتخة عن رجل كان معه في سجن
محمد باي قال كنت العب معه في بالنرد في السجن
نتعلل بذلك عما نحن فيه فتذكر يوما تقلبات الدهر
وكيف ازال في الحال ما انشد متمثلا

يا ابن آدم لا تغرنك عافية
من الزمان فان الدهر معدود
ما دامت [illegible]
لكل نوع من الاوقات مقصود
فان سلمت من الاوقات اجمعها
فانت عند تمام النوع محسود

فلما استتم انشادها حتى هجم علينا بعض
الخدم واخذوه الى بيت ضيق واتوا بالعملة فطبسوها
عليه

بل جمل

عليه فلم يفرغوا من ذلك حتى اقبل بعض الخدم واخرجوه
منها الى محمد باي وذلك بعدما امر بتطييب البيت
عليه بكرة يوم امره فقال هذا رجل مملوك سارع الى طاعة
سيده فما ذنب له وامر ان يؤتى به اليه فلما خرج ايقن
القتل فلما مثل بين يديه قال له نعفو عنك فاخرج
الى بلد الترك ووهب له مالا وجهزه فيما يحتاج اليه وقال
له لا تدخل بلد الناس صفر اليدين بعد ما كنت بايا بتونس
فوصل الى اسطنبول وتوصل الى ان صار رئيس مركب
من مراكب السلطان وكان شديدا في جهاد البندقية
واستبد محمد باي بالكلمة وتخلى عن المنازع ودانت
له البلاد الا ما كان من الحامة فان اهلها استبدوا بها
ودخل معهم في ذلك اولاد سعيد ونزلوا عليها فنهض
اليهم من الحضرة بمحلة وارسل عسكرا في البحر
فنزلوا على قابس ثم انضم اليها بنو زيد وضيق
عليها الحصار الى ان افتتحها وارتحل الى الجريد
فاستوفى جبايته وعاد الى حضرته وكان يوم دخوله
يوم عظيم والتفت الى احوال بلده ورعاياه وكان رحمه
الله تعالى مؤثرا للعدل والانصاف قامعا لاهل الجور
والظلم مع محاسن وعقلا كثيرا منه الكرم في ابان امنها
لا عهد للناس بمثله يؤثر عنه في جميع ذلك حكايات
منقولة عند اهل الحضرة ثم شرع في اتخاذ مصانعه
ومبانيه الفخمة البانية على هوى الحقبة بتشييد قصور
باردو وزاد فيها اشياء لم تكن قبله وبنى على بحيرة
الفسكرة العظمى التي ليس لها نظير وامر ببنائها
وعين نفقتها من الخدمة من المباني وما اجراه من
الخلجان من ناحيتها وما بناه عليها من القرى والضياع
مشهور عند اهل الحضرة فلا نطيل به وشرع في جامعه
حي القصبة المرتفعة السما البديعة
الشكل بجامع عديم النظير ومات قبل اتمامه
فتممه بعده اخوه رمضان باي وله اثار حسنة
غير ذلك وخيرات حسان منها احداثه

المدرسة وجامع بالكاف واوقف عليهما اوقافا جليلة ومدرسة ومسجد الحنفية ومدرسة بقفصة ومدرسة ومسجد بتوزر ومدرسة بقابس مجاورة لضريح ابي لبابة الانصاري رضي الله عنه ومدرسة ومسجد للحنفية بالقيروان بناها ايام تخليه عن الملك بعد ما حاله اخذاك في غاية الضيق وفي غير ذلك مما يشهد بسمو همته وكرم نفسه واثاره لما عند الله تعالى وفي سنة ١٠٩٤ توفي الحاج بقطاش باي بتونس بعد ما عمي راسه وهو ابن اخت الحاج بقطاش وكان ذا همة ووفاء محبا للصالحين حسن الاعتقاد في المنتسبين لله تعالى مبالغا في طاعة محمد باي حتى لا يصدر عنه حكم في شيء الا بعد مراجعته

وفي شهر ربيع الاول سنة ١١٠٠ كان مبدأ الطاعون الجارف الذي وقع فيه الفناء حتى بلغ عدد الجنائز في اليوم الواحد نحو الالف ودام ثمانية اشهر وارتفع ولم يزل محمد باي في دعة وامن لا يروعه سرب ولا يخشى غائلة الى ان ثار عليه كاتبه محمد ابن شكر وكان ما سنذكره من امر الفتنة

ذكر ثورة محمد وولايته

fol. 180

كان ابن شكر كاتب محمد باي وخليفته وصهره على اخته فتنكر له محمد باي لامور نقمها عليه فخاف على نفسه فاستشار اياما ثم طلب منه الاجازة الى الحج وتوسط له في ذلك الشيخ ابو عبد الله محمد الحجيج الاندلسي فاذن له في ذلك فركب الحج وعدل عن الحج ونزل الى الجزائر بعد شدائد وامور صعاب جرت عليه مد خلها بريدا سليبا قد زالت عليه جميع نعمه حتى حين فراره بعدما اخذ في التشغيب على محمد باي وايقاد الفتنة بينه وبين صاحب الجزائر محمد ميزومورتو حتى استماله مفصوحة عنده وعزم على غزو محمد باي بتونس لملك ابن شكر مكانه فاخذ في تجهيز المحالة وجمع عسكره فلما اشرفا على الخروج

الخروج فقام عليه عسكره عجم رضى منهم لما اراده من غزو تونس
فركب البحر فارا على الجزاير واولوا مكانه غيره وجعلوا امر
الغزو ولما بلغ الخبر بذلك الى محمد باي جهز مركبا
من مراكبه وارسلها متعرضة لمميزو مورتضى فكان من
سعادته ان صادفته في البحر فاخذوا واتوا به فلما حصل
في يده من عليه واكرمه غاية الاكرام ووهب له
اموالا ومماليك وخلقا فاخرة وركب البحر الى اسطمبول
فاتصل بحضرة السلطان سليم بن ابراهيم خان فاثنى
عليه اشعنه سعادته الى ان اولاه قبودان باشا وكانت
له في جهاد الكفار مقامات مشهورة وصيت طاير
وبهذه الرحلة نتحدث في محاسن محمد باي ومكارمه
وكان ذلك في ١٤ اخر سنة ١٠٤٤ **وفي** السنة التي
قبلها ورد عليه ابراهيم خوجة صاحب الجزاير الذي اعانه
على قتال احمد شلبي ساير بالماثار عليه مميزو مورتضى وهو
محاصر وهوان فاكرم نزله وبالغ في اكرامه واجلاله
ووهب له ثيابا فاخرة واركبه البحر الى مقصوده
وثم يزل ابن شكر مقيما بالجزاير ينكلم طارح
على اعتاب اكابرها امراء ارباب الدولة ويداخلهم
في شان تجهيز المحلة معه الى تونس ويغريهم على
محمد باي ويسعى لديهم بذهاب الدنيا الى
ان اجابه شعبان خوجة صاحب الجزاير على ما سال
واشتركه عليه بخروج بنفسه في محلته وكاتب لهم
ابن شكر صاحب طرابلس واستمالوه الى مظاهرتهم
على محمد باي فاجابهما الى ذلك وجهز لهم
اساطيلا في البحر بالعسكر فنزلوا على بونة واخذوا
الى محلة الجزاير واقبلوا الى محمد باي **وكان**
لما بلغه الخبر جمع جموعه واستجمع عساكره وخرج اليهم
في سبع محال فالتقى الفريقان بكاف على ١٤ اخر
مرحلة من عمل تونس وانتشب القتال فلم تلبث
خيل محمد باي ان هزمت خيل الجزايريين واخذ علوهم
الى محلتهم واخرجوهم منها واستولوا عليهم

المحلة وبلغ المنهزمين الى قسنطينة وشاع الخبر بوقوع الحرق
على محلة الجزائر وقيل لشعبان خوجة ان محلتك اخذت فقال
ليست محلتنا وانما محلتنا التي امامنا وحرض عسكره على
القتال اخبرني من سمع وشهد الوقعة
قال كثروا قتلا في الصف والقتال بيننا متكافي رميا
بالرصاص فجعل عسكر الجزائر يتقدم الينا هربنا خطوة
بعد خطوة وجعلنا كلما تقدموا خطوة تاخرنا خطوة فلما
راى محمد باي تنظيم العدو كلما زادوا اقداما زاح عسكره
الجماعة التي عنا نحو هاربا فكانت الهزيمة واستولوا على
المحال بما فيها واخذت[2] محمد باي وفيها اموال عظيمة
وكان ذلك لثلاث مضت من ذي القعدة سنة ١١٠٥
واشتهرت الهزيمة محمد باي الى الحضرة فدخلها فوجد
الباي علي رايس واخوه رمضان باي وكان هو الباشا
في ذلك الوقت قد ركبا البحر الى بلد الروم في جماعة
من خواصهم فنصب ابراهيم خوجة باي كاوشرع
في تحصين البلاد وامر بحفر خندق فاحيط بتونس
وجمع جموعا اخر لدفع العدو ونصبوا لقتالهم
فنزلوا الحريرية اوايل ذي الحجة وتوفرت امدادهم
من البحر واتوا بعدة كثيرة من الات القتال من
المدافع والبونبة وغير ذلك في يوم نزولهم خرج محمد
باي الى قتالهم فوقعت ملحمة عظيمة قتل فيها خلق
من الافريقيين وانجزروا وقد قطع من الجزايريين ثلاثمائة
وثمانون راسا ثم التجاوا بالحصار وركبوا المدافع والبونبة
ورموا من ذلك شيئا كثيرا على البلد ودام الحصار
ثلاثة اشهر ومددهم متتابع ووفدوا فيهم جميع
عرب افريقية ودخلوا تحت طاعة ابن شاكر
ومحمد باي صابر لقتالهم وفي اواخر مدة الحصار
دخلت قلاع غار الملح في طاعة ابن شكر والسنوسي
على مراكب محمد باي التي بمرسيها فاضطرب
لذلك محمد باي وتحير ثم ان شعبان
خوجة خرج من محلته وانزلها من قبلي تونس
وحاصرها

[2] مضارب

وحاصرها من جهتين باشتداد الخناق على محمد باي وضاق به الامر
وزاد ذلك ان الخذ عنه ابن كراع احد كبار قواده الى بن شكر
فايقن بالغلب وراى نفسه ماخوذ اما اخذا باليد جهدا وخرج فارا
ليلة السبت لست بقين من شهر ربيع الاول سنة ١١٠٥
ودخلوا الى القيروان بعد غنم الربض بعد خلوها فلم يقبلوه وطردوه
عنها هروبا من الدخول في الفتنة فخرج الى الصحراء واقام بها
وفي ليلة براره من الحضرة خرج اهلها الى شعبان خوجة
وطلبوا منه الامان فامنهم ومن الغد دخل بن شكر ونصب
محمد خوجة باباود خلا القصبة معها وارسل ابراهيم خوجة
ابن ابي الى سوسة بقي بها الى ان توفي في ايام ابراهيم
الشريف وصدرت من محمود خوجة امور تزلزل على عدم
اهليته للولاية وعدم كفاءته فأخر عنها وولي مكانه
محمد طاطار لثمان خلت من ربيع الثاني وكانت مدة
محمود خوجة ثلاثة عشر يوما وارتحل شعبان خوجة
الى بلده في الخيل وقد ارسل عسكره في البحر وركب
عسكر طرابلس ايضا البحر الى بلادهم واخذوا مركبين
من مراكب تونس سافروا معهما ونصب محمد طاطار
في الحضرة وكان مائل الخلقة حاجب البصرة لا يبالي بما
ارتكب من العظائم شديد الاقدام على سفك الدماء
وفي خمسة اشهر قتل فيها مائة بالسيف على ما نهاية نفس
لا تبيح الشريعة قتل واحد منهم واول ما ابتدا به امره
قتل اول يوم ولايته ثلاثة من اعيان العسكر منهم حسن
خوجة كاتب الديوان وكان في جملة من قتل الشيخ
المفتي الخطيب ابو النجاة مصطفى بن عبد الكريم الحنفي
واتخذ داخل القصبة بيرا عميقة جدا وكان اذا غضب
على احد القاه فيها والقى بموقفه زنبيلا ملا الجير
فمنهم من تزهق نفسه في الحال ومنهم من يبقى اياما
حيا الى ان يهلك وهم بقتل الشيخ المفتي في المجلس
يوسف درغوث فاستتر منه وهم ايضا بالشيخ
ابي الغيث البكري فحماه الله تعالى منه ونفى كثيرا
من اعيان العسكر ورؤساء الاجناد ووقعت طائفة من

من البكة النصارى لتعدي في مسجد وميضاة كان اخرتها على
رايس باي ببطحاء القصبة بان قلعوها حجرا حجرا وحين ارتحل
محمد بن شكر من سوء العاملة وقبح السيرة ما لا مزيد عليه
وخرج لتشييع شعبان خوجة ومفارقه من الكاف ورجع وخرج
بالمحلة الشتائية وارسل القايد ابا راوي عاملا على سوسة
بسباب الحسب وعاملهم بقبح المعاملة وطلبهم بالاموال
لا يقدرون عليها فثاروا عليه واخرجوه واغلقوا الابواب
وارسلوا الى محمد باي بمكانه من الصحراء يستنصرونه
ولما انتهى بن شكر الى القيروان عاملهم ايضا بقبيح سيرته
وامتدت يده الى اموالهم اخذا ونهبا وطالبهم باموال
عظيمة لا طاقة لهم بها ويقال انه ارسل لحرم محمد باي
وكان قد تركها بالقيروان بنظر(?) الشيخ سعيد الوجيشي
من ياتيه بهن فابى لذلك اهل القيروان وتحركت حميتهم
فنبذوا طاعته وغلقوا الابواب ونابذوه بالحرب وارسلوا
اليهم يدعوهم الى السلم فامتنعوا فارتحل عنهم الى
الجريد فاستوفى جبايته ورجع فنهض اليه محمد باي
الى الصحراء وقد التفت عليه جنود لا تحصى فدخل الجريد
ودخل قفصة في طاعته(?) وكان بن شكر قد انتهى
الى القيروان وحاصرها حصارا شديدا وضيق عليها
وكاد ان ياخذها فلما بلغه نهوض محمد باي اليه ارتحل
عن القيروان راجعا اليه فالتقى الجمعان بجرف الابل على
(في الهامش: البيوض)
من القيروان بوقع الحرب بينهما وكانت الهزيمة على
ابن شكر يوم السبت لثمان خلون من شهر رمضان
سنة 1106 وهرب بن شكر وتغلب في البلاد الى
ان نزل مدينة فاس وصاحبها مولاي اسماعيل الشريف
فاهمله واكرمه وظن ابن شكر هذا موضعا للصنيعة
حيث نزل مع مولاه وولي نعمته مايفعل فبقي بفاس
كمدا الى ان هلك على حالة شديدة
من الحاجة والفقر نعوذ بالله من سوء العاقبة واستولى
محمد باي على محلة بن شكر وامن العسكر وسار
الى القيروان فدخلها وارسل خزنة دار رجب الكبير
الى

الى تونس فاتاها اهل البلاد بسرور الجند من غاية السرور واخذوا
في تلك الليلة اجتمعوا عليه واعلنوا بنصر كاكار ومن الغد اخرج
كاكار جنده لقتال ربض باب السويقة وكانت فيهم ملحمة
ثم ان جند كاكار عاثوا في المدينة ونهبوا اسواقها
وضموا اليهم من وجدوه من العسكر طوعا او كرها ودخلوا القصبة
واغلقوا ابوابها ومن الغد دخل محمد باي الحضرة وكان دخوله
اياما يوم الاربعاء لثمانية عشرة خلت من شهر رمضان
فاوصى يعقوب بابا ورتب عسكره في كل ناحية من نواحي
القصبة واحاط بها من جميع جهاتها وكان شعبان خوجة صاحب
الجزائر قد عهد لابن شكر وكاكار انه متى تحرك عليهما
محمد باي اقبل اليهم بالرماية بجيشه محمد باي ان يوجه
لما عهد فارسل اليه جماعة من الاعيان لطلب المهادنة
والصلح وهم الشيخ ابو الغيث البكري امام جامع
الزيتونة والشيخ الاستاذ ابو الحسن علي عزوز والشيخ
المفتي ابو عبد الله محمد فتاته ومحمد خوجة كاتب الديوان
فركبوا البحر وانتهوا الى الجزائر وتكلموا فيما اتوا اليه
فردهم اقبح رد واعلمهم انه منجد كاكار وامرهم بالاقلاع
من حينهم فاقلعوا راجعين فلما توسطوا البحر هاجت
ريح شديدة فردتهم الى الجزائر قسرا ففزعوا لذلك
وتخوفوا مكر شعبان خوجة لما قابلهم به من العنف
والغلظة فلما ارسوا بالجزائر وجدوا عسكره قد ثاروا
عليه وخلعوه واهانوه اهانة شديدة وسجنوه اياما ثم قتلوه
بعد ذلك واقاموا مقامه غيره فعقدوا معه الصلح
ورجعوا الى محمد باي بالبشرى واشتد الحصار
على كاكار بالقصبة وثلمت ثلمات من سورها ودخل
من معه من العسكر محمد باي وتملكوا القصبة وخرج
كاكار منها ولاذ بمقام الاستاذ ابي العباس احمد
ابن عروس فهجم عليه العسكر فاخرجوه سحبا وقطعوا
راسه وجعلوه في ذيول الخيل واكل كثير منهم
من لحمه تشفيا لما لقوا منه وكان ذلك غرة ذي الحجة
من سنة ١١٠٦ وخرج محمد باي بمحلته الصيفية

الى باجة وقد غالب عليه عدوان وحمير وصعد جبالهم ودوخهم
حتى استقاموا على الطاعة ورجع الى حضرته ثم عقد
ديوانا وتكلم مع الاعيان في عزل يعقوب باي لعجزه عن
القيام بامره لانه قد طعن في السن وان يكون عوضه محمد
خوجة الذي كان من جملة الوصل الى الجزائر فوافقوا
على ذلك وعزل يعقوب باي وفوض له امر المدينة
ثم توفيه فسار في الناس بسيرة حسنة واستعمل
الرفق واللين في احكامه وكان ذا امر اسنى وسياسة
محبا للعلماء معظما لهم ونحوهم ويجري الاقدار من الاشراف
وغيرهم وكانت ولايته يوم الاحد لست خلت
من شهر ربيع الاول سنة ١٢٠٧ وفي هذه
السنة خرج محمد باي لمحلته الى جبل مكماطة
لخلافهم عليه وارسل عسكرا في البحر فنزلوا بقابس
وصعد الجبل بعسكره واخذ اهله بالطاعة وسار الى
الجريد باستوفى جبايته ورجع الى الحضرة في شهر
رمضان ثم خرج لمحلة الصيف في المحرم من سنة ١٢٠٨
باستوفى جبايته واقام بباجة فابتداه المرض فسار برحله
الى الحضرة فدخلها لاربع بقين من صفر مريضا
ولم يزل مرضه يتزايد الى ان توفي في ليلة الاثنين
السابع عشر من شهر ربيع الاول من السنة
وصلي عليه بجامع القصبة ودفن بتربة جده وحزن الناس
لموته حزنا شديدا وعظم عليهم المصاب لفقده رحمه
الله تعالى

ولاية رمضان باي
مراد باي

Fol. 183

بويع يوم الثلاثاء صبيحة الليل التي توفي فيها اخوه
باقرار باي محمد خوجة على ولايته وكذلك اقر جميع وزراء اخيه
وعمالهم على اعمالهم وبعد ايام من ولايته خرج لمحلته
الشتائية بمر على سوسة ثم على صفاقس وقبض على
الشيخ محمد ابي الجلود شيخ جربة في بكبريتي
فقتله ثم سار الى الجريد واخذ بحمل الجباية في
الظهر

الخضر بن برهانت بن القائد حسن وكان قد كفاه محمد بن شكر
على اخيه مراد باي وقام بنصرته قياما تاما وكان بفادي
محمد باي عداوة شديدة فلما حضر محمد باي هرب منه برهانت
الى الصحراء ويقال انه اوصى عند موته اخاه رمضان باي
بالتحيل في القبض عليه وقتله فلما انتهى رمضان باي الى
الجريد كتب اليه برهانت يهنيه بالولاية فاكرم رسله
وكتب اليه جوابا عن كتابه مشتملا على تعظيمه واجلاله
فارسل اليه برهانت اخاه القائد مراد فبلغ في اكرامه
والاحسان اليه ورحله ووصله بصلات سنية فلما رجع الى
اخيه برهانت عذله لو كاتب عزم المسير اليه بنفسه ابو يوسف
ابن حسن وقال له الراي عندي ان نقيم بمكاننا ونرسل اليه
ابني وابنك يخدمانه سنة كاملة ونحن نكاتبه على
البعد الى ان نطلع على حقيقة امره معنا فلم يلتفت برهانت
الى هذا الراي وركب في جماعة من اهل بيته واتباعه
وقدم توزر على رمضان باي فانزله بدار هو ومن معه
فلما كان الليل ارسل اليه محمد بن مصطفى ورجبا الكبيب
خزنه دار في كتيبة من الجند فاحاطوا بهم وقبضوا
عليهم اجمعين واستاصلوهم قتلا وارسل راس برهانت
الى الحضرة وطيف به فيها ثم ارتحل رمضان باي راجعا
الى الحضرة ثم ارتحل بالمحلة الصيفية في المحرم
من سنة ١١٠٤ وانتهى الى جبل خمير فدوخهم
واخذ عنوانه بالطاعة ورجع وفي سنة ١١١٠ شرع
في الصنيع الحافل لختن ولدي اخيه محمد باي مراد
وحسين فاحتفل فيه غاية الاحتفال وتفصيله
مذكور في تاريخ الوزير وكان رمضان باي فطنا
حتى لا ينفصل الجليس من مجالسه ولا ينطق فيه بكلمة
يميل الى الخلوات ويغلب عليه الحيا وكان جميل الصورة
ولوعا بالغنا والملاهي عارفا بالالحان والموسيقى
وكان له مغن وضارب يقال له مزموح فبلغ عنده
مرتبة لم يبلغها احد سواه واستولى عليه وفوض
له امر مملكته وعكف على لذاته فكان يمكث الشهر

والشوشي لا يراه احد ولا يصل اليه وكان يطيع من هو بباي
كل شيء فاغراه على رجب الكبير خزنه دار فسلمه اليه
فكان يدفع عليه انواعا من العذاب حتى انه ليدخل راسه في
جراب مملوا جيرا بل جيرا ويحركه حركة عنيفة
حتى يكاد يغشى عليه فاستخرج منه ما يبتغي اليه من دينار ولما
كان عليه العذاب قتل نفسه وولي مكانه سليمان
ابن سليمان خزنه دار ثم اغراه على الشيخ العلامة ابي
محمد حمودة بن الشيخ المفتي ابي عبد الله محمد قناتة
وكان قد اختص به اختصاصا شديدا حتى كان لا يفارقه
احيانا ولا يستطيع الصبر عنه ويخرجه معه في السفارة
فتنكر له وابعده عنه وامر ان لا يدخل باردو البتة
وخلا له هو وجه رمضان باي وانفرد به ثم ان الشيخ
ابا محمد المذكور عكف على التدريس بجامع الزيتونة
وهرع الناس الى سماعه والاخذ عنه وازدحموا
على درسه خصوصا درس البخاري فقد كان الجامع
يموج بالمستمعين له فدس مزهود الى الشيخ ابي
الغيث البكري امام الجامع ان يهدد الشقيرة
تقول ان كتب امامة الجامع بانه عن رواية البخاري
مدة لم ينته فامتنع من الصلاة بفعل ذلك وبطلت
صلاة العصر يوما فلما راى الشيخ قناتة ذلك
ترك التدريس بجامع الزيتونة وانتقل الى
مسجد بقرب داره يجلس فيه للتدريس والحلق
مزدحمون عليه فلم يزل مزهود برمضان باي حتى
ارسل اليه ومنعه الخروج من داره فمكث ذلك مدة
ومزهود يدبر في قتله الى ان ارسل الباي محمد
خوجة وامره الى ان يرسل اليه من يخرجه من داره
واما يقتله في الحين واوهمه ان ذلك بامر رمضان باي
وهو لم يستامره وقضى ذلك فارسل اليه واخرجه
من بين حرمه وخنقه ولا علم لرمضان باي بشيء من
ذلك فلما بلغه الخبر لم ينكر على مزهود ولا عاتبه
عليه وجمع في تلك الليلة مزهود كطايفة من
الاوباش

الا وباشا المحابيه وصنع لهم صنيعا اجتمعوا فيه على كل فاحشة
فرحا بقتل الشيخ المذكور وعظم المصاب بذلك
على الناس وزفرت قلوبهم على رمضان باي واشتملت على
بغضه ورفعت الاكف بالدعاء عليه وعمل ابوه الشيخ
الجوفي قصيدة يستغيث فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم
ويسال الله تعالى بفضله الانتقام له والاخذ بثاره
فاستجاب الله دعاءه وهلك رمضان باي ومزهود من عامهما
ذلك على يد مراد باي كما سنذكر

ذكر ثورة مراد باي على عمه رمضان باي

Fol. 184

لما قتل علي باي بن مراد باي ترك ابنه مراد هذا وامه
ابنة الشيخ سلطان بن منصر الحناشي وقد تقدم له
ذكر في هذا الكتاب وكان تحت كنف عمه محمد
باي الى ان توفاه الله تعالى وكفله عمه رمضان باي
فخوفه منه مزهود وحذره غايلته واشار عليه بالقبض
عليه والاحتراس منه فجعله في بيت بباردو ومنعه الخروج
منه ورتب عسسا يحرسونه وذلك في سنة ١١٠٤
فلما ضاق عليه حبسه تكلم مع مملوك من مماليك
ابيه مشهور بالشجاعة يقال له علي الصوفي ان يعد
له فرسا خارج السور من باردو في ليلة عينها له
وانه يحتال في الخروج من حبسه ذلك وياتي السور
فياتي بحبل ينزل اليه منه فلما كان تلك الليلة
عمد الى شباك في البيت الذي هو مسجون فيه
فاقتلعه من مكانه وخرج منه واتى السور فنزل منه
فوطئ له العسس فصاحوا به فلم يجبهم فقاموا اليه
فمر امامهم راجعا فعرفوه ورفعوا الخبر الى
سليمان بن سليمان خزنة دار فكلمه فوجده
قد دخل الى حرم عمه فاخبره بذلك فامر باخراجه
ورده الى محبسه ومن الغد جمع خاصته وفيهم مزهود
فاستشارهم في امره فكل اشار برايه ثم وقع الاتفاق
على سمل عينيه لئلا يستطيع تسلطا ولا يكون له طمع

في المملكة فارسل اليه من اهل جماعة من ثقاته فاوثقوه
كتافا وسوقوه ليعلم ما يراد به واتي بطبيب نصراني فسمل
عينيه لمرود محمي في النار وكرر عليه ثلاثا وكان امرا
مفضيا لم عاودة الطبيب لمداواة جرح عينيه فاسر اليه انه
لا باس به وان الضرر لما وقع في اجفانه واهدابه وانه
يداويه فيبريه وامره بكتمان امره وجاز الى ان برئ
وجعل له في عضده لحمة تجذب المادة الى اعلى
راسه فكان يحركها غبه واذا اغفل عن تفقدها انفتح
على بصره غشاوة حتى يلحد اللحمة فتنجلي فكتم امره
وبقي على هذا الحال الى ان خرج مع رمضان باي
لحلة الشتاء واخرجه معه ولما انتهى الى سوسة
سجنه بقلعتها ووكل بحراسته مملوكا من مماليكه
يقال له سليمان الباش وارتحل الى صفاقس فاقام فيها
اياما ثم سار الى قابس فتكلم مراد باي مع بعض
من كان يخدمه في الهروب من القلعة واخبرهم
بسلامة بصره فعملوا على قتل سليمان الباش فلما
كان الليل سقوه خمرا حتى غلبه السكر فضرب احدهم
على راسه فاوقعه وقام اليه مراد باي فضربه بالسيف
حتى برد ثم اخذوا في نقب سور القلعة
فكلما عسر عليهم شيء دعوا مراد باي فاخذ وضرب
بيده فيها فكسر الحجارة بسهولة وعرضت لهم
حجارة عظيمة عسرة الازالة جدا ولحقوا ازالتها من غير
كبير مشقة تيسر امر الله تعالى وتبعد الامر فلما كملوا
النقب انحدروا الى برج سليمان الباش فدفعوا يديه
ورجليه واخرجوه من ذلك النقب وخرجوا وهم
اربعة انفار مع مراد باي ولما ساروا ميلا الا ركبت
مراد باي الغشاوة التي كانت تعتاده من عدم تبديل
اللحمة فتفقد محفظة كانت عنده اعدها للتبديل
الحمص والنوشادر والمقص وما يحتاج اليه في استعمالها
فلم يجدها فسقطت من يديه وعظم عليه ذلك وضاقت
عليه الارض وخشي ان يطلع عليه اصحابه فيفروا
عنه

عنه او يقتلوا فبينما هو معهم في ذلك حدثته نفسه ان يخرج
فاذا بفارس قد اقبل نحوهم ركضا وظنوا انه عدو لهم فتلقوه
فنزل عن فرسه وكلمهم مع قومه وقالوا له ما اتى بك فقال انما
قال وجدت مجعصة بسيدي مراد التي دفنها واوصى فاتيته
بها لتحييها يعني مراد باي فتحاج فصدقه وعلم ان الله
تعالى لم ييئس له من هذا التيئيس الا وقد اراد ان يمكن له
وجد في سيره الى ان انتهى الى جبل وسلات
فصعده ودعا اهله الى طاعته فاسرعوا اليه وقاموا
بنصرته وبلغ رمضان باي ثاني يوم هروبه فكتب الى
اهل وسلات يامرهم بالقبض عليه فلم يزدهم ذلك
الا تعصبا لمراد باي وثباتا على امره ووفدت اليه
الوفود من العرب وغيرهم وتسارع الناس الى
الدخول في دعوته ومالوا اليه لكلبهم الجدود من
رمضان باي من اهل المملكة والقياد فيادة في يد مزموط
فلما راى رمضان باي الامور قد انتقضت عليه امر
بالرحيل الى تونس فاختلفت عنه جنوده فاكثرهم
من الحيادية وفارقوه الى مراد باي وكان من الشيخ
في ذلك دالي محمد اغة الصبايحية من الترك
ولم يبق معه الا شرذمة قليلة فقصد سوسة يريد
ركوب البحر منها فادركه قوم من الخارجين عليه واخذوا
مزموط فتعلق بثياب سيدة فانتزعوه كرها واوصلوه
الى مراد باي وجيء رمضان باي الى سوسة
ولم يمكن بحوا فرار ركوب البحر لحيل بينه وبين
ذلك فجاء لمقام الشيخ ابي راويا رحمه الله تعالى
ونزل مراد باي لما استفحل امره من الجبل ودخل
القيروان وبويع بها يوم الاربعاء لثمان خلت من
رمضان سنة ١١١٠ وارسل الى سوسة بقتل
رمضان باي فاخرج من مقام الشيخ المذكور وادخل
القلعة فخنق بعصا وجذ راسه واتي به مراد
باي وكانت مدته ثلاث سنين شهرا
ولاية مراد باي بن علي باي

ولاية مراد باي ابن علي باي

fol. 185 v°

لما بويع بالقيروان انتقل الى الحضرة فبويع يوم
الاثنين لثلاثة عشر خلت من الشهر واولى داي محمد
آغة المتقدم ذكره بايا واخذ محمد خوجة وارسله الى زغوان
ثم اخذ يظهر الشكوى مما اصابه في غيبته وانما قصده التشفي
والانتقام ممن كان سببا له في ذلك واما ساير الناس
فهم آمنون من كف الناس منه الى هذا القول فلم يلبث
ان شرع في سيرته الخبيثة وسلك طريقته الفرعونية
وسل سيف الظلم والبغي على الخلق وفعل ما لم يوثر عن
غيره من ملوك افريقية قديما وحديثا وصارت
فعلاته مثلا مضروبا بين الناس وانهمك في الفجور
والفواحش انهماكا لم يقف عند حد وبلغ في سفك
الدماء وقتل النفوس البريئة ما لم يبلغه احد فظفر
لبن يوسف ومحمد بن عبد النبي وغيرهما من خواص عمه
المدبرين في سمل عينيه فاذاقهم عليهم من العذاب
من التحليق القوي واتى براس صاحبهم رمضان باي
وامرهم ان يتدافعوه بينهم تلعب الكرة وان يدفنوه ويشتموه
بكل قبيح من الشتم وان يدفنوا الراس كما كانوا يدفنونه
في حياته وهو مع هذا يقطع من لحومهم القطعة
بعد القطعة بيده ويعبث بهم عبثا شديدا وعذبهم
عذابا اليما بعد ذلك ابدا ثم سمل اعينهم بالنار
كما فعل به ثم قتلهما بعد ذلك ووضع عليهم من
الاغلال والقيود ما اثقلهم والقاهم الى اخر يوم
من شهر رمضان فقطع روسهم وارسلها مع جماعة
من خدامه الى دورهم وامرهم ان ياخذوا من اهاليهم
مالهم بشارة بموت اعداء سيدي مراد وطافوا بها
الاسواق والدكاكين يطلبون البشارة من اهلها
ولما امر من هلال شوال انهمك في الفجور
وسفك الدماء وقتل جماعة من اصحاب عمه وفي
اليوم الثالث اتاه الباي واهل الديوان بعقد لمحمد ثم
الحمد

لاحمد بن عثمان من اعقاب عثمان باي على ابنة اخيه محمد
وقربه اليه ورفع مكانته وخرج من يومه الى المرسى
وصدر منه الفواحش والقتل ما القى في قلوب الناس
من الرعب ما حملهم على ترك غشيانه وضاعت الحقوق
وتعطلت الاحكام وارسل الى محمد خوجة الباي
فاتي به من زغوان مقيدا ورماه بالرصاص فاخطاه
فالزمه خشبة الفاورة الى زغوان ثم انتقل الى بنزرت
وغار الملح وهو على تلك الحالة ثم رجع الى الحضرة
فاتى اليه الفقيه المفتي ابي عبد الله محمد الفوالي الشريف
القيرواني فلما هم بقتله فر لما ادهشه ولبس الشيخ
لنفسه انه من قتل عالما ايسر كونه حياته
فلم يلتفت اليه وقتله بيده وجعل يشوي لحمه وياكل
منه وذكر هم خادمه ثم خرج الى سوسة وورد
مركب الانقليز بتجديد عقد الصلح فرجع الى الحضرة
وجلس لهم مجلسا حافلا وتم عقد الصلح بينه
وبينهم وفي ذي الحجة من هذه السنة قتل احمد بن
عثمان وحرق جثته بالنار وامر براسه فكتب به في
الاسواق ومن تشنيع وقائعه ان علي خلف وكان من
صنائع دولتهم ومن حاشيتهم وامر عند عمه محمد باي ثم عند
رمضان باي فقعدة لما راى فتكه بخادمه عمه فر
منه الى محل مجانة وترك ابنين صغيرين اكبرهما
من العمر سبع سنين فاخذهما وسدهما بايدي صفار
وامرهم ان يدقوا بهم ورؤوسهما اشد ترويع ثم ذكا
اوصالهما وجعلهما في سفافيد من حديد وشواهما
على النار وقد نزع الله الرحمة من قلبه عياذا بالله
وكان يوتى اليه بالرجل فيقوم هو بنفسه ويذبحه
ويقطع اعضاءه ويبطنه ويخرج امعاءه وكبده وغيرهما
بفعل الجزار الماهر وكان له سيف يسميه لبه
الباشة فلا يكاد يخليه يوما واحدا بلا اراقة
دم مسلم يحكى عنه انه اذا لم يقتل احدا به يقول
الباشة جاعت فيقتل من في حضرته وكان يرسل

الى العلماء والمفتين والفقهاء والخطباء ويسألهم عن سيرته وعماله
في حسن سيرته وزين له عمله سفهاء عصره وكبراؤها وفيها
عبث بهم و   ومما انكر عليه وثبت على الحق تهدده بالقتل
واكراهه على شرب الخمر وفعل ذلك مع الشيخ ابي محمد
الحسن العالم امام جامع الزيتونة فنجاه الله تعالى منه ولم يكن
يعظم احدا منهم ويهابه الا الشيخ المفتي ابي عبد الله محمد
فتاتة فكان يكرمه ويجله واتاه يعوده مرة من مرض في بيته
وطلب منه الدعاء **وفي** سنة ولايته خرج بالمحلة
الصيفية وخلفه جموع كثيرة فانتهى الى باجة وكان فتح
نقم على اهلها وفعل بهم كل مكروه فخرج هاربين بنسائهم
واولادهم خوفا من معرة الجند وانقطعوا عن الاسواق ولزموا
بيوتهم وهو يجوس خلالها ليلا ونهارا تقلد سلاحه
ويشرب بازقتها ويدخل العباد فيجعل مابها من الخيل
وابغال نعدما للرصاص ثم رجع الى الحضرة وخرج بالمحلة
الشتائية فخافه اهل القيروان مخافة شديدة وتوقعوا ان يفعل
بهم ما فعل بباجة فحملهم ذلك على ان غلقوا ابوابها في وجهه
ونابذوه فحاصرهم وما تقلعهم فلما راوا ان لا طاقة لهم به خرجوا
اليه يطلبون الامان فامنهم والزمهم اداء مال كثير
ثم قبض على امام الجامع الاعظم ابي العباس احمد بن ابراهيم
الرماح وعلى الشيخ ابي الحسن علي بن احمد الفرياني وارتحل
الى الجريد فاستوفى جبايته ورجع الى الحضرة

ذكر غزوة قسنطينة والجزاير وما وقع في ذلك

كان في اول ولايته ارسل الى الجزاير ومعهم هدايا فردوها
عليه بالكفر والى العداوة والبغضاء فاستشاط لذلك غيظا
وكان محترقا عليهم من اجل قتلهم لابيه فكان يحدث نفسه
بغزوهم ويعلق به في مجالسه الى ان دخلت سنة ١١١٢
فعقد ديوانا واجتمع اليه وجوه العسكر واهل المشورة
منهم فتكلم معهم في غزو الجزاير واجابوه بالسمع
والطاعة فجمع جموعه واستجمع عساكره واخرج
الات حربه وكتب الى خليل باي صاحب طرابلس
يلتمس

البياض في الاصل

Fol. 187

يلتمس منه الاعانة على قتال الجزايريين وخرج بمحلته في خمسة
وعشرين من عدها فلما اشرف على قسنطينة خرج اليه بايها علي
خوجة فالتقى الجمعان فكانت الهزيمة على علي خوجة وقتل
من جنده خلق كثير وجزت روس القتلى وبعث بها
مراد باي الى الحضرة وامر ببنائها بسور القصبة واستولى
على المحلة وظفر باب علي خوجة وزوجه فاكرمهما واحسن اليهما
وانكف في قتل الاسارى والفى اهل قسنطينة بايديهم
وهموا بتسليم البلد اليه فلو كان اسرع اليها بعد الوقعة
لدخلها من غير قتال لاكنه تلوم اياما حتى افاقوا
من غشيتهم وتعبئوا للقتال فلما نزل عليها امتنعوا عليه
وارسل اليهم بالامان فلم يقبلوا فالح عليها بالحصار واخذ
القلعة التي بخارجها عنوة وقتل جميع من فيها من المقاتلة
ونهب ما اشتملت عليه وارسل المدافع التي بها
الى الحضرة ثم استاصلها هدما وتركها خرابا واوفد
وهو على قسنطينة خليل باي صاحب طرابلس فخلع
عليه واعطاه عكازا بنجمة واحاطوا بقسنطينة من جهاتها
ودام الحصار خمسة اشهر ولما اشرف على فتحها بلغه قرب
محلة الجزايريين منه وكان عسكر الجزاير استضعفوا اميرهم
وراوا منه عدم النجدة والكفاءة فخالفوه واتفقوا مع غيره
فعاصمه فخرج بهم الى قتال مراد باي وجد في السير
مرحلة اليهم ثلاثة ايام متتابعة يرحل الفجر وينزل
الغروب وتراءا الجمعان في اليوم الثالث بمكان يدعى
بجوامع العلماء وقد لقي عسكره من التعب والنصب
امر عظيم وفي صبيحة اليوم الرابع ركب للقتال فنهاه
نصحاؤه عن ذلك واشاروا عليه بترك القتال ذلك
اليوم حتى تستريح العساكر ويتفقدوا اسلحتهم ويصلحوا
ويحموا خيلهم واكراعهم فلم يلتفت الى هذا الكلام وزحف من
فاته وراءه جبنا وخورا وانشب القتال واشتعلت
البريغاه ودارت رحى الحرب وحمي الوطيس ولما
اشتد الامر ضاق خليل باي بحيلته وظن كثير من الناس
انه مراد باي انهزم فانكشف [illegible] من خيله ايضا

وغلب الجزايريون وصدموا المحلة فكانت الهزيمة وذلك في الحادي
عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الثاني سنة ١١١٢ وقتل من
عسكر مراد باي خلق وأسر اضعافهم فلما كان من غد يوم
الوقيعة نادوا في الاسارى من العرب والبربر بالامان
وامروهم ان يجتمعوا وسط المحلة ليبعثوا معهم من يوصلهم
الى مأمنهم فلما اجتمعوا وضعوا فيهم السيف فاستاصلوهم
من عند آخرهم وطلعوا الاسارى من عسكر الترك بجر المدافع
التي اخذوها من محلة مراد باي على ظهورهم الى قسنطينة
يجرونها ثم اطلقوهم ولما اتصلت الهزيمة بمراد باي
الى الكاف امر اهلها بالرحيل الى الحضرة لانه خشي
ان الجزايريين يتبعونه وكذلك فعل باهل تبرسق
وتستور وما حولها من القرى ودخل الحضرة وتهيأ
لقتال العدو وحصن ابواب البلد وصالح خيله ورجله
فاتاه الخبر بانهم رجعوا الى بلدهم فلما ثبت عنده ذلك
ارسل خليل باي الى القيروان وامره باخذها واطلق
يده فيها وفي اهلها فدخلها وعاث فيها وقتل معظم اهلها
وسبا نساءها وذراريها وارتحل الى باجة وامر مراد
باي بهدم باجة فهدمها فهدمت دورها واسواقها
وسورها ولم يترك فيها بناء قائما الا المساجد والزوايا
ثم صار لا يقوم ولا يقعد الا بذكر الجزاير ويوصل العودة
اليهم واخذ الثار منهم ويصرح بذلك في المحافل والمشاهد
وارسل اغة الصبايحية في ثلاث مراكب الى
ارض الروم ليأتي بعسكر فصادف بالحضرة العثمانية
رسولا اتى من الجزاير فرفع كل من الفريقين قضيته
الى السلطان مصطفى ابن السلطان محمود خان رحمه الله تعالى
يشكو الآخر فوقع التوقيع بعقد الصلح بينهما وكتب
لكل واحد من الفريقين كتابا بذلك ورجع ابراهيم
الشريف الى مراد باي بذلك فامتنع من قبوله
وقوي عزمه على معاودة غزوهم وذلك في سنة ١١١٣
وفي هذه السنة عزل داي محمد بابي وتولى
مكانه **قهواجي محمد** ولم يكن له معه الا
الاسم

الاسم ثم جهز محلة الصبايحية وخرج بها في جمع عظيم عازما على
غزو الجزائر على كره من عسكره وكان خروجه في اوايل
المحرم سنة ١١١٤ فلما كان بوادي الزرقا على ــــــــــ
بياض في الاصل
من باجة فتك به ابراهيم الشريف آغة الصبايحية فتكته
المشهورة وكان قد تواطأ على ذلك مع جماعة من الجند وكان
مراد باي راكبا في كروسة ومعه صاحبه جودة فربطان
برصع ابراهيم الشريف الغرة ورماه برصاصة وزنها
اربعة وعشرون درهما ومعها من الرصاص شيء كثير بامار
جودة فربطان فمات مكانه ووقع عليه من الرصاص واصاب
مراد باي بأذنه ووثب الى الارض ورماه ابراهيم الشريف
برصاصة ثانية فتنه في الفخذ فجرحه جرحا خفيفا ونزل اصحاب
ابراهيم الشريف فقطعوا راس مراد باي هكذا ذكر
الوزير في تاريخه والمشهور على السنة شيوخ الحضرة
ان مراد باي لما ضرب وثب الى الارض بسيفه مصلتا
وان الذي جرح ابراهيم الشريف في فخذه هو سعد
كان احد خدام مراد باي وان ابراهيم الشريف
عفا عنه بعد ذلك واستخدمه وقال له مثلك من يصطنع
ثم لما فرغ ابراهيم الشريف من مراد باي ارسل
خيلا بأجرك لي ابني اخيه محمد باي حسينا ومراد وكانا
قد خرجا معه في تلك المحلة فقتلوهما واتوا برؤوسهما
وارسل بالرؤوس الثلاثة الى الحضرة وكان بها
من بقية آل مراد جودة بن حسين باي بن مراد باي
وكان منعوسا وله ابن صغير له من العمر اربع سنين
فقتلا معا ووضعت رؤوس الخمسة بدكانة القصبة
وانقرضت دولة آل مراد والملك لله وحده
وقد شاع على الالسنة ان دولتهم في مراد
كانت بمقدار دولة بني امية الف شهر وهذا صحيح
اذا اعتبر مبدا دولتهم من اواسط دولة مراد باي
حين صار قد تحكم في الولاية واستولى
على من كان يزاحمه فيها وكانت مدة
مراد باي ثلاثة اعوام واربعة اشهر وكان

وكان قتله يوم السبت لثلاثة عشر خلت من المحرم سنة 1114

ولاية ابراهيم الشريف

لما قتل ابراهيم الشريف مراد باي اطاعه جميع العسكر الذي بالمحلة
ولم يختلف عليه اثنان وهو تركي عجمي سمعت بعض شيوخ
الحضرة يذكر ان اصله من عسكر الجزائر الذين اتوا مع محمد بن
شكر لمحلته واستغرب بقفصة ومحمد باي بالصحراء وكان له
اثر جميل في رد قلعة قفصة الى طاعة محمد باي لما راى من
ميل الناس اليه فاعتقد ساعة محمد باي وقربه ولم يزل
يترقى الى ان صار اغا صبايحية الترك كما قدمنا ما
ذكرناه ولما ثبت امره ارسل الى تونس بعزل الداي
قهواجي محمد واولى مكانه **قارة مصطفى**
وذلك يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر وجعل
كاتبه محمد خوجة الاصفر اغا بالقصبة واستمر على وجهته
تلك واتى باجة وجبا المجابي على العادة واطاعته
الرعية وعاد الى الحضرة فسكن بدار الامير حمودة باشا
التي تحت القصبة واظهر اولا سيرة حسنة وابقى ارباب
المراتب والعمال على مراتبهم واعمالهم ولم يعزل احدا
منهم الا بلقاسم بن احمد الحنفي خزندار مراد باي
فانه سجنه وعذبه فقتل نفسه في السجن ثم لم يلبث
ان اطلق يده في ظلم الرعايا واخذ اموالهم وكان ينزل
على الحي من احيائهم فيستوفي جبايتهم ثم يستاق خيلهم وابلهم
وياخذ حليهم واموالهم ويقتل ابناءهم وكان قصده
استيصال شافة العرب لبغضه اياهم واجتمع عنده
من ابلهم ثمانية عشر الف بعير ومن الخيل ما لا يحصى
وجارت الاتراك من الجند في ايامه جورا شديدا
ومدوا ايديهم في القتال والنهب ولقي الناس منهم
شدة **ولما** استقر بالحضرة بعد رجوعه
من المحلة جاءه الخبر ان علي الصوفي احد مماليك مراد
اجتمع عليه جند من العرب المفسدين وشنوا الغارات
على الاطراف وجعلوا معقلهم قلعة سنان يأوون
اليها فارسل محمد بن مصطفى المعروف بابن
بكيمه

وكمن في حلفة بازاء قلعة سنان ليلا فاقتلع بابها ودخلها
وتسور عليه فقتله في فراشه وكر راجعا ثم عزل ابراهيم
الشريف مراد مصطفى باي لسبع خلت من جمادى الثانية
من سنة ١١١٤ وارسله الى المستير ودار يكتب
في اوامره ابراهيم الشريف باي باي ثم بعد ذلك في
سنة ١١١٥ ورد عليه الامر العثماني بمنصب الباشا
فصار يكتب **الباشا ابراهيم الشريف**
باي باي ثم خرج لمحلة الشتاء في سنة ١١١٥
واتى جبل بني عياش وقد خالعوا عليه بصعد الجبل واخذهم
ونزل على القيروان وامر اهلها بعمارتها وبناء ما انهدم منها
وسكناها **فبينا** هو في المحلة من هذه السنة خرج عليه
احمد بن رجب بن سليمان باي بن رمضان باي مولى مراد
باي المتقدم الذكر واجتمعت عليه من العرب جموع
كثيرة تشيع على ثلاثين الف وكان الامر بل القائم
بامره جلال بن المسعي الرزقي والظاهر عنده رعاياها
واخبره انه لا يأخذ من الرعايا الا زكوة اموالهم فخرج اليه
ابراهيم الشريف لاربع خلت من المحرم سنة ١١١٥
في ثمانية الاف بين خيل ورجال وكان احمد بن سليمان
نازلا بالسرس بفحص ونفذ منه طليعة لابراهيم
الشريف فعز معها احمد بن سليمان وارتحل من السرس
فنزل ببلد جندوبة فتبعه ابراهيم الشريف ووقع
المصاف يوم الاحد لاحدى عشر خلت من الشهر
وكانت الهزيمة على احمد بن سليمان وقتل من جيشه
مقتلة عظيمة وتفرقت جموعه وهرب لناحية
القيروان فخاف عليها ابراهيم الشريف منه فارسل
جيشه لحمايتها وحماية نواحيها من قبل ان يصل احمد
ابن سليمان وكانوا قد اتخذوا برابية موضع الكمين
فلما التقوا ثار به الكمين فقتلوا جلال بن المسعي
وانهزم احمد بن سليمان وضعف امره وتلاشى
لم يكن له بعد ذلك ذكر وارسل براس جلال الى
تونس ودخل ابراهيم الشريف جبال خمير

وجيش بحاشيته ورجع الى الحق

ذكر خروجه الى طرابلس وقتال خليل باي

وذكر السبب في ذلك كان بين خليل صاحب طرابلس وبين
مراد باي مودة اكيدة ومحبة شديدة فلما قتله ابراهيم الشريف
غضب له خليل باي ونصب العداوة لابراهيم الشريف
فمرت عليه مع الركب هدية لابراهيم الشريف من مصر
ارسلها اليه بعض ملوكها ومن جملتها افراس عتاق الخيل
فانتزعها خليل باي من ايدي حامليها واغتصبها فلما بلغ
ابراهيم الشريف كتب اليه في شانها وطلب منه ردها
اليه فلم يردها واغلظ له في الجواب فغضب لذلك
ابراهيم الشريف غضبا شديدا ثم بعد ذلك خرجت
مركب له برسم غزو الافرنج في البحر فاخذت مركبا
فيه بضائع وثلاثون نصرانيا وبها صناديق محتوية على
اموال وسلاح وغير ذلك فالجاتهم الريح الى دخول
طرابلس فمد خليل باي يده اليها واغتصب
من النصارى احدى عشر راسا واغتصب الصناديق
باسرها وطردهم فقامت القيامة على ابراهيم
الشريف وعقد ديوانا باكابر عسكره واعلمهم بما
عزم عليه من غزو خليل باي فوافقوه على هذا وصاحب
الجزاير في خلال ذلك يضرب بينهما ويغري كل
واحد منهما على صاحبه ويعده النصرة عليه وخرج
ابراهيم الشريف بمحلته ومعه جموع كثيرة وكان خروجه
في جمادى الثانية سنة 1116 فلما شرف طرابلس
خرج اليه خليل باي والتقى الجمعان ووقع المصاف
بينهما في شعبان فقتلوا ساعة من نهار فكانت
الهزيمة على خليل باي ومات من جنده في
المعركة نحو الالف واسر مثل ذلك وانتهب
محلته واخذ منها مدافع من نحاس وبغالا وجمالا
ومالا ونجى خليل بنفسه الى طرابلس فارا فحصره
وحاصرها فدخلها خائبا ثم هرب متنكرا وارتحل ابراهيم الشريف

فنزل

فنزل عليها وحاصرها وضيق على اهلها فارسلوا اليه يطلبون الصلح
على مال جعلوه له وكان المنزل في ذلك بنية المولى حسين
ابن علي رحمه الله تعالى بالمنشية ووقع واغلظ عليهم في الشروط
وتمادى الحصار ايام الى ان وقع الطاعون في عسكره ومات منهم
خلق وفرت عنه العرب بسبب ذلك فارتحل عنها وانكفا
راجعا الى الحضرة وكان اقلاعه عنها لاثنتي عشرة بقيت
من شهر رمضان ودخل تونس اواسط شوال ووقع
بها الطاعون واستمر الى ان وقع فيه بلغ عدد الموتى
في اليوم سبعمائة نفس ولما استغنى ابراهيم الشريف
بتونس ثبت عنده ان صاحب الجزائر عشي مصطفى
عازم على حربه ومتهيئ للخروج اليه فاخذ بتحصين جهته
وحصن قلعة الكاف وسورها وشحنها بالات الحرب
والميرة وارسل جندا لحمايتها لنظر محمد اخيه وشرع
في بناء البرج الكبير الذي بالجبل الاخضر وصار يباشر
للعمل فيه ثم امر ببناء البرج الاخر ولما فرغ من
جهتها وبلغه خروج محلة الجزائر خرج لقتالهم وكان
خروجه يوم السبت غرة المحرم سنة ١١١٧ فنزل قريبا
من الكاف فرافقه الجزائريون فلما التقى الجمعان فر عنه
اولاد سعيد الى الجزائريين وتبعهم كثير من العرب
ثم فر عنه وزيره وصاحب سره محمد بن
مصطفى المعروف بباي بكيمة وتبعته جنود ولم يبق
معه من الخيالة الا صبايحية الترك وقليل من العرب
وكان ارسل طائفة من الجند الذين خرجوا معه في
المحلة الى الكاف فبقي في جمع من الحامية وهو مع
ذلك كله مظهر للتجلد لم يظهر قبله خوف ولا جزع
ثم ان صاحب الجزائر ارسل رسله
لطلب الصلح على ان يدفع اليه مقدارا من المال سماه
له وان يجيبه ويرسل له هو جره ومن عنده من
اهل افريقية الذين كانوا السبب في اثارة الفتنة
وان يبعث له اولاده رهنا حتى يستوفي منه
المال والا فلا فوقع عليه ارسال اولاده وقال لا

افعل هذا ابدا فان لي خليفة المولى حسين بن علي ايقتني انا رفضنا
عنده حتى توفي له بما اشترط فرضي بذلك ورجعت به الرسل
الى صاحبهم ولم تنس بدرفة الصلح فلم يشعر احد الا والقوم
قد اخذوا بالرحيل للقتال فعارضه المولى حسين بن علي وحذره
عاقبة البغي وقال له امهل حتى ترجع اليك الرسل بالحق
فلم يقبل منه فلما ارتحل استدعى المولى حسين بن علي
اغة صبايحية الترك وامره بالوقوف في ما بين فارس
في مكان من امكنة الحافة عينه له وعين لغيره من الاغات
اماكنهم وامرهم بلزومها وتقدم بقية العسكر لينزل المحلة
منزلتها وصعد ابراهيم الشريف الى مكان مرتفع من
عقاب (السيد عبد الرحمن بيوض) يشرف منه على محلة العدو وهي نازلة
بجيرة الكاف فلما اشرف عليهم اذا هم قد عاثوا في الزرع
وافسدوه بدوابهم فتحركت همته وامر بشن الغارة
عليهم فاغارت خيله وقتلوا اناسا من اولائك الذين
في الزرع وهزموهم فلما راى ذلك عشي محكمي ركب في
خيله ومن معه واقبلت الخيل اليه متسارعة فلما راى كثرتهم
ارسل الى خليفة المولى حسين بن علي يستدعيه من موقفه
فاجابه انه لا يسوغ في ذلك الان لاني اذا جئتك
خشيت على المحلة من العدو فوجه اليه الرسل ثانية
فامتنع من اجابته فحينئذ ارسل الى اغة الصبايحية
يستدعيهم من اماكنهم التي رتبهم فيها المولى
حسين بن علي فاقبلوا اليه متسارعين في خيلهم فلما
انتهوا اليه وكان في محل مرتفع كما ذكرنا وجدوا
المرتقى صعبا من الناحية التي اتوا منها فلم يمكن الصعود
اليه منها فمضوا مع جانب الجبل ليصعدوا اليه من
خلفه فلم يشك الجزائريون في انهزامهم فحملوا عليهم
حملة رجل واحد واشتد القتال وتكالبت اعراب
افريقية اولاد سعيد وغيرهم عليه وصعدوا اليه من كل
مكان حتى اضطروه الى شعاب وعرة واحاطوا به
من كل جانب وهو يقاتلهم اشد قتال ولم
يظفروا منه بشيء حتى تعرقبت عنه خيله ركب به فرس

ثالث

ثلاث مرات بالمنوي في الثالثة واخذوا اسيرا وكان الذي
اسروه صبايحية من جند الجزاير وانطلقوا به الى محلتهم
ووضعوا عليه الاغلال والقيود ولما بلغ خبر اسره
الى عسكره رجعوا على اعقابهم منهزمين خيلا
ورجالا ونزلوا محلتهم ولم يتبعهم الجزايريون فسلموا
كلهم من القتل والسلب وانتهت بهم الهزيمة
الى الخضرا وكان ذلك لاثني عشر يبقى من شهر
ربيع الاول وكان ذلك اخر دولة ابراهيم الشريف
وكانت ثلاثة اعوام وشهرين وخمسة ايام ثم
ارسل صاحب الجزاير الى اخيه بمكانه من قلعة
الكاف واعلمه ان اخاه موثوق عندهم وارسل اليه
كتابا مختوما بخاتمه وامره بالنزول عن القلعة طوعا
والا استنزل كرها فاختلف عليه من معه من العسكر
فبعضهم اختار النزول على حكم صاحب الجزاير وقال
ما يغني دفاعنا وبعضهم قال نقاتل ولا نلقي بايدينا
اليهم فقال احد كبرايهم يقال له سلاقجي احمد
انا انطلق الى محلة الجزايريين فان وجدت اميرنا
موثوقا عندهم كما زعموا لا يسعنا الا النزول على حكمهم
وان كان الامر بخلاف ذلك نشنا على القتال
وكان محمد اخو ابراهيم الشريف ومن معه
لم يخف اسره فانطلق ورجع اليهم بصحة
الخبر وخوفهم فطلب محمد الامان لنفسه فاعطاه
له ولما حصل بايديهم اثقلوه بالاغلال مع
اخيه واخرجوا جميع من كان بالقلعة وسلبوا
اسلحتهم واخذوا جميع ما كان بها من المال والسلاح
والطعام وفعلوا بالكاف من نهب الاموال والمتاع
وسبي النساء وارتكاب الفواحش كل منكر ولما
بلغ المنهزمة الى الخضرا وكان بلوغهم اياها
ثاني يوم من الهزيمة جزع اهلها جزعا شديدا
وخافوا من هجوم العدو عليهم وهم فوضى دون
امير يحمي عنهم ويجبر امرهم ويقوم

لجنايتهم باجمع رايهم على ان ينصبوا اميرا يقلدونه امرهم
يدافع عنهم اعداءهم وبانيا يذكر في احوال المدينة
على القانون الجاري عندهم فتفاوضوا فيمن يختارونه لهذا
الامر فاتفق راي اعيان الديوان واكابر العسكر وجمهورهم
واعيان البلد اهل الحل والعقد على المولى حسين
ابن علي لما يعلمون فيه من الخلال والصفات التي
تؤهله للملك وما عرفوه من كفاءته وحزمه وعفته
ورفقه وسياسته وقد انتهى الى مقام الشيخ
لابي عبد الله حسين الشيخي في بكتابه تونس وارسله
من بابه بحرمه ومراجعه البحاث من تحريات تلك
الاحوال فالالتجاء الى محل منجاة يامن فيه ما تنوق
هناك وكتبوا منه ان يملكوه عليهم فامتنع عليهم
امتناعا شديدا بحار لم تزل المراجعة بينهم وكلما
زاد امتناعا ازدادوا احرصا والحاحا فلما راى الامر
قد تعين عليه ولم يجد منهم خلاصا قبل منهم الخطة
للبيعة

ذكر بيعة المولى الامير حسين باي ابن علي

fol. 192

وابتداء هذه الدولة الميمونة لما اراد الله تعالى
احياء هذه البلاد الافريقية وتلافي شملها وجمع
نظامها وحماية سياجها وحياطة حوزتها بعث
لها من هذا الامير الذي حفته العناية الربانية
والالطاف الخفية السارية في الخليقة من افتقد
سلطانها واقام بامور المسلمين بها بعد ان كان
مدة من الزمان دعامة لسرير ملكها و[illegible]
بقامة لدولتها وقايدا لها بزمامها وقاعد المجد رجته
الامر والنهي لما وقد توغل في درج الملك واحتلت
جوانحه من الفوز كمح بصره الى الاستبداد بامهجة
متشعبة لما حصل لها من عنايته واغصان الدولة
بها تزف من نضرة الشباب والخلق في امنون فيه
كيف

كتب العافية ومصالح الحضر وكان من اتفاق الملا من اهل
الحضرة على بيعة من ذكرناه انفا ودخل الحضرة يوم بيع
فيها البيعة العامة يوم الاحد او الاثنين لعشر بقين من
شهر ربيع الاول سنة ١١١٧ وجلس بالديوان
المقابل لباب القصبة وحضر العلماء والقضاة واهل
الديوان واعيان المدينة والخاص والعام فاخذ عليهم
البيعة وتوثق منهم واتفقوا على ولاية محمد خوجة
الاصفر اغة القصبة باي موسى في ذلك الشيخ
وكان يوما مشهورا بجرح عزمه رحمه الله تعالى
السلطان ضبط البلد وشحن اتقابها بركب المدافع على
ابوابها ورتب لها الحرس وعرض عساكره وجنوده
وارسل للقرى التي بين الكاف وتونس بامرهم بالرحيل
خوفا عليهم من سطوة العدو وحفر خندقا محيطا
بتونس فتم ايضا لمدة قريبة واكمل الله الجهاد
في الكمال البرج الذي ابتداه ابراهيم الشريف فتم
ايضا في مدة قريبة وبعث العلماء الى الاجناد
يحرضونهم على القتال ويذكرونهم وجوبه عليهم
دفعا عن الانفس والحرم والاموال وضبط اموره
احسن ضبط ورتبها اتم ترتيب ثم
وردت عليه رسل علي مصطفى صاحب الجزاير
بكتب تتضمن تمويهات ببذل الامان وانه لا يريد
الا الاصلاح والخير يعقد لهم ديوانا بشهد الباي
واكابر العلماء واعيان الديوان وكان ذلك
يوم الخميس منتصف شهر ربيع الثاني
وقريت كتبهم وصدر الجواب بانكم تذكرون
ان مجيئكم المذكور لاجل ابراهيم الشريف خاصة
وانه قد ظفرتم به فليس لكم بمجاورتنا حاجة
نعتقد ونها وجددت في ذلك اليوم البيعة للمولى
الامير ثانيا وللباي المذكور والبسا الخلعة
واطلقت البشاير وارتفعت الاصوات بالدعاء
بالطاعة والانقياد من اهل ذلك الموكب

واختاروا رسلا من اعيان الناس وارسلوهم بالجواب
مع رسل عشي محكمة وهم الشيخ الاستاذ الطاير
الذكر ابو الحسن علي عزوز رحمه الله تعالى والشيخان
المعتبدان عبد الكريم بن يوسف جغوث وابو الحسن
علي الصوفي الحنفيان والشيخ القاضي ابو العباس
احمد الرحماني ومعزول في اعين الاجوان وكذا نبذة العسكر
وجماعة من صفاف الديوان فلما انتهوا الى عشي
محكمة تلقاهم بالترحاب واظهر لهم الطافه
وبشاشته لكنهم لم يحصلوا منه على طايل من غضبه
العلماء وخوفوه عقاب الله تعالى وذكروه عن
اراقة الدماء وانتهاب اموالهم بغيا وعدوانا
وكان جواب عدو الله ان قال لو التفت الى جانب
الشريعة ما خرجت من الجزاير فايسوا منه وتحقق
لهم ما اضمره من الشر وصرح بذلك وحلف لهم
الايمان المغلظة ان ليس في غرضي قتل مسلم
وما اريد الا الخير والعافية فاجابوه بان نفسك
وصولك الى تونس فتنة وشر فان كان مثلا
تقول صحيحا فارتحل عنا وعينوا له مالا يدفعونه
اليه حفظا لدماء المسلمين ان افلح وارتحل فابى
وتجلى وانقطعوا عنه وكان في اخر كلامه ان قال لهم
ابعثوا الي اناس غيركم اتكلم معهم في غير هذا
الوقت وانا نرتحل اليكم ولا يكون الا الخير فرجعوا
عنه وصحبتهم رسل من عنده يطلبون غير هولاء الجماعة
للكلام معه فارسل المولى الامير اليه جماعة من
اكابر الاجناد عقلاءهم اختارهم لذلك فلما انتهوا
اليه الانوا له القول وخاطبوه بكل جميل وكان
فيما قالوا له ان ما عزمت عليه من قتل المسلمين
بعضهم بعضا مما يتمناه المشركون ويسرهم وانه
من عمل الشيطان فارجع الى الله تعالى واحقن
دماء المسلمين فما كان جوابه الا ان قال انتم
نرتحل اليكم ولا يكون الا الخير ورجعوا من

عنده

عنده كما جاءوا ورحل من الكاف متوجها الى تونس وكتب
اليه المولى الامير يذكره ويحذره ويطلب منه عقد الصلح
على مال يعينه جزاء لمجازاة الاكفيانا وعتوا واقبل راحلا وصدر
منه ومن جنوده في وجهته تلك من الظلم والتخطي
والفساد شيء عظيم فوصل الى طبرقة واقام عليها
اياما وارتحل الى تونس فنزل بمكان يقال له بومنجوس
وتبعه الشيخ منجد اليه في اربعة الاف عساكره
وعرب بلده ومن انضم اليه من عرب افريقية وكان
نزوله عليها يوم السبت لتسع خلت من جمادى
الاولى وكانت محلة جند المولى الامير لما ثمانية عشر بل ثمانية
الفا فوقعت هناك وتشتت في يوم نزولهم بين الخيل وامتد
الطراد الى وقت الزوال فركب عشي مصطفى وجيش
جنوده واقبل بهم وحمل اليه المولى الامير ووقعت
بينهم حرب مات فيها جاوشان من جاوشية الجزاير
فكان موته بالكورة للمدفع وكادت الوقوع
الهزيمة عليهم وانفصل الحرب في اخر النهار ورجع
كل واحد الى مكانه الى يوم الخميس الذي بعده
فخرج الجزائريون من محلتهم متهيئين للقتال وصفوا
صفوفهم في جنب العسكر التونسية فلما انتشبوا
القتال امر لهم المولى الامير بارودة مدافع على
اهل العجل وامرهم بالحملة فحملوا عليهم فازالوهم
من اماكنهم وتبعوهم على اثارهم ثم تراجعوا والجزوا على
مدينة فقتل من الجزائريين وكلا ثمانية جريح ومائة
قتيل من اهل تونس ومائة وخمسون جريح ثم
لم يقع قتال الى يوم الخميس الحادي والعشرين
من الشهر فوقعت بينهم ملحمة ثالثة مات
فيها من اهل الجزائر مائة وعشرون وجرح مائة
وسبعون ومات من اهل تونس خمسون وجرح
مائة وعشرة ثم كانت الواقعة الرابعة يوم
الخميس ايضا الخامس من جمادى الثانية
وهي اعظم الوقايع وصنع الجزائريون كمينا

فانذر به الموحد الامير فارسل اليهم من اثارهم من مكنهم
ووضعوا المكينة في اخر فارجعوا فارسل اليهم من ازعجهم
واخرجوهم وهزموهم ونفوا في اثارهم والتحمت الحرب
وحمي الوطيس حتى ظن الجزايريون انه احيط
بهم فولوا الادبار منهزمين الى محلتهم وقد قتلوا
ماثنين وستين ما بين قتيل وجريح ونهبت كتايبهم
منهم ابن نوخسي وكان يرماشح بدا عليهم ونـدم
عشية مصطحبة على ما بانه من السلاح والزم محلته وصارت
العساكر التونسية كل يوم تخرج وتفتش محلتهم
ويرمون عليهم الاكثر من المدافع وتبادر الرصاص
وهم خايفون لا يخرجون الا جماعة يدافعون وهم كارهون
واستسمح الناس امرهم وتعاونوا بهم وكان الامير
الموحد قد استخرج مدفعا من نحاس كان مدفونا
بالارض قرب البحيرة باشارة من القطب الاكبر
امام العارفين مولانا عبد القادر الجيلاني رضي
الله عنه وكان له فيه اعتقاد كبير ومزيد تعلق
بجانبه وذلك ان رجلا معروفا بالصلاح انه راى الشيخ
رضي الله تعالى عنه في المنام فقال له اذهب
الى حسين باي وقل له يرسل من يحفر في مكان
كذا عند البحيرة واوقفه على المكان ودفينه ليستخرج
منه مدفعا من نحاس فاستخف الرجل وخاف ان تكون
رؤيا اضغاث احلام فسكت ثم نام ثانيا فراى
الشيخ واعاد عليه المقال فاستخف وكان شانها
كالاولى فراه ثالثا وتهدده وقال له بلغ ما امرتك
به واذا بلا [illegible] العدو فيعجز عليه فاقبل الى
الموحد الامير فاخبره بما راى ففرح به سرورا
شديدا وارسل معه الى المكان الذي عينه له
الشيخ فحفروا فوجدوا المدفع كما وصف فايقن
الموحد الامير حينئذ بالنصر على عدوه
وامر بوضع المدفع على باب خالد ورمى به
اياما فلما كان في يوم السبت الرابع عشر من
الشهر

الشعو انزله وقدم اليه خمسة مدافع ونادى في عسكره
بالتقدم الى محلة الجزايريين فتقدموا ورموها بتلك
المدافع فسقطت دفعة الاكر ثريا من مضرب عشي
مصطفى ومات رجل من عسكرهم بالاكر وهم في ذلك
كله جالسون في اماكنهم فلازموه الا خيبتهم وما
استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وبعد ذلك
بيومين وردت كتبهم بل رسلهم بكتب للامير والباي
راس الديوان في طلب الصلح وبعد ذلك هم ديوانا
وقرينة كتبهم وصدر الجواب بانا لا نقدي الصلح
الذي سماه الله خيرا الا على ان تردوا جميع ما ذهبتم
من قلعة الكاف وتردوا الابل التي اخذتموها وتكون
جميع ما صرفنا على قتالكم ثم يعقد الصلح بيننا
وبينكم وترجعون الى بلادكم آمنين من غير
ان نتعرض لكم ورجعت رسلهم بذلك فلم يجيروا جوابا
وندموا على ردهم لقبول الصلح اولا وركب المولى الامير
في بعض تلك الليالي واغار على اعراب حلال الدروب
النازلين على العواقيب فاخذ بعضهم ولحقوا بالمحلة
فلم يخرج لهم منها صريخ فارتاعوا كلهم لفارتهم (?)
وتكلم الشيخ ابو عزيز مع عشي مصطفى في ذلك
وقال له انما لم ياتينا الصريخ من عندك هلكنا فقال لهم
اما بالليل فلا ياتي احد منكم ولا يخرج احد امسى (?)
محلتي فيفسد ما بيننا بهذا السبب في الظاهر
وانما نسبت فسادة عليه بانا كنا قبلوا ان محمد بن علي
باي ترك اخا المولى الامير لابيه وكان تحت
اخت المولى الامير لامه كان في ايام ابراهيم
الشريف نابذ زيد فلما هرب حريدا الى الجزايريين
مع محمد بن مصطفى كان محمد باي معهم فلما
نزلوا على تونس كان هو وزوجه يبعثان بالاخبار
الى اخيها المولى الامير ويطلعانه على عورات
الجزايريين وكتب اليهما في استمالة الشيخ
ابي عزيز وترغيبه فلم يزالا به الى ان اجالها (?)

وجاريته وفي عشي مصطفى هذا رمى الكلام بسبب غار
الموحى الامير تاليه على العرب واستوحش كل واحد
منهما من صاحبه وانضم الى ذلك ان عرب افريقية
مثل مرزيد واولاد سعيد وغيرهم الذين تحيزوا اليه
انما فعلوا ذلك بغضا للابراهيم الشريف في سوء اخرى
فيهم فلما اسرى اليهم عشي مصطفى عن قصد تونس
ارفقوا بخليفته فلما لم يصح شيئا وراى عجزه عن
اخذ تونس رما من فيه من عسكرها استخفوا
الوثوب عليه فلما اجتمعت عليه هذه الاسباب
كلها امضى الى بلدة الاربعة لاثنتي عشرة بقيت
من الشهر وارتحل ليلا وترك اثقاله وبعضا من
اخبيته وشيئا كثيرا من الات الحرب من اكبر
ورصاص ومايتي كرة مونية وامتعة وميرة وغير
ذلك واجتلبت الحرب كلها وتركوا كثيرا من
خبايهم وسدروا ليبلغهم ذلك كلها وكانت مدة
اناختهم على تونس اربعين يوما واحس الموحى
الامير بفعلهم وبعث مركبا في اثرهم يخبر ذلك السوء
في جوده فلما انتهى الى الحامرية لقي
منه ذلك اربعمائة فارس ورجل كثير قد اقبلوا
من بونة ومعهم خمسمائة بغل بالميرة وسنوه
دقلة بالبارود والرصاص فاخذهم وغنم جميع
ما معهم وانتهى الجزايريون الى قصر قفسة
فنزلوا عليها غير مطمئنين فمكثوا قليلا وارتحلوا
الحرب فاخذوا اكراعهم وتنهب ما تقدر عليه
من اثارهم وباتت الامير ليلته تلك في اثرهم
فادركهم من الغد وقد ارادوا ورود الماء فازعجهم
عنه واجلوا امامه الى الفكرة احتي على
مجرة المجاز الباب فنزلوا عليها وقد كادوا
يهلكون عطشا وتعبا ولم يجدوا سبيلا للهروب
فقاتلوا على حياتهم وحمية مستميتين فوقعت
حرب عظيمة اشتد الخطب فيها الموحى
الامير

الامير القتال بنفسه ومات من جنده مقتلة عظيمة
فانحاز بجنده ناحية ورجع الى الحضرة فدخلها
ونادا فتحت دولته السعيدة بشئ لم يتفق لاحد
قبله من انهزام الجزايريين ورجوعهم بالخيبة
والخسران وانتهوا الى بلاجنة فقاموا عليها وطلبوا
من اهلها المال والطعام من القمح والسمن فاظهروا
الايقاع بهم فاشتد الخطب على اهل باجة
ولما ضاقت بهم الحيل فارسل الله عليهم ريحا
شديدة الاثر ثارت غبارا ساطعا اسقطت دفق
اخبيتهم وظنوا ان المولى الامير قد جاء في طلبهم
فارتحلوا وتركوا كثيرا من اثقالهم وميرتهم حتى
لقد تركوا كثيرا من مائة شاة مذبوحة
اعجلهم الرحيل عن طبخها وتركوا جماعة من الرجالة
ونزلوا عشاء على بوسعدية وارتحلوا منه قبل
انقضاء الليل وتركوا به ثلاثة عشر خباء واثقالا
واسرعوا خوفا من ادراك الطلب وتخاسرت
عليهم الاعراب فاخذوا ويقتلون في اخرياتهم
واخذوا لهم مرة مائة رقيق بدوابها وثمانين فرسا
ومن السلاح والاثاث بشئ كثير وصاروا يطوون
المراحل صباحا حتى قطعوا في ستة ايام ما كانوا
قطعوه في مجيئهم في سبعة وثلاثين يوما
ورجعوا الى بلدهم ولما استقر المولى
الامير بالحضرة ورد ابو صالح الكاهية محمد خوجة
الاصفر الباي الاستظهار عليه وقد رأى ان يكون
الامر على ما كان عليه اول دولة الترك من استيلاء
الباي على الباي وكتب المولى الامير الى العسكر
يطلبون منه الاخذ في اصطناعه ومجاملته ووجدت
الوفود من البلدان للتقليد وفيهم وفد باجة
فلما دخلوا على الباي وكلمهم وعقدهم على
ما فعلوه مكر ببعض امداد الجزايريين بالمسيرة
وامرهم الى السجن فشفع فيهم المولى الامير

وكلمه عليهم مرارا فلم يجد منه جوابا غير لا بأس وظهر
من فحوى كلامه ما اضمره من الغدر والمكر في جانبهم
وكان لعنه الله قد ابدى الشر بينهما واشتملت على الامير
بكافة من علماء الحاضرة عموا بولاية المولى
الامير بأن غدروا عليه وخوفوه منه وحملوه على القبض
عليه والايقاع به وبيتوا امرهم ان يقبض عليه اذا اتاه
للسلام عليه بالقصبة وكان احمد شلبي مملوكا
صغيرا عند الامير يسمع ما دار بينهم فانهاه
الى المولى الامير فخاف بادرتهم وعزم على
الهروب فلما كان الغد لبس سلاحه وركب
واتى باب القصبة فقبل فتحه فلما فتح كان
هو اول داخل فلما رآه الامير متقلدا السلاح قال
ما وراءك قال ان العرب اجتمعوا بناحية البحر
وانا خارج اليهم لاسكنهم واتيتك لتاذن لي
في ذلك فاذن له حيث لم يجد الى القبض عليه
سبيلا فخرج الى ظاهر تونس وارسل الخيل
ينادي فيهم بالركوب فخرجوا اليه وسار بهم
الى الجحط فنزل به على دريد وغيرهم من
العرب الذين انفصلوا عن الجزائريين و اول ما
افتتح به الامير امره بشنق سبعة من
اعيان اهل باجة فشنق خمسة منهم بسور القصبة
واثنين تحت منارة جامع الزيتونة وهما الفقيه
العدل ابو العباس احمد بن محمد الكوسي من اجل
فقهاء باجة وابو الحسن علي بن الحسن علي الصماحجي
مرتب كبير مشهور بافريقية وينقل عنه انه لما
امر بقتله لقيه الفضيلي قال اصلبوا الغديين
القسيسين عند كنيستهم عياذا بالله تعالى وكان
ذلك ليلة رجب فاحش الناس وقد كانت انفسهم
شعاعا من خوف سطوته وخامر قلوبهم بغضه
ولما علم امتناع المولى الامير منه وانه غير
عائد اليه كتب اليه يخادعه ويطلب له
على

على البراءة من الفجرة ويستميله للعود الى الحضرة
فلم يجب الى ذلك وكتب الى جميع القبائل بنبذ
طاعته ونقض بيعته وامرهم ان لا يقبلوه ان جاءهم
وكتب تتوالى على المولى الامير بما يقتضي الوعد
والثبات على العهد مكرا منه وقد اعيا التحمل في
فخشي فلما يغن عنه ذلك شيئا ارسل له جماعة
من الاعيان منهم الشيخ الاستاذ ابو الحسن علي عزوز
والشيخان الجليلان عبد الكبير بن غوث وابو الحسن
علي الصوفي والشيخ القاضي ابو العباس الرصاع
وغيرهم من اكابر الديوان لتقرير الصلح وعوده الى
الحضرة فلما اتوه وتكلم معهم اخبروه بما ثبت
عندهم من انطواء باطن الامير على الايقاع به
فلم يأذن لهم في السراح واقاموا عنده مكرمين
واستشارهم في اقامة قائد مصطفى الباي الذي عزله
ابراهيم الشريف ونسبه الى المشير مقام محمد
الامير بما اشاروا به عليه فارسل اليه
واحضره واولاه بعد توثق شديد واعطاه المولى
الامير بعهده ان لا يعزله مدة حياته وذلك
لعشر خلت من شهر رمضان ولما بلغ ذلك محمد
الامير قلق قلقا شديدا واضطربت احواله
واخذ امره في الانحلال وقد كان قبل ذلك
لما رأى امر المولى الامير لا يزداد الا قوة ارسل
رجلا يقال له الحاج مصطفى الدرويش
خفية الى الجزائر وقد بلغه ان ابراهيم الشريف
اطلقه صاحب الجزائر من سجنه ووعده ان يرده
الى ملكه للعداوة التي استحكمت بينه وبين
المولى الامير يوصيه بانتهاز الفرصة ويستحثه
على القدوم ويعلمه انه قد ضبط له البلد الى
ان يقدم مهلا واخذ في مكاتبة المولى الامير رجاء
ان يفتح اليه ابراهيم الشريف فيسلم له البلد
ثم ان العسكر كاتبوه فلم يثبتهم والحوا عليه في

الكلب فلما اجتمعوا ابوا ما فتعرضت انفسهم عنه واغلظوا
له في القول فامر بحبسهم فحبسوا بقبة القصبة فحين
يوم الجمعة منتصف شهر رمضان وقال لهم من اراد
الرتبة فليخرج الى قتال العدو فاضطربوا وتنادوا
بخلعه على كلمة واحدة وركبت الفرسان منهم وانطلقوا
سراعا الى حضرة المولى الامير فاخبروه بالقضية
على وجهها وحثوه على الركوب للحضرة فنهض لوقته
متوجها اليها والبشاير تتوالى عليه بكل محل
يسره ويعجبه وخرج اكثر الناس لتلقيه فلما
انتهى الى الحربية واجتمع باعيان الدولة
امتنع من الدخول الى الحضرة حتى يخرج منها
محمد الاصغر وكان قد دخل مقام الشيخ الاستاذ
ابي العباس احمد بن عروس لايذايه فدخل عليه
جماعة من الجند واخرجوه وانطلقوا به الى المولى
الامير فلما كان بالملاسين عمر اليه جماعة من
اتباعه فقتلوه واخذوا راسه واتوا به الى
الامير فامر بدفنه ودخل القصبة يوم الاحد
السابع عشر من الشهر و من الغد
فجمع الباي قارة مصطفى فجلس المولى الامير
لتجديد البيعة واجلس الباي معه وبويع
بيعة عامة وانطلقت البشاير وانتقل الى دار الامير
حمودة باشا فسكن بها فلم يلبث الا ان وافاه الخبر
بركوب ابراهيم الشريف الباي من الجزاير
الى الحضرة ليتسلمها من يد محمد الاصغر بسبب ما
ارسل اليه فكتب الى جميع القواد والبلدان
التي على السواحل يامرهم بالقبض عليه ان جاءهم
وثبت خيله على السواحل وارسل ثقاته الى
ابن زرزة وغار الملح وغيرهما ليمنعها وخرج
من الحضرة فنزل بالعيدلية من المرسى
واركب جماعة وثق بهم من رؤساء العسكر
في مراكب من مراكب العرج وامر عليهم

حسين

حسين رايس وتزيوا بزي النصارى وامرهم بالتخفي حتى
بان صاح فوق تحيلوا على الوثوب عليه بمركبه وقتلوه فاقلعوا
من حلق الواد وانتهى ابراهيم الشريف الى بن زرت
فارسى بمرسيها وانزل رجلا من معه وامره ان وجد
الامر كما يجب ان يجعل له علامة لينزل وان كان
الامر غير ذلك جعل له علامة ليقلع وقبض اصحاب
الرئيس الامير على ذلك الرجل وهددوه بالقتل
فاقر لهم واخبرهم بما تواطا عليه مع ابراهيم الشريف
من وضع العلامة فامروه ان يجعل له علامة النزول
فاسترابت ابراهيم الشريف ولم ينزل واقلع عن بن زرت
فاجتمع اعيان البلد يتجسسون الاخبار فصادفهم
مركب حسين رايس واصحابه من بن زرت وغار
الملح فلما تقاربت المركبان سالهم اصحاب ابراهيم
الشريف من اين خرجتم قالوا من تونس وطلبوا
منهم ان يقفوا لهم ليسالوهم عن مقصدهم وقربوا
منهم وقالوا من تركتم بتونس امرها قالوا الحمد
لله بخير والناس كلهم معهم قالوا واين حسين بن علي
قالوا انه في الخير وانهم مع ذلك يقربون منهم
فلما تمكن حسين رايس واصحابه من الرمي رموه
عن زناد واحد فاصيب وسقط ومات وركبوا الى
مركبه فحزوا راسه وما انفك رفقة من معه واتوا الى
غار الملح وارسلوا بالبشارة الى المولى الامير
حسين عليه البشير ولم يكن الا بالعبدلية فبشره
بقتل ابراهيم الشريف واتي اليه بعد ذلك
براسه ورجع الى حضرته وتمهد ملكه
واستمكنت يده ورسخت قدمه وكان رحمه الله تعالى
شهما شجاعا عاقلا عازما حازما ضابطا عفيفا
رحيما موثرا للعدل والانصاف عارفا بامور السياسة
وقوانين الملك محبا للعلماء ومكرما لهم مقربا لهم
كثير المآثر والخيرات معتنيا بحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحيث تروى بجامع تونس

الكتب الستة على ممر الدوام مواظبا على الاذكار والاوراد
وقورا محببا شديد الهيبة كثرت الخيرات في ايامه
ورخصت الاسعار وحسنت احوال الناس وامتلأت
ايديهم بالمكاسب وامنت الطرقات واول ما وجه
اليه عزمه عمارة مدينة القيروان **فلما** خرج محلته
الشتائية ونزل عليها امر ببناء سورها من ماله
وكان ابتداء العمل فيه يوم عرفة من سنة ولايته
وكان هدمه قبل ذلك وفرغ يوم عرفة فتم لسنة
سنة وجاء على احسن منوال وبنيت دورها
واسواقها حتى زادت عمارتها على ما كانت عليه
وحشر اليها اهلها من جميع البلد تعرضوا فيها
واحيا بها من المساجد ما ينيف على الخمسين وشيد
من زوايا الصالحين بها واضرحة الاولياء شيئا
كثيرا وجدد بها آثارا ورسوما كثيرة واثر بها
آثارا جميلة وسيأتي بشيء من ذلك عند ذكر هنا
الذكر مآثره وحسناته ان شاء الله تعالى وانتقل
في اول ولايته الى سكنى باردو وشيد قصوره وعمرها
واحيا مسجده واقام به الجمعة ولم تقم فيه قبل
ذلك وولى خطابته الشيخ ابي العباس احمد
ابن مصطفى الكرودي الحنفي

ذكر ابتداء امر علي باشا

لما ملك المولى الامير لم يكن له ولد وكان لاخيه
محمد باي المتقدم الذكر ولد اسمه علي كان المولى
الامير قد تولى تربيته وكفالته فلما كانت السنة
الثانية من ملكه ولقيه سنة ١١١٨ اولاه السبع
بالمحال العسكرية وسماه بالباي فاعلا منزلته
واتخذه ولدا فبقي على ذلك الى سنة ١١٣٧
كما يأتي بقية اخباره ان شاء الله تعالى ثم ان المولى
الامير ارسله الى الحج ثم الخلافة
لطلب التشريف يعرفان الولاية والخلافة
فما سعت

فاستعفى بذلك وخرج له الفرمان العالي بتفويض مملكة
افريقية اليه ووردت مراكبه بذلك في سنة 1114
فعقد مجلسا بقصره من باردو المعمور بمشهد الباشا
والباي واهل الديوان وارباب المناصب الشرعية
من المفتيين والقضاة وغيرهم وجدد له البيعة وفي
سنة 1121 صدر من النصراني صاحب طبرقة
تجاوز للحد واخلال بالشروط فخرج اليه المولى الامير
بمحلته واخرج معه عدة مدافع ونازله فطلب
الامان والصلح على الشروط السابقة وعلى مال
يدفعه معجلا فقبل منه وارتحل وامر بتجديد البرج
القديم الذي هو خارج الجزيرة وحصنه وجعل به
مدافع ورتب به طائفة من العسكر ورجع وسياتي
ذكر طبرقة في اخبار علي باشا مستوفى ان شاء
الله تعالى وفي سنة 1123 حصل رحمه الله
تعالى مراكبه الجهادية لغزو العدو الكافر خذله
الله تعالى في البحر فصادفته مركب للجنويز
من الفرنج بها مائتي نصراني كانوا اسارى بالجزائر
فافتكوا انفسهم وركبوا منها راجعين الى
بلادهم وفيهم جماعة من النساء وستة فاخذتهم المراكب
التونسية بعد دفاع ومحاربة ورجعت بهم الى
الحضرة في مركبين 14 حربي للعلج اخذتهم ايضا
فتكلم في شانهم القناصل الذين بالجزائر مع
صاحبها وقالوا هؤلاء افتدوا انفسهم منكم
وخرجوا من بلدكم فهم في ذمتكم الى ان يصلوا
لبلادهم فكتب صاحب الجزائر الى المولى الامير
يطلبهم منه لهذه الحجة فلم يجبه الى ذلك
وكتب له ثانيا وارسل رسلا من قبله
في ذلك فلما بلغوا الحضرة وادوا الرسالة جمع
لهم المولى الامير الرؤساء واهل المعرفة بقوانين
البحر فاجمعوا على انه ليس لردهم وجه عرفا
كما انه ليس له وجه شرعا لانه لم يجد انفصالهم

عن الجزاير في مركب اهل الحرب صاروا حربا للمسلمين
وتدعا تقلوا وحاربوا وكان فيما قال لهم ارايتم لو اتيتم
والعياذ بالله تعالى اخذوا المسلمين اما تستردونهم
منهم وتحتجون عليهم بانهم نصارى خرجوا من بلدكم
وصالوا على ما ملكتم من متاعكم بالقية عليه وكتب الجواب
بذلك وصدرت به الرسل الى صاحبهم فلم يقبل
وكرر الطلب مرارا فلما راى ذلك غير مغن عنه
ارسل جماعة من عسكره الى الحضرة العلية تونس
واستفتوا شيخ الاسلام جوابا مبنيا على مقتضى
ما ارادوا ثم عرضوا القضية على السلطان احمد خان
رحمه الله تعالى بعد ورود مراسم العالية برد الاسارى
موافقة لفتوى شيخ الاسلام وصدرت كتب
من جهة اهل الدولة العلية بمقتضاه وارسل
بذلك مفتيه باشا رجا وشيا مع رسل الجزاير
فانتهوا الى تونس في سنة ١١٢٤ هـ وكان المولى
الامير وقتئذ وهو لهم غائبا عن تونس لمحلته الصيفية
فقابلهم اعيان الحضرة ورؤساؤها بالاكرام والتعظيم
وعقد واجتمعوا لقراءة المرسوم السلطاني فلما
قرئ عليهم اجابوا بان اخواننا الجزائريين وقعوا
بانفسهم لدى الباب العلي وساروا عنا وعن غرضهم
تخرج الجواب طبق السؤال ونحن ايضا نرسل من
يقف به ويبرئ ساحتنا وبعد ان ينظر مولانا السلطان
فيها وقعنا عند امره وبقيت الرسل في محل نزولهم
مكرمين فلما قدم المولى الامير من سفره اشتد عليهم
واقام عليهم الحجة واراهم الحق ثم ذكر ان الامر ربما
يؤول الى شر وفتنة وان خصماءهم ربما اشتد عتوا
عنه انه قابل امر السلطنة العلية بالعصيان
فحسم مادة الملامة ورد عليهم الاسارى وسرحهم
الى بلدهم ثم جهز الرسل بجهازهم وركبوا البحر
اجمعين رسل السلطان ورسل الجزاير معا
فكشف لهم الامر العجيب والاتفاق الغريب

ان صادف جفنهم مركب للعدو من الفرنج حاربتهم واسرتهم
فكان من لطف الله تعالى بهم وصنعه الجميل للمولى
الامير وجزاه به ابدا على ما اثره من الصلاح ان خاب
البحار النصر للمسلمين ان وقع هيجان في البحر لم تملك
معه مراكب العدو امر نفسها فالتقفتها الارياح
وقذفها البحر الى ساحل من سواحل افريقية فانكسرت
وسلم من بها من الغرق وبقوا حيارى لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا يستطيعون دفعا فسقطوا في ايدي المسلمين
وارسلوهم الى الحضرة وخلص الله تعالى اولائك الرسل
من هذه الورطة وعوض الله المولى الامير من
النصارى مثل ما راح فكان عددهم مثل عدد الذين
اطلقوا ما ينا به يزيدون ثلاثة وكانت مدة
مغيب الرسل بعد سفرهم ورجوعهم على هذه
الحالة ورويتهم لهذه الكرامة سنة ابتداء
وفي سنة ١٣٥ كذعي عنز الجنانشي
دعي زعم انه ابن علي باي بن مراد باي من مملوك
محمد بن سليمان وكيل رمضان باي ببلاد الترك
واغراه على ذلك الشيخ ابو عزيز بن نصر وارسله
الى اولاد مسعود فاستقر عندهم واخذ يكاتب
اعراب افريقية ونحن نعتب جاعيته الفساد فكتب
المولى الامير الى القايد مراد بن قبرا وهو على
الرقبة يامره بالجال الباي في اخذه وكتب الى
والده المبروك قبرا وهو على الكاف يامره بمثل
ذلك فجمع القايد مراد خيله وغزاه وقد بلغه
بقرينة [illegible] فكبسه على جبل عجلة وهزم جموعه
واوثقه كتافا ورجع به بدفيه والدمه في خيله
ثم صح المثال ما يحدد له فاعلمه انه قد كفاه امره
واوصله الى الحضرة مكتبلا

ذكر ثورة محمد ابن مصطفى المعروف بابن فطيمة

وكان ممن حدثني ان كان من كبراء الدولة التونسية وعظمائها
مشهورا بالشجاعة والفروسية وكان متمكنا بابراهيم
الشريف وعنده بمكانة منه اربابه جولة منه ولما
خرج لقتال الجزائريين انتهزوا الفرصة فيه
وغزوه في الامور ونسبوا اليه انه يريد قتله وكان
يعادي المولى الامير عداوة شديدة فلما وقع
الشر من ابراهيم الشريف تطارح عليه بشفيع
له عنده وثنا عزمه عما هم به من قتله ثم بعد انهزام
حرب الى محلة الجزائريين وتبعه جريدها تقدم
ولما رحل الجزائريون عن تونس راجعين الى بلدهم
وقد قبضوا على ابراهيم الشريف وتملك مكانه
المولى الامير مراد فمنع وكتب اليه المولى الامير يالقدوم
الى خدمته فانف من ذلك ولم يركن اليه وارتحل
الى الشرق وتقلبت به الاحوال الى ان اتصل
بجانم خوجة قبودان باشا وكان قد خرج بالمراكب
السلطانية فيخيل له اموالا عريضة فياتي به الى
تونس ويملكه امرها ووعده ان تم مراده اعطاه مواعيد
عظيمة وقد رعشده ان العسكر واهل البلاد لا يتوقفون
في طاعته فاقلع في مراكب السلطانية وجاء على
غار الملح سنة ١١٢٧ وارسل الى المولى
الامير يطلب الانصاف العفو وما هي الا عشر
ما يقف الا تفوها وسولت له نفسه انه يتنزل
له عن المملكة طاعة لجانم خوجة لاجل برمدان
استشار في ذلك اهل الدولة فاجتمع المولى
الامير علماءه ووزراءه واهل الشورى واهل
الديوان وجنده ووضع في القضية فاجمعوا معه
على تمرد جانم خوجة ورمي مراكبه بالمدافع
ان لم يقلعوا وارسلوا له بذلك فلما راى الجد
وتبين له بطلان ما زخرفه عنده محمد بن
مصطفى اقلع راجعا حيث اتى واستصفى
اموال محمد بن مصطفى وطرده الى الحجاز
حاجا

حاجا فلقيه هناك محمد بك سكاصراج وكان بينه وبين
المولى الامير حمودة وكان اجتماعه به في المواجهة
الشريفة امام الحجرة المطهرة على صاحبها افضل الصلاة
والسلام فعاتبه على ما صدر منه من ارادة احداث
الفتنة فاظهر الندم والاقلاع وحلف له ان لا يعود
الى مثلها واخذ عليه بذلك عهدا في ذلك المكان
الشريف ثم عاد الى مصر فمكث بها الى سنة ١١٢٤
فلما خرج الركب المغربي مغربا خرج معه كاتما امره
عازما على دخول افريقية والعيث فيها واثارة
الفتنة فيها طلبا للملك وكتب بذلك الى المولى
الامير عيونه بمصر وورد عليه الخبر وهو نازل على
باجة بمحلته الصيفية فاستدعا ابا عبد الله محمد
الخزاني وكان على الكتاب فاسر اليه بالخبر وامره
بالنهوض من وقته لحاضرته فركب في الحين وبات
من ليلته بالكاف وقضى شغله وخرج صباح
الغد وقصد البلد الى قابس في اربعة ايام
وبها ابن اخيه احمد الدغي واليا على الاعراض
فاقام بها يتجسس الاخبار وينتظر قدوم
الركب فورد عليه كتاب المولى الامير يخبره
فيه بان ابا مصطفى فارق الركب يريد ان يسلك
طريق الظاهر ويخرج الى الحنفية ويامره
بترصده في الصحرا وارسال الجواسيس الى الحنفية
ومعه كتاب الى احمد الدخي فابدا الاعراض بامره
ان ينحاز للركب ويصحح الخبر عن ابي مصطفى
ويبث الخيل في النواحي ويأخذ عليه المسالك
فارسل الخيل الى النواحي وخرج الى الركب
فثبت عنده انه تخلف بوطن طرابلس عند
اولاد عبد النبي واما الخزاني فانه خرج من
قابس فاتى توزر وانتقل منها الى نفطة
وكتب الى صاحب تقرت يرغبه بالقبض
عليه ان قصد ناحيته وارسل خيلا من كل مورد

الى مياه الصحراء يتجسسون ثم ارتحل من نفطة مصحرا
الى الخنفقة وبقي نحو سنة محميا من شدة الحر والعطش
فاشرفهم على الهلاك فاقام بها شتاء وخيله متفرقة
على القصور فورد عليه كتاب الموحدين الامير يامره
بالرجوع الى الاعراض لما ثبت عنده تخلف عنترا وولد عبد
النبي فلما انتهى الى الجريد لقي الركب فاتهمهم
بانتشاره عندهم فدفع له امير الركب كتابا من قايد
الاعراض يخبره فيه انه استرعى الركب خيمة خيمة
حتى صح عنده انه ليس معهم فلم يتبعه ذلك وركبا
معهم وسار مرحلة حتى احاطهم خبر ليس فيه فلما
ايس منه انفصل الى قابس فارسل اليه قايد
الاعراض يخبره انه فارق اولاد عبد النبي الى غدامس
فارتحل من قابس في ستين فارسا انتخبهم
فانتهى الى زميلة وهو منفصل في حدود الرمال
من ناحية الصحرا فانتقل بل فاقام عليه خمسة وعشرين
ليلة كامنا تحت ظلال الملح والاودية وعيون خفية
على كل شرب واصح اليه كثيرا من اهل النجدة من
عرب تلك الناحية وتحينت عليه اخبار ابن مكحوفي
وكان قد وصل الى غدامس في خفارة الشيخ
ابي القاسم ابن سيف بن عبد النبي فوجد به خيلا
لاحد المخيين ارسلهم لاستقلال امره فاستمالهم
اليه وهو مضمر الغدر بهم فجانبه على ذلك الشيخ
ابي سيف وانكره عليه واستدعاهم فحذرهم منه
واعلمهم بباطن امره فوجدهم قد اظهروا له
مثل ما اضمر فيهم فنفعهم ايضا ان ابن مصطفى
ارتحل من غدامس مشرقا وروى بقصد
ناحية غير التي اراد بها فارسل اليه الخيل فلقيه
من بعض تلك الخيل فعاد اليهم واخبرهم انه سار الى
ناحية المشرق فلما ثم انفتل امغربا فجدوا
يقصون اثره حتى انتهوا الى فوا في الجبل
الابيض فوجدوا بعض اخراثه فساقوهم على
الاخبار

بل وضح

الاخبار فاخبروهم انه مر بهم متوجها الى سوف وراه القرايب
نازلا على زميك فاسرعوا اليه فلما وردوا عليه واخبروه
بالامر على وجهه استشار من معه من العرب فكلهم
اشار عليه بالاقامة في مكانه لان ابن مصطفى ان لم يرد
زميك سلك عكسا فقام بتكثره وقد كان ان يحس
من جواسه وارسل رجالا يتجسسون فجاءوا اليه
بعد يومين واخبروه انهم فارقوه ظهرا امسهم
من مكان يعرف بالرمل وانه لم يشتغل بهم فارسل
كتيبة من خيله الى دغزاوة لطلعهم بها بموضع
ثم قصدها وارسل الى ابن اخيه احمد الصغير يامره
ان يرسل الخيل الى نواحي الجريد وسار فيمن
معه الى الموضع الذي فارقه فيه اصحابه وتبعهم
يقفو اثره فيما جن عليه الليل وقد المشاعل وجعل
يقفو الاثر على ضوئها فتتبع الاثر الى رضواه
فانقطع عليه الاثر لكونه حجارة صلدا فلما انتهى
الى ما قبس وجد الاثر فاتبعه الى قرية نفطة
ومنها الى فور النخل فادركه هناك وقد ضرب
الله تعالى عليه اذ نهض هو ومن معه قوما لختل
خلال الشجر لما سمع من الذئب وقد ظنوا
ان الطلب لا يدركهم هناك ولما ادركهم بيتهم
الذي اقاموه بجرس لهم الطريق ولم يكن بينهم
وبين محل منجاتهم من نفسه الا مسافة قليلة
موضع فيهم السيف فقتلهم عن اخرهم واخذ
الى ابن مصطفى وارسله في يديه الى الحاضرة
وكان قتله ١٤ اخر يوم من شوال وسر بذلك
الموحد الامير سرورا شديدا لانه كان قد
اهمه امره وكثر الارجاف وارتفعت الاسعار
وكفاه الله تعالى شر الفتنة غ د م غ د ك م ه

ثورة حسين غلام الغزالي
المعروف بجوزاف

fol. 201 v°

ثورة حسين اعلاج الغزالي المعروف بجوزاف

كان حسين هذا غلاما افرنجيا للغزالي يسمى قبل الاسلام
جوزاف فلما اسلم سمي حسينا ثم انه جا بجاية بربيبها
الى قسنطينة وكان بها رجب بن حمودة الخاسي قد وافاها
ايضا فارا من المولى الامير بجباية جباها ايام خدمته
ثم فسولت له نفسه الثورة على المولى الامير
وان ينصب جوزافا بالامر فتكلم مع جماعة من
المعسكرين الجناة كانوا ثمة فيهم تركي يقال له
محمد خوجة كان من خدم المولى الامير ايضا واجمع
رايهم على ان يقدموا حسينا بايا ومحمد خوجة بايا
ويقدموا الى افريقية فيتضيفهم العرب ويستولوا
على ملكها بغير حرام من قسنطينة وحملتهم ارادوه
فارسا فانتهوا الى الزاب وبه نحو مائتين بين
من اولاد منداع نشدوا عن قومهم هاربين فقصدوهم
فقبل ان يصلوا اليهم جاءهم قوم من نفطة على عرب
الزاب فاخذوهم فلما علم بذلك اولاد منداع ركبوا
الى نفطة وكلموهم في شانهم فردوا اليهم ما اخذوه
منهم والتفوا عليهم وانضم اليهم قوم من عرب
الزاب وتوجهوا الى اطراف افريقية فانتهوا
الى القلعة و قرنية باعلا جبل غيوان وبلغ
خبرهم الى المولى الامير وهو نازل على باجة
بمحلته فجرد لهم ثلاثة آلاف فارس وامر عليهم
احد ثقاته وسرحهم اليهم فانتهوا الى القلعة
وحاصروهم بها وقاتلهم بعض اهلها فلما اشتد
القتال عطش جوزاف فنزل الى الماء بكناف
البلد من ناحية غير ناحية القتال فصادفته سرية
من خيل المولى الامير قصدت تلك الناحية
فاخذوه اسيرا ورجعوا الى رحالهم وجزوا
راسه

راسه وكروا راجعين به الى المولى الامير وتعرف
جمعه وبعد ذلك ارسل رجب بن حمودة الخايس الذي
تولى كبر هذه الواقعة الى المولى الامير يطلب منه
الامان فامنه وعفا عنه فاقبل اليه فاستخدمه وعاش
الى ان ملك علي باشا فقتله

ذكر ولاية المولى

محمد باي بن المولى الامير بايا وعزل علي باشا
وولايته لمنصب الباشة وما نشا عن ذلك من ثورة في
بوسلامة ومدابر امره في ذلك **فقد** قدمنا
انه كان للمولى الامير اخ اسن منه اسمه محمد نعته
ابو بكر باشا وكان قد خدم الملوك من بني مراد
ولجده ابراهيم الشريف قبل ملك اخيه الا انه لم يكن
له من الرفعة ونباهة الشان والكفاءة ما لاخيه
بل كان اكثر شغفه بالصيد والخلاعة فقصرت
مرتبته عن مرتبة اخيه ولم يسم الى محله وكان
قد تزوج ابنته حسين بن محمد بن القايد حسن [illegible]
له علي باشا فنشا في تربية عمه وكفالته وتخرجه
الى ان ادى به الى المملكة اليه ولم يكن له اذ ذاك
من الولد ما يشد به عضده فاراد الاستكثار بابن
اخيه فلما كان في حجر سنة 1118 بعد افضاء
الملك اليه باحدى عشر شهرا خلع عليه واولاه سعي
المحال وسماه بايا وخرج بالمحلة السلطانية في
شهر ربيع الاول من سنته وله من العمر سبع
عشر سنة لانه ولد سنة 1101 واستمر
ذلك على ذلك حاله يخرج بالمحلة مرتين في السنة
محلة الشتا يبنه لبلاد الجريد ومحلة الصيف لوطن باجة
على ما هو القانون عند ملوك الحفصية ويخرج المولى
الامير في محلة اخرى فيشتو في القيروان والى
باجة في الشتاء والصيف وزوجه بابنة كاهيته
علي بن مامي ولعب التي ولدت له اولاده كلهم
يونس ومحمدا وسليمان واختهم زوج مولانا

أيده الله تعالى ثم بعد ذلك زوجه بعقيلة وشد أزره بصهره
وهو في جميع أحواله مجري مجرى الولد ولما أراد الله تعالى
أن يشد عضده ويصب له من لدنه وليا يرث الملك
من بعده ويكون الملك وراثة في عقبه إن شاء الله
تعالى أجرى الليالي بتيسير أسباب ذلك في قضية
فيها بشارة وكرامة ودليل على أن وصول الملك إلى
مولانا الإمام أيده الله تعالى ملكه بعد أخيه رحمه الله تعالى إنما
هو موهبة ربانية وعناية نبوية ودليل منه أن ملكه
كان أصله ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم
خليق بالثبات والدوام وجدير بأن تجري أحواله
على أحسن نظام ولا يخفى به من الليالي والأيام
وأن حقا على الناس أن يدينوا بطاعته ويدخلوا
كافة تحت دعوته وأن تنشي المولى الإمام
بيته لسلام ربكي إلا عن عهد متبين وبرهان
مبين [illegible]

وما ذاك أخذ بالفراسة وحدها
ولا أنه فيه إلى الظن مضطر
ولكن موجود من الأثر الذي
تلقاه من حبر كفيناه به حبر
وكنز من العلم الرجوي الذي
سوى علم حفاظ العاقبة والزجر

والقضية المذكورة مشهورة مستفيضة وقد ذكرها
أبو عبد الله حبيب خوجة في كتابه بشائر أهل
الإيمان والوزير الكاتب أبو العباس أحمد الأصرم
في ديباجة شرحه على قصيدة المولى محمد باي رحمه
الله تعالى التي مطلعها [illegible]
بالله إذ جح جيش الحزن والنصب
واحدهما يزيد على الأخرى محبة بي وابتهل
وقد كان ما زاد كل واحد منهما على الآخر وهي
أن أحد الفقراء الملازمين على خدمة المشايخ
وزيارة قبورهم أصابته لقوة قال صاحب بشائر
الإيمان

الليالي رايته رجيه في شدقه وعينه قريبة من انفه
الحيلة في البرء بلازم زيارة قبر الحبيب
مستشفيا ومتوسلا برسول الله صلى الله عليه وسلم
باتي ضريح الشيخ ابي المواهب عبد الوهاب
التونسي احد خواص الشيخ الاستاذ ابي الحسن
الشاذلي رضي الله تعالى عنهما وضريحه مشهور
بغربي منوبة يزار وللناس فيه اعتقاد قال فنمت
عنده نهارا فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
اصحابه الكرام فسالته الشفاعة ثم شكوت اليه
حالي وما اصابني قال فمسح بيده الكريمة وجهي
فشفيت باذن الله تعالى في الحال ثم سالته صلى الله عليه
وسلم عن سبب قدومه الى هذا المكان فقال جينا
لتعزية حبيب فقد في هذه الجارية المباركة وسيولد
له منها ولدان يسمى احدهما محمد والاخر عليا فهما
وارثا ملكه من بعده قال وقد كان المطر احتبس في
تلك الايام مع شدة الحاجة اليه فسالته صلى الله
عليه وسلم الغيث فقال انكم تمطرون في يوم
الخميس ان شاء الله تعالى وكانت الرؤيا
يوم الاحد ثم استيقظ الرجل فوجد نفسه
معافى كان لم يشتك فكان ياتي الى المولى
الامير فقص عليه رؤياه فسر بها سرورا عظيما
وتحقق صدقها لما حصل من برء الرجل وعافيته
دفعة بعد ان كان على حالة منكرة ولما كان
يوم الخميس بعد ارتفاع النهار جادت السماء
بمطر كافواه القرب ودام الى صبيحة
يوم الجمعة ثم لم تنقطع الا قليلا حتى
اخذت مراكب الجهادية مركبا للفرنج من
اهل جنوة وفيها عقيلة من عقايلهم لعلها
في العمر نحو من ثلاث عشر سنة ومعها من
النسوة غير واحدة نحوها هكذا ذكر ابو العباس الناصري
في روايته وذكر صاحب بشاير الايمان

ان حصولها كان قبل الرايا بايام قليلة والاول هو الذي سمعته
انا من مولانا ايده الله تعالى ورب البيت اعلم بما فيها
وكان حصولها عنده في سنة ١١٢١ باحكيتها
لتجسس ولم يبق لها الا امد الحمل

على ولادة المولى محمد باي

ابن المولى حسين بن علي وولادة اخيه المولى
علي باي وبقية اخوته

بوضعت مولانا محمد باي رحمه الله تعالى وكانت في
ذي الحجة سنة ١١٢٢ ثم بعد مضي حول من رضاعه
حملت بمولانا ايده الله تعالى ووضعته في شوال سنة ١١٢٤
ثم وضعت له بعد خمس سنين المولى محمد باي
ثم بعد سنتين اوخوها المولى مصطفى باي وولدت
اختهم بالحلة في امر مولانا وفي اخيه المولى محمد
باي وكان قبلها ولدان وبعدها ولدان وفي هذا
العدد يبتدئ بالانثى وتراخت مدة التانيس
عن الاوليين اشارة الى حديث الرايا ان الملك
انما بريته الولدان المبشر لهما بلبنته له وليا
شد الله عضده في تربيتهم في منهاج الملك ونشئوا
في كتاب العز وتسنموا ذروة الشرف واعتنى
رحمه الله بتفقدهم وتعريفهم ولما ترعرعوا وشبوا
ضم اليهم امامه الشيخ الفقيه ابا العباس يوسف
بن تغيزجا عني بتعليمهم وحج بهم مساجد الله وعلى
باشا ابن اخيه على امارته يسعى بالجبال
الى سنة ١١٣٧ وقد بلغ المولى محمد باي اشده
واستوى وتاهل للامارة وكمل له من العمر خمسة
عشر سنة فاراد ان يشركه لولاية عهده ويجعله
بايا ويقلده امر جباية امواله والسعي لجهاده
ويوخر عن ذلك علي باشا ليكون ابنه هو
وارث ملكه فبقي في ذلك وجعل يقدم رجلا
ويوخر اخرى ترقبا للصدور وما صح من
علي باشا واستشار خواصه واهل الشورى

فوجد

وذوي الراي من اصحابه بكلهم اشار بامضاء ذلك وحثه عليه
وحرضه على المبادرة اليه واعلمه ان تاخيره ترك للهمة واضاعة
الراي بحزم على ذلك وهم لكنه راي ان صرف ابن اخيه
عن الامارة بالكلية وسلخه عن الولاية بالمرة بعد
ان تقلدها امدا وتملا عيشها رغدا اخلال بحفظه
الذي اقتضاه الرحم والتربية وغض من جانبه
واثارة لحميته فانتج رايه ان يجعله باشا كما جعل كل
واحد من مراد باي وابنه حمودة باشا بنفسه حتى
نزل عن سعي الحال لابنه وتقلد هذا المنصب وكما
فعل محمد باي بن مراد باخيه رمضان حين تقلده
في ايامه بوساطته ليكون قد انتقل الى مرتبة
اعلا وخطة اشرف بحسب القوانين الديوانية
فجهز محمد المورالي وارسله الى القسطنطينية
حضرة السلطنة العلية بهدية عظيمة وطلب من
السلطان احمد خان رحمه الله تعلى تولية ابن اخيه
باشا بتونس وابنه بايا بها فاجابه الى ما طلب
وانعم بها عليه وخرجت التقليدات والخلع
ورجع اليه رسوله بما طلب سمى ابن
اخيه باشا وامره بالانتقال من سكنى باردو واسكنه
بدار رمضان باي وعقد لابنه على سعي الحال
وولاه بايا مكانه وشق ذلك على علي باشا
وصعب عليه لكنه لم يسعه الا الامتثال وسر
المولى الامير بولاية ابنه سرورا شديدا
وهناه الناس ومدحه الشعراء من ذلك قول
الوزير السراج

هناء سمي في الخافقين جميل
وسعد له بالنيرين وصول
وعن بدر الشاكرين مكلل
وكل بليغ في ثناه كليل

وهي قصيدة طويلة والمراد الان لاعادة هي
اخرها تاريخا لسنة ولايته وكان العقيقه

ابو القاسم ابن غانم من قصيدة طويلة اولها
اسرى علاقة شوقه الغيداء ثم الى ان قال

ام حر تاج اب تتوجه ابنه
وبنيه عن اباءها الابناء

ام عقد سلطنة زهت رحلته
حفت لواجب امره الكبراء

ومناهج مدح المولى محمد باي
نمت سريرته وسيرته له

ولنا منحه الاله نعماء

اكرم به حسبا وحسبك انه
نسبت مواكب نعمائه الاحياء

ومنزه عن جنسه كشف كماله
ومن التلبس باللجاج براء

وجرت ينابيع المراحم بعدما
نضبت عناصرها وغيض الماء

ولياليا محتلك حرية عصري
لم تغشها سحب ولا ظلماء

شدت البلابل بالسلام تحية
ومواكب سجدت لها الورقاء

وغدت تجر ذيولها وبرجلها
حبشية راية ذكرى الحمراء

حملته اجنحة الكرماء مثل ما
حملت سليمان النبيء رخاء

وهي طويلة جدا قسم مما كان في هذه العقدة
من السنة خروج المولى الامير محمد باي بالمحلة
الصيفية وعمل الرعب يوم خروجه وكان
مشهدا حافلا وكان عمل الرعب يوم خروج
المحلة ويوم دخولها قانونا جاريا بالحضرة حتى
ادخله علي باشا لما ملك وحوزته ان يختم العسكر
ببطحاء القصبة صباحا لا يبقى اسم متسع
منتزهين باحسن زينتهم ما خلا ثم حمودهم
تقدم

Folio 204 v°

تقدم الاغا والاودباشية بين يديه الى دار الخلافة حيث
الباشا ويجي هناك اصحاب الرايات نحو عشرين راية فيهم
فيأتي الباي وخليفته فيخلع عليه الباشا خلعة سلطانية
ثم يركب ويركب معه الباشا والكاهية وبين يديه الشكار
والابيك وعلى راسه السنجق والنوبة العثمانية
تدق خلفه والاغا والاودباشية واصحاب الرايات في
يديه صفين بالادب ويسار الى كهية القصبة وقد حضر
هناك الباي في الاحتيارية فيتقدم الكاهية امام العسكر
اوينوب من يقوم مقامه ويتبعه العسكر باجمعهم
مصطفين صفين والباي في موكبه خلف الجميع فاذا
انتهى الباي الى اعلى الربوة المشرفة على الملاسين
فرش له مصلى وجلس عليه ويمضي العسكر قدما
الى الملاسين فاذا اوصل اليه الباي سلم عليه
وودعه وحينئذ يرجع الباي ويمضي العسكر على ترتيبهم
الى الملاسين حيث الخيام مضروبة فيدخل
اوكافه وكذلك الاغا ويبقى العسكر المسافرين
ويرجع غير المسافرين الى المدينة بعد ان تطلق المدافع
فاذا رجعوا من سفرهم ارسلوا رسلا يخبرون بان
دخولهم يكون يوم كذا فينادي الباي والديوان
والعسكر الذين في البلد للقيام فاذا كان يوم الدخول
خرجوا الى الملاسين ايضا على الرسم فيتلقونهم هناك
ولما يتقابل العسكران يطلق المسافرون مكاحلهم دفعة
واحدة ثلاث مرات فيجيبهم المقيمون كذلك
ثلاث مرات وتطلق المدافع من الابراج ويدخلون
على النظام المتقدم الى كهية القصبة ثم يذهب
اكابر العسكر مع الباي او خليفته الى دار الخلافة
على الرسم فيخلع عليه الباشا ثم يركب ويرجعون
معه الى داره وتضرب النوبة ببابه ساعة
ثم ينصرفون لغداء الغد القانون في ذلك مرتين في كل
عام وتقدير الكري والتوابع وكذا لهم سلطة بالنظارة
وتخرج اولاد البايات امام الباي ويختلفون في الملابس

والاسلحة ويتباهون بذلك ويتفاخرون فيه ولم يبق هذا
القانون بغير تونس من الارجا والعثمانية واستمر
المولى محمد باي على ملكه يجري لحلبة الحسنى سنتين
وصيفا وعلي بالشاغل منصبه يختلف سرادق العز
وفي خدمة واعية من الامان وعلى احسن الحالات
الحقة وكان له شيخ من اهل العلم يقال له محمد
التونسي فاستوحش منه المولى الامير واسترابه
لمكانه منه وظن الناس انه يطلعه على ما يخفي فيه على
طلب الملك من علوم الحدثان فابعده عنه ونفاه
الى طرابلس فمات بها وقدم اليه شيخ افريقية
العلامة ابا عبد الله محمد الخضراوي فاكب على تعليمه
وشرح له في تلك المدة كتاب التسهيل لابن مالك
ونسبه اليه وهو مختصر من شرح ابن المرادي
ولما استقل علي باشا بعد ذلك كتب منه
نسخا وارسلها الى الافاق وكان له بها صيت
وهو مع ذلك يتحرق على ما فاته من امرة
العساكر وولاية الجبايات ويومل عود الكرة
ويستجمع للوثب واما راى ذلك ظاهرة عليه
في فلتات لسانه وقرائن احواله وانهى جميع
ذلك الى المولى الامير فحجره وقد علم منه
مثل ما علموه وحذروه غائلة فتقدم مما اخذه
على الظنة ورعى له ذمة الرحم وحق التربية
لامر قدره الله تعالى لابد من كونه فلما عيل
صبره وكثر الطعن عليه عند عمه وساءت ظنونه
وارتاب واوجس خيفة من القبض عليه تكلم
مع جماعة ممن كان يجتمع منهم كاتبه عبد الرحمان
البغلوطي وكان معلم ابنه يونس باتفق رايهم
على الهروب الى جبل وسلات ودعاء اهله
الى القيام بدعوته لانه احصن جبل بافريقية
واكثر عمارة وخلقا واهله اسرع الناس
الى الفتنة واشدهم نفاقا وداخل في ذلك

احمد

احمد بن منيشة رئيس عساكر زواوة مواطاة على ذلك
ووعده انه اذا الخلص الى وسلات كان اول لاحق
به فلما احكم امره خرج غروب يوم الجمعة عاشر رجب
سنة 1140 ابنه يونس غلاما قد ناهز الحلم
واستتبع زوجته ابنة علي باي مليكة بولديها محمد
وسليمان وقد تسرب اصحابه فبلغ الى خارج البلد
فاجتمع بهم وسار ليلته كلها ومن الغد وصل
الى وسلات وبايعه اذ ذاك عبد اللطيف
المسعيدي فتلقاه ورحب به ولم يكن فاسرع
من ان دخلوا كلهم تحت طاعته واجابوا دعوته
وكان لما خرج من داره مر بسقيفة القصبة وقد اغلق
بابها وخرج من باب المنارة ثم من الباب المجاور
لتربة الشيخ ابي الحسن علي الزواوي فيوهم
من رآه انه يريد باردو ثم اخذ ذات الشمال
الى وجهته ومر به وهو بسقيفة القصبة رجل من
السوقة فارتاب لركوبه في ذلك الوقت
فاتى محمد المورالي احد خاصة المولى الامير
فاخبره فارتاع لذلك ونهض من وقته للخروج
على الباي فاخبره وارسل الى داره من ياتيهم
بتحقيق الخبر فجاء الرسول واخبرهم انه ليس بها
انيس فركب محمد المورالي وامر البواب يفتح له
باب البلد واتى باردو فصاح بالحرس فاخبروا
من اعلم المولى الامير بمكانه فامر ان يفتح له
الباب ودخل فاخبره الخبر فجمع خاصته
وتفاوضوا في مغربه اين يكون وخاف ان ينزع
الى طبرقة وبعث اذ ذاك في بداية الفرح فاركب
خليل الاغا الى ناحية باجة وامره ان لا يتقدم
دون طبرقة واركب الخيل الى النواحي التي
ليس مكنة فيه وجاء احمد بن منيشة في تلك
الليلة فتلقاه السلاحي وقال انه اكفيك
ناحية وسلات فسرحه اليها فخرج في كتيبة

من الخيل ومعه ابناه ابو بكر ومحمد فجعل يتلوم ويتمهل
في سيره فبلغه الخبر في طريقه ان الباشا قد
اتى جبل وسلاتن فسار حتى انتهى الى سفح
جبل بوقنب وقال لمن معه من الخيل من اراد منكم
الرجوع فليرجع ومن اراد ان يرتقي معي الى الباشا
فليفعل فافترق طائفة اليه ثم فارقهم وصعد هو
وابناه فيمن تبعهم ونبذ عهده امامه
وكرمه ما اسدى اليه من انعامه ورجع الباشا فورا
الى المولى الامير بالخبر فلما تيقن اجتماع اهل
وسلاتن على طاعته ومكانة احمد بن منتيشه
له اخرج مضاربه العسكرية وازاح به علل
عساكره وخرج بمحلته منتصف رجب ومعه
المولى محمد باي ومولانا اعزه الله وترك الحضرة
لنظر الباي وخليفته الحاج سليمان كاهيته
وقصد وسلاتن واستقبل الحرب فانته اولاد سعيد
وجريد والسوايبي والمثاليث وجلاص واولاد
عون والكعوب وغيرهم وكتب الى اهل وسلاتن
يحذرهم غائلة الفتنة ويرغبهم في الصلح ويرهبهم
ويامرهم ان يسلموا اليه ابن اخيه على الامان
ويشرط لهم النجا وزعنه وان يعيده الى مرتبته
معززا مكرما فما زادهم الا عتوا وتماديا في البغي
وحادوا جوانبهم في انتظار رفع اليهم فامهل
ورجى ان تكون لهم فيئة الى السلم فارسل الى
الحضرة ودعا المشيخة من علمائها ولهم الشيخ ابو
عبد الله محمد سعادة والشيخ عبد القادر بن
الولي الصالح ابي عبد الله محمد بن عاشور وغيرهم
فواجوه بالمحلة وقد حكم على وسلاتن فارسلهم
اليهم وامرهم ان يدفعوا ابن اخيه ويدعوهم
الى الصلح والنزول على الامان فيعيده الى
منزلته ومرتبته وان يتكفوا اهل وسلاتن
ويرغبوهم في الصلح والسلم ويحذروهم
غائلته

غاية البغي والفتنة وشق العصا فلما تحقق سكنوا
الجبل وعلم علي باشا بذلك ثم ارسل طائفة من
اهل وسلات وامرهم انحاو وخفت اعينهم
عليهم ان يكلفوا امكاحلهم درجة ارسابادهم وان يردوهم
من حيث اتوا وتمثل بقول الشاعر ٭ ٭ ٭

٭ لا نسب اليوم ولا خلة ٭
٭ اتسع الخرق على الراقع ٭

وارسل الى شيخه ابي عبد الله الخضراوي يستدعيه
من بينهم فامتنع وقال اما ان يذهب اصحابي معي
او ارجع معهم فلم يجرؤ لهم ورجعوا خائبين
وكان ذلك اوائل شعبان فسرحهم المولى
الامير الى الخضرة وارتحل من منزله فنزل الخالية
تحت الجبل من شرقيه وجعل يغاديهم القتال
ويراوحهم ويضيق عليهم وتكرر عليه الزحف مرارا
فلما كان في اثنا شهر رمضان نادى فيلا في
عساكره وجنوده بالهجوم عليهم والصعود
الى الجبل واشتد حنقه فباتوا متهيئين لذلك
واصبحوا على تعبئة وهجموا على الجبل خيلا
ورجلا وتسنموه واخذت الحرب بمخانقه ومساربه
لا يغنوم لهم شيء فانهزم اهل وسلات وولوا
الادبار وانتقل علي باشا من قرية فورحال
الى قرية بقية الجبل فاعتصم بها وانتقلت
العساكر الى فورحال فاستباحوها وانتهبوا
ما جاورها من القرى واقتحمت في ايدي الجيش
وخالطوا اهل وسلات الدهش فلما كان
في آخر النهار وراوا اشتغال العساكر بالنهب
ثابت اليهم انفسهم فكروا على العساكر
وصدقوا الحملة عليهم وقد اشغلهم النهب على
الامتناع فولوا لا يلوي احد على احد وتورطوا
في تلك الشعاب والاوعار ولا خبرة لهم
بمسالكها ولا استطاعة لهم على العدو فيها

وخامر

واجركهم الاخرون وهم الخبيرون بها المتمرنون على العدو
فيها فقتلوهم كيف شاءوا واقتلادريعا وهزموهم
هزيمة شنعاء واستولوا على مدفعين نسفوا
هم الخيل واسروا كتايبية منهم وتجيز الفل الى
المحلة وافناء المولى الامير بكاتبه من النخاسة
ورفع فيه وفي اهله وسلاته بعد ذلك خمسة
زحوف كان الظهور في جميعها الا انه لم يعاود
الصعود الى الجبل بل كان القتال في جميعها
بسفحه وقبض بعد ذلك على اخيه محجوب بن
الوعيل باشا وكان قد اخرجه في المحلة وارسله
الى القيروان فاقام بها ثم اتهمه بعداوة ابنه والميل
الى جانبه لما فتح له من باب الضجر يوم بورحال
بعد ان كان قد اظهر البراءة منه والسخط لما جاء
به فارسله الى باردو وارسخ في بيت اعدت له
وبعد يوم ابي رحال امتدت اعناق المفسدين الى
الفساد في البلد واستشرف اعداء الدولة
الى علي باشا وكاتبه الشيخ ابو عزيز بن فرح
شيخ الحنانشة ودخل افريقية وعاث في
اطرافها واغار على زواغة بناحية باجة فاكتسحهم
وانقلب راجعا الى بلاده وثار جماعة من اهل
الفساد ببلد الكاف واعلنوا بالدعوة لعلي باشا
وضبطوا قصبتها باسمه فوجه اليهم الشيخ
احمد الدغي بن محارب سلامة شيخ الحنانشة
ايضا وكان برسمان من فرسي المولى الامير
فدخلها في نفر معها من الحنانشة فعاثوا في البلد
ونهبوا سوانيها ورجع وبقي اهلها على حصار
وسلاقة غي مفتي عنه شيئا مارحل من النخالة
يريد الكاف وخاب يوم رحيله من زجيجه
امس وسلاقة اليوم الناس عد اخذون في الرحيل
متورطون في الشعاب فوقف في خيله
في منزلته الى ان تم رحيل الناس ولم يبق احد
بالمنزلة

بالمترشة وامر باحراق ما تقف عليه محلته من الحبوب وغيرها
وتخلفت جريد عنه في ذلك اليوم وتلووا بالاطراف
الجبلية في استنهاضهم وتلبيس اعز اليهم وكان ارتحاله
عن وسلات دجدان فقام عليها من ثلاثة اشهر
وقدم بين يديه الى الكاف كرام بن قبران فكتب
الى اغاته من اهلها يعلمهم بقدومه فتناعبوا له
فلما ورد عليهم التفوا عليه بقوتهم وجمع مشيختها
واهل الراي من اهلها في غيبتهم ورعبهم فراجعوا الطاعة
واعتذروا ونسبوا ما صدر الى غوغائهم فاستنزل من
بقصبتها وضبطها باسم المولى الامير وارسل اليه
يعلمه برجوع البلد الى الطاعة ودخولها تحت حكمه
فسار حتى نزل عليها وخرج اليه اهلها معلنين بالطاعة
وقبض على جماعة منهم هم رؤساء الفتنة واهل
الشقاق فقتل منهم تسعة وسبعين رجلا
واعتقل ١٢ حربيين وهدم سور قلعتها وامر كبير
الحامية منها واقام عليها نحو شهرين وارسل
الى ولديه المرحومين محمد ومصطفى بخبر اليهما
من تونس بوالدتهما واجوبة بالكاف فاجتمع
شمله بهم في اثناء مقامه عليها خرج حسين
كلبان صاحب قسنطينة لمحلته وكانت بينه وبين
المولى الامير مودة اكيدة فتراسلا في الاجتماع
واتعدا ان يكون التقاؤهما ببعض جابر فاستخلف
المولى الامير على المحلة ابنه المولى محمد باي وركب
معه بقية ابنائه الكرام فالتقى بحسين كلبان
وتقاضا كل واحد منهما وكرامة لقاء صاحبه
ورجع الى محلته ثم ارتحل من الكاف ونزل تبسة
وبلغه الخبر ليلا ان علي باشا نزل من الجبل يريد
لقاءه في المسلة وسلاف ومعه من ضوى اليه من الاعراب
فتعباهم فلم يجاوز علي باشا مسلخ الجبل وهزم
المولى الامير في هذه النزلة كتيبة عظيمة
من اولاد جوين الى علي باشا ثم سرح المولى الامير

العسكر الى الحضرة مع ولده المولى محمد باي المحلة
وامره ان يخرج اليه بمحلة اخرى وبعث معه الشيخ
وولديه الاصغرين وارتحل الى الجهة فوافته
هناك المحلة الثانية وسار بها حتى نزل القطرانية
على ثلاثة فراسخ من الكاف وان فاقام بها وبلغه
ان علي الخطاب بن القايد ابن كراع اليعقوبي وسبق
اذ ذاك قايدا لاولاد يعقوب فلاح منه امارات
الخلاف والتشغيب باستدعاء فتوح واستعذر
بارسال اليه من ياتي به كرها فلما احس بذلك
هرب بقومه اولاد يعقوب ونزل على الشيخ
احمد الصغير واخيه سلطان بن عمار بن سلطان بن
المنصر شيخي الحنانشة المتقدم ذكرهما اذ ذاك
عيبة صدق للمولى الامير ومن صنايعه وقد كانت
رياسة الحنانشة متداولة بين اولاد نصر ومنهم
الشيخ ابو عزيز وبين اولاد منصر هولاء وكان
الشيخ ابو عزيز ينادي المولى الامير ويعاديه
واستعلى على احمد الصغير وسلطان فلاذا بمكانة
من حسين كليان صاحب قسنطينة واحبا فهما
وضعف امرهما جدا فتطارحا على المولى الامير
واستجاراه فاجار لهما وتوسط لهما عند حسين
كليان حتى فوض امر الحنانشة اليهما وخلع عليهما
وطرد ابا عزيز فلما ثار علي باشا بوسلامة
عاث ابو عزيز في اطراف العمالة واخذ زواغة
كما قدمنا للعداوة التي بينه وبين المولى الامير
فلما نزل علي الخطاب باولاد يعقوب ونزل على
ابني عمار استمالهما الى جانب علي باشا وجعل
يفتل في الذروة والغارب حتى اجاباه الى
ذلك فيما زعموا وكتبوا الى علي باشا بالمكاتبة
من وسلات فارسل اليهم ابنه يونس
ومعه مصطفى بن الحداد منيشي في كتايبه
عظيمة من اهل وسلات فلما وصل اليهم اكرموا
نزله

نزلت واجتمعوا عليه فلما بلغ ذلك المولى الامير كتب الى
ابني عمار يذكر لهما عهده وحرمته ويعتذر بانه انما
مستجير الى بيوتهما فلم يجدوا جوابا فبودي واجارته
وعاثوا في اطراف العمالة ومعهم اولاد بوذنوب واولاد
يحيى بن طالب فاخرج المولى الامير محلة لقتالهم
لنظر مصطفى كروفة آغة الصبايحية فصبحتهم
على حين سلامة وقاتلتهم وهزموه وقتل في ذلك اليوم
عمار بن حالية شيخ بني رزق من حريد وكان
عظيما في الدولة ولم من المولى الامير مكانه ورجع
ارسل الى المحلة فنهض اليهم المولى الامير بنفسه
وغزاهم من مكانه بالافصرانية فلما بلغ ذلك الشيخ
ابا عزيز بن ذهبا انتفض الرحمن في ابني عمار بارسل
الى المولى الامير بطاعته واقبل اليه في اهل بيته
وجنوده ومن تبعه من الحنانشة فاكرمه المولى الامير
اكراما تاما واعطاه عطايا عظيمة من الاموال
والخيل والكراع ما لا يعدّ وفي جملة ذلك تسعون
سرجا منها اربع محلات بالحلية الثقيلة وظاهره
على قتال ابني عمار وبلغه انهم نزلوا على شبرو فقصدهم
فلما قرب منهم اجفلوا امامه فتبعهم حتى شارف
تبسة بانتهاء الخبر حيث ما نزل ملأ محلته وكثير
من الاخبية ثم يبقى انهم خالفوه الى قرية اكس فامر
بالرحيل لوقته والوى عنانه راجعا حتى نزل عليها
فوجدهم قد تحصنوا بها وهي قرية في سفح جبل
عظيم يقام من جهاتها فاعليها الامن ناحية
واحدة وفيها غار عظيم جدا واغل تحت الجبل
يدخلون اليه انعامهم ومواشيهم واهاليهم
وذراريهم وقت الحصار فلما كان من الغد
ركب عساكره وجنوده وامر بالمحلة والهجوم
في عنق قريتهم فدافعوا دفاعا شديدا ثم
القوا بايديهم ودخلت العساكر القرية
فاكتسحوها وتسنم ابناء عمار الجبل فيمن سلم

من جنودها وعسكر يونس وقد حملوا على اعناق الرجال
وبرواس شعاب الجبل وبجاجه وارتحل المولى الامير
راجعا بعد ان انتسب الغريبة وكان ذلك في اواخر
شهر رمضان من سنة 1141 ومن ابناء عمار في
حين لحقتهم حلايف التوجيز من اولاد عبيد وهم نزول
على المنصاب باغاروا عليهم يوم العيد بما قدروهم
وامتلات ايديهم من الاموال وتقووا بذلك
واستجمعوا الخيل والكراع واقبلوا يريدون علي
باشا وقد نزل من وسلات واجتمع عليه من الاعراب
ما لا يحصى باجتمعوا عليه ورجعوا الى المولى
الامير منصرفه من الكسى بلما التقى الجمعان
لمرماجنة وقع القتال بينهما يوما كاملا مطاردة
بالخيل بلما وقع الليل انجروا وبات المولى الامير
على تعبية يعمر على باشا من الليل بلما كان الصباح
ركب المولى الامير للقتال بلم يجد الا اثره وبارقه
ابناء عمار بيونس باصحروا وسار هو الى
القيروان بحاصرها ثلاثة ايام يقاتلها القتال
وبرواحها بلما لم يحصل منها على طايل اقلع عنها
الى الساحل وقد اجتمع عليه من العرب واهل
الساحل جنود تضيق الارض كثرة وحاصرها
واطاعته كثير من بلدها مثل جمال والمكنين
والبقالطة والجم والقلعة الصغيرة واكودة
وغيرها وامتنعت عليه القلعة الكبيرة فيما
امتنع بنازلها والح عليها الحصار وبلغ ذلك
المولى الامير وكان قد نزل محلته على الزوارين
مرجعه من مرماجنة وسرح ابنه المولى محمد
باي محلة العسكر لدار حتيم واخراج محلة اخرى
وكتب اليه بامره ان يركب في الخيل والرجل
وبواجي بالساحل ليجتمع على قتال علي باشا
ودفعه عن البلد بخرج المولى محمد باي كما
امره بلما وصل الى تلكوفه اصابه مرض شديد

الضعف

اشتفى على نفسه بعاد الى الحضرة بمن معه واما المولى
الامير بانه استغلب على محلته مولانا ايده الله تعالى واسرى
من الزواريز في خيله لا تبلغ عشر الجند الذي مع علي
باشا بلا عدد السير وطوى الارض بصحبه على القلعة
الكبيرة فحاصرها فلما اطل عليه وراى ما معه من تلك
الامم التي ملات الفجاج رايات المولى الامير منشورة
اجفلوا وانهزموا لا يلوون على احد من غير قتال وذهبت
تلك الجموع الكثيرة شذر مذر وانحجزوا في قرى الساحل
وبعضهم هرب الى البرجة واتبعهم جند المولى الامير
يقتلون وينهبون الى الليل وامتلات ايديهم من الخيل
والكراع والنعم والاسلاب والسلاح شيئا
لا يقدر كثرة وفر علي باشا منهزما في نفر من اصحابه حتى
انتهى الى الحامة وكان اهلها قد اجابوا دعوته
ونافقوا الا قلعتها فان سليمان الصباغ اغة زواوة اعتصم
بها بقومه معه واغلقها متمسكا بطاعة المولى الامير
وكان من صنايع الحاج ابن منيشة وظن انه يميل
اليه لمكان يده عنده فارسل اليه يستنزله الى
طاعته مخدومه محمد بن منيشة فاجابه الى ذلك
ودعاه الى الدخول الى القلعة ليفتحها له فاطمان
اليه ونزل بساحة عمدة لمحض البرج خلفها فلما
حصل داخلها اغلق الباب في وجوه اصحابه وقبض
عليه وقتله فلما علم بذلك علي باشا اجفل عن الحامة
وكتب الصباغ الى المولى الامير يخبره بما صنع
وارسل اليه براس ابن منيشة فسر بقتله سرورا
عظيما وارسل بالراس الى الحضرة وطيف بها
في اسواقها وكان قد ارتحل في طلب علي باشا
فبلغ الحامة وبلغه انه دخل الصحراء فانكفا راجعا
عن اتباعه حتى نزل القيروان وكتب الى ابنه المولى
محمد باي يامره بالخروج الى المحلة التي بالزواريز
ليتسلمها ممن اخيه مولانا ايده الله تعالى وكتب
اليه اعزه الله تعالى ان يوافيه بالجريد ليدخل معه

نحو الحضرة مركب اليه ولم يدركه حتى دخلها ولما شارفها
خرج اهلها لتلقيه وبرحوا المقدم من برحا شديدا وكان
دخوله اليها في المحرم سنة ١١٤٣ بعد ان غاب عنها
ثمانية عشر شهرا وارتحل المولى محمد باي بالمحلة
من الزواوة بنزلته وكمل باجة باستوفى مجابيه ومهد
البلد ورجع الى الحضرة واما علي باشا فانه لما اجفل
عن الحمامة مر على قفصة وصار الى ابنه محارب سلطان
وابنه يونس ولم يمكنا لهم من الصحرا واضحى اليه
سلطان بن محار ابنته ثم سار به الى فرجان بني
رجاجة شيخ بني علي عرب الزاب من الذواودة
المعملابيين فنزلوا عليه واكرموا نزلهم ووعدهم النصرة
وقال له علي باشا انا اريد منك الا ان تبلغني الجزاير
في امان فاستعد عادلي عشرين فارسا من اولادهم ماشين
جزء الحرب فاتوه بكسائهم وبرنم واخذ عليهم ان يبلغوه
سور الحزلان ورجعوا الى فرجانت باماراة من عنده
واضعه عليها فسرح حينيذ امرتهم وانطلقوا
ودخل علي باشا الجزاير وما حصل له ذلك عبدي
باشا وكان بينه وبين المولى الامير صحبة ومودة
وكاتبه في شانه فسجنه بمكان من دار السلطان
ومنعه التصرف وحجر عليه الداخل والخارج الى ان
كان من خبره ما سنذكر ان شاء الله تعالى ثم
ان المولى الامير خرج في محاله الى وسلات واهلها
مستمرون على امتناعهم خوفا من سطوته وكاتب
روساؤهم وداخل اولاد ماضي منهم وقد كانوا
مالوه ايام الفتنة وترددت الرسل في ذلك
حتى اذعنوا بالطاعة على ان يخليهم وبقي مواشيهم
الى رباط ويتولى من سكنى الجبل الى القرى التي
بالسهل من عدا اولاد ماضي فانهم يبقون في
قرارهم وما عدا قرية بورحال لمكان منشئهم فاتبع
الامر على ذلك وقفل المولى الامير راجعا
الى الحضرة وسكنت نائرة الفتنة

ووفاة الباي

وفاة الباي قرا مصطفى

وولاية الحاج علي باي

كان قرا مصطفى قد اصابه في اخر امره فالج ثقل منه
وصار لا يستطيع المشي الا في رجليه ولم يزل به
الى ان هلك ثاني صفر سنة ١١٣٥ وكان شديد
النصيحة للمولى الامير شهما صعب المراس ذا فراسة
مصيبة وكان المولى الامير يعظمه ويجله وصاهره
على ابنته لابنه المولى محمد باي وهو اخر بايات استبد
بالتصرف في الوقت بجاه وضه فلما توفي ولي مكانه
الحاج علي باي كان المولى الامير اتخذه اماما يصلي
به الخمس ثم صرفه بالشيخ ابي المحاسن يوسف
ابن تغيز وجعله اغا بالقصبة ثم خليفة بالمكان المذكور
الى ان كان من امره ما سيذكر

ذكر ماثر المولى الامير بالخصوص رحمه الله

كان رحمه الله مثابرا على فعل الخير مواظبا على
الطاعة كثير العبادة والذكر والاوراد لم ينم عن
صلاة فجر ولم يترك ركعتين يركعهما من جوف الليل
حتى التحق بربه وله اثار عظيمة في وجوه البر منها
احداثه للمدرسة الكاينة بغربي جامع الزيتونة
المسماة بمدرسة النخلة لنخلة غرست بها وكان
محلها خانا يباع به الزيت واوقف عليها اوقافا
مرتبا لها واول مدرس بها الشيخ العلامة ابو عبد
الله محمد الخضراوي وله يقول الاديب البارع عبد الرحمان
الجامعي الفاسي نزيل تونس حاطها الله تعالى مؤرخا

بفتنك ايها الفقيه المرتضى
منزلة حبتك المسند ويا
مدرسة غدتها جاء فيه
تاريخها فاق بها الخضراوي

وذلك سنة ١١٢٦ ثم انشاء بعدها مدرسة التي
بسباط عجم المسماة بالحبيبية واول مدرس بها الشيخ

الهي بباشا في الاصل

ابو عبد الله محمد جحيكه وبنى جوانبها الى جهة اعني بالنسبة
فلما بنى التربة الثانية التي ذكرنا جعل بعده للحبس
ثم اخذ جامعه الجامع والمدرسة والتربة لكان الحانات
الثلاث المسماة بالثوالث التي اتخذها عثمان باي
قرب دار جامع بعد معها وبناء الدور بافنيتها وحاز
منها مكانا وبنا به هذه المصانع الثلاثة بدلا من
الحانات الثلاث واحتفل في بناء الجامع واتخذ به
المنبر البديع الشكل الموشى بغريب النقش والمنارة
البديعة المرتفعة السمك على نمط منارة جامع حمودة
باشا فجاءت تكبيرتها اخذا في العلو وحسن شكل
وجعل المدرسة بصحن ذات بيوت عديدة لسكنى
الطلبة والتربة ملاصقة له على يمين المصلى ومن
سماحته رحمه الله تعالى وعلامة فتوحه ان دفن بها
قبله رجلان صالحان من اولياء الله تعالى وهما الشيخان
المتقدمان ابو الفضل قاسم السبابطي وابو الفضل
قاسم الباجي واول خطيب بالجامع المذكور الشيخ
ابو العباس احمد بن مصطفى التميمي الحنفي ورتب
به اربعة دروس احدها الرواية البخاري واول راتب
الخطيب المذكور والثاني لقراءة مختصر الشيخ خليل
في مذهب مالك رضي الله تعالى عنه واول مدرس به
الشيخ الصالح ابو الربيع سليمان الحريري والثالث
لتجويد القرءان العظيم واول مدرس به الشيخ ابو عبد الله
محمد الحرقافي الرابع لقراءة النحو والادبي والبيان
واول مدرس به الشيخ ابو العباس احمد بن محمد
ابن احمد الشريف امام جامع دار الباشا و اول صلاة
اقيمت به كانت يوم الاحد الرابع عشر من شعبان سنة ١١٣٤
وصلى الصلاة بنفسه وكان رحمه الله تعالى قد
هدم الكامنة التي كانت بموضع سوق الجراية اليوم
وبنا مكانها السوق المذكور والحانين الذين به
وجانة شاشية بيامن ذلك المكان وحبس الجميع
على مدارسه قال ابو عبد الله حسين خوجة في تاريخه
بشائر اهل

بشعائر الإسلام والإيمان ولو لم يكن له من الحسنات إلا نقضه لعقدة
الخمارات ورفع تلك المنكرات لكفاه الله تعالى ورفع قدره
أعلى الدرجات في الحياة وبعد الممات **قلت**
لو رحمه الله تعالى وإن نقضت عقدة الخانات ودور أماكنها
في وجوه القربات لم يبق منها بالبلد الكثير لا كان ينبغي
له أكثر من ذلك ولو كان شيء حتى أدرك مولانا أيده الله تعالى
وزاده وقد نقضها بجملتها واجتثها من أصلها وطهر
بلده من خبثها الذي أمن ذلك من سيره وسيرة كل مسلم
وسيأتي ذكر ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى
و أنشأ رحمه الله تعالى مدرسة بنفطة من بلاد الجريد
وأوقف عليها أوقافا لما رأى من اندراس العلم بتلك البلد
وأنشأ مدرسة كذلك بصفاقس وأول مدرس بها
الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد النتي في ومدرسة بالقيروان
ورتب بها ثلاثة دروس أحدها لتجويد القرآن الحكيم
وذلك في سنة ١١٣٣ وفي سنة ١١٣٧ أحدث بها
ميضاة للوضوء في أماكن متعددة وأصلح مدرسة
سوسة وأحياها بعد الدثور ورتب بجامع الزيتونة
حزبا لقراءة القرآن الحكيم ودرسا للتجويد وغير ذلك
الراتب للكتبة وأوقف على ذلك أوقافا وبنى
مسجدا للصلاة بقدام الأستاذ الأكبر أبي سعيد
الباجي رضي الله تعالى عنه بجبل المنارة وبنى قبة
على ضريح الولي الصالح أبي محمد عبد العزيز المهدوي القرشي
رضي الله تعالى عنه بمرسى قرطاجنة وجدد مقام
الشيخ أبي يحيى الفصيح صاحب رادس وقبة على
قبر الإمام العارف أبي عبد الله محمد الكومي بالجلاز
أيضا ومقام الشيخ أبي مهدي عيسى الغبريني
بجبل المنارة ووسعه وزاد فيه أشياء ومن حسناته
رحمه الله تعالى ما اتخذه من المصانع والمواجل ليجتمع
فيها ماء المطر لشرب السابلة في أماكن كثيرة
العطش وأحيا ما اندثر منها وبنى الماجل الذي
بجنايا الكبيش وماجل الجبينة وماجل عينه

وغير ذلك في اماكن كثيرة اعظمها الفسقية التي في درب
ضريحة زعفرانة واخرى لها حوض المسماة بابي سلسلة بدرب بني
فقحة وساقية سيدي بوربالحب ومن جنيني بعين ريان العكشي
واحيا بير البروطة بطريق سوسة وبير حنفية الجماني
والنبيضة التي حفرها محمد باي بن مراد وانشاء السبيل
بربض باب حماد وجلب اليه الماء من البير التي اكتشفت بسفح
الجبل الاخضر فلما تخربت في الجبل ذهبت في الخزانة
التي جعلها بسبيل الربوة المشرفة على المدرسة واهملا
سبيلها وجعله حولا بابا ما تقف عليها حتى امكن ارتفاع
الماء على الربوة وجعل الربط المذكور التي تلك ثلث
سقايات احداها برحبة الغنم والثانية بالمركاض
والثالثة برحبة الدخان وصرف عليها اموالا وانتفع
بها الناس انتفاعا عاما واحيا السقايات القديمة
التي هي من اثار يوسف باي واثار محمد باشا
ونظر في ارباحها واعظم من ذلك كله الفسقية الكبرى
الموازية للجبل الاخضر التي عم بها النفع وبقي ثوابها
جاريا الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى وبه معظم
نفع البلد بالماء وقت عزته منها ومن علامات
قبولها ان علي باشا احدث بجنبها فسقيتين كلاهما
اكبر منها واضخم واقرب مسافة لانها على درب البلد
احديهما بباب الجنة والاخرى التي بباب سيدي
عبد السلام ومع ذلك فلا انتفاع بها لضعف الانتفاع
بها وسبب ذلك ان صاحبها اشترط في تحبيسه
ان لا يستقي منها السقاءون للبيع وانما يستقي منها
من اراد الشرب لنفسه خاصة ولعل اعداءها
لما كان ينتفع من الحمار بالخصوص نفعها بالجاري
لها ومن حسناته رحمه الله تعالى ما بناه من القناطر
المتعددة في اماكن كثيرة يعسر المرور بها في الشتاء
عند نزول الامطار وكثرة السيول والاوحال فمنها قنطرة
ابي حجدة وقنطرة النجه المعروفة بقنطرة الذبانة
وقنطرة التلة قرب القيروان وقنطرة العلج بكرليسف

الكاف

الكلاب والفكرين بين راجس وحام الذنب وفكرت المنارة
بكرسي سوسنة والخمس فناد كرسي سوسنة بنك
القيروان وعلى الجملة بخيراته وحسناته كثيرة رحمه الله
تعالى ولم يزل واحدا في ملكه متمليا بسلطانه والناس
في ايالته في عيشة من الدهر وظل ظليل من العيش
وامن من الخطوب حتى اذن الله تعالى بتكدير الشرب
وتقلص ظل العز وتحويل عز الملك بخروج المحلة
مع علي باشا من الجزائر وما وقع بعد ذلك من
المحن والفتن والله المعوال

ذكر وقعة سمنجة
والاسباب التي اقتضت

خروج المحلة من الجزائر لما دخل علي باشا الجزائر بعد
قيامه بوسلانة وبعد ان بموضعها امر افريقية ونقض
البد منها سحنة صاحبها عبدي باشا لموضع اخل
جار السلطنة لمودة كانت بينه وبين المولى الامير
وضيق عليه تضييقا شديدا وعينت عليه الاخبار حتى
ان بعض الحكام يحتالوا في ايصال كتاب اليه بحيلة
الكيفية ووقف عليهم ولما خبرهم الى عبدي باشا
وبعد نقلهم لكي تخلصوا من الفتن وحرقوا
بالنفي وغيره ثم ان البرج من اهل الاندلس غزوا
وهران من عمل الجزائر بحارة عظيمة في البحر واستخرجوها
من ايدي الترك وقد كانوا املكوها لما ركدت ريح
بني ابي حفص بتونس وذهب امر بني زيان بتلمسان
فمكثت بايديهم مدة طويلة ثم انتزعها
من ايديهم الترك عنوة بالسيف وفتحوها الى اعمالهم
الى ان كانت سنة ١١٤٣ فاسر النصارى عودة الكرة
وغزوها بهذه البحارة وملكوها يد مثل فيها محمد بعي
بناي المعروف بابي الشلاغم بجاوه بها من غير
استعداد للقتال فخرج لهم رئيسا وتبعه الناس من غير
جهاد ولا قتال فدخلها البرج وضبطوا ابوابها واسوارها
واخرج عبدي باشا المحلة لاسترجاعها

لنكل ابنه الحاج محمد وتوفي بعد ذلك بايام قليلة موليى
مكانه ابراهيم باشا واضطرب امر الحلاتة على وهران
فامرهم بالرجوع وبقيت بايدي الفرنج الى الان فاوقع اعداء
المولى الامير من خاصة الدولة بالجزاير الى ابراهيم
باشا انه احد الفرنج من اهل سبانية بالافواه واعانهم
بذلك على اخذ وهران فكان هذا اول الشر وكان
وتكلم مصطفى بن المسراتي صاحب تلمسان في امر
علي باشا والافرنج عنه وكانت له منزلة عند ابراهيم
باشا فقبل منه وافرج عن علي باشا من السجن
ووسع عليه وكان الشيخ ابو عزيز بن ناصر
قد قوى امره لمظاهرة المولى الامير له على ابنه عمار بن
سلطان والوظيفة عليها باكسى وصعب امرهما
بعد ذلك فلما وضعت الحرب اوزارها حملته الدالة
على طلب الاصهار على بنات الاولاد المولى الامير
فاوجد عليه زوجه الحجيبة بنت مبارك في نسوة من
كرايم قومها في هذا الغرض فانفت في ذلك ورغب
عنه واكرم الحجيبة والنسوة التي معها اكرامهم
تاما واحسن اليهن وردها اليه فلما لم يجب على مطلب
طلب في اسعاف ذلك فبقي عنده وعاد الى منابذته
فلما علم منه المولى الامير ذلك داخل حسين كليان
صاحب قسنطينة في تاخيره وتقديم اخيه الحديد ناصر
وابن عمه محمد بوقبة للمشيخة مكانه وجعل
والاتهما بدلا منه وفوض اليهما امر الحنانشة
وعند ها ارسل بوعزيز احمد الصغير وسلطان ابني
عمار في الصلح والمظاهرة على حرب حسن كليان
فاجابا الى ذلك فارتحل اليهما ورجعوا جميعا
الى حسين كليان فهزموه ونهبوا محلته والتقى الفريقان
بفج مربير فارفع بهم واخذهم وقتل في تلك الواقعة
محرز بن مراد بن ابي عزيز وغيره من فرسان الحنانشة
ورجع بهم الى الصحراء ثم ان احمد الصغير واخاه
سلطانا لما رايا ضعف الحنانشة واتفقهم عن
القيام

القايد بامر الحنانشة راجعا لطاعة المولى الامير وكتب اليه
يستقيلانه ويخوفهما بانه لهما واحسن اليهما وتوسط لهما
في مشيخة الحنانشة فخلع عليهما حسن كليان واحد الاحد
بن نصر وابا عقة فلما راى ابو عزيز الامور قد انتقضت
عليه سار الى ابن رزق شيخ عرب البيان وجاهر على
ابنه واعتذر اليه وارسل الى ابراهيم باشا وتقرب اليه
وحسن اليه امور ابنيهما على المولى الامير وحرضه على
عداوته وحربه ووعدوا عليه الامر فلما احكما امرهما
معه طلبا منه ان يسرح اليهما يونس بن علي باشا
لينزل به ابو عزيز في الكراف محل ابن رزق فيجتمع
عليه الناس ويسهل له امور ابن رزق وقررا عنده
انه يمكنهم اخذهما من غير احتياج الى اخراج محلة
وطلبا منه ان يكتب الى حسن كليان بمحاربتهم
واعانتهم فسرح اليهما يونس وكتب الى حسن كليان
بما طلباه منه فارتحل ابو عزيز الى يونس ونزل
على صهره محمد بن ابي الذياب شيخ عرب اوراس
ومكاهم على امرهم ودخل معهم في ذلك فرحات
بن رجراجة وشرعوا في العبث والفساد واغضى
عنهم حسن كليان لمكان كتاب ابراهيم باشا اليه
وعقد ابو عزيز ليونس على ابنته وبذل له خراج
ولما طال عليهم الامر ولم يصنعوا شيئا كتبوا الى
ابراهيم باشا لابد من اخراج المحلة ووافق ذلك
اغراء المتعجبين لعلي باشا من اهل الدولة
له على ذلك ووعد علي باشا له بالاموال الجزيلة
فاجاب رغبتهم وامر باخراج المحلة وحمله على
ذلك ايضا التعنيف على حسن كليان وقد كان
في نفسه منه اشياء قبل تملكه وقد علم ما
بينه وبين المولى الامير من المودة فاراد ان يقبضه
فحمله على قتال من بر اليه وبواديه وكان انفصال
المحلة عن الجزائر في ذي الحجة من سنة ١١٤٧ لنظر
ابراهيم خوجة الخزنة جي وخرج حسن كليان

ايضا بمحلته واتبعهم ابو عزيز بجموعه وحشمه والاعراب من
كل ناحية ودخل في باشا احمد الدغي واخاه سلطانا
ومنه اليهم بالدعوى اليه وانتقضوا على المولى الامير ثانية
ونبذوا عهده واقبلوا بجموعهما مع المحلة متمالئين عليه
ولما بلغه خروجهم جمع عساكره وجنوده وتعبأ
لحربهم وخرج بمحلته فانتهى الى الزوارين لتفقد البلد
وحشد العرب وامر اهل الكاف بالارتحال الى الحضرة
وكذلك فعل بالبلاد التي بينها وبين الحضرة قطعا للمادة
عن اهل الجزاير ومنعا عن اهل تلك البلاد من
عاديتهم وقد وقع ذلك لمن لم يمتثل امره بالرحيل
مثل اهل تبرسق فانهم اهانوهم وانتضوا منهم الاشياء
من الاقوات وغيرها بعنف شديد وامر رحمه الله
فعلى بحرق الزرع الذي على كدسه وقد فات الوقت
على جمعه قبل وصولهم اليها لينتفعوا به ثم نال من ذلك
بتركه ورجع الى الحضرة وفي اواخر جمادى من سنة ١١٤٨
توفي اصغر بنيه المولى مصطفى باي وهو غلام كما طر
شاربه بمدينة بنزرت والده ووجد عليه وجدا شديدا
ونكير الناس لموته في يدي هذه الحرب وانتهت
محلة الجزاير الى الكاف فقاموا عليها فما زاحوا عليهم
وارتفعوا بارحايهم واموالها وارتحلوا مقبلين
واستشار المولى الامير حاشيته في الخروج الى
لقائهم والمحاصرة بتونس وقتالهم بظاهرها كما فعل
الاول ولانه ما تستغنى الباي اولا على المحاصرة ثم
بدا له في الخروج وعزم عليه فامر بنصب مضاربه
في الملاسين وازاح علل العسكر وصرف فيهم العطا
وضرب الخروج على الاعراب بالمسيين واهل الجبال
وغيرهم من سكان الحضرة في محلة مبعوده وقسم
العسكر بين محلتين خرج ابنه المولى محمد باي باحداهما
وفيها معظمهم وخرج هو في الاخرى ومعه ابناء
مولانا ايده الله تعالى والمولى محمود وارعب العسكر
معه من الترك وزواوة والخيل من اوجاق

الصبايحية

الصبايحية الاردقة وصبايحية الترك وغيرهم من الاتباع
ومن العرب خلق كثير ذريد عن بكرة ابيهم واولاد سعيد
والسواسي وغيرهم من جميع المزارقية وخرج من الحضرة
منتصف شهر ربيع الاول في جمع عظيم ثم نزل على
سمنجة قرب مليانة على نحو عشر من سخامة الحضرة
ونزلت محلته ومحلة النصارى متوازيتين راحة بينهما ملاصقة
للاخرى ونزلت محلة الحاكم من الكرابليين وغيرهم
وراءهما العرب خلف الجميع الى ناحية الشمال واقبل
الجزايريون بجموعهم فنزلوا مقابلين لهم من ناحية الغرب
وجعل المولى الامير يركب كل يوم وعساكره وجنوده
للقتال فيقفون تجاه المحلة وعساكر الجزاير حاصرون
لمحلتهم لا يخرج منهم احد فاقام بسمنجة ستة عشر
يوما لم يقع فيها قتال الا مكاوحة بين الخيل وفي
اخر تلك الايام اختلفت ذريد ومن معهم من العرب
عن المولى الامير فارتحلوا هاربين فاما ذريد فنزلوا
قدير السلطان بين سمنجة وتونس واما اولاد سعيد
فالتحقوا الى علي باشا وتفرقت عن المولى الامير جموع
العرب ولم يبق معه منهم الا اولاد شاكر من بني
رزق من العرار ثم وقع المصاف يوم
الاحد السادس عشر من شهر ربيع الثاني فخرج
الجزايريون على تعبيتهم من محلتهم من اخر الليل
وجدوا في وجهتهم الاحمال المولى الامير واخذوا
ذات الشمال حتى صارت الجمال في جنوبهم يقصدونها
من تلك الناحية وركب حسين كلبان في خيلهم
ورجلهم ومعه العرب من الخيل ايضا واخذ ذات
الشمال ايضا ودار الى ان صار خلف محلة المولى
الامير من ناحية الشرق وقد كان المولى الامير اتاه
ذات من محلة العدو اسير ذلك اليوم فاخبره انهم
يريدون ان يستطردوا الوادي المستدير من الغرب الى
الشرق في وجهة المحلة حتى لا يستقر بهم الموقف
كلاقوا منه فيحكون بالكان الصباح وعلم الحرجهم

نادى في عساكره بالخروج وعقد لابنه مولانا ايده الله
تعالى على العساكر الذين بمحلته بخرج في الخيل والرجل
تحت السناجق وامره ان ياتي الوادي فيبيت معه
ليصادف العدو ان جاء ويستكشفه كما ذكرنا فسار
معه ميلا ولم يجد احدا لانهم لما خرجوا اخذوا
ذات الشمال كما ذكرنا والوادي كان ذات اليمين
من محلتهم وخرج المولى محمد من محلته بمن معه
من العساكر فالتحم القتال بينه وبين عساكر
الجزائر ونصب خباء مكحلجي خونير مدافعه
وبيعا المدافع المستخرج باشارة مولانا عبد القا
در الجيلاني رضي الله تعالى عنه ورماهم بالخنى
بهم واجموا عنه واسرت العرب ووقع الاختلال
في صفوف الجزايريين واتي بر ولى القتلى
منهم الى المولى محمد باي والاسارى فقيدوا ولم
تبق الا الهزيمة فبينما الناس كذلك لم يشعر المولى
الامير الا بجيش كليان قد هجم عليه محلته من خلفها
وكان قد استدار حتى اتاها من تلك الناحية كما
ذكرنا وسترة طلاع الفلس اولاد الكنابج كما قيل
وقد خلت تلك الناحية من الحامية لهروب العرب
منها واشتغال الناس بالقتال ولم يكن مع
المولى الامير الا صبايحية الكاب فدافعهم ولم
يغنوا شيئا لكثرة من غشيهم ودخلت عليهم
المحلة من اقطارها فانهزموا وضرب المولى الامير
بجنبه رصاص على فخذه فجرح فالتوى عنانه هاربا
وامر حسين كليان جنده بانسفاك اخبية المحلة
فشرعوا في ذلك واعانهم عليه من كان بها
من المتخلفين عن القتال مثل الاوخد وبالتسبب
ومن تخلف معهم فسوكت الهم الارض والتبت
المقاتلة من عساكر المولى محمد باي بجارا عنهم
الا محلتهم سالمة وكانت نقر لهم واخفى
الصريخ الى مولانا ايده الله تعالى وهو بمكانه

من السواجا

من الواد في رفقة ارسل الى ابيه يخبره لانه لم يجد به احدا
ووقف ينتظر اذنه باعلامه لما جرى فكر راجعا وتلاحق في
الناس بالرجوع وظن انه يتدارك ما وقع فجملتهم
فلما انتهى اليها وجد العدو قد ملكها وانهزمت عساكر
اخيه مولاي راجعا الى مليانة وتفرق من معه منهزمين
ولا علم لي بما كان بامر ابيه واخويه وكانوا قد تفرقوا
واما المولى الامير فانه سار في جمع من الخيل على
طريق زغوان وتلاحق به فل المنهزمة والتحق
به ابنه المولى محمد باي لانه سلك تاجنته فسار
بهم حتى دخل القيروان جريحا اخبرني
بذلك من شهد الوقعة معي في الاعراض فقال لما
وقعت الهزيمة اخذ يسمع قائد الاعراض علي السيفي في
طائفة كثيرة من الخيل فعطفنا وقصدنا من الارض ما شرف
علينا فارسان من العدو فاسرع ذلك الخيل الذي معنا
على كثرة تبعه خوفا منهما فتقدمت انا ورجل اخر
وكررنا عليهما فقتلنا احدهما وهرب الاخر ورجعنا
في اثر خيلنا وفارقني صاحبي وتاخرت عنه فلم
اشعر الا بالمولى الامير قد اقبل راكضا خلفه
فارس من العدو شرع مكحلته نحوه يريد رميه وقد
كاد ان يدركه فوقفت حتى مر بي المولى الامير
وادركه فبغتته بسور راس حصانه ولم يخف
ثم مر ذلك الفارس خلفه فحملت عليه ورميته بسيفه
عن فرسه فقتلته والتفت المولى الامير فرآه
مجدلا في الارض فسار الى محل منجاته والحقني
من وراءه من العدو عن سلب ذلك الفارس فركضت
والحقت المحلة ثم اجتمعت بالمولى الامير فرحب
بي وذكرته فالتفتنا عليه ودخلنا معه القيروان ثم دخلت
عليه بعد ذلك وعنده ابناؤه الكرام وهو مثخن بجرح لكنه
الجراحة ورأسه على فخذ احدهم فحين رآني فرح بي وجعله
يشكر في ذلك واحسن الي واما مولانا ابوه الشيخ
فقلت لما بلغ النهار وجد الناس قد خرج جميع

على الخاصة وقد وقع كثير منهم في الماء ورأى الجناة
من هناك منفسحا يعدل عنها وركب الكرديني الجادة
الموصلة الى تونس يسلك على بيوت اولاد قاسم
من بني رزق الذين ثبتوا معه بوجودهما ابا عزيز بن
نصر وابنه سديري واحمد الصحبي واخاه سلكانا فيه
جماعة من الحنانشة بلماردارة ضو في باشا وكانا
راكبا برساخهم ومولانا ايده الله تعالى على فرس
احمر الا انه لكثرة ما سال منه من العرق صار كالادهم
فتبعوا له فلما قرب منهم وعلموا انه ليس صاحبهم
رموه بالرصاص فحمل عليهم فيمن معه لانه جمع
لحق من انذلك الكرديني بابن جوابه عنها وجيزتهم
فتبعوه يأخذون من خلفه من الصحابة ويأسرون
ويسلبون وادركه فارسان منهم فرماه باخطاه وكبا
لمولانا ايده الله تعالى عثرة جواده ثم نهض
به فمال عن السرج ثم استوى فيه وفي ذلك الفارس
انه قد اصابه فدنا منه فحماه فرماه مولانا رضي
بمكحلته فمس جبهته فاصابه واصاب فرسه
فخرا صريعين لليدين وللفم ولم يزل الكلب مقفيه
وراءه حتى اشرف على غدير السلطان وجريد فنزول
به وقد ملؤوا النواحي فلما رأى العدو كثرتهم
رجعوا عنه خيفة وعدل لموضع جريد ولم يدخل
بيوتهم وانما بعث الكبارهم وجعوان بجيرانهم
بالمنع وكسرتهم عنه خوفا ان يغدروا به وقال لهم
من اراح بي الى الخفية وسار فلما
شارفها ارسل الى الحاج سليمان كاهية خليفة
ابيه عليها فخرج اليه فلما راه قال لم جئتني وقد علم
ان ليس عنده غناء وقال له قد جئتك بنفسي
فدافع بالشاوش وكبيث الجنود عقبه وحجر عنه
مدافعه لكون حسين بن علي عمه في وانما
ابنه ذا المحنة ولكن كيف نفعل فإن ذهبك
بلادنا ونضع الثقاف في فحصها وابراجها

وتجمع

٢
سوى

ونجح جندنا فلم يلبث عنده ما يجيبه لما اذا به من الدهش
فتركه رسول الى باردو وقد دخل على امه واهله فاخبرهم
بسلامة ابيه واخويه ولم يخبرهم بشيء لما وقع
من الفرنسيين وقد استريح لمجيئه واشار الى زوجه ابنته
علي باشا بالوصاة عليهم فخرج ووقف بازاء باردو
ولم يبق معه الا اثنى عشر فارسا من لحاشيته فبعث
وزيره الحاج علي بن عبد العزيز وابو الحسن علي الجزيري
وهو يفكر في محل منجاة ياوي اليه فاجمع رأيه
على المسير الى طبرقة وهي اذ ذاك بايدي الفرنج
ليركب البحر منها الى حيث شاء فبينما هو كذلك
يريد الرأي في ذلك اذ كمنت عليه نواجع الخيل
من الكراغلة واذا هم اخوه محمد باي فداخل في الف
وخمسمائة من الخيل وكان لما وقعت الفرنسية
عدل الى ناحية الغرب نحو محلة الجزائريين ثم
نكب الى تونس فتلقاه مولانا حفظه الله فقال
ولما قرب منه ترجل له فقبل يده على صورة المبايعة
وقال له ان ماتنه حسين بن علي باشا الامير وفده فقال
ارما نحن وفدنا لا علم لي ولكن ان حدث في حادث
باشا الامير فهلم ندخل بلدنا فنضبطها ونجمع
عساكرنا وجنودنا ونتهيا لقتال عدونا ثانية فلعل
الله تعالى ان يجعل لنا الكرة عليهم واكثر من هذا
الكلام ونحوه فلم يسمح الحاج احيه مقالته وكان
ذلك رأيهم وقد ضرب على المرحوم محمد باي فامتنع
فقالوا ان اسمع ما يقول اخوك فقد اصاب الرأي
الذي لا معدل عنه ثم سار هو يريدان تونس فقال
لاخيه وهو يسايره ابي تركه محل منجاتنا فاوان
ان كنت الذي كنت تشير به علي اتبعا فان ذلك
كلام قلته لك على رؤوس الملا تكبيبا لقلوبهم
وتثبيتا لهم حاجة والخور منهم والا فباي شيء
نقوم لعدونا وقد تعرفت حاميتنا والعرنج حتى دنا
ولا عتب خزاينا من الاموال والسلاح والكراع

واجمع رايهما على ان يأتيا القيروان ويعلما خبر والدهما حتى
يظهر لهما ارسلا حتى وقفا عند مقام السيدة المنوبية
ظاهر البلد وخرج اليهما الكاهية وجماعة من الاعيان
وتكلموا معهما بما علما انهما يريدان دخول البلد
والتفتيش على العدو ثانيا وفي اثناء ذلك ارسل
مولانا مراد باشا جنده خفيا وغاب من حيث لم يشعر
به احد ثم طلع عليهم بركش واخبرهم ان المولى
الامير بباجة مريضا ومعه محمد رشيد وقد مدوه على
دخول الحضرة وحسنوا له الكون معهم فقال كل
واحد منهما انا الاحق به ووقع بينهما
تداع في ذلك ثم تراضيا على ان يكون [illegible] ابيه مقا
فثانيا جهزوا وصيا الكاهية ومن معه ان يدخل البلد
الى ان يرجعا في دفينة بيومهما وساروا دفينة ذلك
اليوم والليل كله فاصبحوا وقد قطعوا الخنقة
الحمامات فوجدوا محمد رشيدا نزولا بالنفيضة
فلما لحقته عليهم الخيل ارتاعوا وركبوا فلما تبين
لهم الامر اخذوا اليهما مذعنين بالطاعة
وارتحلوا في ركابهما الى القيروان ولا علم لهما بشيء
من خبر ابيهما فلما اشرفا عليها خرج احدهما المولى
محمد باي لتلقيهما فسر بسلامته وسلامة عمه
والده فاخبرهما انه بالقيروان واخبره مرضا الما به
من الجراحة فعرجا فسلما عليه وفرحا به فلم يمهل
وقد قفلوا القيروان فاشتغلوا بجامع والدهم

ولاية علي باشا

ابن محمد باي بن علي وقد خوطب الحضرة

لما وقعت الهزيمة على عسكر تونس واخذت
محلاتهم وهرب من هرب منهم واسر الباقون
من الاسارى على الاخبية فلما بلغ ذلك علي
باشا فرح ونهض اليه مبادرا وقال من اخا قتلت
لمولاه وقد بقي بحملة من حي ما بقي بمراكش

ولم يترك به

Fol. 218.

ولم يزل به حتى عفا عنهم ونادى مناديه بالانعام عليهم
واصبح من الغد مقيما بسمنجة لانه لم يتحقق خبر عمه
وابنائه ولا علم له بحال من بالحضرة من رؤساء العسكر واهل
العقد والحل ونيتهم فيه فتوقف لاجل ذلك وكان من
خبرهم انه لما بلغهم خبر الوقعة ورجع الفل من المنهزمة
الى الحضرة ثم جاءهم انباء المولى الامير جوسهم
وانذر ما عنهم من اخر النهار وباتوا ليلتهم تلك
متوقفين في امرهم فلما كان صباح اليوم الثاني اخرج
محمد باي بن علي باشا من مكان بسمنجة بباردو وولداه
محمد وسليمان واخواه مراد ومحمود ونقلوا الى القصبة
وجعلوا بدار الكاهية منها عن مشورة من بعض الملا
ثم اقبل الحاج علي الباي في وجوه العسكر حتى جلس
ببطحاء القصبة واقبل الحاج سليمان كاهية ووالي اغا
القصبة وجماعة من العسكر فكلم الباي الكاهية في جمع
العسكر وضبط البلد فما جاءه الى ذلك فقال له انهم
يحتاجون الى مال يفرق فيهم فاعتذر بانه تحت يده
شيء من المال فنهض الباي لمجلسه ورجع الى
داره وانفض المجلس ثم بعد ساعة عاد الباي
الى القصبة في جماعة من اعيان العسكر منهم جعفر
اغا وعثمان انقليز وغيرهما وكلهم شيعة علي باشا
وقد اتفقوا مع الباي على ضبط البلد باسم علي
باشا فدخل الباي القصبة وجلس بسقيفتها
واجتمع اليه من بها من العسكر فدخل بعده
جعفر اغا وهو يضرب بعصاه الارض ويقول الله
ينصر من اصبح ركز رماحا فلم ينكر عليه احد من
الحاضرين فقال له الباي ما تقول فاعاد عليه المقالة
فقال وانا اقول كذلك فقال الحاضرون كلهم
ونحن كذلك نقول ثم جاءهم الحاج سليمان كاهية
وكانوا قد بعثوا اليه فيما شيعهم فيما فعل في
سرية من الخيل فاخبروه بما صنعوا فوافقهم
ايضا حذرا منهم ودهشا ثم عمروا الى محمد باي بن علي

فاخرجوه وجلس بموضع الاغا واخذ عليهم البيعة للباي
وتسامع الناس فاقبلوا اليهم واخرجوا سليمان ومحمودا
ابني علي باشا فركبوهما وارسلوهما لتلقاء ابيهما وكتبوا
اليه يخبرونه فلما دنوا منها ورد عليه الخبر على ان البلد
بيده وكتب اليهم كتابه بالامان وارسله اليهم وورد عليه
ابناه فسر لذلك معهما وركب ابنه يونس فدخل الحضرة
يوم الثلاثاء فجلس بالقصبة مليا واتاه اعيان الناس
ثم انتقل الى باردو وفي ذلك اليوم ارتحلت المحلة
من سمنجة ونزلت فيما بينها وبين تونس وبات
بها علي باشا ومن الغد وهو يوم الاربعاء التاسع عشر
من الشهر دخل الحضرة فجلس في القصبة واخذ
البيعة العامة على الناس ولبس الخلعة السلطانية
واطلقت المدافع ولما انفض الموكب انتقل الى
باردو وترك ابناه بالقصبة واقبلت محلة الجزايريين
فنزلت الحرايرية ودخل عسكرهم البلد فارادوا ان يعيثوا
فيها فثار بهم اهلها وقتلوا منهم طايفة عظيمة
فركب يونس وسكنهم ورتبوا على ابواب البلد
طايفة من عسكر الجزايريين ينتزعون السلاح
من اراد دخولها منهم واقامت المحلة على
الحضرة ـــــ ثم ارتحلوا راجعين
الى بلدهم بعد ان استوفوا من علي باشا ما شرطه
لهم وبعد مضي خمسة عشر يوما من دخوله
توفي والده محمد باي فجاءة فيقال في سبب
موته اقوال الله اعلم بحقيقتها واخر علي باشا
الحاج علي باي عليه ولا يبتته لانه كان يكاتبه
ايام اقامته بالجزاير فاعتقد له ذلك واكد
ذلك ضبطه للبلد وتعصبه باسمه وبقي الى
ان انقضت حرب الديروان وكان من خبره ما
سيذكر ان شاء الله تعالى)

بقية اخبار المرادية

الامير وابنائه الكرام وتدابير امورهم

بقية

بقية اخبار المولى الامير وابنائه الكرام ومحاسن امورهم

لما دخل المولى الامير القيروان والتحق به ابناؤه كما ذكر
اجتمع اهل القيروان على طاعته وانثال جرشه ووافقهم
على ذلك جلاص وجريد وغيرهم من العرب فاتصل الخبر
ان يحيى باشا جعل لاهل الجزائر خمسين الف ريال على
ان يخرجوا معه الى القيروان لقتاله فحدث عليه بذلك
وراى ان اهل القيروان لا طاقة لهم بعسكر الجزائر فتونس
وصمم على الرحيل عنها والنزول في الصحراء الى ان يرجع
عسكر الجزائر الى بلدهم وكان لا يقدر على الركوب لكثرة
جراحته فامر بعمل كروسة ليركبها فلما شرع العامل
في عملها ارتاب اهل القيروان لذلك فمنعوه من العمل
وتكلموا في ذلك وقالوا كيف يخرج عنا بعد ما قمنا بدعوته
واظهرنا العداوة ليحيى باشا وتتركنا بين ضامن خير للهلاك
هذا لا يكون ابدا فلما بلغه ذلك عنهم اشتد عليه
الامر جدا وجمع اولاده وبعض خاصته وما وقع في
ذلك فقال لابد من خروجي فربما يجي القدر
ولو قد استخلفت احدا منكم مكاني لرضي بذلك
اهل القيروان ولم يتحرضوا فيسكتوا عنه فكلم المولى ابنه
محمد باي في ذلك فاعتذر بانه لا قدرة له على
الحروب اذا حضر العدو اليه مع انه المطلوب
ليحيى باشا الاشد عداوة له فكلم اخاه المولى علي مرارا
وكان على القيروان فاعتذر بعذره وعلم اهل القيروان انه
فما يرتضي ابدا فلما ايس منهما بكى وقال اذ قطع الرجاء
الا منك يا عظيم الرجاء فحسبي ذلك كنت حينئذ مولانا
ابي الله دعلي وحلفته فابى ثم عاب والده علي
التغرير بنفسه وتعرضه للخطر فقال اذهب انت
بسلام وانا امكث هاهنا قائما مقامك فقال اوزوفل
فالانج وكرامة فتفضل وجهه ودعا له بالخير ثم
بركته عليه الى ان خرج الدولة واستدعى اعيان القيروان

فقال لهم انى خارج لجمع المال العرب وحسدهم ومستخلف عليكم
ابنى عليا وقد بلغنى انكم لم ترضوا بذلك فقالوا رضينا ومن له الرضا
وما سمعنا عنك انك مستخلف ابنك وانما خشينا ان تذهبوا
عنا جميعا وتتركونا فريسة فيتمكن منا العدو فوقع الاتفاق
على ذلك وخرجوا راضيين وعملت للمولى الامير محلة وسنة
فركبها وخرج من القيروان ومعه ابناءه وجريد وجلاص
وخلق من العرب بعد ان فرق فيهم العطا وملا ايديهم
من الحبوب والاقوات وسار بهم حتى نزل بسيدى الناصر
بين القيروان ودرجافس فهرب عنه جريد ثانيا
ولم يتخلف معه الكثير الا فى رزق وبيوت قليلة من
غيرهم فارتحل راجعا الى القيروان فلما نزل زعفران فى
كتب الى مولانا ايده الله تعالى بالخروج اليه
فى صورة المتلافى له حتى يحصل عنده والعلم انه
ملزم على التقرب من القيروان فخرج اليه فى جماعة
من اعيانها فلما حصل عنده امسكهم ومنعهم العود
اليها فكلمه اركيه الجماعة فى تسريحهم معهم فابى
ودار بينهم الكلام حتى اغضبوه فزجرهم واذن فمشوا
مغاضبين فركب مولانا ايده الله تعالى فى اثرهم
واسترضاهم وردهم اليه وعاتبهم ودار بينهم الكلام
وفى اخر الكلام اتفقوا على ان يا خذ رهنا عنده من ابناء
اعيانهم ويترك ابنه عندهم وذلك باشارة من مالك
ومحمد الاهرادي يانيين وكانا منحرفين عنه فى
البادية فيما يلى الى جانب علي باشا وكتبا اليه
اسماء من يا خذ رهنا واستوعبا اعيان البلاد وذوى
الراى منهم فقالوا له ان لم تكن هؤلاء فلا نترك
ابنك عندهم تتحالف يزعمهما باذن فى اهل
القيروان الى بلدهم وبايديهم الثبت الذى كتب
باسماء الرهائن من الرفد ارسل المولى الامير
مولانا الى القيروان ليقيم بها وارسل معه اخاه عامرا
وامره ان يرجع اليه بالرهائن المسمين وكانوا اهل
القيروان قد خرجوا فى صباح ذلك اليوم

الى المحلة

الى المحلة ليروا رايهم فلما قربت عليهم السماء من عينوا
للرهن اضكر دوا وجابوا جوسة واحدة وقالوا اذا خرج
مولانا يحيى يخرج بنفسه فيرا امرنا اذا راى هذا وتكلموا
في فتح البلد فجيء باشياء خافوا ان لا يقبل منهم
فمضى لهم ما لك وجد الا خمر رضاه وقبوله فاجمعوا على
طاعته واطلقوا المدافع فنادوا الحي عندهم من اتباع
المولى الامير وقبضوا على بعضهم وفر الباقون فجاروا
مولانا اعزه الله تعالى وقد شارف القيروان يريد دخولها
فاخبر الخبر فرجع الى ابيه واعلمه بما جرى وضاق به
الامر وارتحل من زعفرانة ونزل الزليجة وارسل اليه
اهل القيروان كتابا اغلظوا له فيه وتكلموا بكل قبيح
فاستدعى جماعة فتكلم معهم فقالوا له انما نحن من
اهل القيروان فان كانوا معك فنحن معك والا فكافة
لنا بالصحراء لانا السنا الى جبل   فارقناه

٢ اكتى

القيروان فلما كتبنا اه من معه من الخازنية ركبوا خيولهم
الى القيروان واسلموه مرارا فاتبعهم وبقي في قليل
من الناس فلما كان الليل استدعى خاصته ووجوههم
في شان امرهم فاختلفوا عليه ولم يانفوا لكلامه فقال احدهم
قوموا عن سيدنا ودعوه ينام قليلا ليستريح فانا
لا ندري ما ينزل بنا صباحا غدا فقاموا وخلا بنفسه وذكر
لهم ما نزل به ورق رقة شديدة فلما راى مولانا ايده
الله تعالى شدة جزعه قال له لا تزال اذهب غدا
الى القيروان واحملهم على معاودة طاعتك فدعا
له بخير دعاء كثيرا وكذا اخوه المولى محمد
باي حقيقة من ابيه كل العينة لما قال الان فلما خرجوا
من عنده خلا به اخوه وقال له كيف تقول له هذا
وتغرر بنفسك هذا الغرر ان ابانا رجل كبير قد
ذهب اقباله واخونا محمود حي الان اعتماده عليه
ولم يبق في من عنده الا انت فان حدث عليك
حادثة والعياذ بالله بقيت وحيدا لا نصحت حتى
وباتت بليلته كلها يحدثه ويرده عن رايه فلم يقبل

وتركه حتى نفسه من الاخرابين وفاء ولبس لامته وخرج
الى ابيه فركب وودعه بابو ابي اخوه واحس به فلحقه
بلا نعل فادركه واخذ بعنان فرسه بيده فقال والله
لا امضي يكون في ذلك ما يكون ولا انكرا في على هذه
الحالة التي لعن عليها فلما اعياه امره قال له امض
والموعد الجنة ان شاء الله تعالى لانه لم يشك في ان
اهل القيروان يقبضون عليه ويحملونه الى باشا
وبجند وذهابيرا عنده   ما بركه منهم فمضى
لوجهه على وجل شديد حتى دخل القيروان على اهلها
وهم في انديتهم واسواقهم فلما مر بجماعة منهم تعجبوا
لمجيئه وقابلوه بالترحاب وقالوا له جزاك الله تعالى
عن الصحبة خيرا وهكذا يكون الاعتقاد الجميل وصدق
النية وهو يقول لهم انتم بتقعنا وعصابتنا واهل
لكل خير وكما السلف حابنا والذي بيننا وبينكم من
المودة لا ينكر ما فرط عن غير محرور وبينما لم يزل
سايرا والناس يتلقونه حتى نزل بداره فاقبل اليه
اعيان البلد فقالوا له هلم نخرج لمقام ابي زمعة
البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونتعاقد هنالك ونتحالف فخرج معهم ووقع العقد
والحلف على نصرة واحدة والقا تلته جوقه مابقي
منهم اثنان واختلفوا المدافع فلما سمع ابو
عمو لما اخذ خبرهم فلم يشك الا بالخازنية
الذين فارقوه الى القيروان قد عادوا اليه بالخير
فسر سرورا شديدا وارتحل فنزل بنابان بظاهر البلد
وخرج اليه اعيانها وجددوا العهد معه وبلغه
انصراف الجزايريين الى بلدهم فارسل الى
قبايل العرب يستنفرهم فاجتمع عليه منهم
خلق كثير مثل الهمامة ونيعة بجميع قبايلها
وغيرهم وارتحل من القيروان فنزل العلم وخرج يونس
بمحلته من الخضرة في عدد يسير من زواوة والخازنية
فنزل المحمدية وحاول الوصول الى الخضرة
وكتب

وكتب الى المولى الامير الى مولانا ابده الله تعالى يامره
ان يخرج اليه لغزو تونس لمكانه من الجهة فخرج اليه
في ارتحالة من الديرات وهو بمكانه من الكاف فترك ابنه
المولى محمد باي بمكانه فيمن تخلف عن الغزو ذلك العام
واسرى التونسيين فصبحهم بغارة شعواء فانهزم فاخذت
محلته بما فيها من المضارب والمدافع والآلات والاقوات
وغير ذلك وذلك لثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة الثانية
ورجع المولى الامير الى الكاف وتخلف بعده مولانا
حتى دفن جميع ما في المحلة وانحازت اليه زواوة باسرهم
وهم الذين مقاتلة فرجع بهم الى ابيه ثم حدثوا
في غزو تونس لما راوا من كثرة جموعهم وما
انتج لهم من الظفر على تونس فساروا اليها حتى نزلوا
على غدير السلطان على مرحلة منها وكان قد ورد
لما فارقوا المولى الامير سيدي الناصر نزلوا على
حمودة باشا فارسل اليهم علي الباشا القايد محمد بن عثمان
الحسيني وسليمان بن احمد المنافي بتبليغهم اليه
فاجابوا وارتحلوا الى تبسة لخروج اليهم تونس
بعد الوقيعة عليه فالجهة يستتبعهم الى الخنقة
لما بلغه توجه المولى الامير اليها فاتاه كافة عسكره
واجتمعوا عليه ولما نزلوا الى تاستور بلغ الخبر
الى المولى الامير وهو بمكانه من غدير السلطان
فراى ان يبادر جمعهم ويفرغ منهم ويصدهم عن الوصول
الى الخنقة واعتضاد عساكرها بهم ثم يعود
الى غزوها فخالفه ابنه المولى محمد باي وصمم على
قصد الخنقة قبل وصولهم اليها وزين له هذا
الراي صاحبه ابو عبد الله محمد الشاوجي فاجابه الى
ذلك المولى الامير على كره منه وارتحل عن غدير
السلطان فنزل الكوايل على مرسخين من الخنقة
يوم الاثنين السابع من رجب فاقام اربعة
ايام ولما راى علي باشا كثرة جموعه وكثرة
الاحزاب بالخنقة خاف خوفا شديدا وهم بالفرار

وثبت ورين مكعب به منتيشه بالنار على بارد على تخوف
شديد ثم برز المولى الامير الى نواحي البلد من قبلتها فارتحل
ونزل على رادس وكاتبه كثير من اعيان البلد ورؤسائها
وسهلوا له دخولها فدخل من الليل ربض باب الجزيرة
وفشا في الناس ان المولى الامير محمد باي دخل البلد
فتبادروا اليه فلما تحققوا انكشفوا وكنا نسمع من اهل
بلدنا انه لو وصل اليهم احد ابناء الامير لفتحوا له
البلد واخرجوه وثاروا كلهم معه ولم يقدر الله تعالى ذلك
ثم رافق يونس بدريد فانزلهم الجريبين واحضر
الخضر وجمع رؤساء العسكر فتكلم معهم واحسن اليهم
ومن الغد ركبت دريد وكانت بينهم وبين خيل
الامير حرب فانهزمت فيها دريد ولما وصلوا الشدار
الشامخ على المولى محمد باي بعبور نهر مليان
والنزول بعد وقت القبيلة ليكون النهر خندقا بينهم
وبين العدو وخرجوا من مجموع يونس في العسكر
ودريد عليهم فباتوا ليلتهم تلك بعبور على
القنطرة وضربوا مضاربهم على حافة النهر وما
استتموا العبور حتى اغار عليهم يونس بجموعه
من ضحى الغد فانهزمت الاعراب وانهزمت
وتركوا حللهم ومواشيهم فانتهبت وامتلأت
ايدي العسكر ودريد ومن معهم من المواشي والامتعة
والاسلاب حتى بيعت الشاة بثلاثة نواصري
وبقي المنهزمون بالخوف مدة لا ياكلون اللحم لاختلاطهم
بالجوع ذلك التعب وسلك المولى الامير وابنه المولى
محمد باي طريق زغوان وسلك المولى محمد باي طريق
زغوان بلاد الساحل وتخلف بعدهم مولانا ابقاه
الله تعالى حتى جمع جميع ما في مضربه من الالات
وانضرب على وجل شديد من ادراك الطلب
فسلك طريق الساحل ايضا وادرك اخاه
فسار معه حتى قطعا الخنقة فوجدا المولى
الامير امامهما متقدما على طريق زغوان
السي ذاك

الى ذات الشمال فلما اجتمعوا تفاوضوا في محل سفيانهم
وارادوا القيروان فتبلغهم عنها ما مروا فقال ان اهلها لا
يقبلوننا بعد هذه الوقعة لمحابة مولانا وقال الذي
لا نسمع منه فانه عم باهل القيروان وبنياتهم فوقفهم
وساروا اليها فلما دنا منها امر ان يبعث من يخبرهم
بقدومه ليتلقوه فوصل ولما ابطأ الرسول امر بان يبعث
غيره ولم يزل يامر ببعث رسول بعد رسول
الى ان بعث اليهم اثني عشر رسولا خوفا منهم
ان لا يقبلوه بعد هذه النزلة فلما بلغ الزرع ولم يفد
اليه احد من الرسل ارتاب وقال ابن كلامك فقال
لا عليك الان ترى فلم يلبث ان طلع عليه اهل القيروان
خرجوا اليه باسرهم فارحين لقدومه عليها وقالوا
اليه قالوا له حيث رجعت الينا لسالمنا انت واباؤك
واباؤنا فكل شيء يعد بعد ذلك حلل وانما نعيب
مضاربهم عادت اليهم ودخلوا البلد فاقام به
مليا ثم بدا للمولى محمد باي في الخروج عنها خوفا
من جموع العدو عليه فخرج الى قفصة فاستخرج منها
ذخايرهم بها من الحبوب والادم فعرقها على من
عنده من العرب ثم خرج بعده المولى الامير فانتهى
الى قفصة ايضا ثم عاد هو وابنه بعسكر افراجي واجتمعت
عليه جموع من العرب ودخل مولانا بالقيروان وخرج
يونس من الخضرة لمحلة الشتاء فاتى القيروان
ونزل بكدية الغرب وكان مولانا يخرج كل يوم في
اهل البلد الى ظاهرها وكانوا كلما سمعوا لهيعة
اذا ابوا لجموع العدو عليهم ضربوا على انفسهم
لجميع الناس فيخرجون ارسالا ويجتمعون بظاهر البلد
فاتبعهم مالك ومحمد الاصغر الذي بانان وقالوا له
ان نخشى من فزوع الناس متى فيما الى ظاهر البلد
يقع عليهم العدو فبلل الشتات جمعهم فلا يقوموا
ثم فلو وضعنا اسلحة الناس لمكان واحد فربما
ضرب الطبل اجتمعوا في ذلك المكان واخذوا

اسلحتهم وخرجوا جميعا لكان احوطهم فلا ينفع الراي على هذا
وعينوا مكانا لوضع الاسلحة فوجد مولانا ايده الله تعالى
فاشرف يوما الى سطح داره ينظر بالمراقب فرأى
خيلك قد خرجت من المحلة فانتهت الى دار الامان فاخذوا
رجلين وحملوهما ودخلوهم اخذوهما اسيران ثم عاود صعود
السطح من الغد فرأى الخيل قد اقبلت من المحلة
بالرجلين وتركوهما بدار الامان حيث اخذوهما
فنزل مسرعا وامر الحاج علي بن عبد العزيز ان يركب
في خيل معه وينزل الى دار الامان فياتيه بالرجلين
فعندما ركب ولم يكن باسرع من ان اتاه بالرجلين
فعند ما بادرا انهما رسولا مالك ومحمد الاحمر الذي يا تيهي
واخرجا اليه كتابا من يونس جوابا عن كتابيهما فاذا هما
قد اخبراه انهما قد تحيلا في اسلحة جميع البلد
في مكان واحد مما تحت بايديهما وامراه ان يرتحل
من بلاد القرن فينزل على تبان ويدهم على البلد في
يوم عيناه له فلا يعجزان مكان السلاح للناس ويفتحان
له باب البلد الذي من ناحيته فيدخلها عليهم ويجدهم
عزلا لا سلاح لهم فيملكها بسهولة واجابهما
في كتابه اني فاعل جميع ما اشارا به عليه فلما
اطلع مولانا على حقيقة الامر استدعى جماعة
من اعيان البلد فاطلعهم على ذلك وحكم عليهم جدا
وقاموا من فورهم فقبضوا عليهما واتوا بهما الى باب
فقددهما بالسيوف وطلبوا منه ان يمكنهم من القايد
في البلد احرموا اذاية وكان قد اطلع على خيانته
ووجد عنده كتابا كتبه من علي باشا فاعتقله
يسلمه ايضا اليهم فقتلوه ومن الغد ارتحل يونس
من بلاد القرن فنزل تبان لموعد الذي بايتيي فلما
بلغه قتلهما اقلع عن القيروان وارتحل متوجها
الى الجريد وسلك طريق الحي ثم منه تاح
المرسى الامير   من واحات الليبي فلما حان
منه اجتمعه اماهه الى قفصة وانتفعت كثير من العرب
الذين معه

الذين معه واضطربت احوال من معه وكثر الارجاف والخوف
فاصبح راحلا عنهما الى الصحرا فاجتمع عنده اكثر العرب
وفارقه ايضا كثير من معه من الحنانشة فرجع بعضهم
الى القيروان والكثير منهم بتونس فرسم خدمة علي
باشا وسلك طريق الدواخة الى بلد الكاف مشى
فاقام عندهم اياما ثم ركب المولى محمد باي الى
الحنانشة وهم بتبسة فدخلت سلطان بن عمار
مستنجدا اليه فوعده وقاربه ثم لحقه المولى الامير
فنزل على شبرو واتاه الحاج الصغير واخوه سلطان فواعداه
النصر والقيام بامرهما واعطاهما عشرة الاف ريال وثلاثة
ابراش مفيضة لهما منه وانصرفا الى بيوتهما وارسل فرقة
بينهما ثم ظهر منهم النكث لوعده فكر راجعا الى
القيروان فدخلها وقد انصرف بونس الى الجريد وعدل
عن القيروان فنزل سبيبة واعتزل اولاد عون اموالا وارتحل
الى الخنذرة **وفيه** دخل علي باشا
تونس واستقر المولى الامير بالقيروان فكان امر الساحل
مضطربا فتمسك اكثرهم بطاعة المولى الامير فكانت
له مثل قواعد البلد مثل سوسة والمنستير والمهدية
والقلعة الكبيرة وكثير من القرى وبعضها قسم ثم انتقضت
عليه وكانت لعلي باشا جمال ومساكن والقلعة الصغيرة
والكودة وزاوية سوسة وغيرها من القرى فلما رجع
المولى الامير من شبرو وغزا … لاهل عنده من
الجند والعرب واهل القيروان فقاتلها اياما يوما واحدا
من الصبح الى المسا حتى اشرف على اخذها ثم اقلع
عنها ورجع الى القيروان ثم خرج مولانا ايده الله تعالى
الى الساحل لتمكين امره فدخل سوسة وارسل
الى جميع البلد فاتته طاعتها كلها الا جمالا وخرج بعده
اخوه المولى محمد باي فاستولى القلاعة وجلاص والعرب
واقبل بهم الى ابيه فارسله الى مولانا فخلفه الشيخ
نعلي [?] بمكانه من سوسة يستدعيه اليه فلما قدم
عليه استخلفه على القيروان وخرج هو وابنه محمد باي

في ذلك الجموع الى عزوما جرو ورتنازو وهم نازلون بسبيبة
فلما اتاهم فجعوا فيها قتالا شديدا وصدقوا القتال فانهزمت
الهمامة وجلاص وسائر من معهم وانتهبوا ورجع المولى
الامير محمد واتبع الى القيروان ثم ورد عليه الخبر بخروج يونس
من الحنفية بالمحلة لمنازلة القيروان فقرر المولى محمد
باي على الخروج مقتفيا خوفا ان يحدث بعد حادث فلا
يستطيع المنعة لثقل جسمه فامر مولانا ان يكلم اباه
في ذلك فكلمه فسمع منه وغضب غضبا شديدا وقال
اتغيرون علي وتسلموني قال ما انا الا خادمك واخي لي
عند ربيمنا فاذا قال فلم يقبل منه فخرج الى اخيه وقال
لي قد سمعت مقالته فقال لابد من الخروج بنفسي
واذا لم يأذن لي فاريد منك ان تخرج في فتشيعني الى
الحومة وترجع فاذ قد لذلك مساء الليلة
التابعة فلم يروعهما الا نزول يونس بمحلته على ذراع
التمار من يومه ذلك فلم يتعيا للمولى محمد باي ما اراده
وامر من حينه بجعل خندق محيط بالبلد فشرع الناس
في حفره ولما كان الليل امر مولانا ان يخرج
بنفسه للحراسة فخرج في كتيبة من الخيل وبات
يحرس الى الصبح فركب يونس في عساكره للقتال
وخرج المولى الامير في اهل القيروان ووقعت بينهم
الحرب الى الضحى ورجعوا فقال المولى محمد باي
لمولانا لا ارضى بخروج احد في الحرس غيرك فلا بد لك
من الخروج الليلة ايضا فاعتذر له بانه لم ينم ليلته
كلها واصبح مشتغلا بالقتال نهاره اجمع فلا يمكنه
الخروج فلم يعذره وفات تلك الساعة من العشية
ولما كان الليل خرج وكان هذا دابه يركب للحراسة
ويصبح راكبا للقتال حتى اقلع يونس عن
القيروان بعد ان فاز عليها نحو عشرة ايام
ونهض الى القلعة الكبيرة فنازلها وضيق عليها
وكتب اهلها الى المولى الامير يستنجدونه
ويعلمونه انه ان لم يدركهم سلموا له البلد

فبادر

فالح رجل من اهل القيروان بالمجيء اليها فكره ذلك محلي باي
وقال لو كنا قادرين على اخذ تونس لاخذناها من هنا
وما عسى ان يكون عند القلعة ولم يتجاسر احد على مراجعته
اليه في ذلك وثار مولانا فقال له انا اتبعك لكن اهل
القيروان عن التبعي فكان كلما كلمه احد منهم في شان
الخروج اظهر له الكراهية يريد ذلك من قرابته
احواله فتشاغلوا بغضب المولى الامير اسند عليهم
فكلمهم في ذلك فاخبروه بما عرفوه من ابنه من كراهية
هذا الامر فصرفهم ووجه الحفيد اليه فكذبهم
وقال له ما قلت لهم شيئا وانما كرهوا الخروج
فلما ايس من اهل القيروان عزم على الخروج في الخيل
خاصة فخرج الى خارج البلد وامر مولانا ان يجمعهم
بعد جمعهم فتحيل في تخلفهم عنه بان ركب بلا
سلاح ولا هيئة حرب فلما راوه خارجا على تلك
الهيئة لم يظنوا انه يريد حربا فلم يخرج معه
احد فلما انفصل عن البلد نزل فلبس لامته
واتبعه الى ابيه في هيئة حربه فسأله عن الناس
فقال انهم تثاقلوا واشار عليه بان يقيم بالقيروان
وحده للناس ويفرق العطايا فيهم اراحة وجر جمعهم
محط لاهل القلعة فانتدب لذلك اول يوم خمسماية
مقاتل فاخذوا عطاءهم وخرجوا وانتدب من الغد
اربعماية فاخذوا عطاءهم والحقوا باصحابهم وكان
من خبر تونس مع اهل القلعة انه لما نازلهم كتب
الى شيخهم يخاطب بسلامة فيستميله ووعده مواعيد
عظيمة ان اطاعه فغالب في جوابه ووعده
ان يحمل اهل البلد وازاح الناس عللهم فحينئذ
اظهروا له العصيان وبادروا القتال ووقعت الحرب
بينهم اياما ثم حمل عسكر تونس على البلد
في بعضها الى ان دفعوا جدرانها ثم وقعت الكرة
من اهل القلعة فقاتلوا على عقابهم وحمية
فاتبع لهم الذبح واستلحموا عن العسكر ما ينيف

على خمسماية قتيل وسار زموقهم الى ان تجاوزوا محلهم فانتقض
لذلك يونس وترجل عن فرسه وحرض الناس فثبت حتى
رجع امراء اهل النجدة وتراجعوا عن محلهم حتى رجعوا
بها وضرب يونس بحبة رصاص فصادفت منكفته فسلم
توثر فيه وكان يوما شديدا وانقلعت المزية بدريد
الى البحر ثم بعث يونس بولايته الامداد من كل
ناحية والح عليها بالقتال ورمى المدافع والبونبة
فلما تراجع اليها مدد القيروان وكثرت النكاية في عسكره
ارتحل عنها مفلولا بعد ان اقام عليها شهرا ورجع الى
الحضرة **شهر** خرج المولى محمد باي من القيروان
الى سوسة فاستنفرها واتخذ السبق لجلب الاقوات
من البلد وجعل يمد منها القيروان ويعرف في العرب
وكان قايد بها علي الجمني فكان غير اقامة بها
واخذ في اسباب التشغيب عليه وكتب الى ابيه
يعلمه بذلك وانه يخشى منه انتقاض البلد عليه وانه
لم يقدر على اخذه لقوة عصبيته فركب من القيروان
الى سوسة واوعز لمولانا اذا دخل سوسة نزلها واتى
اهل سوسة للسلام عليه ان يأخذ علي الجمني حتى
تقع عينه عليه ويخرج به من فوره ويرجع بذلك على
عودة الى القيروان ففعل ذلك ورجع به معتقلا
فلما انفصل به وادي ركب الامير من عشي يومه
ورجع الى القيروان ثم ارسل المولى محمد باي الى
ابيه يستجيشه على اهل الكودة وهم متمسكون
بطاعة علي باشا فيمن تمسك به من اهل الساحل
فامده مولانا ابوه الثاني في جيش من اهل القيروان
والعرب واستتبع المولى محمد باي عسكر المهدية
وغيرهم وخرج من سوسة وحاصروها كلهم فلما اعياهم
امرها اشار مولانا بعمل دبابات محشوة
حطب تسترت بها الفاتلة ونجحوا عليهم فاخذوها
واستدعى المولى محمد باي اموالها وجميع
ما فيها من الامتعة والاقوات والحيوان وارتحل الى
سوسة

سوسة ورجع مولانا نصره الله تعالى الى القيروان فلما بلغ
ذلك علي باشا ارسل الجيوش لضبط الساحل فكان
علي التميمي بالكوجة و حسين آغا بالقلعة الصغيرة
ورتب جندا بالمساكن و جندا بزاوية سوسة وبجمال
القايد محمد بن خضر وضم اليه عمل سوسة وعمل المنستير
ووقعت بينهم وبين جنود المولى محمد باي حروب كثيرة
خرج في اخرها جاب الله ابو بردة الى القلعة الصغيرة
فاسروه واعتقل بها وكان علي باشا شديد الحنق
عليه لانه كان امنه واستخدمه فغدر عند يوم راح سرادق
المولى الامير فلما بلغه خبر اسره واعتقاله بالقلعة
الصغيرة فاسروه واعتقل ارسل جيشا كثيفا
ليفتكه فارسل المولى محمد باي الى ابيه يستصرخه
على القلعة الصغيرة فخرج اليه مولانا ايده الله تعالى
في جيش من العروبية فنزل على سوسة وعسكر بقبالتها
واقبلت المثاليث مددا لاهل القلعة ومن بها
من جيش علي باشا فارسل بعض عيون المولى
محمد باي بالقلعة الصغيرة اليه يخبره ان المثاليث
اقبلوا وتركوا حللهم حوالي جمال خالية من الحامية
فكمن فيهم واركب الخيل لتبييتهم وامر مولانا
ان يدفعوا خلف خيله وكانت عنده كتيبة مختارة
شجاعة ومن وثبة جيادي وقال لمولاه لا تبعد فوتني
فان شئت ان اسير معهم لهت فاعطاهم ولما ادبرت
الخيل عن سوسة علم بمسيرهم جند علي باشا فتعرضوا
لبرحته وصبحوا محلة مولانا التي بقاصرها وكان ايده
الله تعالى فاتيا بالمدينة عند اخيه فلما وقعت الغارة
امر بغلق باب المدينة فامتنع من ذلك اهلها
خوفا من هجوم العدو عليهم فيحنقهم وقال كيف تؤخذ
محلتنا ونحن ننظر افتحوا الباب ففتحوه وخرج فيمن
كان معه وخرج اخوه المولى محمد باي فوقف بجناح العسكر
البلد وتعرض مولانا في وجه العدو وسرابهم
فاستخلص اكثر خيله ليس هنالك وسار بهم

مستغلبا ومعه كثير من البوسنان ورجالة القيروان فاجتهد
العدو بالرمي وتكاثروا عليه فالوا عنه فبادر الى البلد
فادركه العدو يتخطفون الرجال حواليه ودخل خيله
الذين استبدلوا سبيل الماء في غمار العدو ولم يشعروا
بهم ودخل محمد باي البلد ونزل اهل سوسة من اعلى
السور هرابا الى بيوتهم فلما راى مولانا شناعة
تلك الهزيمة سمت همته العالية وتحركت حميته
فبادر في الصحابة بالكرة والوى عنانه نحو العدو
وهم الموب ولم يبلغ عدد من معه من البوسنان العشرة
فلما دهمتهم الحملة انصروا عن شاوهم واجمحوا فلما راى
ذلك من دخل في غمارهم من الصحابة ثابت اليه
نفوسهم وضرب كل واحد منهم من يليه من العدو
فظنت الخازندية منهم ان الترك غدروا بهم وظنت
الترك ان الخازندية غدرت بهم فسقط في ايديهم
جميعا وكانت هزيمتهم فولوا لا يلوون احد على احد
وتبعتهم خيل مولانا تقتل وتاسر وتنهب الى
القنطرة الصغيرة فدخلتها الخازندية وعدل الترك
عنها الى حللهم وهذا اليوم يعد من مواقف مولانا
المشهورة الشاهدة له بكمال الشجاعة وقوة الثبات
ووفور النجدة والفروسية ورجعت خيل المولى
محمد باي التي غزت خلال العرب ولم تلق كيدا
ثم ان حتى جا باشا الذي بالقلعة الصغيرة اخذوا
جاب الله ابا بردة واسرى كانوا معه وانطلقوا
بهم الى تونس فامر علي باشا بجاب الله ان تكسى
يداه ورجلاه ويجري به في ذيل بغل ويطاف به في
اسواق المدينة ففعل به جميع ذلك وبقي ملقى
في باب البحر الى ان مر عليه يونس بعد ايام فامر
بالاجهاز عليه ثم خرج المولى محمد
الى سوسة لحصار القلعة الصغيرة فاقام عليها
يومان او ثلاثة ثم اقلع عنها ورجع الى سوسة
خوفا من خروج العدو في اثره سايا سر محلته
بالرجيل

بالرحيل الى القيروان فوقف حيث رسم اخيه في كتيبة
فلما حصلت الاثقال والمدافع بسوسة المذكورة لحقه
مدفعا علامة على ذلك فسار الى القيروان واقام بها
مع ابيه ثم خرج يونس لجلبة الشتاء من الخنفة
اواسط سنة 1142 فنزل على القيروان وحاصرها محاصرة
الطويلة احدى عشر شهرا يلح عليها بالقتال والمولى
الامير يركب كل يوم لقتاله وجرت فيه حروب
كثيرة ظهرت فيها شجاعة مولانا ابقاه الله تعالى
وبلغ الحصار من اهل القيروان الجهد وفنيت اقواتهم
وقلت امدادهم حتى اكلوا الميتة والدماء وخرج منها
كثير من الضعفاء وبعد سبعة اشهر من امر الحصار
امر المولى الامير ابنه اعزه الله تعالى بالخروج الى الشيخ
ابي عزيز بن نصر يستنجده فتلكأ عليه وقال له
كيف اخلص اليه وهذا العدو قد اخذ بمخنق القيروان
ولئن امكن ان خرجت ان يدركني راديا بالكثير من بيننا
وبينه من الاعراب عدو ولئن امتنع عن نعيمي وابو
عزيز نفسه عدو له مكاشرا في باشا فكيف اطمئن
اليه فابى الا خروجه وقال له سر الى الموت فالان لقد
ستعرفني خبرا فوقت ينكسر بعدنا الى بعثه فخرج من
القيروان ضحى في سابع سنة 1150 في تسعين
فارسا من اتباعه وخرج ابوه لتوديعه فبكى عند
فراقه ودعا له بخير دعاء كثير اركان اخر عهده به
فسار وخشي من الحاق العدو له خشية شديدة
لانه خرج وهم ينظرون اليه فلم يلحقه احد بقية يومه
فقدر ان يخرجوا مع الليل فسار ليلته كلها على وجل وحذر
شديد فبات الى تومه من اخر الليل فاستراح بها
قليلا وركب وجرت له امور مع الهمامة النازلين
في طريقه الى ان خرج الى اولاد مسعود وغيرهم منهم
فاجتمعوا عليه وانضم اليه غيرهم من الاعراب حتى حصل
له زهاء الف فارس فنزل بهم في نواحي قفصة
فجمع رحيب بن يوسف الحسيني قائد الهمامة من بقي

معه منعهم واستجاش اهل قفصة وعسكر الترك الذي بقفصة فتبعها
وزحف الى القاية فلما بلغ خبره الى مولانا ارسل الى
رؤوس من معه وكاتبهم ووعدهم فتفرقوا عنه وتخاذلت
بذلك سائر الهمامة فلما احس بذلك رحل هاربا ودخل
اهل نفطة والترك وكتب مولانا الى الشيخ ابي عزيز
يسأله الكون عنده والقيام بنصرته فامتنع رهوبا عليه
باشا وانه لا يحسن به الغدر ووعده وقارب في كلامه
فاقام بمكانه من شمالي قفصة بشعبين ورسله مترددة
اليه الى ان كان من قدر الله تعالى ان جاء باشا فكان لما
كان حصاره للقيروان ولم يقدر منها على شيء ارسل
في الخطاب المتقدم الذكر الى عيسى حسين صاحب
قسنطينة وقد مات حسين كليان وتولاها بعده
بعده يسأله الوصول الى القيروان ليعينه على اخذها
وضمن له على ذلك مائة الف ريال فامتنع عيسى حسين
الى ان يصل اليه المال معجلا ثم تراخوا ووقع الاتفاق
على ان يخرج بمحلته فاذا بلغ تبسة اخذ خمسة وعشرين
الفا فاذا بلغ الكاف اخذ خمسة وعشرين الفا
اخرى فاذا بلغ القيروان اخذ الخمسين الف الباقية
فتجهز عيسى حسين وخرج من قسنطينة فلما بلغ
ذلك ابا عزيز خاف على نفسه لانه خرج في غير
وقت خروجه المعتاد ولم يعلم السبب في ذلك
فظن انه المقصود فارسل اليه يقول ما سبب هذا
الخروج وقد انقضيت اموالك وليس لك قبلنا شيء
فوري في جوابه واعلمه انه يريد مقصدا غيره فارتاب
ولم يطمئن اليه وتنحى عن طريقه واقبل الى نواحي
الجريد وارسل الى مولانا اعزه الله تعالى يستقدمه
فارتحل اليه وركب ابو عزيز في وجوه الحنانشة
الى لقائه واظهر السرور في مقدمه ولما استقر
عنده كاتبه باموال زعم انه ضمنها له فقال له
واي مال ضمنته لك فاستظهر بكتاب بخط حسين
مقتضب فيه ضمان مائة الف ريال ومائتي

فرس

برسي يسر وجهها وزكا فعلها فذكر مولانا ذلك وقال هذا
خطه محرز بن منديل وليس هو كاتبه وانما الكاتب مختوم
بكاغد فقال له اما ان توكلني هذا المال واما ان اختم
معه فاشار اليه بالخروج والتزم فاعطاه المال ودفع
له نحو من اثني عشر الف ريال وامر ان يرسل الى القيروان
رجالا من خاصته فوضع فيها نوبة بقية المال فجعل رسلا
فيهم اربعة من اكابر الجند نفسه وارسلهم وكتب مولانا الى
الباي يطلب منه ان لا يسرح الرسل وان يمسكهم تحت
يده رهنا فيما هو من مكره ويفعل ثم ان عتبي حتى
بلغ تبعا شارفة الحنشة والعشرين الما ورجع فاغار
بعده بوعزيز على ماجر وغيرهم من قبائل وتبعه وهم
بطرما جنة وهزموه هزيمة شنيعة واخذوا رواحله وبيوته
وجعل في ذلك اليوم هو وابن ابنه عثمان بن كمراد
وابليا بلاء حسنا ثم عاد ونزل بريانه وقد ارتحل يونس
عن القيروان لما ايس من مدد صاحب قسنطينة وقد رآه
فكاتبه منها فلما علم بذهبه منها اجفل امامه الى الصحرا
وارتحل من اول الليل وكان مولانا قد اصابه مرض هو
منه سقيم بركبه مادة من الصفر وما سها في براره ايلاما
شديدا ولما اصبحوا بعدوا الشيخ ابو عزيز وكان قد
ذهل عن الطريق وسلك ناحية غير ناحية الناجعة
وظنوا ان يونس قد ذهب وانه لا يرجع في مراجعه
الا ان مولانا فبرسلوا وركبوا به من يحرسه فعلم انه ما حذر
ففوض امره الى الله تعالى وجزع صاحبه الحاج علي بن عبد
العزيز جزعا شديدا وجعل ايده الله تعالى يسكته
ويامره بالجلد والصبر ثم اعلى الحاج علي القعادة فاقا
وهو شديد الفرح وكان لا يخرج اليها وقال يا مولاي البشرى
رايت رجلا صالحا في النوم يقول ها هو ذا الشيخ
ابو عزيز قد طلع عليكم هذه الساعة فسالته عنه من
هو فاخبرني انه الشيخ السيد علي الشريف العواني
وكان مولانا كثير الزيارة لقبره ايام اقامته بالقيروان
خصوصا ايام حربه فكان لا يخرج اليها حتى يقدم زيارته

فلم يصبه مكروه ولم يفقد احد من فرسان كتيبته المختصة به
الا يوما واحدا ترك زيارته قبل خروجه فمات فيه ابن
الضياف بن الغزالي احد الفرسان المشهورين ولم يزل
الى الآن مكرما لزيارته محسنا اليهم قاضيا لحوائجهم بما استطاع
الحاج في كلامه حتى اقبلت البشائر بقدوم الشيخ
ابي عزيز مع قبائل المنابهة فرحا وفرج الله ذلك الكرب وكان
وصوله عشيا فأمر بالرحيل لوقته فساروا الليلة
الى الصبح ونزلوا على فم البير وظنوا ان يونس لا
يلحقهم فلم يشعر ضحى الغداة ومضاربه منصوبة
قرب الحي منهم فارتاعوا وتحملوا من وقتهم ولم يكن
لمولانا قدرة على الركوب فحملوه الكتائب في محمل وحملوه
على بعير وباتوا ليلتهم كلها يسوقون في سوقا حثيثا
وفي الغد عيي البعير الماشي فدابا سرهم ان ينزلوا في
ليستريح قليلا فأبوا فجعل يسبهم تارة ويرمي بعضهم
اخرى لعلهم ينزلون في لشدة ما لقي فلم يفعلوا
وجعلوا ينخسون البعير برماحهم ليجد في سيره
فاصبحوا وقد تقدموا الى ناحية بفراسخ ولحق ابي
عزيز في قومه بمنزل غيمرات واكمام ولم يقدر يونس
ان يدركهم لذلك فلم يشعر واصبح ثلاثة وقد
اغار عليهم بعد مصمهم امر عظيم فركبوا خيلهم والحقوا
ابلهم من عقالها واستاقوها وتركوا بيوتهم بما فيها
واحملوا واتى الى مولانا ايده الله تعالى بفرسه
ليركبه فنفرت فلم تمسك الا بعد حين فركب واحدقت
به كتيبته وسار بعدما اكثر مقاتلة وقد ادركتهم
خيل العدو فجعلت تجد عنهم يمينا وشمالا لما
ترى من الباس والشدة على الكتيبة فلما راوا احجموا
الخيل عنهم كمحوا فيهم قنا وشبوهم القتال وانتزعوا
من ايديهم كثيرا من ابل الحلة نشبة وساروا
كلهم يومهم كله وكثيرا من الليل حتى انتهوا الى
عسلوج احد ثنيات الصحراء فنزلوا به وخافوا من
ادراك الطلب فارتحلوا وذلك في مهامة القفار

فساروا فيه

فساروا في يوم شديد الحر نهاره كله وباتوا على غير ماء
ونالهم من العطش امر شديد الى ان برد الليل خفف عنهم
بعض الشيء وارسل موعزيز الى مولانا بقدح من لبن
الابل وقدح من الماء فشرب اللبن بالماء وشرب منه رمقه
واشترى الى اصحابه في تلك الليلة قليلا من الماء
بدنانير كثيرة ولما كان الصبح ارتحلوا وطلعت الشمس
كالهاجرة فساروا الى ارتفاع الضحى وكان لهم خبير يهديهم
الطريق فاقبل الى مولانا فاسر اليه انه حار وضل
الطريق فلا يهتدي الى موضع الماء ولا يعلم اين يتوجه
وطلب منه ان يكتم عليه خوفا ان يقتل وسمع بعض
اصحابه فخرجوا وبكوا ونزل بهم امر لم يكن في حسابهم
فبينما هم على هذا الحال اذ نظر مولانا ببصره التلة
تعلو مرءاة على البعد فخالت بروحها السراب فاخبر
الخبير بذلك فقال ان تثبت رؤيتك فذلك الماء
فساروا غير بعيد فتحققوا الشيء فاذا هو نخيل
فنادوا بالناس بالبشرى وجروا المطيي وقد هلك
كثير من الاثاثي والدواب والابل عطشا ونالهم
من الجهد ما لا مزيد عليه حتى انتهوا الى الماء
وكان قليبا كثيرة فجعل الفارس يدلي نفسه من اعلا
سرجه في القليب فورد واعمه اخرهم وثابت اليهم
انفسهم ونزلوا على سوف فاقاموا عليها اياما
ثم ارتحلوا الى خليبي الزاب فاقاموا على لبانة
تسعة يوم حتى استجموا الظهر والكراع وارتحلوا
فكلم مولانا ابا عزيز في غزو الجريد فاجابه
الى ذلك ودخلوا في ذلك فجمع بين العبيد السبي
الشابي مواجاهم في الهمامشة والعزابين واجتمع
الى مولانا من كان معه من الهمامة وبني رياح فنزلوا
كلهم على نفطة وحاصروها اياما فلم يحصلوا منها
على طائل فارتحلوا عنها الى توزر فحاصروها ايضا
اياما ثم بدا لابي عزيز في الرحيل وقد اتى
اهل الحامة واهل دفيوس الى مولانا فكانا عنهم

فكلمه في اقامة يوم واحد ليتمم له ما اراده منهم فقال له
ان شاء الله في الغد فكلمه واعطاه خاتمين رفيعين وحزاما
ذهب مرصع بالجواهر ودراهم كثيرة ليقيم له فاجابه
واخذ ما ساقه فبيته يومه فارتحل ابو عزيز من حينه ولم يدفعوا
اشياء ودخلوا الزاب ثانية فلقيهم الحاج بن جلاب صاحب
تقرت فاخرجه عنها ابن عمه اسمه عمر طريدا وملكها
دونه وصح الحاج مولانا وكرودوا السلطان وكلهم من عرب
الزاب وبنو اجلاب هؤلاء رؤساء تقرت
وامراؤها منذ القديم وهم من البغاية مدينة مرين وحكمهم
نافذ في بلد ريغ كلها الا تماسين فان صاحبها مستقل
بها وهو من قبيلتهم فكلم الحاج جلاب ابا عزيز ان يمضي
معه الى تقرت ويعينه على اخذها واخراج ابن عمه
عنها وضمن له خمسين الف ريال ومائتي ناقة
واربعماية كساء وستماية حمل من التمر فاجابه الى
ذلك وساروا اجمعين حتى نزلوا عليها وكان
مع صاحب تقرت فرحات بن رجراجة شيخ بني علي
وهو خاله فارسل الى ابي عزيز وكان يعرفها صغيرا
يضمن له ما ضمنه الحاج بن جلاب على ان يأخذ اولاد مولات
ويقطع عنهم فاجابه ابو عزيز لذلك وارسل ايضا
الى مولانا يخبره ان صاحب الجزائر ابراهيم باشا
كتب له كتابا في شانه وان يسعى في ايصاله اليه
بالجزائر لينصره على عدوه ووعده ان يبعث اليه
بالكتاب ليطلع عليه وطلب منه ان يعين ابا عزيز
على اخذ اولاد مولات بمن معه من حريد والهمامة
فاجابه ايضا وطمع في الوصول الى صاحب الجزائر
ونصرته على يده واتفقوا جميعا ان يجتمعوا بكاهن
تقرت للمفاوضة في الرأي وابرام العقد فركب
ابو عزيز في فرسان من وجوه قومه وركب
معه مولانا واظهروا انهم خارجون للصيد
وسلكوا ناحية تقرت حتى البعد واشيم عن لسوا
اليهما وخرج اليهم فرحات فاحكم امره

مع

معهم ورجع كل الى موضعه وعزم ابو عزيز على تصبيح
مولانا فاتفق ان ركب فارسان منهم لابي زيد ونحيه
فعثروا على اثر خيل ابي عزيز فقصدوا موضع اجتماعهم
بفرحات فوجدوا اثر خيل اقبلت من تقرت فاخلفت
لهم ورجع سولاه فوصلوا الى موضعهم وقصوا عليهم الخبر
فعلموا ان فرحات قد اخل ابا عزيز في اخذهم فجعلوا
من يليهم ولم تصبح الا نويعهم واثاثهم وارتحل معهم
احمد بن جلاب في رفقته من كان معه فبعث ابو عزيز
الى فرحات يطلب منه ما ضمن له وقال له هذا
عدوكم تذبذب عنكم فوفوا بما شرطتم واجابه
بانه انما شرطه لمثل ذلك على اخذ اولاد مولات وحيث
ذهبوا فاجابه فليس له عندهم شيء فلم يزل ابو عزيز
يتحكك معه الى ان قنع منه بان ياذن لقومه في دخول
البلد للتسوق وشراء الميرة فاباه امراتهم زوجت
فلم ياذن له في ذلك حتى اعطاه رجلين من اشراف
قومه رهينة تحت يده فدخلوا البلد وقضوا حوائجهم
ثم اتفق ابو عزيز مع فرحات للاجتماع فاجتمعا
وحلف معهما مولانا ايده الله تعالى وطلب من فرحات
ان يدفع له كتاب ابراهيم باشا فتعلل ثم اخرجه
اليه فاذا فحمله انه قد بلغنا دخول فلان للزاب
فاعمل على قتله او القبض عليه فان فعلت فلك عندنا
ما تحب وان لم يمكنك فاطرده الى الزاب فلما اطلع
عليه ساءه ذلك واخذه بالكتاب ثم ارتحل
ابو عزيز عن تقرت وارتحلت تلك الجموع وكان
اولاد مولات قد قعدوا لهم على فم الطريق
يترصدونهم فاول من اجتاز بهم القهامز فاخذوهم
ثم اجتازت بهم حريد فاخذوهم ثم العزابيين
فنالوا منهم وكل من اخذوه بالشيء فقدما ولا علم
لمن وراءهم بما جرى عليهم ثم اقبل محمد بن الميد السي
الشايبي فاغاروا عليه وابو عزيز على اثره فلما
راى غبارا تبعهم ركب عن كره نفسه فقال مولانا لا كتابة

ان هذه البلد التي نحن فيها بلد الشاوي ونحن محتاجون اليه
فهلم ندبره لنتخذ عندهم يدا فاغار عليهم وزد معهم عشي
واستنفد منهم خمسين بعيرا بعضها له وبعضها لابنه
ابي عزيز ورجع على اثره يتبع اثر الحنانشة
فلم يرعه الا بعث اثقالهم وانهم مواشيهم على الطريق
فاستدل بذلك على اجفالهم وخشي ان يكون فقد
ادركهم امرهم واتبعهم فسار على حذر فادرك سديرة
بن ابي عزيز من اخر الليل فاخبره ان اجفالهم انما هي
خشية من ادراك اولاد مولات ثم رجع ابو عزيز
الى ناحية الغرب فلما استقرت به الدار اغار حميدة
الشاوي على وارد فلما جاءه الصريخ ارتحل واجفل
لوقته وجاء بعض الحنانشة الى مولانا اعزه الله
تعالى فاعلم الله ان ابا عزيز طارده وقال له ان في
فرارك للطاعة لله تعالى قبل ان يغدر بك بعض
عزاته فلما سمع هذا الكلام ذكر فيه خبره فلم يجد
الا الفرار فعوض في ذلك بعض رؤسائهم فقالوا
له ان جاءك محمد بن الميداني منعناك والا فليس لنا
منعة في ذلك فقال لهم اني اتيتكم ولا بد
فاصنعوا اما انتم صادقون فقالوا ان اتيتنا فانزل
جانبنا ولا تدخل وسطنا فان ابن الميداني
اذا ادركك فحينئذ تدخل وسطنا ونمنعك
من كل احد فابرم معهم الامر على هذا وبعد ذلك
ارسل ابو عزيز يستمد عنه فلما جاءه قال له
انت اتيتنا ونحن اردنا عدة وعديدا ونيل
من القوة والمنعة ما لا يمكن وراءه فلم يزل
امرنا يضعف وعددنا يقل وخيلنا تفنى واموالنا
تذهب فليس معي الان الا دون مائتي فارس
ليس فيهم من يعتمد عليه الا دون الاربعين فقد
انهكتهم الشدائد والحروب كل ذلك لاجلك
وبسببك فارحل عنا الى ابيك فلا مصلحة لك
في مكثك عندنا فبارحه وارحل فنزل على الجزائري

ورجى ان يرسل اليه بن الميداني ولم يخبره فلم يفعل
فركب اليه سيدي بن ابو عزيز وكان مولانا يحب اخاه
عثمان بالمحبة وطيش اليه اكثر منه فقال له هذا راي الاحداث
قد بلغ فيا هذا المبلغ يعني اخاه عثمان وقضب له وقال نعم
الراي رايك ان سياقي فراقكم واي خير فيكم وقد
اتيتكم فرحا فيه وما فيه فاخذتم المال واخذتم الرجال
فرجع الى ابيه مغضبا فدفع مقالته مولانا وزاد فيها
فغضب وارسل الى الحنانشة وجعل لهم مالا على
ان ياتوه به فطمعوا في المال وارسلوا الى الجزائرة
في القبض عليه لابي عزيز على مال ياخذونه لهم منه
فقالوا لهم والله لا تصلون اليه ابدا الا انتم والا ابو عزيز
فان استصحبنا ان تمنعه منكم وتمنع اموالنا والا منعناه
وتركنا الاموال لهم فراح لم يرجعوا خايبين وارسلوا
الى ابي عزيز بهذه المقالة فعلم انه لا يقدر عليهم
وكره حربهم فارتحل الى بلده من البلد ارتحل الجزائرة
فمولانا ايده الله تعالى فنزلوا بسندس قريبا من تامغزة
فاقاموا به في خصب ودعة ثم بعد ايام اتاهم
الذين بان بتونس في نواحي نفزاوة وقدار غرمي
جيدة الشابي وشنوفا الصوفي يخبرونهم انهما
قد خرجا اليهم في اولاد صولة وان يونس مقدمهم
بين يديه ومصحهم اليهم على امرهم فارتحلوا ليلتهم
وكان معهم سلطان بن الميداني الشابي فالتجا الى
القلعة ليقتحم بها وتبعهم طايفة من الجزائرة
ولم يبق مع مولانا منهم الا ارفحون فارسا فساروا
به واصبحوا وراء توزر فنزلوا واجتمعوا للمشورى
والمجاوزة فقالوا له قد منعناك في ساعة
الضيق والشدة واما الان فانك في سعة من
امرك فاذكر مكانا نحملك به فلا قدرة لنا على جوارك
فبكر فاذا هو مطلوب لصاحب تونس ولصاحب
الجزاير وكل واحد من الشابي وشنوف وابو
عزيز يطلبه وضاق له الامر فاستشار اصحابه

فقال بعضهم لو ذهبنا الى سوف فبعنا فيها خيلنا واشترينا
رواحل المهاري فركبناها الى غدامس وانتقلنا منها
الى طرابلس ثم ركبنا البحر الى سوسة فان اخانا فيها في
عز ومنعة وقال بعضهم لو ذهبنا الى فم عقبة فانتظرنا
فيها الركب الفاسي وذهبنا معه الى المغرب الاقصى
فلم يعجبهم شيء من ذلك فقال ذيب بن خلف لو ذهبنا
الى الشيخ محمد بن الذيب شيخ الحنانشة فاجارنا وكل
بلد اردنا فيها بعد ذلك سرنا اليها في جواره فقال مولانا
هذا هو الراي وكتب من الجزائر ان يفتشوا معي
فارسين يقصدانه الطريق وفارقهم وسار يريد
الفيف وقد بلغه× الخبر بان الشيخ محمد بن الذيب
نازل به ومعه الميرة فلما شرف كان ابله واثقاله
منه اخرة عنه فقال له بعض اصحابه لو ارسلت الى
الابل من يستحثها لتلحق بنا فانا لا ندري ما من تلقى
امامنا وذلك مغيب الشمس فارسل فارسا
للابل فلما اظلم عليه الليل ضل ولم يهتد الى
صوبها فجعل عنان فرسه في قربوس سرجه
وتركها فلم تزل سايرة به حتى انتهت الى بيت
الذيب ثم قدم فارسين ليتطلعا الى امر الفيف ومن
هو نازل به فابطا عليه فارتاب وظن ان الشان في
هنالك وانه قبض عليهما فعدل عن الطريق
راجعا فسار بعض الليل فراى ارضا انكرها
فقال لاصحابه قد اخطانا الطريق وهذه ارض ما
وطيناها قط فوقفوا حايرين لا يدرون اين يتوجهوا
فبينما هم كذلك اذ ركب اصحاب الابل قد تبعوهم
يقفون اثرهم فاعلمهم انه على غير طريق فلما رجعوا
اشرفوا على الفيف راوا نيرانا كثيرة فتوقفوا
وقالوا لا تكون هذه نيران المحلة فهي احق من
ذلك فامر اصحابه ان يمضي احدهم ويتبع خبر القوم
فامتنعوا كلهم فقال نعم قفوا مكانكم واذهب انا
بنفسي فاتيكم بخبر القوم فلما سار لحقوه
وقالوا له

× ان

وقالوا له كيف تمشي انت ونبقى نحن فساروا جميعا حتى بلغوا
البيوت فاخذهم القبيلة نزلوا منهم فيه جمعت فرانهم كثيرة
في راي العين فسالوا عن بيت الكبير فلما اتوها لم يجده
فيها ووجدوا احد اتباعه فجاءه فيبيتهم الفرح وقالوا له
تعجل فان السحر قريب وهذا الشايب نازل فاكاه كذا
ونشوف فكذا كذا الحكاية سمو فعاله على مراسخ
منهم ونخشى عليك منهما ان صحت فارحل قبل
ان يبلغهما خبرك فلما سمع منهم هذا الكلام هو واصحابه
تحيروا ووقعوا في امر عظيم وتفاقموا في وجه كلامهم
فسالوا اهل في ذلك المكان احد من اولاد حوده
فقال نديكم هذا ابراهيم بن حميدة الحوبي ماهنا
فبعثوا اليه فاقبل يمسح عينيه من النوم وفي كساءه
فسلم مردوا عليه وسال عن القضية فاخبروه فقال
لعن الله الشايب ولشوفها والله لا يصل اليه احد فاختفي
من قومي غير تطرب ثم لعينا وجعا بابن اخته غلام
صغير فقال له العبد فقال له اركب الان الى ابي
عزيز احد بني عمه من اولاد حوده وكانت منزلته
قريبة منه فقل له يرحل لي معه من قومه وينزل
علينا فلا تطلع الفجر واقبل ابو عزيز مع
الصبح فنزل عليهم ولما قوائم بلغ خبره الى الحنفية
فنزل اليه الشيخ محمد بن الطيب وابناه الطيب
واحمد بن ناصر واظهروا السرور فاقدموا واقاموا
ايام فالعيش ثم بلغهم ان يونس بالحديد فتحرموا
منه وعزموا على النقلة الى الحنفية فرحلوا وركب
معهم ابراهيم بن حميدة في قومه وخافوا ان يتعرض
لهم الشايب وحملوا على القتال وقال ابراهيم
لاهل الحنفية لا يقاتل احدا منكم ودعوني واياهم
فانكم ان قاتلتموهم اجلبوا عليكم وقاتلوكم في عقر
دياركم وكذلك قال لمولانا واصحابه لا يقاتل احد
منكم لئلا يجلب على اهل الحنفية بسببكم
وسلوا فبلغوا البلد سالمين ولم يعرض لهم احد

ولا الفواكه ما يشتهى بها مولانا المأمون العرس واجمع البال
مثل تلك الاهوال التي لاقاها فلما كان لمضي خمسة اشهر
من ولايته بها ضاقت نفسه وعيل صبره من المقام
وبعد شهر ورد عليه محمد بن ابي الضياف واحمد عبود
كاتب حسين باي يستحثانه على المسير اليه وورد عليه
ايضا قبلهما بيوم في الكتاب رسول من حسين باي
في هذا المعنى ايضا وكان السبب في ذلك للصداقة
التي بينه وبين علي باشا وبعد عليه كاتبه احمد عبود وكان
منه بالمكانة المكينة والمرتبة العليا وهو صاحب النقض
والابرام في دولته فلما دخل عليه اظهر التشاغل عنه
بقراءة كتاب ورد عليه من بعض النواحي وتركه برهة
واقفا فلم يلتفت اليه ولا اذن له في الوصول اليه ليقبل
يده فغدا منه على رؤوس الملا واظهارا للترفع
عن مرتبته فانكسر بذلك احمد عبود وقال له في نفسه
والله لاوقفتك موقفا صعبا تحار فيها كما
اوقفتني هذا الموقف فلما رجع الى صاحبه القى في
اذنه اشياء نسبها اليه واغراه حتى عليه فتنكر
له وتغير ذلك الى علي باشا فانقبض عنه وقال له الحاج
عبود لا انتهى ولم غرض تتبع عورات علي باشا
واحياء الامور الموجبة للوحشة بينه وبين صاحبه
يستعيضها اليه الى ان اظلم الجو بينهما وانضم الى ذلك
ان علي الكاتب وصل اليه نازعا عن علي باشا وذلك
انه لما عاد اليه من سفارته التي اخفق فيها مسعاه
لما خرج الى حسين باي يستنجده على القيروان فرجع
من تيفاش بعد قبض الحال كما قدمنا اتهمه بالخيانة
فتنكر له وهم بقتله فخلصه منه ابنه يونس
وقال له لو قتلته بهذا السبب اثارت الفتنة
مع حسين باي وعلم بذلك علي الكاتب فتحيل حتى
خلص الى حسين باي فقربه واختصه فاخذ في
التضريب والسعي في فساد ما بينهما والقى
اليه حسين باي اخاه واعيته وجعل يتخلص الى ابراهيم باشا
بالجزائر

بالجزائر فرمى بنفسه على علي باشا فأجاره لما جرى عليه ووافق ذلك
ان علي بن مقيس كان في ذلك الوقت جاوشيا بديوان
الجزائر فأرسله ابراهيم باشا سفيرا عنه الى علي باشا فنزل
على ابنه يونس وهو بمحلته خارج الحضرة فبدرت منه بادرة
الى بعض خدمه بضربه ضربة بعود كان فيه تلافه
فلما سمع ذلك يونس استدعاه وشتمه شتما فاحشا
وعنفه ولطم وجهه وردّه فخرج ثم ندم على ترك
القصاص منه فجاء الى مرسله فشكى اليه ما لقيه من الهوان
وسعى في افساد ما بينه وبين علي باشا وابنه حتى ملأ
صدره غيظا فاستنهضها لحد عبود وحرض حسين باي
على اسنيخ ان ابراهيم باشا في استدعاء مولانا من الحنفية
والاجلاب به على علي باشا والتشغيب عليه بذلك
فأخذ من حماده في نفسه فأرسل حينئذ الشيخ
عبيد الى محمد بن ابي الضياف صاحب اوراس وشيخ
العرب وكان بينهما صهر فان ابنة عم محمد بن ابي الضياف
واخته زوجة كاشف تحت حسين باي وامره ان يتكلف
معه الى مولانا بمكانه من الحنفية فيرغب به ويعده
ما يجب من النصر على عدوه ويضمن له ذلك عليه
الى ان يأتيه به مكرما وسرح اليه في الكتاب فوصل
فدلهما فيومئذ فلما كلموه في ذلك شاور ذوي الرأي
من اصحابه فكلهم اشاروا عليه بان لا يجيبوه ولا يتكلف
اليه فكان الكاتب الذي صحبه اليه وجاء به رجراجم
ببلد ربغ وقد حواله ان اباك حسين باي فلا تأمنه
ابراهيم باشا وذكروه موقفها لعلي باشا والتجاءهما
عن جانبه والده واخراجهما عنه فلطفهم الجبل
وعرّج على المضي اليه وقال ثم كلام لا نعرفه غير غائب
عن علمي ولكن المطلب الذي انا طالبه مما لحاحر
فيه بالنفوس وقد لا فتنكم الحالة التي عليها من
شدة الحصار وضيق المذاهب والاخذ بالمخنق وقد
قتلني لا رفقة من ذمة بابنا مستنجدا وداخل نفسي
في خلاصه وقدرته وكنت من جنبه الى ابيه بعلمي

فلما كان من حسين باي واخبره انه تكلف اليه وبعث اليه
بكتاب ابراهيم باشا الذي دفعه اليه فرحات بن رجراجة
وفيه ذكر قتله والقبض عليه واخبره انه انما بعث به اليه
ليعلم نية القوم فيه وما اضمروا له من المكر ومع ذلك
فلما لاحت له لمحة ذمم من قبلهم خاطر بنفسه وانطلق
اليهم كذلك انما فعله كالمطرضا ثم التي لا وقع لها
عنده شيء فلما وصل الكتاب الى الموصى الامير واطلع
على حقيقة الامر جزع وتخوف ان يفوته وارسل الرسول
اليه مسرعا لعله ان يدركه قبل خروجه فيصده عن
مقصده فلما وصل الرسول الى الحنفية وجده قد
سار عنها ووصل الى حسين باي وكان بعد ان انفصلت
عليه الرسل اتاه الشيخ ابو عزيز بن ناصر بسبب
عن مجيئه لكان الكتاب المذكور فاضطرب لذلك
حسين باي وندم على ارساله اليه خوفا ان لا يجيبه
فلما اتاه الخبر بقدومه سر سرورا شديدا وكان
نازلا بحلته خارج قسنطينة فركب اليه وتلقاه على اميال
منها فلما راه ترجل مولانا وشكره على وثوقه به
واطمئنانه اليه واكرمه غاية الاكرام فاقام عنده عشرين
ليلة واشار عليه ان يبعث رسلا من عنده الى اهله
بالقيروان فيكونوا عنده حتى يصل اليه بحلته عندهم ليعينهم
على ارتفاع علاقته واعلمه ان في ذلك تقوية الامير فيه
وكف العادية عنه وانما اراد ان يغمس يده
في الفتنة وتستحكم العداوة بينه وبين علي باشا
فارسل علي الحكاك في نفيس من رسله مع جنده
ماية عرب وتركا فوردوا القيروان على الموصى
الامير فسر بهم ووفيت نفوس العلماء بذلك
فاقاموا عنده مدة ثم سرحهم الى ابنه المولى محمد
باي بسوسة فاقاموا عنده نصف السنة الى
ان خرج الى المغرب فخرجوا معه كما نذكره ثم
ان حسين باي عاد الى قسنطينة وخلف خليفته
مع مولانا ايده الله وقد اجتمعت عليه فرقته
واولاد عيسى

وأولاد عيسى وغيرهم من عرب قسنطينة مع من انضم اليهم
من عرب افريقية فمشوا الغارة على اعراب افريقية
ونزلوا على مشتى واقاموا عليه نحو ثلاثة اشهر مضيقين
على افريقية ثم رجع الخليفة الى قسنطينة ورحل مولانا
اعزه الله تعالى فنزل التل مع الحنانشة فارسل اليه
المولى الامير وهو بكاف من التل يخبره انه عازم
على الخروج من القيروان الى الغرب فطلب الانجاد من
الجزائريين في اخراج المحلة لتدركه وامره ان يسير
اليه ليمنعه من تعرض العدو له في مساره اليه فيما عنده
من الخيل وسار معه سيدي بن ابو عزيز ومحمد بن سلطان
ابن عمار في قومهما من الحنانشة فلما بلغوا ثبرو الفحم
فارسل ان وجه فيها المولى الامير اليه يعلمه انه يامره
بالرجوع من حيث اقبل ويعلمه انه رجع عن رايه في
الخروج الى المغرب وذلك ان ابنه المولى محمد باي نفر عنده
انه ان خرج بنفسه يخشى من انتقاض البلاد التي
في طاعته بعد فالراي ان يقيم بافريقية ويخرج هو
الى المغرب مكانه فاستقر الراي على هذا فلما كان
في اوايل شهر ربيع الاول سنة 1152 خرج المولى
محمد باي من سوسة في محلة فيها خمسماية فارس
وعدد كثير من الرجالة فاتى القيروان واقام بها
يومين عند ابيه ثم ودعه وارتحل فلما بلغ تبسة
اقام بها وكان فيها باشا جند كثيف فالكاف يخشى
ان يتحرك له فارسل الى مولانا اعزه الله تعالى ان
يقدم اليه في خيله فركب بريده فلما علم المولى محمد
باي انه حال بينه وبين العدو ان قصده اسرع بالرحيل
عن تبسة وسار مغربا فلما بلغ مولانا ايده الله تعالى
وادي مسكيانة وجد المحلة متقدمة من اثر خيل
كثيرة خالفتها فخشي انها خيل اخيه وانه رحل عن
تبسة فرجع من الوادي بعض اثره الى ان بلغ
موضع مبيتهم فوجد اثرا جديدا خفيفا فسار يقفيه
فلقيه فلما رآهم من اقصد نزولا على عين البوش

فاجتمع فاخيه بعد كون الافتراق ولم يقع معه غير يوم واحد
وطلب اليه اخوه ان يضم اليه الخيل التي بمحلته لانه لا يقوم
بلقو ثتهم في قسنطينة فضمهم اليه ورجع الى البلد وقصد المولى
محمد باي قسنطينة فاخرج حسن باي الخيل لتلقيته
ولما دخل اليه عظمه واكرمه ووعده بكل جميل ثم لم تطل اقامته
عنده حتى فسد ما بينهما وذلك ان الحاج عبود الذي كان
قايدا في امرا بقسنطينة قبل ذلك وكان في الكتاب وبسلامة
التجيبي احد خدام المولى الامير وتصرف له في الضياف
والرزقي قد فسدت نيتهما مع المولى محمد باي واختلطوا
بحسن باي يوسوسون له حتى افسدوا قلبه فتنكر
له ثم جهز محلته بها ثمانين خباء قصد الدخول
الى افريقية لنصرتهم وقد اظهر خلاف ذلك واجتمعت عليه
الاعراب وارسل الى ابو عزيز فوافاه في [illegible] جمعته
وقدم عليه مولانا ايده الله [illegible] في [illegible] جمعته فخلا
به حسن باي وشكا اليه ما نقمه على اخيه واراده على
الوقوع فيه فلم يوافقه فلما لم يجد عنده ما احب اعرض
عنه ايضا ثم ان ابا عزيز استدرك فلما حصل في بيته
عاتبه على تنكره لهما واعراضه عنهما وقال له انهما
اليوم اشد حرمة واعز منك عند صاحب الجزاير
فغضب لذلك غضبا شديدا واسرها في نفسه
ثم جاز كلام بين ابي عزيز وبين شعبان بن عبد العزيز
شيخ بني داود فشتمه ابو عزيز شتما قبيحا
بحضرة حسن باي فاستشاط لذلك غضبه اذ لم يوقر
مجلسه بسبب ابي عزيز وشتمه وركب من وقته
الى محلته واخذ معه ابراهيم ابو عزيز فاعتقله
فارتحل ابو عزيز مغاضبا وارتحل نازعا الى علي
باشا امير المولى محمد باي ان ذلك ان تم فسد
عليهم امرهم فارسل الى مولانا يامره بالركوب
اليه واستصحابه فركب اليه في اثني عشر فارسا
من اصحابه فجد ركبه على مرحلة من محلة نزولهم
فلما حصل عنده هم به وامر بتجديد خيلته

ولقي عامة

وهي علامة الاعتقال فرأى فيه رأيه فاشتد خوف مولانا
واصحابه منه ولم يشكر له انه قد بعث عليهم جماعتهم الى
في باشا ليعتذروا بها عنده واكثر ذلك عنده انه
اكثر الوقوع في حسن باي وذكر فكل فيه وطلب
بالايمان مغلظة لينتهي الى في باشا فيعوقه اعني
الخيل فيصدق على حسن باي بلده وليسلكها
الى البيبان فتحيل مولانا في خلاصه وخلاص اصحابه
منه بتدبير لا يدرك الا بعون امره الله تعالى بنفسه قد نسيه
سنذكره ان شاء الله تعالى في موضع اليق به من هذا
الموضع ورجع الى ناجعته فاقام بها وفسد امر تلك
المحلة وارتحل حسن باي راجعا يسرح بعض
المحلة الى قسنطينة وسار ببقيتها لاستيفاء جباية
بلاد المولى محمد باي لا يزيد الا تخابا عنه واخرابا
استاذنه في المسير الى الجزائر فلم ياذن له فترك
وكتب الى ابراهيم باشا يستاذنه في القدوم
فاذن له وكتب الى حسن باي يامره بارساله اليه
فخرج الى الجزائر واقبل عليه ابراهيم باشا فاقام عنده
معظما مكرما واقام مولانا في ناجعته فكان فيه
من التعب وخرج ابو عزيز في ناجعته تلك الى علي
باشا وابنه فكان فيها مع عز كما سيأتي ان شاء
الله تعالى ثم ان المولى محمد باي كلم ابراهيم باشا
في اخراج محلة من قسنطينة للتفتيش عن مخنق القيروان
فاجابه الى ذلك وكتب الى حسن باي وكتب المولى
محمد باي الى مولانا يخبره بذلك ويامره ان يسير
الى حسن باي ليتسلم منه المحلة فلما جاءه لم يلق
عنده ما يجب فعارضه وكتب حسن باي الى ابراهيم
باشا يعتذر بان محلة قسنطينة ليست بذات
قوة ولا عدد فلا يامن ان ياخذها العدو فتكون
سبة عليهم وقال له ان شئت نصره لمولاي الفوج
فابعث محلة من الجزائر والا فدع ذلك ثم علي
باشا اصلح ما بينه وبين حسن باي ورجعا الى

ما كانا عليه من المودة فعندما كتب حسن باي الى مولانا الكافر
من التل يخبره بوقوع الصلح بينه وبين بي باشا وريفول
لما تك دخلت بلدنا بامن بيلك حتى خرجت منها بلا من
بلا شفاعة لك عندنا وقرظ في باشا في كتابه تقريظا
كثيرا وذكر فيه بذكره اغاضة له بذلك فلما بلغه
الكتاب اشتد عليه الامر ورأى انه ان ادعى للناس
حقيقة الامر تعرفوا عنه ووقع فيهم الاخذ والنهب
فكتمه عنهم لئلا يتخلوا جاميه ويلحقوا مكانا يامن فيه
على نفسه واراهم انه ارسل اليه يامره بالارتحال والتباعد
عن بلد الحنانشة لانهم شكوا اليه من مضايقة جاجيته
لهم في مراعيهم وكان حسن باي قد ارسل كتابا في
السر الى نصر بن ابي الضياف الرزقي ومحمد عزيب اغا في
عين الحلاب يخبرهما بما صدر منه الى مولانا العلمي
بعد ان تهددهم فلم يلتفتوا ان ابقيا الخبر في الناس
فوقعت فيهم تعبئة واسرعوا بالرحيل وتفرقوا
ايادي سبا ووقع فيهم النهب والاخذ ونادى نصر
ابن ابي الضياف وابنه في بني رزق ان ينهضوا من حول
مولانا ويفروا الى قسنطينة ويتركوا عقده داجيها
فلم يجيبوه الى ذلك وقالوا انا ان تركنا ابن حسين
باي في محل ضيقه وما رفقناه يحرب به حادث
فلا يكون لنا بعد يقينه عذر الى آخر الدهر واجمع
رايهم على ان يلحقوا الحنفتة فلا يخلوا معه فلما يدفعوا
ايعذرون عليهم انه قاصد بلد الكماشة بنازل معهم
فرجعت عنه راجعة وسار بمن بقي معه فلما انتهى الى
فج مرير رأى من ابن لوتي من امامه فبينما هو
سائر اول النهار سمع بان الشمس اذ سمع صوت
البارود خلفه وكر راجعا واستطلع الخبر فاذا الجيش
من العمارة نحو ثلاثمائة رجل قد اغاروا على اخر بني
تاجنة بالاخذ وهاوكانوا في اواخر الناس فقد ارسل
من بني رزق ومعهم الحاج علي بن عبد العزيز عدة من
بدرقة عشى فارسا فلما راها مانزل بهم تلاوموا
وكروا

وكروا على العدو وبعثروهم ومنحهم الله اكتافهم يقتلونهم كيف شاءوا
فقتلوا منهم اربعين قتيلا واستغنموا ابلهم ورحالهم ورجعوا
بها فلقيهم مولانا وقد برئوا منهم وكان منزل العامري
من مكان الوقعة بعيدا انهم اذا رجعت اليهم منهزمتهم
واخبروهم بقتالهم استحضروا لهم وطلبوهم لاخذ ثارهم
فاجفلوا ليلتهم كلها وكانت ليلة شديدة البرد
خوفا من ادراك الطلب فنزلوا قريبا من اخر الليل
للاستراحة وقد اشرف بعضهم على الهلاك ثم ارتحلوا
واتاهم الخبر بعد ذلك بان العامري لما رجعت ابلهم منهم
اجفلوا ايضا خايفين من كرتهم عليهم ولما انتهى ايده
الله الى الطامشي وجدهم مجتمعين بالمنزلة وهم
قبيلتان الاعشاش وهم اولياؤه واولاد خيار وهم
اعداؤه واولياء على بالشامات الفوار احد روساء
الاعشاش وقال له قد تعلم اولاد خيار لك ولاء امر من
ان اريد اخلوا في شانك فرمنا من الاعشاش فيجيبوهم
ولا امري ما تكون عاقبة امرك معهم وقد رايت رايا
فيه امنك والخلاص لما احذره عليك منهم وهو ان احمل
الاعشاش على اخذ اولاد خيار فاذا فعلوا ذلك نشبت
الحرب بينهم وحتى كنت خفافيهم واحتاجوا الفدية
مجتنبين امر عليك وكثيرا ما كانت الحرب تدفع في
نحو الحيين فقال له مولانا اخشى ان لا يكيدك
قومك على شيء فقال سترى ما اصنع فلما اصبح
الصباح ركب فرسه وغزا على قومه في حللهم
وانذرتهم بكلاب عليهم كالماء حلة اولاد فقال
لهم وفرسه تخب وهو يرقص اركبوا لاخذ اولاد خيار
قد اخذت اولاد خيار فما ثم نهب اولاد خيار وامثال
هذه الكلمات ومضى الى كل حلة انه امر ابن هم
بليل وانه احكم عقدة مع سائر قومه فاسرعوا
متابعته وركبوا خيولهم وشنوا الغارة على اولاد
خيار فاخذوا انعامهم وبعث حللهم ثم رجعت
لهم الكرة عليهم من اخر النهار وانحجزوا وتباعدوا

بالمنزلة وتم للقفار ما اراد بتدبيره ثم ان مولانا كتب
للعابد بن عكيبة تنشيطه في رزق الذي عنده بارسل
والى اكابر قومه يستميلهم اليه وكذلك كتب الى عثمان
ابن منصور الحسيني قايد الهمامة والى روسايهم فمالوا اليه
وعملوا على الانحياز اليه وكان بتونس في ذلك الوقت
محاصرا للقيروان محاصرته الاخيرة وقد بعث محلته
الى الجريد عليها عثمان آغا وعبد اللطيف السعيدي
رئيس الكتبة فكلموا في اخذها وتقرر الامر بين
العابد وعثمان بن منصور وكبار قومهما ان يدعوا حتى تستوفي
جبايتها وتنكفي راجعة بالمال ويثبوا رزق مهاجما اذا
تجاوزت قفصة ونزلت بحيرة خرجت عليها الهمامة
وثار معهم بنوا رزق فاخذوها واذهبوا الى مولانا فنزل
بما فيها من المال وارتحل سوقهم مع الجريد وتنزل
وكان العابد بن عكيبة قد ترك اهله
بالناحية تنزلها على القيروان مع المحلة فلما عزم على ما عزم
عليه من اخذ المحلة كتب اليهم يامرهم بالانحياز الى
القيروان فوقع الكتاب بيد يونس واطلع على حقيقة
الامر فاخرج مددا وامرهم ان يجدوا السير فيدركوا
المحلة بتوزر وامرهم ان يرحلوا عن كهريني فوجهه
الى كهريني نفزاوة فلما ارتحلت المحلة من توزر وسلكت
كهريني نفزاوة علم العابد انهم قد اتدروا به وانهم قد
جاتهم ما اراح وامتنعوا بالذهبوا الى مولانا ايده الله
تعلى وبعث الى عثمان بن منصور بالنجاة اليه ايضا
واجتمعوا عليه بمكانه من وورد عليه بذلك
المكان عزوز بن عمارة بن دالية الرزقي واشتد الحصار
على الموحش الامير بالقيروان فارسل الى مولانا يستنجده
ويعلمه انه ما خوفه ان لم يدركه فجاءه الرسول وقد
اجتمع عليه من ذكرنا فيها وحضهم في النهوض الى القيروان
لاستنقاذ ابنه فاجابوا كلهم وعزموا على النهوض معه
فنطقهم بن عمارة بن دالية وقال لهم انا اعلم بامر
القيروان منكم قد خرجت منها ابقا ولم يبق فيها

ولا في استنقاذ من بها مكمع فلما رأى مولانا تثاقلهم رحل
بهم راجعا الى بلد الحمامشة فجاءه الخبر في ذلك الوجه
بقتل ابيه رحمه الله تعالى واخذ القيروان فجزع لذلك جزعا
شديدا وبعد ذلك بأيام قلائل اغار عليهم محمد بن
سلطان في الحنانشة واولاد يحيى بن طالب ولعون فنازل
قبائل جبل المقنكب فرارا ان لا ملجا لهم الا سيوفهم فارتحلوا
ونصحوا اليه فلما رأى العدو تصميمهم فروا من غير قتال
واعتصموا بالجبل ثم ارسل محمد بن سلطان الى مولانا يعتذر
اليه فلم يقبل منه وبقي مدة ببلد الحمامشة ثم كلم
اخوه المولى محمد باي ابراهيم باشا في عوده الى ناحية
قسنطينة فارسل الى حسن باي يأمره بان يسعد من
وكتب اليه بذلك فساروا راجعا وبالذا حينه بناحية
تبسة وجرت ثم امور ووقائع يطول شرحها وشهد
مع حسن باي حروبا كثيرة ثم مل من سكنى البادية
فاستأذن في الانتقال الى قسنطينة فاذن له فانتقل
اليها ولاقى يوم رحيله من قلة وجاء من معه من بني رزق
وغيرهم ومحاملة بعض رؤسائهم له فلم ما العليه
من السعود ما رأينا الاضراب عن ذكره اولى واستقر
بقسنطينة بعد سكنى البادية سنين متعددة
خدمته خلوص السيف وبسكنته تبسك
الابريز **فهذا** اخباره من يوم
خروجه من القيروان في التاريخ الى يوم استقراره
بقسنطينة ذكرنا على سبيل الاختصار ولم نطولها
فالحاصل هذه المدة من بقية اخبار والده رحمه الله
تعالى لارتباط بعضها ببعض ولان اخباره هي
المقصود بالذات من هذا الكتاب فلنعد الان الى
بقية اخبار المولى الامير رحمه الله تعالى **فنقول**
قد قدمنا ان يونس خرج لمحلة الشتاء في خلال
سنة ١١٤٦ وحاصر القيروان احدى عشر شهرا
وفي اثناء محاصرته خرج مولانا الى وجهته التي
ذكرنا الان من قصتها ثم اقلع يونس عن الحصار وغزا

الخنانشة على غيضران وخرج اخوه محمد باي بمحلة الصيف
سنة 1150 فجاءت عليه البربر من جبال باجة كهمدون
وغيرهم وكتبوا الى المولى الامير يطلبون منه ان يرسل اليهم
احد بنيه ليقوموا معه ويأخذوا المحلة فارسل اليهم
مسعود كاهية في خيل الصبايحية فثاروا معه واغاروا على
محلة محمد باي ببلطة ووقع القتال بينهم وخاف
محمد باي خوفا شديدا لشدة جبنه وهم بالفرار فمنعه
رؤساء من معه وبلغ الخبر الى يونس منصرفه من غيضران
فاجد السير حتى نزل بمحلته على محلة اخيه وضم المحلتين
اليه وجعلهما محلة واحدة وصير اخاه كاهية اتباعه
وكتب الى قبائل البربر بالامان ووعدهم فلانوا
له واجابوه وكتب الى مسعود كاهية بالامان فنزل
اليه لما راى البربر قد لانوا اليه واصلح احوال وطن
باجة ورحل الى الحضرة وكان شيخ جلاص رمضان بقي
مع المولى الامير من جريد وغيرهم ينزلون ناحية
القيروان ويكمن في ولاية اخذهم فجهز لهم جيشا
كثيفا وامر عليهم احد اغوات الصبايحية من المماليك
اسمه عثمان اغا ومعه محارب عيسى كاهية الصبايحية
وغيرهم من الرؤساء واخرجهم لاخذهم فلم يشعر
المولى الامير واهل القيروان حتى طلعت عليهم نواصي
الخيل من وراء الثمار وهو في خيله رحمه الله تعالى
مسرعا وخرج اليهم ومعه اهل القيروان وارتاعت العرب
فلجاوا للجبل لهم واذعا منهم ومواشيهم الى سور البلد
وتشغل المولى الامير العدو بما قصدوا اليه من اخذهم
ونار بينهم القتال ووقع الكراديس ساعة من نهار
ثم امر باحضار المدافع من البلد فاتي بها على
العجل فامر الرامي ان يضرب الكرة في كبكبة الخيل
ففعل فكانت لنزلتهم موقوا لا يلوي احد على احد
وتبعهم جند المولى الامير يقتلون ويأسرون فاخذوا
عثمان اغا امير الجيش ومحارب عيسى كاهية
الصبايحية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وامتلات ايديهم
من خيلهم

من خيلهم وسلاحهم واسلابهم وتسنم سيقة المولى الامير
من بعد هذه الوقعة رابية النصر واملوا عودة الكرة ولم يكن
الا ما قدر الله تعالى ثم عاد بتونس الى منازلة القيروان
سنة ١١٥١ فحاصرها تسعة اشهر وقام بينهما
القتال وبرا وجها حتى فنيت الاقوات وضاقت الاحوال
وبلغ الخبز والبوس من اهلها كل مبلغ وخرج كثير
من حججابهم مستسلمين وتفرقوا في البلاد ثم انكفوا
عنها وتنفس الخناق ودخلت سنة ١١٥٢ وكان من
خروج المولى محمد باي بمحلة من سوسة يريد قسنطينة
ما قدمنا الخبر عنه فلما نزل القيروان على ابيه كلمه في استخلاف
اخيه المولى محمد باي على سوسة وارتحل لوجهته
وولى المولى الامير ابنه لانه كان القايم بجميع اموره
بالخاصة سوسة وتكالب عليها القحط من حاشية
علي باشا الذين بالساحل وكتب اهلها الى المولى الامير
يخشونه انه يرسل اليهم ابنه والا سلموا البلد لعدوه
فسرحه اليهم بعد حلها في شهر ربيع الثاني وذكرها
احسن ضبط ولما قضى بتونس وكرامة محلة الصيف
وضع بالشيخ ابو عزيز نحو كما سنذكره وعاد
الى الحضرة اجمع رايه وراي ابيه على المسير الى
القيروان واستيصال اهلها لما رأيا من ذهاب الحامية وقلة
الجنود ونفاذ الاموال وفناء الاقوات فاخرج مضاربه
ونادى عسكره بالرحيل وازاح عللهم ثم ارتحل في
شعبان في عدة تامة وعديد وافر فنزل على القيروان
وضرب بذراع التمار واخذ بخنقها ومنع
وصول الامداد اليها وغاداها القتال وراوحها
ثم ارتحل من معسكره بذراع التمار ونزل بدار الامان من
شرقيها وخرجت عساكره في الفد ودفعوا مترسا
بازاء القصبة تترسوا به بقارهم كلهم فلما جاء الليل
ركب المولى الامير واجتمعت عليه جميع الخفانلية
وبيتوا باب البلد وقاتلوا وخرجوا اليهم بجموعهم
من مترسهم فلم يقدروا عليهم فرجعوا الى بلدهم

واغلقوا الباب وركب يونس المدافع والبونبة واخرجها
على القصبة وجعل مدافعها الى ناحية عسكره ومنع
المقاتلة من تسنم سورها وصنع الالغام للهدم
فانثلمت منه ثلمة كبيرة وانثلمت ثلمة اخرى مثلها من
سور البلد المجاور للقصبة واشتد الحال على اهل القيروان
ونالهم من الجهد والجوع امر لا يبلغه الوصف حتى اضطروا
الى اكل الكلاب والسنانير والجيف والدماء وجلود
الحيوانات مذكاة وغير مذكاة وغلت ساير الحبوب
والاقوات حتى ابيعت ويبة القمح بالمكيال المعتاد
بمائة وعشرين ريالا ورطل الزيت بعشرة ريالات
وعلى هذه النسبة في كل شيء من الماكولات
واستهلك الناس اموالهم وجهدهم وضاقت احوالهم
وخرج اكثرهم وصارت فيهم ايدي النهب والاخذ
وتشتتوا في البلاد ولم يبق مع المولى الامير من المقاتلة
الا دون الاربع مائة ولا دون الفرسان الا دون المائة
ومن عجائب عن ابقاء الجند تكلفهم عزلا لا يجدون سلاحا
ولا يملكون دفاعا تقوى عليهم عدوهم وقدم سليمان بن
علي باشا اخيه مددا له ولم يزل الحال على ذلك ويونس
لم يأذن لعسكره في الهجوم على البلد خوفا عليهم من ان
يتورطوا في سككها فيقاتلهم الاخرون على استماتة
وحفاظ حتى بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين وتواتر
عنده الاخبار بذهاب الحامية وقلة الانصار وبلوغ
الجهد منهم غايته فلما كان يوم الجمعة السادس عشر
من صفر سنة 1153 هجمت العساكر على البلد
ودخلوها من اقطارها ولما وقعت الهيعة ركب
المولى الامير في حامية والتفت عليه المقاتلة
ووقف في الحرب فخشيهم الجنود فلما راوا اختلال
الامر فتسلل عامة اصحابه في غيابات المدينة
وكادوا بالصرخة الصالحين فلم تغن عنهم شيئا وانفرد
المولى الامير في كتيبة من رماته وبعض مماليكه
وخدمه ومن خاصته علي بن احمد شليبي وهو على

أثبته

69

ابنه فخرج من الباب الغربي فلما بلغ دبره احاطت به
الخيل من كل جانب فرمى احدهم فرسه فصرعها وسقطت
الى الارض ووقف لا يدنو منه احد الى ان اقبل يونس
فلما انتهى اليه نزل عن فرسه واتى بها تشفياء منكرة
ثم قطع الاذان ونحر نفس قطع الالسن فلله ارحام لعاك
تشفف واح لم باركت فيه يد الله طيرف واصبح الناس
بعد مصرعه وقوما لم يشعروا ان الكرم جزور الايسار
ليس فيها كبد ولا عليها سنام ومذ ربع السرب وتزلزلت
خلال الحي وتوكت ابنية الملك وقوضت خيام الامس
وبعدت اركان المجد واحلت عقد العزم وانتقضت عرى
الكرم ومن قول الفقيه الوزير الكاتب ابي العباس
احمد الادرم القيرواني يرثيه

قليلي ما بي اذكر الدار بلقعا
كان امير المومنين نذرعها
لعل حبيبي ضمه اللحد يا فتى
فما بال اكبادي غدت ارا مقطعا
فيا شدة مبي وبي ادمعه دم
ونفس ينادي على نعيها معا
وفي حيه فيه با احمد وعله
فثبت بداءة توانا وافلعا
فبيك وجدت اليوم ما مثل فقده
فلم اجد ما قلت مهلا تبرعا
سقاني كاس الحزن موصون حسرة
تجرع قلبي شطه ما قد تجرعا
كانني لم السعد عاقد رايه
وتعلي اسلام وعدل مجمعا
الا فابكه يا اخوان كنت مندبها
الا فابكي عنه الجواد مع الملا
على شلوه المرحوم ازكى تحية
تسوق له الغفران والعفو اجمعا
وقال ايضا يرثيه ويندب القيروان

Fol. 243

كيف صبري عنك يا قيروان
جرعت بشراك ايدي الزمان

اين معناك الذي راوني
ان هاتيك المغاني الحسان
اين مولاك الذي كان في خد
املاكك كالزبرقان
فيالي ان مليك الغالبي
حسبي جماعته المكان
بانبرى الوجد على اضلعي يستبيني
منها الحشا والجنان
ملك ان جال في الملوك يكون
الجسم وهو اللسان
انما العدل بها ضاحيا
فكهف من راحتيه البنان
حتى ان تبكي عليه الفلا
والاماني والهدى والامان
ثم ما قد كان من ملكه
هكذا الدهر جرى وجان
ابي يرد ماء الندا عليها
سوف يسقى من خير الجنان

وتغلب يونس على عاصمة حاضنة الموحد الامير واعيان
اهل القيروان بالسلاح السيف اكثرهم وارسل باكابرهم
الى ابيه واستباحت القيروان وانطلقت ايدي العيث
فيهم في الاموال والحرم وذهب من افلت من السيف
ومن لا يوبه له شذر مذر في البلد وتشتت شملهم
واستولى النهب والسلب عليهم من عند اخرهم
وكان امرا هايلا وخطبا فضيعا وارسل يونس
براس الموحد الامير مع اخيه سليمان الى تونس
وارسل معه باكابر من الحاجب مثل عامر اخيه
لامه واحمد شلبي وابنه علي وعلي السبعي وعلي
ابن مردفه وعلي اليمني في اخر وافلح هو
علي

على القيروان الى ان استاصل بقية سورها بالهدم وتركها
خلاء بلقعا وانصرف ولما بلغ علي باشا مقتل عمه
تخيل واضمر الكراهية ولما دخل عليه براسه سوكنت في موضع
وغضب غضبا شديدا لاكنه اتى باشنع مما جاء به
ابنه مما اداه خلع على بناته وحرمه حتى رايته بالعنف
بكل دان يؤدي عليهم ثم امر موضع بدكاء الفدية
حتى رد الى الناس ثم دفن مع شلوه المقدس بتربته
التي احدثها بالجامع المتقدم الذكر ودفن معه المجد
والفخر رحمة الله وبركاته عليه ولما دخل اوليك النفر
من الحاجب على علي باشا شتمهم الى ذكاء القوبة بالسلحم
السيف واستوى الشتى على سائرهم فقبض عليه من
قيروان وجيلان وسائرهم دخل ابان الفتنة وعكسوا
الشان فيمن خرج في سائر ايام الفتنة ولما بلغ
خبر الوقيعة ومقتل المولى الامير الى ابنه المولى محمود
باي سوسة ونجا اليه بعض الفل من اخلاء السيف
تحير واضطرب وخشي ان يبدوا لاهل سوسة راي في
فتح البلد لعلي باشا فنادى الاعيان واهل الشورى
منهم وسكنهم واعطفهم ورضوا عليه وقالوا له نحن لا نرى
اميرا غيرك وغير اخيك ولم تك تنفعنا لاهل القيروان وكيف
نفسا بانا مقتولون في ذلك ما بقي منا احد وتبعهم
على ذلك اهل المستير واهل القلعة الكبرى ثم واستمروا على
امتناعهم ثم ثم تبنت المستير ان فتحت لعلي باشا
بتدبير شيخها ونجا قايدها
شعبان البسيلي الى اطرابلس ولما بلغ المولى
محمد باي وهو بكانته من الجزائر مقتل ابيه واخذ
القيروان اسف لذلك اسفا شديدا وخاف على اخيه
وراى ان امتناعه بسوسة بعد ذلك غير مغن عنه
شيئا ولما بلغه فتح المستير ارادت تخرج عليه
بالمحلة الجبلية في خلاصه بارسل اليه مركبا من الجزائر
وكتب اليه يامره بالهروب فيها وان يكتم امره حتى يتهيا
له ما اراد ولا يشعر به احد وكتب اليه كتابا لاخر

بوصف فيه رايه وراي اهل سوسة في تمسكهم بالامتناع
ويخبرهم انه خارج بالمحلة من الجزائر لاسترجاع ملكه
ويامرهم ان يستمروا على امتناعهم خوف جوايفه وامره ان يكثر
بهذا الكتاب للناس ويقراه على ملايهم ليلا ليرتدعوا
فلما قراه عليهم استانسوا به واستبشروا وعملوا
على الهروب وكتموا سره عن كل احد فلما كانت الليلة
التي اراد الخروج فيها اطلع حبيبه خاصته ومن يعز
عليه من اصحابه وامرهم بالتهيي لذلك فلما مضت برهة
من الليل نزل من سور القصبة ونزل اصحابه وركبوا فلوكة
توصلهم الى المركب وبقي بعض من الناس فلحقوهم
وتعلقوا بجوانب الفلوكة ليجوا معهم وهي لا تحملهم فكادوا
ان يغرقوها ولم يجد تخلصا منهم حتى سلت السيوف
وقطعت رؤوس ايديهم فتركوها لما احسوا بحر السيف
فنجى الى المركب ولم يجد فيجوا واقلع من ليلته
من مرسى سوسة ودخل المالكية فاقام بها اياما
في تكرمة وبرة ثم اقلع منها فدخل مرسيليا
من بلاد الفرنج فتلقوه اكرام ثم اقلع الى الجزائر
فاستقر بها واقام عامه اخيه في عز وتكرمة ومولانا
حيث تكرر خاطره انباعه حتى كان من امرهم ما سنذكر
ان شاء الله تعالى وكان انفصاله عن سوسة في رجب
سنة ١١٥٣ ولما علم اهل سوسة من ليلتهم
بخروج اميرهم عنهم مرج امرهم واضطربوا والقوا بايديهم
وكتبوا الى علي باشا يستامنونه فلما كان باسرع من
خرج الشيخ يونس فنزل على البلد وقتل ونهب
وقبض على كما فيه من الرؤساء وبعث الى ابيه فقتلهم
واغرمهم اموالا ثقيلة واقتضاها منهم وارتحل
الى القلعة الكبيرة فانتسبوا واستسلم من خوف
من اهلها وسبح منها كلها الامسا جدها وامر
بالحاريث فحرث بسككها وبالبراحات المتسعة
منها فحلت لنفسي ان يحرثها وتركها خاوية على
عروشها وبعث شيخها علي بن سلامة الخليع بامر
حربها

67

حربهما اليه فاسرهم فيه وكسرت بجاية ورجالها وجرى في نحيل
بقلق وترك اهلها ما قتل وارتحل الى المسيلي باعزهم ايضا
اموالا كثيرة ورجع الى الحضرة ✻ ✻

بقية اخبار علي باشا

واولاده وتقلبات احوالهم

ومن اخبار امورهم لما افتتح علي باشا اريكة السلطنة باخذه ثار
عمه واورى زنده وسل سيفه واغمد حلمه وارسل نفسه
على سجيتها في الانتقام من خالعيه وشدة العقاب
لما القي بعنه فتتبع من ظفر به من اولياء عمه ومن له
ادنى نسبة اليه فقتله واخذا لا يقبل منهم عثرة ولا يرجى
لهم زلة ولا يقبل له معذرة بل يقتل على التهمة ويأخذ
بالظنة وذلك انه ملك بلدا قد انتزعها من يد ملك كان
امر سلطانه بها وحسنت اثاره عند اهلها واشتملت
قلوبهم على محبته لما عاملهم به من حسن سيرته
فوجد قلوبهم عنه منحرفة ونفوسهم اليه غير منصرفة
ذاهبة الى ملكهم الذي احسن الملكة فيهم وكما جنته
الى ما الفوا من حسن اثاره لديهم بما ان ما دار في روسهم
من تاميله ورجاء عوده رجعه لا يخرجه الا السيف
وحكمه في رقابهم والقى حده في عقابهم فدخل عليهم
من ذلك ما كسر انفسهم شعاعا وطيرا فيدتهم هواء
فاستكانوا تحت كلكل سطوته وثقل وطأته
واخباره كثيرة جدا في الاضراب عن اكثرها ابقاء عليه
غير انا نذكر منها ما له وما عليه من الامور الوكادة التي وقعت
في دولته والله يغفر لنا وله ولجميع المسلمين

خبر الحاج علي باي

قد قدمنا ان الحاج علي باي لما رفعت العزيمة على عسكر
المولى الامير بسمنجة ووصل ابناه الى الحضرة ثم فوضا عنها

Fol. 245

دخل القصبة واعلى يد عوته في باشا وضبط البلد بالسيف وذلك
لمولانا كانت بينهما ايام تفرغ به مات الحاج علي باي كان قد
انحرف عن المولى الامير لما فر عن شاوه وغضب من عنا في
عن امور كان بيندرب فبيعا ثم اسكن في الباي الذي قبله
فاجتمع ذلك من قبله وكاتب علي باشا على العهد ثم تم
ذلك بادخال البلد في طاعته بعد الوقيعة بسمنجة فجاء خلفها
رعيا في حقه ووفى له وابقاه بايا على ولايته ثم صاهره
على ابنته لابنه محمد ويقال ان العقد وقع بينهما علي باشا
بالجزائر واستمر على ذلك الى رجب سنة 1152 فنكبه وعزله
ونجاه الى ماكرو وذلك اثر اتهمه بالاخراج عنه الى المولى
الامير واقام مقامه محمود جاي وكانت كاهيته بالقصبة
وبقي الحاج علي بالكراليه الى ان توفي بها سنة 115

مقتل احمد الصغير واخيه
سلطان ابني محمد بن سلطان
شيخي الحنانشة

Fol. 24b

قد ذكرنا فيما مر ان احمد الصغير واخاه سلطان كانا عيبة
صدق المولى الامير وانهما استجارا به لما استبد الشيخ
ابو عزيز وحده بمشيخة الحنانشة لمكانه من صاحب
قسنطينة واجارهما وقام في شانهما حتى رجع امر
الحنانشة اليهما بوساطته وعاداه ابو عزيز لاجل
ذلك فلما ثار علي باشا بوسلاتة مال اليه ابو عزيز
وشن الغارة على اعراب افريقية وانتهى ابنا عمار
المولى الامير وجد خذلا الكاف عنوة على اهلها لما خالفوا
عليه الى ان كان ما ذكرناه من تورع في الحكاية
اليهما واستمالتهما الى علي باشا حتى اجابا ونبذا الى
المولى الامير عهده وخرج اليهما بتونس واجتمعت
عليهم الاعراب ومدوا ايديهم للعيث والفساد في
العمالة فجهز المولى الامير جيشا لقتالهم لنظر
مملوكه محروس فلما وصل فنهض اليهم بنفسه
وواجهه ابو عزيز معينا له عليهم انتهاز الفرصة

في ابنـ

في ابني عمار فاعتصموا بقرية الكسس بعد خلعها وفروا فيونس الى
الصحرا ثم رجع المولى الامير ونزل في باشا بالساحل واجلاه
عن افريقية بعد افلاتهم من مكائد اهل الصحراء وعقد الصلح مع سلطان
على ان شاء اعتقدا فيهم ثم انتهى الى الجزائر بسعيهما
ثم انتقض ابو عزيز على المولى الامير لسبب ما ذكرنا
سابقا فداخله في شانه حسين كليان صاحب قسنطينة فعزله
عن مشيخة الحنانشة واقام مكانه اخاه احمد بن نصر وابقى
عمه محمد ابا فقيه فرجعا عن القيام بامر قومهما ورجع
ابا عمار الى مولانا المولى الامير وكتبا اليه يستغفران
ذنبهما ويرغبان في الطاعة فقبل منهما اصلح ما بينهما وبين
حسين كليان فقلدهما امر الحنانشة واخر احمد بن نصر
وابن عمه فلما خرج علي باشا من الجزائر بالمحلة وبرفقته
له برفقة الظهور فبدا الى المولى الامير عمده ثانية
ورجع الى مولانا علي باشا واقبل مع المحلة في نوبة
حتى جلس على كرسي ملكه فارتحلا الى بلدهما وكان
قد نقم عليهما ايام تحزبه امورا اسرها في نفسه
من عدم المحافظة على الادب في خطابه وعدم
المجاملة في عشرته فلما رجعا الى مولانا عقد ايام
مقامه بالجزائر ذكر حنقا عليهما ايضا ولما اجفل
المولى الامير الى الصحرا بعد يوم وادي اللبن كما تقدم
ودخل ابنه المولى محمد باي عليهما فاجفلتهما ونزعت
المراسلة والمراجعة بينه وبينهما وراعدا النصر
وفاريا وافتديا منه اموالا ولم يتم ذلك واثر عنهما
زاد ذلك علي باشا غيظا عليهما فاخذ في اعمال الحيلة
في القبض عليهما وكان سلطان يعد عليهما الكتمان
المحمدية فيكرمه غاية الاكرام ويعين له دارا للنزول
فاحتاج اليه من الفرش والكسوة والالة واجاز عليه
سجال احسانه وقضى له كل حاجة طلبها منه
والان جانبه للجنح الصفح ونحو ذلك الاحسان على
البعد حتى اطمان اليه ووقع في حبائله فذلك فكان
كلم سلطانا ان يقرب عليه ليقضي من حقه فخرج اليه

من عنده ولعونه نزل على الزواية بزمبارة على الورود عليه والمجيء
فيما عنده حتى اجاب الى ذلك وخرج اليه في نحو الثلاثماية
فارس من جنده فوصلهم بما حملوا عليه بارجوا رجب بهم
واكرم نزلهم واطعمهم ثم جاء الى البلد فقبض عليهم
وامر بقتل احمد الدرقي وابن ابراهيم وسلطان وابن
بن بكار واخيهما خالد بن محمد بن عمار واخيه وجماعة من
خواصهم وامر ببقية القوم فجعلوا في السلاسل كل
اثنين في سلسلة واستعملهم في نقل الحجر والجير للبناء
ما انهدم من سور القصبة فمات بعضهم وخلص الباقون
بعد مدة طويلة وطلق زوجه ابنة سلطان وزوجها لبعض
مماليكه من مسلمة العروج فابت لذلك وماتت قبل
تمام الحول اسفا ومثل هذا بعينه جرى لابنة مراد بن
ابي عزيز زوج يونس

مقتل الشيخ ابي عزيز

كان ابو عزيز يتطور في احواله فيوالي المولى الامير
تارة وينابذه اخرى وينتمي الى علي باشا مرة ويتبرأ منه
اخرى ويصلح امره مع صاحب قسنطينة احيانا ثم
يفسده ذلك لبعد غوره في المكر وطلبه وعنايه وشدة
طماعيته وقد شرحنا جملة من احواله في ما مر وذكرنا
موالاته للمولى الامير بعد ثورة علي باشا بوسلات
ثم انتقاضه عليه اتباع مقام علي باشا بالجزاير وانه قام
وقعد في امره وكان احد الاسباب في خروج محلة الجزاير
معه ووقعت وقعة سمنجة وله فيها اثر عظيم
واستقر علي باشا في السلطنة بتونس وامرها
جميع وكلمتها واحدة حتى كان من خروج مولانا عز الدين الذي
دخل من القيروان والحيازة الى ابي عزيز وبذلته
وانحيازه بعد ذلك على ما جر ما قدمناه بجيشه
استحكمت العداوة بينه وبين علي باشا واوقع به
بتونس على غيضران الوقعة المشهورة ثم فر
مولانا ابو الذي دخل واخذ ابو عزيز في تلوفه
مع علي باشا

مع علي باشا الى ان خرج المولى محمد باي بمحلته من سوسة
وانتقل حسين باي وخرج بمحلته من قسنطينة يريد افريقية
فيما بين عمر واجابه ابو عزيز فيا جمعته ووقعت الوحشة
بينهما للسبب الذي ذكرناه سابقا وقبض حسين باي
على ابنه ابراهيم فاعتقله فارتحل حينئذ نازعا الى علي
باشا مستنجدا به على حسين باي ولحق به مولانا
ابدى الله ذلك ليحرفه عن رايه فلم يجبه رحمه الله
تعالى منه وسار حتى شارف افريقية فنزل على قصر
جابر وكتب الى علي باشا وابنه يونس وكان نازلا على باجة
بمحلته الصيفية واستجار بهما وطلب منهما الامان
وان يكاتبا لهما على حسين باي ان يسرح حرمه الى
فيبعث بهم في بلده فاجابوه الى كل ما كتب وكتبا
له جميع ما يجب وواعداه المواعيد الوكيدة وارتحل
يونس بمحلته من باجة فنزل على الكاف وكان اخوه
سليمان بها فارسل اليه ابو عزيز يطلب وصول
القايد محمد بن يوسف الحسيني بن عم علي باشا
وقريب امه احد اثنة ثقة بينهما اخذا منه ان يحمه
لا تخرج فسرحه اليه وكان عنده فرحات بن رجاحة
وفد عليه من الزاب ليستشده عنده فسرحه معه
ايضا فلما انتهيا اليه تكلم مع محمد بن يوسف
فيما احب وتوثق منه فضمن له كل ما اراده حتى
اطمأنت نفسه فركب معه في نحو خمسين فارسا
من قومه يريد يونس فلما اتصل به خبر مقدمه
ركب في خيله فلقيه بوادي الرمل على ثلاثة فراسخ
من الكاف فسلم عليه ورحب به وبيت له مبيتا ثم
فدخلها وادخله معه فاتى بالكاف فلما مد ابو عزيز
يده اليه قبض يونس من عاليه فرسه فركبها ووثب
حيدر خوجة كاتب ابيه بالقلم التركي على ابي عزيز
فاوثقه كتافا ووقعت الهيعة ما تقتل فيها خمسة
من قومه وكان الباقون الى حل منجاتهم ورجع
به يونس الى محلته ومن الغد اصبح راحلا به الى الكاف

فاوصله الى ابيه فتقدم باعتقاله اياما وجازاه عما غدر بغدر
فبعث به الى تونس وطيف به في اسوإ انحا على بغل
قد جعل وجهه الى ذنبه ثم اتى به الى بطحاء القصبة
فاستلمته السيوف وقطع شلوه كطعام العسكر فاكلوه
على شر ابشع بالحالات غيظا عليه وذهب كامس الدابر
وكان قتله في جمادى سنة ١١٥٣

خبر طبرقة

وكيفية استيلاء علي باشا عليها واسر اهلها
كانت هذه جزيرة على الساحل بين بونة وبنزرت
يحيط بها البحر من الجهات كلها الا المجاز اليها من جهة
البر قريب لا يزيد البحر فيه على اكثر من مقدار غلوة
وبذلك كانت جزيرة لانها لا يتمكن من الدخول اليها من
ايه الا في السواقي ولما ملك الفرنج من اهل السبانية
حلق الوادي بنوا بها برجا اتخذوه ذخيرة لامتداد ايديهم
الى ثغور الاسلام فلما غزا سنان باشا حلق الوادي
وافتتحه وطهر ارجا الحضرة من خبث الكفر واستقرت
بها الحسنة بكر السلطانية وايس الفرنج من عود الكرة
تركوا ذلك البرج ونفضوا ايديهم من افريقية وكان
للجنويز اهل جنوة من الفرنج في ذلك الزمان
يد عند السلطان من ال عثمان وطلبوا منه
ان يعطيهم تلك الجزيرة وفيها جبل مرتفع ليتخذوا
بها قرية يتحصنون بها يتمكنوا من اصطياد المرجان
من بحرها بانه اكثر البحر الشامي مرجانا فاعطاهم
ذلك في عقد وكتب لهم به عهدة فاتوها وبنوا
بها قرية وجعلوا قصبتها باعلى الجبل مطلة على
البحر من جهاتها واخذت لهم ذمة مع صاحب
تونس وصاحب الجزائر وقرروا على انفسهم ضريبة
لكل واحد منهما يودونها في كل سنة وعمروا
القرية من ذلك العهد وتناسلوا بها الى ان
لا يروع لهم سرب ولا يكدر ربعهم غراب وخالطوا
اهل الجبل القريبة منهم من البربر مثل خمير
ووشتاتة

ووشتاتة ويجدون ونجرة وغيرهم من البربر وادي بـ المتوكني
حواليها بكانوا يجلبون اليهم الاقوات من الحبوب والادم
والفواكه وغير ذلك ويكسبون منهم المكاسب الكثيرة وبقوا
ليعلم بادشة ان يأخذها ويسبي اهلها لزعمه انه قد ظهرت
عليهم علامات النكث والانتخاض فجهز اليها اربع
مراكب شحنها بالعسكر وامرهم ان يأتوا مرسيها بالاذا ودخلوا
اليها فدخلوا البلد على حين غفلة من اهلها وذبحوها
الى ان براءيهم انه جونسي فيما حكموا عليها وابى ذلك
خروج كثير من اهلها لادركيبا دالمرجان فوجدوها خالية
من الحامية بعد خلوها عن من بها وملكوها من غير تعب
وقبضوا على رؤسائها وخرج جونس من الخفرة بوابلهم
وقد تمكنوا منها ونزع اليها الجازيري اسطوا في
ونزل بعصبتها واستدعى رؤساءها وطالبهم بالاموال
ادعى ان المودس محمد باي ابن المودس الامبراوح عندها
عندهم لما اجتاز بهم عندما ركب البحر متوجها الى الذهب
فانكروا ان يكون اجتاز بهم فضلا عن كونه اودع اموالا
عندهم والخارج بذلك ان ينحلل عليهم وتعلل عليهم
ايضا بانهم ارادوا ان يسلموا البلد للفرانسيس في مقابلة
اموال اشترطوها عليه وذلك في مبادي تحلل اليد
على نفوذ الصلح على الفرانسيس وقال لهم ان الفرانسيس
يريد ان يتخذ ما سلما الفرى وثغورنا واخذ مراكبنا
وانتم مظاهرون على ذلك بتسليم البلد اليهم فانكروا
تحده ايضا لم يخف عنهم الانكار وامر بهم فجزوا
ناجية واستصفى اموالهم وذخايرهم ونهب امتعتهم
والاتهم وسبى حرمهم اسارى الى الحفرة وهم تسعماية
نفس ما بين رجال ونساء وولدان واعتق منهم
جارية لنفسه وحملها على الاسلام حتى اسلمت
وولد لها ابنه محمد بي المتوفى سنة ١١٨٥ وترك
بالبلد من يحرسها والكبار اجمعهم في طريقه على
تامكرت وهي قرية على الساحل بينها وبين
طبرقة ستة فراسخ بينهما وبين بنزرت بحر نعلا

طائفة من جند الفرانسيس مستأمنين لاجل اصطياد المرجان
ايضا فساقهم ايضا الى الحضرة ورجع وكان ذلك في سنة ١١٥٣
ولما خرج بعد ذلك لمحلة الصيف اخرج معه اربعة وعشرين
من رماة العسكر عينهم لضبطها وحراسة ذلك الثغر
ولما انتهى الى طبرقة نزلت المحلة بها وسار بعض اليها
فرتب نوبتها وامر بهدم القرية ونقضها والقى حجارتها
في المجاز ليسد فتكون تعبر اليها الى الجزيرة وترك
فيها على اصلها لاستقرار العسكر بها وامر
ببناء برج على الساحل خارج الجزيرة فبني وانزل العسكر
وهي باقية على هذا الموضع الى عهدنا هذا ثم امر بهدم
قرية تاملكت فهدمت ولم يبق بها اثر

خبر الفتنة مع الفرانسيس

كان علي باشا يحاول نقض الصلح مع الفرانسيس لامور
تنقمها عليهم بازال ما بدا في ان انتزع من ايديهم تاملكت
كما ذكرنا ذلك فما اذعنوا الى عنها ثم لما انتزع طبرقة من
ايدي الجنويين واتى بهم اسرى الى الحضرة كان في جملتهم
نفر من الفرانسيس كانوا نازلين بها فتشفع في الاسرى
وكلمه قنصل الفرانسيس في اطلاقهم واحتج بان عقد
الصلح مع الفرانسيس شامل لهم فلا يسوغ للملك
فابى ان يطلقهم وقال انهم اخذوا تحت
راية الجنويين فلا عذر لهم في هذه ابدا وكان
القناصل في الحضرة عند سلوكهم ان فنادر المصالحين
مع الدولة لا يقبلون يد الملك ان دخلوا عليه انما
يصافح احدهم بيده في يده ولا يخلعون نعالهم اذا دخلوا
عليه وكان الملك اذا اراد احدهم الدخول عليه
يتكلف له الجلوس ببيت لا فرش فيه لئلا يتخطى
وكان هذا مشترطا في عقد الصلح فاتفق لذلك
ان علي باشا رام الى قنصل الفرانسيس من يامره
بامره ان يقبل يده ويخلع نعله اذا دخل عليه

ما منشح

فامتنع واعتذر بانه ليس مأذونا في ذلك من قبل كاغيته
وانه يخشى فاجرته ان فعل ذلك قبل ان يأذن له فاستدرك
في باشا غضبه وبعث اليه من ازعجه كرها واكرهه على وصل
الامر منها وجندها لتحذ القندل في اعمال الحيلة في
الهروب حتى تمكنت له ركب البحر من حلق الواد الى
كرابلس فلما علم بذلك في باشا امر بازالة سلاحهم
واغلق ما كان يحصره من نقض الصلح معهم وجهز مراكب
واخرجها لغزوهم في البحر لتاخذ ما قدرت عليه من مراكبهم
وعادت اليه في اسرع وقت بغنايم كثيرة اكثرها مراكبهم
تنهب البحر الشامي وتتابع عليهم الغزو في البحر والح عليهم
فيه وبلغ ذلك كاغيتهم فغضب وجهز ثلاث مراكب
من مراكب الحرب الكبيرة وارسلها الى حلق الواد لحصر
المرسى ومنع الداخل والخارج منها فاقبلت وارست
على حلق الواد منتشرة عن مرسى المدفع وشحنت الداخل
والخارج ورمت على الساحل بلدا اجدها فامر في باشا
باخراج مدافع وركبها بمكان البرج الجديد الذي احدثه
بعد ذلك يذكر في جبل المنارة وصار يرميها اياما حتى اقلعوا
ثم ان الكاغيته طمع في استقامة دبرفة مسيد علي
باشا فجهز اليها جيشا واركبهم البحر في المراكب
الكبار ليتمكنوا من النزول اليها فاتوها وحطوا عليها
ليلا ولا علم بما يفعل من العسكر بهم وكان ذلك قرب
امر تبديل النوبة وقد غاب كثير منهم الى اهاليهم
وكانت كما يقة منهم تبيت بالبلد وذلك قبل ان
بعدمها ومعظمهم يبيت بالقصبة فلما ارست
مراكب العدو عليها انزلوا الخيل ان تحاية مقاتل
الى البر فدخلوا البلد وجاسوا خلالها واحاطوا
بالقصبة فاحسن بهم الذين بالبلد من العسكر
فثاروا بهم وقاتلوهم وسمع الذين بالقصبة الصيحة
فاشرفوا من اسوارها فامروا العدو قد دخل عليهم
البلد ومراكبهم مرسية بالبحر واخوانهم قد شرعوا
في قتالهم فلما راوا ذلك واخذوا اسلحتهم

وطلبوا الى رئيسهم ان يفتح لهم باب القصبة فابى وخشي
ان يملكوها عليه فاكرهوه على ذلك وقالوا لا يقتل الفرنج
اخواننا ونحن ننظر اليهم ففتح لهم الباب وخرجوا وامر
رماة المدافع ان يرموا المراكب فرموها وصدق المسلمون
الحملة فالقى الله في قلوب الذين كفروا الرعب فبادروا
بالفرار وواجهتهم رماة المدافع المراكب بالرمي فاقلعت
فلما رأت المنهزمة مراكبهم قد اقلعت القوا بايديهم
وسلموا انفسهم للاسر فاستولت عليهم ايدي المسلمين
وهم احياء ولم يفلت احد منهم الا من قتل فقيدوهم
وارسلوا بالفتح الى يوسف باشا وبعثوا اليه برؤوس القتلى
فالقاها امام دار الفرانسيس لزيادة النكال عليهم
وبعث من اتى بالاسرى وكانوا ثلاثمائة وثمانين
نفرا فادخلوا الحفرة مقرنين في السلاسل وعظمت
النكاية على الفرانسيس وكثر الاخذ لمراكبهم وكانت
المراكب الجهادية تخرج من ثغور الاسلام وتاخذهم
بالانتماء الى تونس ويقال انهم رجعوا امرهم الى
السلطان محمود خان ابن السلطان محمد بن عثمان
رحمه الله تعالى وكانت الدولة على عهده في غاية
الاستقلال فتغلب عليهم ثم ان الطاغية لما اقلع
امريكي باشا جعفر ثنتي عشرة مركبا من مراكبه الحربية
الكبار وشحنها بالمقاتلة والالات من المدافع والبونبة
وعينها لغزو الثغور الافريقية لتخريب القلاع
فكان من علو كعب يوسف باشا ونصح الله
تعالى للاسلام والمسلمين انهم في اليوم الذي ارادوا
الخروج فيه من مرسى طلون تكسروا فلذا ثمان عشرة
مركبا من مراكب الافرنج التي اتصلت لسبع سنين
فدرسوا بذلك الى ان غيبتهم فبغتة في يده وراى
ان صلح يوسف باشا حتم لهم شيء عنده لينفرغ
لحرب عدوه الشديد النكاية له ولتكون مراسي
افريقية ملجأ لما بقي اليها من مراكبه ان الجأتها
الضرورة الى ذلك وقد فتحها التونسي وموضع البيع
امر الصلح

امر الصلح واركبه البحر الى الغالة رهينة قريبة لهم بيك كبير في
وبونة من عمل الجزاير اخذوها لاهل كيادة المرجان مثل ثاكرت
فاستقر بها اعواما حتى خرج يونس لجباية الصيف وقرب
من القالة فراسله في شان الصلح وبذل له مالا على خلاصه
على الاعداء ممن يقبل اليد فكتب يونس بذلك الى ابيه
فاجاب بجمعهم وترددت المراسلة بينهم في ذلك وفي اخر
الامر التزم النصارى بشرطه وانعقد الصلح على ذلك
وعلى ان يدفعوا الهدية التي جرت عادتهم ان يدفعوها
عند عقد الصلح وزيادة عليها ولا يطالبون بما غنم منهم
من الاموال والامتعة والمراكب ويطلق لهم ما عنده من
اسراهم وكان قد اجتمع عنده منهم سبعماية السبي
فلما ابرم العقد اقبل القنصل من افرانسة واستقر بتونس
ودفعت الهدية وانقضت الفتنة وجرى الامر
على هذا الصلح الى يومنا هذا ودخل فيه جميع امم النصرانية
المالكيين فصارت قناصلهم يقبلون يد الملك ويحلفون
تحالفهم اذا ارادوا الدخول اليه وبقيت عادة مستمرة
الى هذا العهد

ثورة الاتراك مع الجند

Fol. 252

كان علي باشا قد استكثر من الاتراك وجلبهم من ارض
الروم ورتبهم في ديوان جنده واستكثر بهم على حربه
وانتخب منهم ابنه يونس رجالا عرفوا بالشجاعة
وتميزوا بالنجدة وعقد لهم الرايات ولازموه في حروبه
واسفاره واجزل لهم الخلع والاحسان فحملتهم
الدالة على الاستطالة وانتهاك الحرمات والاسراف
في الفتك والبغي وعلي باشا يغض منهم على القذا
ويتجرع ريقه في الاحتمال لهم على الشجا بما وضعت
الحرب اوزارها وانقضى شان القيروان يتقض لهم
بغض ما اغتنموه وكف من علوائهم وقبض ايديهم
عن الجور من البغي والعدوان وبلغ في ردعهم
فلما سمعوا بذلك وملا قلوبهم حسرة فتطارحوا

بشأنهم وتداعوا الى الثورة عليه والتوثب على المملكة
فاجمعوا رأيهم على ان يثوروا القصبة ليلا فيملكوها وقد اختزن
فيها باشا خزاين من كل شيء من الاقوات والادوات
الحربية من البارود والرصاص والكور والمدافع والاسلحة
وجميع ما يحتاج اليه المحاصر في المدة الطويلة وقدروا انهم
اذا ملكوا القصبة دخلت البلد في طاعتهم ونابذهم
من لم يكن داخلا في امرهم من بقية العسكر فلا يسع
على باشا الا الذهاب الى التغريبة والفرار وترك البلد بايديهم
ثم ان جمع الحرب لقتالهم كان حربهم عليهم يسيرا
واخذهم هينا ودارت هذه الحيلة الان في روسهم
ونصبوا لذلك امر رجلا منهم يقال له اسير علي كان صاحب
راية ثم صار كباخيا بالديوان فجعلوه باشا وقدموا اخر
من صحيبه الرايات اسود اللون يقال له قرا علي
فجعلوه باشا واخر يقال له علي بلكصوان جعلوه اغة
القصبة وتوزعوا الوظايف واقتسموا الخطط واتعدوا
الليلة عينوها من شهر ربيع الاول سنة 1156
فلما جن الليل وسكن الحس لبسوا اسلحتهم وخرجوا
من اماكنهم جماعات واجتمعوا بصحاء
القصبة ولم يتخذوا لاحد ممن لقيهم في الطرقات
من الحرس وغيرهم فلما تم اجتماعهم ذكروا رجلا منهم
يقال له يوسف ارنوط مشهورا بالشجاعة والباس
مكافحا فيهم مقبول الكلمة عندهم ولم يكن داخلا في شيء
من امرهم ولا علم له بما اجمعوا عليه من شانهم فخشوا
ان يخالفهم ويسمح له من كان على شاكلته من العسكر
فتختلف كلمتهم وتنحل عقدتهم فاراحوا ان يحسنوا
بده معهم ما نكلف اليه فاراح عليه ونفر معه وكان يسكن
بفندق جامع القصر وقرعوا عليه الباب فخرج اليهم
فلما راهم متقلدين السلاح انكرهم وارتاب بهم وسالهم
عن الذي جاء بهم فاعلموه انهم جاءوا للشورى
معه في مهم عرض لهم فقال لا بد من قرا علي
وحده فان الناس الان لا يحتملون حكمكم عليهم
ليسا

ليلا بالسلاح فادخله وحده واغلق الباب دون اصحابه
وسأله عن امره فاخبره بشأنهم كله واعلمه ان القوم
قد اجتمعوا بفناء القصبة ليتسنموا اسوارها وقد توقفوا
على حضوره ودخوله في امرهم لما يستظهرون بكفاءته
فلما وعى مقالته وكان رجلا عاقلا نجيبا وعنده
رأيه ورأى اصحابه واستضعف عقولهم ورأى وجوه
الخلل فيما دبروا وقرر عنده فساد ما اعتمدوا وعلم
ان امرهم آيل الى الاضمحلال والتلاشي زخرفه
بقوة في الباشا وشدة عقد فيه فقال له انج بنفسك
ولك خير فيه فقال كيف اصنع وقد برح الخفا وظهر
المكتوم وانتشر السر فقال له ان تسلم انت ويهلك
اصحابك خير من ان تهلك ويهلكوا امكث عندي الى
آخر الليل ثم انطلق الى باردو فادخل على
يونس وأره انك جئت منتصحا وفي له النصيحة
على وجهها وقرر براءتك عنده فلعلك تنجوا
فامتثل قرا عليه امره ووضع سلاحه وجلس عنده
واستبطأه اصحابه فرجعوا الى فناء القصبة واخبروا القوم
بما كان من خروجه الى يوسف ارخوه ثم لم يعد اليهم
فارتابوا لذلك واضطربوا واختل امرهم وتفرقوا
واختفوا في مساكنهم وعلم في الباشا بالهوان عاقبة الامر
فاستعجل حتى تفتح ابواب البلد وخرج في كفاية
على مثل رأيه فنجوا الى قسنطينة فلم يغلق من
علي باشا سواهم وخرج قرا علي من آخر الليل
فانتهى الى باردو ودخل على يونس فاخبره الخبر
وما ارادوه من الثورة وسمى له النفر الذين تولوا
كبرها وقرر براءة نفسه فشكره ووعده وعدا
حسنا وانطلق الى ابيه فاخبره ثم ارسل يونس
الى امير علي راس العنقة وغدا اصبح في الديوان
كعادته ثم تعيد الريبة عن نفسه والى بقية رؤسائهم
فاتى بهم فلما مثلوا بين يديه شتمهم وعنفهم وذكر
نعم احسانه اليهم فوجموا ولم يحيروا جوابا فلما رأوا قرا علي

جالسا عنده علموا انه الذي سعى بهم اليه فقالوا له ولهذا
الذي جالس عندك هو الذي اراد ان يتولى مكانك
فقبض عليه وامر بهم فخنقوا جميعا وكانوا السبعة
والقائم بقضاء القصبة لبقيتهم بعم غيرهم وارسل الى
قبائل الحضاريين ليأتوا له بهم فتمنعوا ولم يلقوا
بأيديهم ودافعوا عن انفسهم ووقعت الهيجة بالبلد
فقتل البعض حيدر خوجة ولاذ بعضهم بالدخول وسكنهم
حتى الغادرا وحلوا الى تونس وتتبعهم من امكنهم
واشتد البحث عن جميع من كان له يد معهم واستمر
الطلب اياما كثيرة وادار الحبل على رقابهم وقطع
شأفتهم وشفى نفسه منهم وبلغ عدد من خنق منهم
خمسماية نفس وحجر على الترك من ذلك الوقت
سكنى القلاع واسكنهم بالخلوات لينفي قرارا كسدا
الناس على تخليتها علوائتهم لهم فدفعوا من ذلك عنفا
شديدا ولم يستثن الا فندق جامع الفرج الكرامنا
ليوسف ارنؤوط الذي افسد عليهم امرهم وكساه
ووصله واحسن اليه تحكي عنه انه كان يقول والله
ما جلت الذي فعلت فيه يحيى باشا والما اردت
حقن دماء المسلمين وانقاذهم من يد تلك الفتنة
ومن ركب يحيى باشا في خيله من
بارجو وابد خل المخزن واتى الى مقدم الشيخ الاستاذ
ابي محفوظ محرز ابن خلف رضي الله تعالى عنه يريد
زيارة قبره فلما توسط الصحن عارضته المرأة المقيمة
فقالت له ان ها هنا رجلا تركيا معه السلاح قد دخل
في النهار وقعد الى قبر الشيخ ولما بلغنا خبر مقدمك
اعلمناه بذلك وامرناه بان يخرج فامتنع فوقف علي
باشا مكانه من الصحن وحضر ابو القاسم الوحيشي
رئيس الحانبة لبعض له خبره فلما رآه التركي
خشي انه علي باشا فرماه فأصاب الجبة فخرقها
فحمي غار المحث المسلم على التركي فاخرجوه فلحقه
رجل من الجند يقال له الحاج عيسى بيده السلاح
وشتمه

وينتهي الى الكلب فلم يبال به علي باشا بشيء بل امر به
فاخرج الى الجنان وقتل وامر بالوحشي فحمل الى داره جريحا
فبرا بعد ايام وركب فرسه واسرع السير الى باردو
وندم بعد ذلك على تعجيل قتله ووجدان حق الشفاء
لعله ان يقر فيعلم ما كان من مواطأته على فتكته ومن ذلك التاريخ
لم يدخل علي باشا مدينة تونس الى ان مات ولا دخل
سرايته التي بالربض

وقعة الكاف

وخروج المحال من الجزائر مع ابنا المولى الامير حسين بن علي باشا
ومحاصرتهم للكاف ورجوعهم عنها وذكر السبب في ذلك
قد تقدم ان المولى محمد باي لما ايس من نصرة حسين باي
وكفى له خداعه ارتحل الى الجزائر فاقام بها في ظل
ابراهيم باشا وكان يحكمه ويدنيه مجلسه ويرثي له حفظه
واعتذر اليه عن قصوره في جانب والده من نصرة علي
باشا عليه ووعده ان ياخذ له بحقه ويعيده الى
سرير ملكه ولم يتهيا له ذلك الى ان هلك في شهر
رمضان سنة ١١٥٨ وكان قد مرض مرضا شديدا
وكان فيه فلما ايس من نفسه انتقل من دار السلطان
الى داره واستخلف في منصبه ابراهيم خوجة الخزناجي
مكانه وعهد له بالامر بعده واوصاه ان ينجز للمولى
الامير محمد باي ما كان وعده به وان ياخذ له بحقه
فلما مات قام ابراهيم خوجة مقامه واطاعته العساكر
والاجناد وتم امره وكان ينافر علي باشا ويخشى
غدره ما اجلاه لانه كان من الذين وصلوا بالمحلة الى
تونس حتى اجلسه على سرير ملكه كما مر فلما
استقل بها لم يوف له بما اراد منه فمال الى جانب
المولى محمد باي واستحكمت بينهما بسبب ذلك
مودة اكيدة وكان كثيرا ما يعده اعانته على رد
ملكه والسعي له في ذلك فلما استقل بالامر
اراد ان ينجز له وعده وينفذ وصية مستخلفه

ويبعده الله من عزه وسلطانه وكان بالجزاير رجل اكابر
الدولة يقال له احمد اغة كان اغا صبايحية العرب
وصاحب سنجق الخيل عندهم له مكان عظيم من الدولة وكلمة
نافذة وحكم ماضي وكان يعني المرشح للامر بعد ابراهيم
باشا وكان عرضة لذلك سنا وقدما وله اخوة جماعة
اقوياء انجاد قد تسنموا الخطط وتمكنوا من الدولة
وحزبهم جانبه وما تعزم عليه ابراهيم خوجة الذي جاء
من ابراهيم باشا واستخلافه اياه بعده يخافه على
نفسه ويحذر وثبته عليه فكان من رايه ان يخرج
مع المولى محمد باي بن علي باشا ويولي احمد اغا
امر عسكرها ليستريح منه مدة مغيبها الى ان يقدر
له فيها راي ويكون قد شفى نفسه من علي باشا
ونفذ وصية ابراهيم باشا والخبر للمولى محمد باي وعهده
بالاستدعاء واعلمه بما عزم عليه وامره بالتهيؤ لذلك
والاستعداد وكتب الى حسن باي بقسنطينة
يعلمه بذلك ويامره بالاستعداد لمشي ذلك
عليه وعظم عنده لاكنه لم يسعه الا الامتثال وكتب
ايضا الى مولانا الكاتب من قسنطينة في ذلك وكتب
اليه به اخوه وامره ان يعسكر بضاحية قسنطينة لتجتمع
عليه قوافيه وتنضم اليه الاعراب وتوافيه امداده ومن
اراح الانحياز اليه من اعراب افريقية فلما ورد عليه
الخبر خرج في اوايل الحجة م ١١٥٤ السنة وضرب
خيمه الحلي بالضاحية واجتمعت عليه الاعراب
والتفت عليه القبايل ولما حم حضراوان خروج
المحلة امر ابراهيم خوجة بنصب الخيام وازاح علل
عساكره وخرجوا في محلتين احداهما لنظر احمد
اغا المذكور ومعه المولى محمد باي في خاصته واصحابه
والاخرى ارسلها الى حسن باي ليخرج بها
واستنفرها اليه وخرج المولى محمد باي في
محلة من اتباعهم المنتخبين معهم من اهل افريقية
وكان خروجهم في شهر ربيع الاول وخرج
حسن باي

حسن باي للتفتيش فلما ورد عليهم تسلم محلته وساروا جميعا
الى قسنطينة فما راحوا منها وراحوا الحلل واجتمع
مولانا باخويه وفضيل وكبراء من اتباعهما ثم ارتحلوا يريدون
افريقية كل من الحاج ١٤ اغا وحسن باي في محلته والمولى
محمد باي في محلته ومولانا ايده الله تعالى في ناجعته
وقد كان علي باشا المعزول ابراهيم خوجة على غزوه
اخبره بذلك عيونه في الجزائر فاخذ في الاستعداد
والتهييء للحرب ثم ارسل اليه ابراهيم خوجة رسلا
وطلب منه امورا غير ممكنة واشتد عليه في طلبها
فردهم بالجملة ولم يجبهم الى شيء مما طلب لعلمه انه
لم يرد بذلك الا ان يتعلل عليه وانه قاصده لا محالة
وزاد في الاستعداد والتاهب وشرع في تحصين الكاف
وشحنها بالعدد والاسلحة والاقوات وراى ان يقيمها
في وجه الجزائريين وقدر انهم لا يتجاوزونها اليه
لاعتراضها فيشغلهم وفي بلدهم فتنقطع عنهم
الامداد ويكونون قد تركوا اثنين عدوين فلا يجد
لهم عن منازلتها ولا يقدرون عليها لحصانتها وشدة
باس اهلها فانتخب لها من عسكر الترك نحو ستمائة
مقاتل وارسلهم لقصبتها لنظر حيدر خوجة ومن
زواوة الف مقاتل لنظر رئيسهم علي التميمي ورتب
بها ارجان الطبجية المنسوبين اليها لنظر اغاهم
حسين كرباصة وامر اهلها بجميع ما يحتاجون اليه
من الالات والاسلحة وجعل العسكر كله الى حيدر
خوجة وعلي التميمي ويقال ان مصطفى بن متيشي
كان عازما على عارضه في ذلك وقال له لا تجعل
ملكك معلقا على الكاف انني لعلي قريب من القرى
فانهم اذا اخذوها كان لهم ما وراءها وسوقلتك
لعينك من اعينهم راعيت جندك فلم يصغ
اليه وقوي عنده صحة رايه ما حصل لمحلة الجزائر
من المرابطين عام سبعة لما خذلها حمودة رحمه الله
تعالى من الحامية ثم ارسل الى جميع البلاد الغربية

التي بين الكاف وتونس مثل تبرسق وتستور وباجة وكبرفة
وغيرها من القرى بارح اهلها عنها وتركها خالية بما تسلط
عما لقوا من الشدايد ولما استغنى حيدر خوجة بالكاف احس
من بعض العسكر الذين معه صاغية الى المولى محمد باي
والخروج عن علي باشا فبحث عن امرهم حتى انكشف له
سرهم وكتب الى علي باشا يخبره بسرهم وكتب اليه ان ينزل
من العصبة كل من حصلت له فيه ريبة ويردهم الى تونس
فرد نحو من مائتين وخمسين رجلا ولم يترك معه الا من علم منه
الاخلاص ولما بلغ علي باشا ارتحال المحال من قسنطينة
ارسل الى دريد يستنفد عيهم الى النزول على الخنقة
فتثاقلوا وابطاوا وراوا ان في ذلك هلاك انعامهم
ومواشيهم واجمع رايهم على انه ان خرج احد اولاده بمحلته
اجتمعوا عليه ونزلوا بنواحي القيروان يرصدون غرة
من العدو وان لم يرحلوا ارتحلوا الى الصحرا فلما بلغ ذلك
صاحبه احمد بن سليمان المناعي ارسل ابنه حميدة الى
قومه اولاد مناع وكان بناحية تستور فقال لهم
الراي عندي ان تتقدموا مرحلتين وتنزلوا بجفوتي
وتنظروا ما يفعل اهل الجزاير فاذا لم يتجاوزوا الكاف
كنتم قد نصرتم الانفسكم بالظهور بطاعته فامنتم غايلته
وثبتت مزيتكم عنده وان هم تجاوزوا الكاف نظرتم في
امركم فان اخرج اليكم احد بنيه كما طلبتم التقيتم
عليه ورحلتم معه الى ناحية القيروان ورصدتم غرة
عدوكم وان لم يرحل كانت الصحرا امامكم فترحلون
وقد ابليتم عذرا فلما سمعوا كلامه علموا انه قد نصحهم
وتكلموا في ذلك اولاد جويين واولاد عزمة وعرب مجور
واتفقوا كلهم على هذا الراي واصبحوا راحلين
فلما نزلوا على الكرايم ركب علي باشا واولاده لتلقيهم
واظهروا السرور لمقدمهم واتفق رايه معهم
على ان ينزلوا عنده فان جاوز الجزايريون الكاف
ارسل اليهم محمدا وارتحلوا به ونزلوا تحت
وسلاتة وامرهم ان يتزودوا بالحريرية
ومنوبة

ومنورقة فاهلكت انعامهم بسفينتها وضاقت عليهم المراكب
واشتروا مياه الابار فلم تكفيهم لسقيها ثم رسقوا انعامهم
وغرضوا بالاقامة هنالك فامرهم حينئذ ان يرتحلوا
وينزلوا على مرحلة ليتسع لهم المرعى ويشربون من النهر
كل شهر وفي والجزائريون لم يلفوا الكلاب وكانوا لما
ارتحلوا من قسنطينة لم يراجعهم سيدي بن ابي عزيز
في الحنانشة لا يستحيي شيء من حسين باي وكان من
خبره انه لما هلك جده ابو عزيز كما قدمنا كان ينتمي
المرشح لرياسة الحنانشة بعده وكانت الرياسة
قبل هلاك ابو عزيز منتجمعة فيه وفي رجب
ابن احمد الدخي فلما هلك ابو عزيز استقل بها رجب
فتطارح سيدي على مولانا الملك ان صغر منه ولصغر فتنة
الكبيرة فذا استحكمت فيهما فتربصه له عند حسين باي
والحكم الدفد معه على ان ياتيه به ليوليه مكان جده
باستدعائه وركب معه الى حسين باي بغلده امير
الحنانشة وكان رجب بن احمد الدخي عنده فاعتقله
وعزم على تغرب قومه من الحنانشة فامر بالركوب
اليهم وعهد الى مولانا ان يلاقي ناحية في خيله
الى عزمه ايضا فيصبحوهم بغارة شعواء فابتهل
حفظه الله تعالى من عنده مساء وسار ليلته كلها
في سرية من الخيل كانت معه فلما اصبحوا وجدوا
انفسهم في ارض بعيدة عن مكان الناحية واذا هم
قد اخطاوا الطريق اليها فبينما هم كذلك لم يرعهم
الا تواجيه الخيل كالحة عليهم فنظروا فاذا هم قوم
رجب قد اجعلوا لما بلغهم اعتقال صاحبهم
وهموا به حفظه الله تعالى لعلمهم ان ما حل بهم
انما هو بتدبيره وان في القبض عليه نجاة صاحبهم
فكان منه ايده الله تعالى في ذلك الوقت من
الثبات والشجاعة واصابة الراي والبد يعني التي
لا تشتغل بها الا الكبار حتى خلص منهم ما سنقصه
عليك ان شاء الله تعالى من كتابنا هذا ومن ذلك الوقعة

استقل سديرة رياسة الحنانشة الا انه لم يركن الى حسين
باي ولا اطمأن اليه ولا وفد عليه منذ ولي ولا وقفت له عليه
عين فلما اشتد قلقه عنه في وجهته هذه ازداد غيظه
وحنقه عليه واشتدت ريبته منه فلما نزل على تبسور
فاوض في شأنه المولى محمد باي وذكر له فساده بالكلية
وانه لا يأمن من ان يفسد عليهم امرهم فجملا على
قتله وقال له حسين باي انا احتال عليه حتى يحصل في
يدي لاكن اخوك لا يوافقنا على هذا الرأي لشدة المودة
بينهما ولكن صدرت منه فاستدعيه لتعلم ما عنده
في هذا فلما حضر عرض عليه رأيهما فانكره وقال قد
تعلمان ان الحنانشة هم جناح المحلة ولو قتل سديرة
انفضوا من حولنا وكنا قد قصصنا جناحنا بايدينا وسعينا
في فساد امرنا بانفسنا وهذه هي التي اراد حسين
باي بتدبيره على سديرة لطول الانس لعلي باشا
ولشدة عداوته للمولى محمد باي فلما سمعها مولانا ال
التفت حسين باي الى المولى محمد باي وقال له الست
اقل لك ان اخاك لا يوافق على سديرة فقال له
اجل لا اوافق عليه فيما هو مضرة علينا ولا يدلنا
الا من مصانعته فاذا انقضت حربنا فشأنكما
وإياه فالان كيف نفضح به وقد تأخر عنا
ولم يدخل في شيء من امرنا قال انما اخذه الخوف
على نفسه فاذا اعطيتماه ثم عهودكما ومواثقكما
على ان لا تؤاخذاه بمكروه اتيتكما به فاعطياه
من ذلك ما رضيه وركب الى سديرة وكان لا يخفي
له امرا فاخبره بالقضية على وجهها وقال له سر
معي في خفارتي ولا بأس عليك فارتحل معه
في ثلة من جماعته حتى نزل على المحلة وارتحل معهما
فلما نزلوا قصر جابر اغارت غارية من ناحية مولانا
ومن عمته اخيه المولى محمود على الكتاب كيفما
في اخذ سرحها فلما شربوها هدموا كل ما فيه
من اهلها قد خرجوا الى ما سرها للمينز

فنادوا شويخ

بنا وشرعوا القتال وارسلوا الصريخ الى البلد في جوا خيله
ورجله ووقعت بينهم حرب مات فيها من اهل الكاف
واسر ثلاثون رجلا اربعة عشر من اهل البلد والباقون من
زواوة وكان اول قتيل من جند الجزاير علي بلهوان الذي قدمنا
خبر هروبه من تونس بعد ثورة الترك على علي باشا
وقتل ايضا جابر الكلا في شبيكة كلاع ورجل اخر
وانحزوا واخذ راس علي بلهوان ومن معه واتي بها الى
تونس واطلق المولى محمد باي البلديين من الاسارى
تالفا لقومهم يرجعوا الى بلدهم وارتحلت المحال من قصر
جابر فنزلت على الكاف في سلخ من جمادى الاولى
وكان نزولهم بالمرجة من قبلي البلد واعترت افريقية
لقدوم ابناء المولى الامير علي والخشت اليهم الاعراب
من كل اوب من اوباشهم سار اولاد ابي غانم وساير
قبايل ونيفة والفراشيش وماجر ودرنتان وغيرهم
فملكوا النواحي وامدهم سادات الحناشة والاعراب بما
يحتاجوه اليه من الحبوب والاحطب والمواشي واستشرفت
الجنود وامتدت الاعناق لعودهم الى سلطانهم ومغى
عزهم وكانوا قد اقبلوا في عديد وافر وعدة تامة
وهيبة عظيمة وافترض عامة اتباعهم اموال الامة
التجار وغيرهم واحرزوا المراكب العارية والعدة الوافرة
والقوة الباهرة وكانت عساكر الجزاير وجنودها
في غاية القوة كثرة عدد وشدة نجدة واذعنت اليهم
بقية الحشود من افريقية ووطؤوا الارض وملكوا الفضا
ولم يشك احد في استيلائهم على مملكة تونس
لولا ما قيض لهم الله من حسن راي ومكر وخداع
ووجدت على المولى محمد باي الوفود من كل ناحية
فاتته وفود الجريد من جميع بلدهم ووفود باجة
وجميع قبايل البربر من جبالها وغيرهم من جميع
القرى والبوادي كلهم قد دانوا بطاعته وانقادوا
لدعوته وفي اليوم الثاني من رجوعهم ركب
الامراء جميعا في جنودهم وعساكرهم وكاتبوا اهل البلد

واحاطوا بها من جهة ذنبها ارتقابا لعدوهم والانحدار القويم
وارتياد الموضع متاريس لهم بالتجني رايهم على ان يتخذوا متاريس
محيطة بالبلد من كل ناحية ليشتد الخناق بالمحاصرين من جميع
الجهات وعينوا امكانا منها الموضع البونبة ومكانا وكان
مستعليا على البلد مشرفا عليها لتركيب المدافع
ورجعوا الى محلهم وبعد ثلاثة نزولهم خرجت العساكر
ليلا باتوا المحلة وعملوا متريسا من التراب والعود
وجروا اليه المدافع ثم عملوا متريسا اخر وجروا اليه
البونبة وادارا المتاريس بالبلد كالطوق وتمكنت
بها المقاتلة ونشبوا القتال وتتابعت الرماية من
الجانبين وحمي الوطيس وخاف الحصار باهل الكاف
ونالت منهم المدافع والبونبة ونفذ عليهم السلوك
في الكرنات من الرصاص للاشتعال المعلق عليهم
فكانوا ينقبون الدور ويسلكون من دار الى اخرى
وشرع الجزايريون في اتخاذ النقب المسمى
باللسان التركي باللغم وهو من مكايد الحرب
العظام التي تتخذ تحت جدران الاسوار حتى يدخل
تحته شيء فتاكسير البارود وتجعل اجزاء منه مبثوثة
بطول النقب متصلة ببعضها وتدفع النار في
مبادئ عند اول النقب ويلتهب ما جاوره ويبلغ
الى معظمها فيرجع مدفوعه من البنيان ولا يبقى له
شيء وتنقلع منه قطعة فيكون الهجوم منها بعد حصن بذلك
اهل الكاف واخبرهم به عيونهم وكان في العسكر الذي
بها من الاتراك صاحب رابية يقال له محمد جيجي
داسرجي عالم بصناعة الالغام وبالحيلة في افسادها
فشرع في حفر حفرة كبيرة تحت جدار السور
من داخل ليتنفس البارود واذا اضرموا ثم غلب
على ظنه وظن غيره موضع اللغم من الناحية التي
وقع منها بقراين قامت لهم على ذلك فاج لسوال
وجعلوا من السور ليلا لينحبس للعمل يرعى
الاضواء المصباح تحت الارض فدخروا من كونه
اتخذها

اتخذها صاحب اللغم لاستطاعته بتكثر منها بزعم رجل
مطلعا برصاص بن صالح وكاتبه وعاد الى الحاجب
من حوله فاخبرهم بالذي وقع واتفق من الغد عين فيهم
فاخبر قومه بموت الرجل وانه من عملة اللغم وتحققت
عندهم حقيقته واعلمهم مصطفى خوجة امر حي انهم لا ينفعهم
موت عاملهم من اتمام اللغم لان لهم عملة غير
الذي قد نفذ احكم شغل جلدته على الكارة وجعل
عليه قبضة من الفحم واتى الى تلك الجهة وكشف
بضعه في مكان الشق جدار السور واخذ الفحم باقيا
على وضعه لا يتحرك ثم تنقل الى مكان اخر حيا ولازال
حتى صادف سمت اللغم فلما وضعه فيه حصل الحب
يتكاثر من جوف الجب لاجل ضرب الفاس عند الحفر
من تحته فعندها شرع اهل الكاف في الحفر
على ذلك السمت حتى لم يبق بينهم وبين اللغم
الا حائط رقيق من التراب فجذ فوه والفوا العامل
الاخر فقتلوه وجروه الى البلد فنيلوا وفسد اللغم
واشتد فرحهم بنجاتهم من تلك المكيدة وانتشر
الخبر بحسين باي فاعظمه واخذ الرعب والانزعاج
وكان مصرا على خداعه ومكره والرسل تتردد بينه
وبين علي باشا سرا ولم يعد يحضر العساكر
عشية وردهم من حيث جاءوا وذلك لامور منها
شدة عداوته لابناء المولى الامير لا سيما المولى
محمد باي ومنها جبنه ونكوله عن الاقدام
ومنها كثرة عينيه ورغبته في الاموال التي وعده
بها علي باشا فلما فسد امر اللغم كتب له وجه
الحيلة فيما اراد فوجه من باشته على اغا
ابن مقيس وكان اغة صبايحية الترك
ورتبته عندهم ملحقة بمرتبة اغة صبايحية
العرب فقال له قل لك ان تتولى صبايحية
العرب مكان الحاج اغا مع كذا وكذا من المال
ادفعه اليك من مالي ومثله اخذه لك من علي باشا

وتجيئي الى خلصة فيها صلاح ذلك ما هي ذلك قد رايت
ما جرى على اصحاب اللخم وقد كان مقامنا على هذه البليدة
ولم اصنع شيئا برايت ان انزل العسكر من المتاريس واكف
عن قتال العدو واكتفي معنا انا لا نقدر على فتحها الا بمجيء
بايتنا من الجزائر وارسلك انت وثقاة من اصحابي
الى ابراهيم خوجة بهذا السبب في الكاغو وانت
تعلم ثقل مكان احمد اغا عليه وتخوفه منه عن
التداثه فيه داخل العسكر في الترتيب عليه واتفق معهم
انه اذا لم ياخذ تونس رجع بهم ودخلوا الجزائر
بالسيف والدخول بالسيف كناية عن اجتماع العسكر
عند الدخول الى البلد وطلبهم خلع من بها وتوليته
من معهم وانا نخشى ان كان مقامنا ان يزداد امره قوة
حتى لا نقدر على تلافيه فيلحقنا الندم في الاقلاع
عن الكاف والرجوع الى بلدنا وانا اكفيك امره فلما
ارتحلنا قتلته وارحتك منه فجاءه علي بن مفسيس
على ذلك وابرما عقدة هذا التدبير وبعد ما كلم
حسين باي احمد اغا في الافساد عن القتال وارسل
الرسل الى ابراهيم خوجة ليرى رايه فيما ان يبعث
مددا او يامر بالرجوع او بالاقدام فاجابه الى
ذلك ولم يمكن لما اراد من المكر به رغبوا على
اغا بن مفسيس ورجلا من ثقات حسين باي
يقال له الحاج محمد كان صهرا على اخته وضموا اليهما
غيرهما وارسلوهم الى الجزائر ولما جن الليل
امروا العسكر ان تنزل عن المتاريس وتتركوا القتال
وانزلوا الاثقال حربهم من المدافع والبونبة
وغيرها واقاموا بحلتهم واحس بهم اهل الكاف
من الليل فاذا خلوا رجالا من السور يتجسسون
لهم الخبر فجاءوا اليهم واخبروهم ان المتاريس خالية
من الحامية فنشا فخرجوا من الاسوار وعاثوا
فيها وافسدوها ورجعوا وكان علي باشا لما
بلغه شدة الحرب واتصل به خلاف ان ينفتح

البارود

البارود والرصاص على اهل الكاف فانتخب خمسماية فارس
من جنده وامر عليهم لنظر شريحة كاتبه الباجي وضم اليه
جماعة من الروساء وبعث اليهم مايتة وعشرين جملا من
البارود والرصاص حملوها على الخيل والبغال لسرعة السير
وبعث اليهم ايضا جملة وافرة من المال وامرا ان تفرق على
العساكر بالكاف فخرجوا من باردو والبلد واغذوا
السير فانتهوا الى تستور من فحص الفد فباتوا
بها وعلفوا دوابهم ثم ارتحلوا بقية يومهم وليلتهم فاصبحوا
وقد شارفوا الكاف فبادر حسين بن محمد ابن كبراه وكان
عند قومه من كان من رسل الشيخ الى المحلة ينذرهم
بركبة الامراء وخرجوا في عساكرهم وقد كان عمار
كربجح قدم امامه بارسي الليل الى الكاف فاعلمهم
بقدوم المدد عليهم ففتحوا باب البلد وخرجوا يمنعونهم
مع فرح من ينبغي ضم لهم من المحلة فالتقى الفريقان
بخارج البلد واقتتلوا ووقع بينهم قتال شديد فرجال المولى
محمد باي وحسين باي بين اهل الكاف وبين الخلوص
الى محاربهم واقتتلوا فيهم حتى ادخلوهم البلد واسرع
المولى محمود باي الى البلد بنفسه وفي البلد
فرسخ يدافعوا جماعة بسيرا ثم القوا بايديهم
وقتل من قتل منهم واسر الباقون ولم ينج منهم
الا القليل واخذت تلك الاحمال كلها ولما رجع
بالاسرى الى المحلة امر بهم حسين باي فقتلوا عن
اخرهم ونجى كبير القوم عمار كربجح الى الكاف
سليما ورجع من افلت منهم الى تونس فاخبروا
بما جرى عليهم فرجع لذلك علي باشا واثر فيه وعاب
مولانا ايده الله ذلك عن الركوب في يوم
جمادى الثانية جسده الشريف ثم ان حسين باي
لما راسل في اعانة الجزاير وكتب عن القتال
تنكر للمولى محمد باي واخويه ولسجين ابن
ابي عزيز وتعيت عليه دلايل ما اضمر من
المكر والخديعة وكانوا قد تمكنوا منهم لمقصده

وفي اليوم الخبر بها اسرى بجلس سيدي الى مولانا ايده الله
تعالى وعنده اخوه المولى محمد باي للشورى والمفاوضة
في الامر فقال لمولانا اعزه الله تعالى لسيدي ان هذا الرجل قد
ضعف منه عقله من الفقر والنشف قد جيت في ضيافتي
فخذ لنفسك الان فلا ضمان لك علي فان اذا ارتحل قال من
اجل ضيافتي اخوه وقال له كيف تامره بالرحيل ولو
ارتحل لم يكن لنا مقام بعده قال دعه يرتحل وننتظر عود
الرسل فان عاد والا فخير وانحن لنا في الانسلاخ
الى تونس كنا ح[2] اغرسه حسن باي وكان ارجاع
سيدي علينا لعنيا وان كان الاخرى فكان قد احتفظ
لنفسه في السعة ونجيه من القتل وسلمت انا من
معرة خفر الذمة فنفذ سيدي الى خيمه ولما
جن الليل ارتحل ولم يصبح الا نوبيه واثاقيه فلما بلغ
ذلك حسن باي قام وقعد وامر بنقب ما خلفه
من الثقل واتى اليه بفوارس من قومه تخلفوا عنه
فاعتقلهم واخذ خيلهم وانجنح له بعروب سيدي
فاب في احترامه المكرم فاستدعى المولى محمد
باي وقال رايت ما فعل سيدي ولا فاسفه على بلدي
ان يفسد بها ويشرع ارائه عليها فاما ان تاتيني
به والا اصبحت شرقتك وقدر انه اذا عادت اليه
الرسل من الجزائر بفي ما يريد اتخذ هذا
الوجه سببا للرجوع وخاف المولى محمد باي ان يعجل
بالرحيل وقضى له ان ياتيه به وعاد الى خيمه
فاستدعى اخاه المولى محمود باي وارسله الى
مولانا لطاقته حسن باي وكانت الحمى قد
اخذته فقال له اني مريض كما ترى فانطلق انت
الى سيدي ما حاجه فانه لا يامنهم على نفسه
فقال له ارسل الى اخينا فليات الينا فاني لا استطيع
ان اذهب اليه فلما جاءه قال له عج الى حسن
باي واعلمه اني جار له من كل امر تخشاه
من سيدي فان رضي والا ركبت اليه فعاد اليه
واخبره

واخبره بمقالة اخيه فلم يرض بجواره وقال له يلحق ناقتي في
الارتحال وعند ما اتصل بمولانا من جرابشي ولبس
لامة حربه وركب فرسه واذن لي الى حسن باي
فقال انا اتيتي رجعه واصحب فقال تريد ان تتكلم الى
سيدي قال نعم فاتكلم من في سجنك من قومه وردهم
خيلهم وسرحهم فيه فاراد ان يفتتح فقال له كيف يكفيني
اليك وفي تاتيك وقومه في الاعتقال فاطلقهم ورد اليهم
خيلهم وسار بهم حتى ادرك سيدي فغدى عليه الفرس
فقال ما ترى ان افعله بكل شيء تامرني به افعله
وكان يكفيه في كل شيء، فقال له ان ندعيه اليه
الان فلا امن عليك فالرأي ان نقيم لعلنا نرسل
سيارة يرصدون لنا الطرق عوض الرسل من الجزائر
فهذا اوان انقلابهم فان عاد معهم علي بن مفسيس
علمنا ان الامر قد جاء بخلاف ما جرى بنفس البيع ح
ولا نقدر على مقدرتك وان لم يجد امتت بملك تكن فقد
تم له ما اراد، وهو رجع بالحال لا محالة فارسلوا السيارة
ترصد لهم الرسل فلم يلبث حتى جاءهم من قبل
الى حسن باي ركدا من خبرهم ان علي اغا الماح خيل
علي ابراهيم خوجة قال له ارسل الى عسكرك فرده
اليك قبل ان يغلق عليك رتنق لا يمكنك تلافيه
بان الحاج اغا صدر منه كيف وكيف للمقالة التي
سمعها اليه حسن باي وان حسن باي غير ناصح لك
ولا راض بقتال علي باشا وفتح بينهما معاتبة
للرئاسة عن نفسه فوقع هذا الكلام من ابراهيم
خوجة موقعا عظيما وخشي ان يحدث عليه حادث
في ملكه فكتب الى حسن باي يحثه الى ما اشار
عليه به من الرجوع ويامره بقتل الحاج اغا
وامسك علي بن مفسيس عنده ووعده بولاية
خليفته احد اغا بعد قتله ورد اليه فيها وكتب معهم
كتبا ثانية في الامر برد المحلة فتنبهوا الى
المحلة بعد مغيبه خمسة عشر يوما واتصل

لمولانا ايده الله تعلى ولسيدي حسن خوجة مسند ولم يتحصل
بهما غرض ما عاد واحد فبقيا وضوا في الراي فقال لهم مولانا
ان اشر بكذا ذلك وارجع انه الى المحلة فان وجدت الامر
على ما نحب ارسلت اليك فلحقت بي والا فقد حصّلت
حق سفاتك ثم ان اتاك كتابي في القدوم فلا تقبل
الا اذا بعثت لك بعلامة كذا العلامة واتفقا
عليها فلما مضى جزء من الليل اتصل بهما الخبر اليقين
ان الرسل علمت برجوع المحلة وانها ارتحلت من
الكاف مغربة فورد عليهما ما اعكم وارج وقال سيدي
لمولانا لا امن عليكم بعد نقض الرجعة من مكري فقد تسلم
علي يد حسين باي فقد اشتد عداوته لكم
جلوا ثمت عنكم وامحلتنا   تعود المحلة الى بلدها
واستدعينا الاعراب الذين كانوا معك من اهل
افريقية فاجتمعوا علينا واتينا على افريقية فلا شيئ
كعبنا مدالى الكرايم فاستنح من ذلك وقال كيف
انجوا بنفسي واضع اخوتي ويتحدث الناس اني
فررت عنهما في ساعة العسرة ولاكن دعني اذكلني
واحرص عليهما فقال لك فان اخذنا في الرجوع
اليك رجعت ثم اشار علي سيدي ان يكتب الى
علي باشا يخبره بانعزال اهل الجزاير عنه
ويتخذ ما عنده يدا ويحثه عليه بالتحزب عسى
ليستند اليه مما نزل به امر من حسين باي وقال
له انك لا تقدر على عداوة صاحب تونس وصاحب
قسنطينة فامتنع سيدي الا ان يكون ذلك عن رضى
منه وطيب نفس وقال له لا اري من عاجيته
قال له اوعه فيه في هذا صلاح امرك   ضرر
علي في ان تواليني علي باشا كما هو التامي على
نفسك فكتب سيدي من حينه الى علي باشا وخرجت
الرسل ومولانا عنده فقبل منه علي باشا اعتذارا
له وبقيت المكاتبة والمراسلة بينهما الى
ان هلك سيدي ثم بارقه مولانا راجعا الى
المحلة

المحلة وكان من خبرها انه لما وردت عليهم الرسل وفرتيب
كتب ابراهيم باشا اخي حسين باي بالرحيل بورود على
اهل افريقية الذين بايعوا عليا باشا وجاهروا بعداوته
اعظم وارد وسقط في ايديهم واما اتباع المولى محمد بداي
فلا تسئل عما كابروا من المشاق وما تدبيرهم وورد على
اهل الكاف عيونهم من المحلة ليلة رحيلها بالخبر وانهم
انها مرتحلة صبيحة الغد فباتوا على حذر شديد وخافوا
ان يكون ذلك مكيدة ارادوا ان يكيدوهم بها فلما الصبح
اخذوا في الرحيل ورجعوا من بجي وذلك في العشرين
من رجب فلما راى اهل الكاف قد رجعوا خرجوا الى
منازلهم فوجدوهم قد قلعوا بها كثيرا من الثقل والحبوب
فانتهبوها وكتبوا بالخبر الى علي باشا فلما ثبت عنده
رجوعهم عنه وكشف عن حربه سر سرورا شديدا واظهر
البشرى والفرح واقيمت اعياد الخضرة للمتغنين ووجب
عليه الوجود وامر باطلاق المدافع من جميع الابراج
ثلاثة ايام متوالية وقضى الله تعالى ان يطلق
عشرين سنين بعدها لكن اجل كتاب ولما اجتمع
مولانا بابن خويه وجد بهما قد اخذ منهما الجزع ما اخذه
لعوارض ما مولاهما فجعل يشتمهما ويسكنهما وكان فيما
قال لهما كان ينبغي لنا الان ان نبي لا ان نحزن بانا
اليوم صرنا ملوكا حيث العساكر وانجت
الحال على اعقابنا ودخلنا بها افريقية وبعد هذا
فلا تدع عن طلب ملكنا ما بقيت من واحد منا
غير نكير اخبرني جماعة من اصحابه الذين شهدوا
معه ذلك الوقت انه ايده الله تعالى لما حل بهم
هذا الامر الوضيع ونزل بهم هذا الحادث المريع لم
يخامر قلبه شيء من الدهش ولم يظهر عليه
شيء من امارات الجزع ولا تغير عما الف المعهود
من حاله وذلك من دلائل كمال ايمانه وقوة
جاشه وارتباط جنانه ثبته الله بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولما انتهت الحال الى

البسقينة على مرحلة من قسنطينة دخل المولى محمد باي
على احمد اغا بفرجيه صباحا للسلام عليه وبينما هو
عنده اذ دخل عليهما حسن باي قد جاء برسم السلام
عليه ايضا وكان قد اوغر اليه ذوي من الجار وشية بقتل
احمد اغا وكلمهم على كتاب ابراهيم خوجة
اليه بذلك فلما استقر به المجلس اشار الى المولى
محمد باي بالقيام اشارة خفيفة فنهض لا يبصر
موضع قدميه لانه لم يعلم السبب في ذلك وادرب
الى مضربه فقبل ان يصل اليه دخل اولائك الشجع
على احمد اغا فقبضوا عليه وساقوه الى مضرب
كبيرهم فخنقوه ولفوه في كساء وحملوه على بغل الى
قسنطينة فدفن بها وانقطع اثره ثم دخل حسن
باي قسنطينة وسرح عسكر الجزائر الى بلدهم
باستئذان المولى محمد باي في الرجوع الى الجزائر
معهم فلم يأذن له وتعلل بان ابراهيم خوجة
لعله لا ينام عنه ونرى ويعيد الكرة الى غزو ابراهيم
باشا فيكون بغايك لعاسة كتيبة مؤونة لجيشه
السعي الى الجزائر والعود منها وما اراد الا ان يقضي
منه بابغايه تحت حوزته فارتاب لذلك محمد
باي واستولى حبشي منه ورعاه به على نفسه وذهبت
به الظنون كل مذهب فارسل كاتبه ابا العباس
احمد الاصرم الى الجزائر ليستنقذه من حبالته ويسعى
له في النقلة اليها وبقي بعده بقسنطينة على
وجل وحذر شديد فكان يدخل على حسن باي
كل يوم جمعة للسلام فيتنح مع شرب القهوة
عنده ويستثني بالصوم خوفا ان يدخل عليه شيئا
فيها وكان حسن باي يعرف ذلك منه ويتغافل
فلما بلغ الاصرم الى الجزائر وجد وجدها منكرة
واحوالا متغيرة ومطالب متعسرة فلم يزل
يتذكر على عظماء الدولة ويلازم ابوابهم
حتى اجيب الى مطلبه فكتب ابراهيم خوجة الى حسن
باي

باي يامره بنفي عم المولى محمد باي الى الجزاير فخرج اليها
في اوايل سنة ١١٦٠ فلما دخلها لمحمد عند ابراهيم
خوجة مدة كان يمدها من البر والاحتفاء والمبالغة
في ذكر منته وتوكيده باتمام كذلك رعته ثم عاد الى ما
كان عليه معه وقرب مجلسه ورعى له حقه

وفاة المولى محمود باي

ابن المولى الامير حسين

لم يزل منذ ارتحل عن الكاف ملازما للذكر والاكتئاب
عن تعاطي الطعام والشراب تاسفا على ما فاته من بلوغ
امله وعوده الى منصب عزه وسلطانه وعزاه في ذلك
اخواه وتحالف من اصحابه ووعظوه وسلوه بكل وجه
فلم ينجح في ذلك وقال ابن حياة تكتئب واي عيش
يغتبط بعدما رايت بلدي بعيني ورحلت عنها ولم يزل
على تلك الحالة وجسمه يذبل وقواه تذهب الى
ان توفي لاحدى عشرة خلت من سنة ١١٥٤ بقسنطينة
انظر ما كان شابا او رغم عودا واعلى ما كانت القلوب
به واشتد ما كانت الامال مصروفة اليه وضم اللحد
منه ليثا همولا وروضا للمكارم منضورا فقد كان رحمه
الله تعالى شجاعا وحازما وكملا مبيرا له المشاهد
المشهورة والوقايع المذكورة ايام القيروان والساحل
وكان على شجاعته حسن الاخلاق سهل الطباع
لا رعايه لا كنه شديد الشكيمة صعب المراس
على اعاديه جريا مقداما حازما عاقلا كريما
عالي الهمة ابي النفس رحمه الله تعالى وبركاته
عليه ووجد عليه اخواه وجدا عظيما واسفا ملهبا وفجعا
وعظم عليهما مصابه وبلغ الحزن من المولى محمد
به مبلغا عظيما ثم ارتحل المولى محمد باي
الى الجزاير بعد موت اخيه كما قدمنا وبقي مولانا
ايده الله تعالى بقسنطينة مستوحشا من حسين باي
وكان علي باشا يذكر مقامه بها لانه لا تزال نازعته

Fol. 264 v°

تنزع اليه من احواب ابي بغيث ويواخ بعد ما اذا اجتمع امرهم فلم
يلا تزال راغبين مفكرين عليه فلما انس من جانب حسن
باي اخلاص المودة كتب اليه يلتمس نقلة مولانا حفظه الله
نحو الى الجزائر لتجمعوا له رعيته بعد لها عنه با جانب
ان يلتمس وكتب الى ابراهيم خوجه بكلب مثل ذلك ونقل
باشيا يذكر لنا يقبل منه ذلك وامر المولى محمد باي
ان يستدعيه الى الجزائر لبا نسي فيه ونفذت كتبه
بذلك الى حسن باي وكان نازلا في محلته بالنواحي
وكتب الى مولانا العزيز الله تعلى ليوافيه بمكانه من المحلة
ويرسل معه من يدفع المهام وكان الكريني محو قبل
خرج من قسنطينة بريدة وقد وردت عليه كتب احيي
يستحثه على الخروج ويعلمه ان هذا الامر غريبة منتهم
فلا يمكنه التخلف وكان لا يستطيع الركوب لدمل كبير
قد اعترى جسده وكان محتضر في مواضع الركوب
وركب على ما به من الضرر وحصل له من ذلك الم شديد
فلما دخل على حسن باي بدا له في ارسال رسل
معه واعتذر عن ذلك وقال له اكتب لك الى الشيخ ابي
زيد شيخ عرب البيبان وهو يخبرك في محل
الحاجة وكانت مشيخة عرب البيبان وربما سنتهم
في ذلك الوقت ترجع الى ثلاثة ابي زيد هذا
وكان خالصة لحسن باي واحمد بن ابي رنان وابن الكندوز
وكلاهما منابذ للترك خارج عن طاعتهم مخيف للسبل
قاطع للطريق ولابن الكندوز فتكات في الترك
وغيرهم ووقائع مشهورة واهل الجبال في تلك
الناحية من البربر كبني عباس وبني صالح
وزواوة ولعيه ورتلان وغيرهم الذين لا يدينون
لكا عن ولا يدخلون تحت ملكه كلهم ما في
متعاد للدولة المشايخ وعاليه لهم فكانوا
اذا اخافوا عاقبة الترك اعتصموا بتلك الجبال
ولجوا اليها فلا يقدرون منهم على شيء فاخذ
الكاتب من عنده وسار في نفر بارشاد من
الحشم

الحشم والاولياء وخرجت معه قافلة لاهل قسنطينة تشتمل
على نحو مائتين حمل من السلاح قد حملوها على البغال فلما
شارف موضع الخابية وقرب من البيبان من كل ناحية
المحاربة رجعوا عن تفتيش الخابية باستئذان بعضهم
في الرجوع الى قسنطينة فاذن لهم فقيل له كيف تاذن لهم
وانت في موضع الخابية في ذلك فقال انا الضامن لهم الضراعة
والاحتياج الى غنائمهم وانشد لسان حاله قول ابي الطيب

يرى بمجنتي ربي وسيعني اذا احتاج الوحيد الى الزحام

ثم استاذنته كافة اخرى فاذن لهم وبما كفاحه لم
يبق معه الا اثنى عشر فارسا فيهم من يعتمد رباعة
الاربعة منهم وزيره الحاج علي بن عبد العزيز وابو
الضياف بن الحسن الدرباني كاتبه الباحية البيوم
فسار على حذر شديد وبلغه ان حلة احمد بن ابي زيان
قريبة من طريقه فاقتضى رايه الشديد ان يعدل اليها
وينزل عليه ويريه انه غير مستوحش منه ليامن بقصده
فلما انا ما سال عنه فاخبر انه خرج للقنص فامر
بتصيب مضاربه ونزل فلما كان المساء اقبل ابن ابي زيان
فلما علم به رجعوا اظهروا السرور وارسح القرى وجرى
في ذلك على غير المعتاد من طريقتهم بانهم كانوا لعزتهم
لا يكيفون الترك ولا يجعلون لهم خوفا ان ذكرت لهم
حاجة ولما كان الصباح ارتحل عنه وركب معه وشيعه
قليلا وقال له لولا انك داخل ارض الشيخ
ابي زيد وبيننا وبينه ما يكون بين الرؤساء لسرت
معك الى موضع الامن ووعده ورجع فبعث مولانا
الى الشيخ ابي زيد بكتاب حسب ذي فلما قراه
اركب ولده حبيبا لم يبلغ الحلم في خمسة عشر فارسا
من قومه فتلقوه وساروا معه قليلا فلما انتهوا
الى البيبان وموضع الخابية قالوا له انا لا نقدر على
مجاوزة هذا المكان ورجعوا والبيبان وادي ضيق
جدا بين جبلين شاهقين يسكنهما امم من البربر
لا يدينون لاحد قاطبة فلما توغل فيه اقبلت

البرابر فصعدوا في شعاب الجبل واختفوا مكان خلفهم جمعة
واحدة وذلك عادة لهم مع كل من احتاز بهم لا بسلطان
ان كان كبير القدر في نفسه يفعلون ذلك طلبا
للاحسان فلما راى ذلك كاتبه ابو الحسن علي الفقيد
ارتاع وظن انهم محاربون فقال له اعزه الله تعالى
لا تروع فانهم يطلبون الاحسان فقال له اعطهم اعطهم
وجعل يكررها فضحك منه واشار اليهم بالنزول فنزلوا
وقبلوا يده واحسن اليهم وصعدوا الى جبالهم ولما
قطع البيدان ادركه اليبس فنزل على حذر وخوف
من ابن الكندوز لان الارض ارضه فاراح قليلا ورحل من
الليل وجد السير الى الضحى فصعد برج حمزة فلما
رءاه اهل القافلة نشروا خوافق انكارها وطلبوا الامان
وسلمه الله تعالى ودخل الجزائر فاقام بها مع اخيه
في عز وتكرمة وتحكيم ولم تطل مدة ابراهيم خوجة
حتى مات فجاءة في خلال سنة ١٢١٦ وولى مكانه
محمد خوجة فاقام لهما الرسم من التحكيم والاكرام
الا انه كان يكره الحرب والفتنة فاستعفاه ذلك
من الخارج

ذكر ابتداء الفتنة

بين علي باشا والي تونس والسبب في ذلك

كان علي باشا يوثر ابناءه بمراتب ملكه وخطط سلطانه
لشجاعتهم وترشيحا لهم بارضى لهم طلبه في ذلك
وامتدت اعينهم الى تسنم الملك وافتقاد ارائك
السلطنة وكان يونس قد تمكن من الدولة وانفتح
عليه ابكار كلمها اهله له اجوه من مباشرة الحروب
واستيفاء الجبايات والاشراف على الاعمال فارتفع
حده لما استبد بذلك دون اخويه رجال فطلعها
ولي ما يرومانه منه وبالغ في الاخذ عن اعتقهما
وكف ايديهما عن الوصول الى ما بها ولامهما اقضاع
الرجال وفيما لهما اهل الكفاءة والاختبار فتمكنت
بسبب ذلك اوامر الشحناء بينهم وامتلات الصدور
من الضغاين

من الذخائر والاحى خصوصا بينه وبين اخيه محمد لانه كان
يرى انه رديفه في الولاية وثانيه في الترشح للملك وكان يونس
يفترص غلوا فيه عن ذلك بارك ما وضح من شأنه انه لما كانت
سنة 1150 في صدر الدولة وقد اشتغل يونس بحرب
القيروان والساحل وتمهيد بلاد الجريد وحضر اوان خروج
محلة الصيف وكان غائبا عن الحضرة امر علي باشا بتجهيز
المحلة واخرجها لنظر ابنه محمد فسار بها الى ولاية
باجة في ابهة الملك وشارة السلطنة وضم جبايتها ثم
رجع وسكت يونس من ذلك على بثه ثم دخلت
سنة 1151 ويونس قد اخذ بخنق القيروان بالح عليها
بالحصار فعارض محمد الخروج بمحلة الصيف وقد راسلت
البربر من اهل جبال باجة كحمدون وغيرهم المولى
الامير بمكانه من القيروان في ان يبعث اليهم احد بنيه
ليقوموا بدعوته في تلك النواحي ويملكوا البلد باسمه
فمضى المولى الامير بنيه وبعث اليهم مسعودا كما يعني
كما تقدم بذكره وكمن بباجة وثارت البربر معه
وغاروا على محلة محمد باي وهو نازل على بلطة بانوعي
لذلك ذعرا شديدا وكان لشدة جبنه ان يسلم لهم
المحلة وينجو بنفسه لولا رجال كانوا معه من ثقاة
ابيه ثبتوه وبلغت هذه الاخبار الى يونس فرجفه
من الانخداع بابيه عزيز على غيظه ان يغدا السيفي
الى باجة حتى نزل على اخيه وضم محلته اليه المحليتين
واحدة ودخل اخوه في غمارها شبه كاحد اتباعه
وباشر الامور بنفسه واستنزل مسعودا كما يعني
بالامان ومهد احوال البلد وسكن ثائرة الفتنة
واستوفى المغارم والجبايات ورجع الى الحضرة موجد
السبيل الى الكلام مع ابيه في شان اخيه محمد
وقرر عنده شدة جبنه وقلة كفاءته ونجدته
وان خروجه بالمحلة مما يجر العدو ويجسر عليهم
الرعية بما ترك لاهم في نفس ابيه وصادف منه
اذنا واعية ومن ذلك الوقت لم يخرج محمد باي بمحلة

الا المحلة التي لعب في اخر الحال في سنة 1164 كما سيأتي ولما
كانت سنة 1150 تولى محمد ابن ابيه باستعماله على
دار الباشا فكان يركب اليها كل يوم اذا رتبت السقيفة
لاعطاء رواتب العسكر ويجلس على السقيفة وتوزع الرواتب
بحضرته واخذ يتودد الى الناس ويستجلب اعيان
العسكر واهل النجدة منهم الى تعصبه بالاحسان
اليهم وقضاء حوائجهم وتقرب باعيان البلد من الفقهاء
والتجار وغيرهم فاستهدف لذلك يونس فلم يزل بابيه
حتى حرضه على ذلك فاستكان لها محمد باي
وامتلا صدره غيظا وحنقا ووقعت بينهما امثالها حنات
اخرى اضربنا عن تفصيلها اوجبت بينهما غاية
الشحناء واستحكام العداوة وبقيت الحال على ذلك
لا يقدم واحد منهما على صاحبه لمكان امهما
ابنة ملاحي فانها كانت نافذة الكلمة مطاعة
الراي عند زوجها وبنيها فكانت تنزل كل واحد
من بنيها منزلته وتابى ان يجاوزها او ان يقصر
عنها فلما دخلت سنة 1152 بعد قدوم مجيء موالينا
ابناء المولى الامير لمحلات الجزائر لافتكاك
البلد من ايديهم فشغلوا بذلك عن غيره وكان
من وقعة الكاف ما تقدم الحديث عنه ورجعت
محلات الجزائر عنهم وخلا لهم الجو ودخلت
سنة 1160 وقد خرج يونس لمحلة الصيف الى باجة
واقام بها اقامة طويلة ثم سار منها الى
الجريد وماتت امه ابنة ملاحي في اثناء السنة
يوم   من جمادى   وكانت هي الحاجزة
لتفاقم ما خشي الخصام بعدها وتغيرت الاحوال
وانتهز محمد باي الفرصة في حق يونس
واسقاط مرتبته عند ابيه واعمل في ذلك
كل حيلة واستفرغ وسعه في التدبير عليه
وكان يونس قد حاملته الحالة على ابيه على
مخالفته في بعض الامور وعلى الاستجلاب
وخواص

وخواص اصحابه وكان محمد قد بلغ في بر ابيه والتقرب اليه
بكل ما يحبه والازدلاف اليه بانواع المقربات وامرهف
في الاحسان والتودد الى خاصة ابيه وابرع عليهم
العطاء فمالوا كلهم اليه وانحرفوا عن يونس وكان يونس
قد انهمك في اللذات واسرف في انتهاك الحرمات
واكثر ما يصدر عنه من ذلك لا يبلغ الى الباشا
ولا يتجاسر احد من خاصته على انهائه اليه لما يعلمون
من مكانته عنده وكانوا يتجنبون صاغية منه اليهم
ليبثوا ما اشتملت عليه ضمايرهم واشتد بهم سويا
على يونس والى اباعنه محمد بعض من يتشبه لان نكبته
العظيمة ورمى عن خطه خزنة دار ومصادرته على
الاموال الجليلة التي كانت على يده وهو السبب فيها
واستكتب بعد ذلك وبقي مطرحا عند علي باشا
الى سنة ١١٦٠ فالتفت اليه وزال ما بقلبه عليه
وصرف رجب بن ماجي عما الاعراض وولاه عليها
ورفع من موضعه بالخطط محمد باي واخذ في
التدبير معه على يونس وكان صاحبه في هذا ومكر
وتدبير بكل ما تم على يونس بعد ذلك بتدبيره
فلما كانت سنة ١١٦١ خرج يونس لمحلة الصيف
على عادته فوقع منه اخلال بالامور واهمال للاحوال
الرعية فلم يجلس لفصل الخصومات ولا نظر في احوال
الجبايات ومصالح الرعية وعاد الى الحضرة مستوحشا
ثم خرج لمحلة الشتاء الى الجريد فازداد اهماله
للامور وكان اكثر اقامته في اكثر الاوقات مسدول
الجوانب عليه لا يدخل اليه احد ولا يخرج من عنده
وكذلك فعله في محلة الصيف بعد هذا فوجد في
ذلك السبيل على نفسه عند ابيه من ترتب اليه
عقارب السعايات من كل جانب ووجدوا لهم فيها
الى القول فقالوا وتوصل كثير ذلك من اصحاب
علي باشا كاتبه المختص به عبد الرحمن البغلوطي
وسليمان بن احمد المغاري وعلي الحطاب وصالح بن محمد

الرأي فغروا عنده الحال للامور وتفتيشه لاحوال الرعية
وانه يخشى الضيعة على المملكة من ذلك وان ما وقع
منه من الاستيحاش من الناس وعدم المباشرة للامور
انما هو لخبال وقع في عقله وارجفوا بذلك واشاعوه
في الناس ونسبوا اليه ما كان يصدر عنه من العظائم
التي ارتكبها واثبتوا عنده براءة ساحة مصطفى
ابن يوسف الحسيني مما رمي به من النفاق حتى قتله
في باستشارة العلوج ان نعى نفسه اباه للقتل انما كان
لغرض من اغراض نفسه فقط بعد موته الى غير
ذلك من تشنيعات الاغراض عن تفصيلها الليق
وحسنوا عنده الخروج بالمحلة ومباشرة احوال الرعايا
بنفسه واكثروا من الكلام في ذلك حتى ملئوا
صدره غيظا واشتد غضبه على يونس وتنكر له
فلما استحكمت الوحشة واظلم الجو بينهما خوفوه
عاقبة امره وحذروه غايلته واقاموا له امارات
دالة على انه عازم على الفتك فاستوحش منه
في باشا غاية الاستيحاش حتى كان لا يدخل عليه
حتى يستاذن ولا يؤذن له حتى يخلع السلاح عنده
وتفتشه المماليك فيما بيديه في السلاح وترك علي
باشا صلاة الجمعة لان الخروج الى المسجد الجامع
على باب دار يونس خوفا ان يرميه من احد
الشبابيك وخرج الى المحلة بنفسه وباشر
احوال رعيته واطرح يونس والعلج واستغل كثيرا
من حشمه واتباعه مثل الحوانب والمماليك
والجند ولم يترك له ولم يترك له من ذلك الامثل
مما لا خير فيه اراذل واستكان يونس لذلك
وخضع وتبرأ من جميع الامور والاعمال ولم يدخل
نفسه في شيء في امر المملكة واظهر امورا
تدل على وقوع شيء بعقله وقيل ان ذلك
كان قد اصابه حقيقة ثم عوفي منه وقيل
انما اظهر ذلك تدبيرا خوفا من بطش ابيه
وانتصار

وانتصار العرصنة التونسية فالله اعلم اي ذلك كان وكان
سليمان بن علي باشا غير راض مع اخيه محمد في شأن
يونس لمحبة كانت بينه وبين يونس بانه كان يخصه
بالكرامة ويفضله على اخيه محمد فلم يزل محمد بسليمان
حتى تغلب معه على يونس واعوص معه وبذلك
نشأ لمحمد ما اراد وكان علي باشا قد اتخذ بعد موت
زوجه ابنة ماضي جارية زينب شُغف بها واولع بحبها
فجعل محمد باي يتقرب اليها بانواع الهدايا من
اللباس الفاخر التميز وغير ذلك من الاشياء
الفاخرة فكانت معه على يونس ولم يزل الحال يشتد على
ذلك واستمر لا يزداد الا تمكنا الى ان كان من غائلة
امرهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر خروج علي باشا

وابنه سليمان بالمحلة

لما تقررت هذه الاحوال عند علي باشا وكان يدبر الامر
عن يونس ويقدم محمدا وسليمان فلما كان وقت خروج
محلة الشتاء من سنة 1162 امر بتجهيز ثلاث محال
احديها محلة العسكر المعتادة التي بها اغاة العسكر
وكبراء الجند فخرج بها يونس على الرسم والاخرى محلة
عسكر ايضا انتخبه من الوطن خرج بها سليمان باي
والثالثة محلة خيالة استوعب فيها جميع اجناده
من الفرسان وخرج فيها بنفسه واستخلف ابنه
محمد على الحضرة واسند اليه ذكرها مدة مغيبه
وكتب الى جميع المرازقية من الجند بان يوافوه
كلهم وساروا معه وسارت المحلات الثلاث
يتبع بعضها بعضا حتى الى القيروان فنظر في امورها
وسار الى الجريد وقبض مغارمه ومهد احواله
ورجع الى القيروان والوفود تفد عليه من اقطار
المملكة ويونس بمحلته مسدول الكواكب الخفاء

لا يمد عليه يدا ولا يغشى محلته وارجع ثم لما قضى وطره من
سبيبة عاد الى الحضرة ولما كان زمن خروج محلة الصيف
خرجت المحلات الثلاث على الرسم وسار يونس بمحلته
فنزل بوسعدية بازاء ابيه ونزل علي باشا وابنه سليمان
على باجة ثم ارتحلا الى جبل وشتاتة وكانوا قد
خالفوا وامتنعوا من اداء المغرم فحشد لهم علي باشا
الحشود من الاعراب ورماهم بهم واثخنهم بالجنود فاخذهم
اخذة رابية وسار في انجادهم ومواشيهم ورجع الى باجة
ثم قفل منها الى الحضرة وارتحل يونس من بوسعدية
فدخلها بعده ثم

ذكر ايقاع علي باشا بالهمامة

كانت الهمامة اكثرهم شيعة للمولى الامير وابنائه
وكان في قلب علي باشا عليهم اضغان واحقاد قديمة
بانهم لما اجلى امام المولى الامير من الساحل بعد
ثورته بوسلاتن واتى الحامة وقتل بها الحاج بن
منيشة واجلى منها مغربا سلك ارضهم في جبل
من اصحابه فحسوا به وركبوا اليه وهموا به وارادوا ان
يقبضوا عليه فنجا منهم واخذوا بعض سلبه فاتوا به
الى المولى الامير ثم لما وقعت الكسرة على جنود المولى
الامير بسمنجة بعد فتح القيروان التفوا عليه واعصوصبوا
معه وشهدوا معه وقعتي الحسين وغيرهما من الوقائع
ثم لما خرج مولانا ايده الله تعالى من القيروان يريد
الجهة في عزيز سلك ارضهم فلم يدنوا له
بسوء واخذ اليه كثير منهم فاقام بعضهم في نواحيها
بعض مدة حسبما مر ذكره مفصلا ولما
انفصل باي عزيز ودخل مع الزاب كان معه
كما يجب عظيمة منهم ولما جازف بعد ذلك حسين
باي وارتحل من نحو قسنطينة ونزل على الهمامة
ويونس محاصرا للقيروان المحاصرة الاخرة كانت رؤساؤهم
وانقطعوا

واتفقوا مع فنيه رزق ان ياخذوا محلة الجريد بعد ضعفها الجابي
فيلتحقوا جميعا به فسار ابو عبد الله ذعلي حتى نزل ام الانكاب
من بلاد الجريد ولم يتم لهم ما ارادوا من اخذ المحلة فلحقوا في
نجعوا ابديهم من ام رقيبة وقايدهم اذ ذاك عثمان بن
منصور الحسيني ثم عاودوا ام رقيبة بعد ذلك وكانت عندهم
مرضة وايديهم ممتدة بالعيث والفساد وكان مصطفى
ابن منتيشة شديد البغضاء لهم لكثرة ما يقع فيهم
وفي اهل عمله من الاعراض من العيث والغارات
وكانت فيه نية من الاعراض حاجة للحمامة
فاوعز بن منتيشة بظلمه بعض بني امنه والتجوا الى
الحمامة فطلبهم منهم ليعيدوا الى بلدهم فابوا
ان يسلموهم فازداد غيظه وحنقه عليهم فاغرى بهم
علي باشا وحرضه على اخذهم ونام في ذلك وفقه
فاعتذر له علي باشا بانه ربما يبلغهم قصده اياهم
فيجفلون الى الصحراء ولا يحصل منهم على طائل فتكون
وصمة عليه فيعود عليه امرهم وسهل عليه اخذهم
واشار عليه بوجه الراي في ذلك ولم يزل به حتى قبل منه
واجابه الى ذلك وعزم على غزوهم وخرج مصطفى بن
منتيشة بمحلة الاعراض الى عمله وبعد ذلك خرج
علي باشا بمحلات الجريد على الرسم ولما علم بن منتيشة
بخروجه من الحضرة سار من الاعراض يريد الجريد
وقد حشد اليه من كل وجه كاولاد يعقوب والحرم
وبني يزيد وورغمة واولاد سعيد والسواسي
والمثاليث وغيرهم وافضى في جمع عظيم فارتابت
الحمامة واجتمعوا وصحوا ما بينهم وجمعوا اليهم
اثقالهم وسلكوا طريق الدواخل والتجوا الى جبل
المجل وتحصنوا به فسار بن منتيشة حتى نزل رؤوس
العيون وارسل اليهم يحذرهم بالقوة وكسلهم ووداهم
واعلمهم ان علي باشا ما قصدهم ولا يريد شيئا وانما
طلبته منهم خمسة الاف بدجي وينصرف عنهم
فاجابوه الى ذلك والتزموا بدفعها وسرحهم

الى اماليهم وذلك كله خداع منه ليكمنوا وجات
ان القايد احمد روسا بيهم يعقوب في اولاد معمر ومن تبعهم
من غيرهم ونزل من الجبل ودخل الصحراء فلما بلغ الخبر
الى باي منتشي اقلقه وخاف ان يلتحق به بقيتهم فارتحل
لوقته وسلك احدى شعاب الجبل وقطعه الى ناحية
القبلة ونزل مما يلي القبلة في اخذا لخنقهم كيلا ينزلوا
الى الصحراء ثم اتبعه علي باشا وابنه سليمان باي
بمحلتيهما وقد اسند عن علي باشا معه المزارقية
من جريد وغيرهم فسلك طريق الدواودة ونزل بروس
العيون ولما بلغه التزامهم بدوح الخنقة في الاب بعين
رضي منهم بذلك وارسل الى مشايخهم لينزلوا اليه
فيعرض عليهم الامر فارتابوا وامتنعوا فعندها جرد
من محلته ثلاث محال وامر كل واحدة منها ان تنزل
على شعبة من شعاب الجبل التي يمكنهم النزول منها
وضيق عليهم الحصار وقاتلهم ثلاثة ايام لا يقدر منهم
على شيء ثم بلغه انهم يريدون الوشتاتة من
جنوبي الجبل وانه لو خرج عليهم سلكوا عطشا
فامر ابنه سليمان ان يرتحل بمحلته ويقطع الجبل
من حيث قطعه باي منتشي وينزل الوشتاتة
ففعل ذلك وضاق الحصار بالهمامة واشتد عليهم
الخطب فنزلت مشايخهم الى سليمان باي وطلبوا
منه الامان ومن ابيه على ان يعطوا ما اراد فكتب
الى ابيه بذلك فاجابه ان امنهم وخذ جميع انعامهم
ثم كتب اليه ان يأخذ الابل خاصة ويترك
لهم الغنم فبعثت اليه الابل فاجمعها
ابو سعيد بوسيم المخزن واحصاها فكانت ثلاثة
عشر الاف بعير فيما بلغنا ثم ارتحل علي باشا رأس
العيون وسار حتى نزل حامة البهاليل وارتحل
سليمان باي فنزل نفطة وارتحل باي منتشي
ايضا فيمن معه من اهله ومن تونس نازل بمحلته
على توزر فانه لما خرج من الخنقة سار اليها
واستمر

والسمر نازلا بها الى ان اذن بشان الهمامة ولم يشفعه شيئا
من امرهم وتلهب علي باشا على ما بلغه من اولاد محمد
وعابه ابن متيشه على تفريطه حتى امكنهم الهرب
ويحتمل ان يبقى في اليهم فيدركهم لمكانهم من الصحراء وبادرهم
بارسال فوارس من اولاد مناع ليحملوا عليهم ويخبروه بمنزلهم
فساروا حتى احاطوا بهم خبرا ورجعوا اليه فاخبروه انهم
نزلوا على مكان دون شوف يسمى كدية مانع وسلطوا
عليه اخذهم فقال لاحدهم من انتم فقال من اولاد مناع
قال له من ابيهم قال من اولاد سلامة قال واين منزل هذه
القوم قال بكدية مانع قال اذن اخذهم من كذا وكذا
منك وتفاءل لهم بما سمع من الاسماء وسكت عنهم ثم
استوفى جبايته من الجريد وقفل راجعا الى الحضرة
بمحلاته على الرسم وفي مرجعه هذا قبض على صاحبه
الحتم بن سليمان بن المناعي لانه اتهمه بانه انزل الهمامة
بكدية ايام وذلك الذي كان سبب نجاتهم جاءت من
عبيد في اولاد محمد ومن تبعهم فاعتقله حتى مات
في سجنه بعد اشهر

ذكر ايقاع علي باشا بالهمامة

قد تقدم ان الهمامة ترجع الى فيلتين الاعشاش واولاد
خيار وان الاعشاش اولياء المولى الامير وابنائه واولاد
خيار اولياء علي باشا وان بين هاتين الفيلتين
عداوة واضغانا قديمة وان الحرب لا تزال قائمة
بينهما وان مولانا لما بعل عن حسين باي بالاي وبارك
محلة قسنطينة اوى اليه الاعشاش بالحق اولاد خيار
معه وهم في مواددة وصلح وان الفرار كيف الاعشاش
تخوف من هذا حلة اولاد خيار لغومه في شانه
فنجح حتى اوقع الحرب بينهم وتباعدوا بالمفرقة
وانه ابدى الله تعالى فيهم جزاء منهما معهم لمساكنهم

من الزاب حتى عاد الى ضاحية قسنطينة وكان علي
باشا لذلك شديد البغضاء لهم والحقد عليهم وكانت
عليهم اثارة من غنم بوح وذهبا لصاحب تونس لاجل تسوقهم
بلد الجريد وغيرها مما يحلى لهم فمنعوها عليه سنين ثم لما
كانت سنة 1164 نهضوا لركب الحجاز الفاسي في حال
نشي يجي وعاثوا فيه واخذوا منه خيلا وابلا واحمالا بقرب
الامتعة وفي جملة ما اخذوا شكارة فيها اخلاط امانات
كثيرة من التبر والدنانير والجواهر لجماعة من
التجار فامتدت ايديهم من اموال الحاج وتوزعوه
بينهم وافلت الاخبذون من الحاج الى تونس ورفعوا
امرهم الى علي باشا فوعدهم باسترداد اموالهم
من ايدي الحمامشة واستدعى من شيوخ الوطن
محمد بن الحاج احد مشايخ الحنفية والشيخ العفيف
احمد التليلي صاحب ريانة وارسلهم اليهم ليستردوا
اموال الحاج فجمعوهم وامتنعوا واغلظوا في الرد
وكتبوا بذلك الى علي باشا فامتعض لذلك وعزم
على غزوهم وحضر اوان خروج محلة الشتاء فامر
بتجهيز محلاته وازاح علل عساكره وجنوده وخرج
في محلة عظيمة واوعب جميع المرازقية من دريد
واولاد سعيد والسواسيين وساير المرازقية وكان
يونس قد ذهب امره فيما اعتداه وامتنع
بالامتناع منه في سنده الى جهة محلة العسكر السلطانية
وضمهما الى ابنه سليمان وخرج يونس في محلة
صغيرة فسار حتى انتهى الى توزر فاقام بها
واما علي باشا فانه سار ومعه ابنه سليمان في
محلته فلما اتى المرابطين سلك ذات اليمين
على ماجل عباس بتبسة وفحص التل الى
الصحراء فما بين عجيران وبركان فبانت الا جنادل
من خيمة بركان وعاثوا فيها ونزل علي باشا
هنالك وقد استدعى اولاد خيار وقدموا ابناء
صالح بن محمد بن مرزوق في قومه واستدعى

بني

فبينا زمن عرب الزاب بقسنطينة بعض مع اولاد خيار على ا
النمامشة منتجعين على مياه الزاب / على النمامشة
لانهم اهل بلدهم من غيرهم مواسون في قومهم ايضا
وراجوا الى الدوبي في اولاد صولة وكانت النمامشة
منتجعين على مياه الزاب بعضهم على المنيت
وبعضهم على وزارن وبعضهم على وادي الدوب والقوار
كبيرهم علي الذيبي في اولاد زايد وغيرهم منهم
ويوسف من بني رزق بعم عزوز بن عمارة اب دالي
باذكر علي باشا الجبون في كلهم واصبح مرتحلا
فنزل من اخر النهار على زريبة حامد ونهى عن
ايقاد النيران تلك الليلة وقد علمت اخباره على
النمامشة وعادت اليه عيونه باخبره بقرب منازلهم
فاسرى اليهم وقد انذروا به فاجفلوا بجملة معظمهم
على عين بيش وازارن وهم مرتحلون فادركهم وساق انعامهم
ومواشيهم وتوزعها ايدي النهب امتعتهم ورجع
من اخر النهار الى محلته فكان مابين زريبة حامد
والنجامي خطوة الاخذ من النمامشة الى الحنانشة والدوب
تاخذ في اخرياتهم فادخلوا الغامض وامتنعوا الى
جبل عايضا وسار برغا بنعا وبلغ خبرهم الى
علي باشا بسرح الجنود والاعراب لا يستاصلهم
وقال لهم ان تركتم اهل الحنانشة وايالكم ولا تتعرضوا
لهم وان جاءوا عنهم فقتلوهم من ام اهل الحنانشة الايجاع
عن النمامشة فلم يكن لهم قبل لمن غشيهم من
من الجنود فسلموا وانطلقت ايدي الفيش والنهب
في انعام النمامشة واموالهم فاستوصلت عن اخرها
ودخلت الجنود والاعراب الى البلد وعاثوا فيها
وانتهبوا اكثر دورها وكانت رياسة الحنانشة
اذ ذاك للشيخ احمد بن ناصر بن الشيخ محمد بن
الكبيب ولعوا ابوه واخوه الذيب الذين اجاروا
مولانا لما جاوز الى الحنانشة واقام في ذمتهم
اشهرا حتى استدعاه حسن باي كما مر وقد وفي

الشيخ محمد بن الكبير وبقيت الرياسة بعده لابن أخيه
ابن ناصر فبقيا رئيسي فيها الشيخ السعيدي بن محمد
والشيخ محمد بن الحاج ولما عينه صدق لعلي باشا جاه الحنفية
كانت منقسمة كثيرا من البلاد فالشيخ محمد بن الكبير
وأولاده وجماعته شيعة للمولى الأمير وأبنائه والسعيدي
ومحمد بن الحاج وجماعتهما شيعة لعلي باشا فأما الشيخ
أحمد بن ناصر فإنه فر بنفسه مع علي باشا إلى فرسنة
تبوحنت وأما السعيدي وابن الحاج فأظلفا إلى علي
باشا فبينما هما عنده إذ أتاهما الفرج بأخذ الحنفية
فارتاعا لذلك وكلما علي باشا فانزعج لذلك وأمر بذبح جميع
ما نهب لهم ولكن رجالا يقدمون على الأخبية
ومعظم أهل الحنفية قد وجد متاعه بعينه أخذه
ومن لم يجده ضاع عليه ومن الغريب أن دار السعيدي
ودار محمد بن الحاج صاحبي علي باشا نهبتا ودار الشيخ
أحمد بن ناصر صاحب مولانا لم تنهب واختتم علي
باشا فعل الهامشي فاحتاز نهبا لنفسه ولا انتزع
ما وجد منها بأيدي العرب إلا ما شردوه وكانت
إبلا كثيرة وقاسم العرب والجند الغنم وأقام بمكانه
مع زريبة حامد أربعة أيام ثم ارتحل بمحلته
وقصد بلد الجريد فنزل على نفطة وبلغه أن الغوار
ومن معه نزلوا على سوف فسرح ابنه سليمان لغزوهم
في أربعة الاف وخمسماية فارس من الحمازنية
والعرب وحمل معه خمسماية من العسكر على الإبل
فاستكملت عدة من معه خمسة الاف وسار
إليهم من نفطة فراح على ماء السلكة ثم ارتحل
من آخر النهار فأسرى ليلته كلها فأصبح
على بير أبي ناب فسقى منه وكانت دار أولاد سيدي
عبيد فتلك أناخ فيه فامتدت إليهم الأيدي بالأخذ
والنهب وأرجعوا أمرهم إلى سليمان فنادى
فلم يغن عنهم شيئا ثم ارتحل فاجتاز بالسن
الجبيلة فاستوحشتهم الجنود وعاثوا فيهم

وبلغه

وبلغه ان الغوار رحل امامه نحو بلد ريغ يسلك على غمرة
من بلد سوف واسرى ليلته كلها فاصبح على سبب
السلطان فراح به نبيلة وارتحل الى ان بلغ الجبس وكان
قد ترك الغوار وقومه كثيرا من الابل والغنم لجلبهم
الاموال عن سوفها فتركوها مهملة ولما بلغ الجبس
فارقه الخيل وخذلها الكلال فجيش من معه من رؤساء
الحرب العلكتية فاشاروا عليه بالرجوع وخوفوه كثرة
العدو عليه حيث كل الكل من الخيل وملال من الجند
فكر راجعا واستاق تلك الابل والغنم وسار ليلته
كلها فاصبح على سوف ونزل على قمرس بلد بها
وخرج اليه اهل سوف وكانوا قد ارتاعوا ولا المقدمين
وهرب اكثرهم الى واد في عروق الرمل ثم تراجعوا وجمعوا
له مالا فابى ان يقبله منهم وقطع نخل عزوز بن
عمار وكان له نخل كثير بسوف فقطع جميعه واراح على
قمار ثلاثة ايام ثم ارتحل فنزل على ابيه بتونس
بعد ان غاب عنه ثلاثة عشر يوما واتخذوا مقدمهم
من بلد الجريد ورحلوا راجعين الى الحضرة بعد خلافها
في باشا وابنه سليمان وجاء يونس بعد ما انتهى
في باشا جميع حاشيته واتباعه عن تلافيه فلم يخرج
اليه احد ودخل في كآبة شديدة ولم يلبث يومها
ان قام [illegible]

ذكر ثورة يونس باي

على ابيه وقيامه بقصبة تونس وما كان في ذلك من الاخبار
لما استحكمت العداوة بين يونس وابيه وانفصم
جانبه وتقوضت دعائم عزه وتقلصت ظلال
دولته واستبد عليه اخواه وتضاءل لاستعمالهما
ودخل تحت ربقة الحجر وفطن سوء الملكة انف
لذلك وحدثته نفسه بالاستبداد والثورة وساعده
في ذلك بطانته واهل اسرة مثل وكيله
محمد الخياط وكان تنبيه احمد بن ابي الحسن السعيلي

وابي القاسم الجريدي ورجال من اولاد حسن ورؤساء
جريد دبروا في ذلك واعملوا فيه افكارهم ولم يخف
ذلك على اخيه محمد فنقله الى ابيه فاخذوا حذرهم
منه واذكوا عليه العيون والجواسيس في جميع اماكنه
وفي بيته مع عياله فكانت عيونهم تاتيهم بالجليل
والحقير من امره ولهو يغضي من ذلك على القذا ويغص
منه بالريق وكان اذا ركب وخرج من باردو امشى وراه
ركب اخوه محمد على اثره وخالفه الى القصبة حذرا
من فتوتها ولا يخفى الحزم من الغدر ولما خرج
علي باشا بمحلة الشتاء الى الماشية وصرفه على
المحلة السلطانية وضمها لابنه سليمان وقدم من
لعوامه فبقي بمحلته الى توزر دنك بالخفية كاتبه
احد من ابي الحسن السعيلي منهما رضا ومحمد الخياطي
واغرا البعض ان يدعوا رجالا من ابطال الترك سماهم
لهم قد عرفوا بالشهامة واشتهروا بالشجاعة
الى القيام معه متحيلا في الاجتماع بهم منه وجه على
حذر شديد ودعوهم الى ذلك فاجابوا وعقدوا
معهما عقدهم وابرموا امرهم ثم ان يونس لما
كان بالجريد تكلم مع خلصائه من اولاد حسن
وجريد وكانوا ياتونه سرا فاشاروا عليه
بان يدع اباه واخاه حتى يدخل الحضرة ويتغلب
بعدهما على رسمه في ذلك ثم ياتي العلم وجه
ابن علي باشا وخيله فيحتوي عليها ويدعوا
العرب الى القيام معه ويملك العمالة ولا يجد
ابوه واخوه نهوضا الى حربه لاستيلائه على
الخدم من الابل والخيل فبينما هو يجيل هذا
الراي وقد اجمع ان وجه عليه صاحبه محمد الخياطي
من الحضرة خرج لتلقيه فواجاه بالقيروان
فعاوده فيما هم به وعرضه عليه فلم يسعه عده
عليه وقال لهم بعدما احكمنا امرنا مع الجماعة
الترك الذين اذا اشاروا معك تبعهم
العسكر

العسكر كله وتملك بعد حضرة الملك وكرسي السلطنة فتركهم
الى غرباء الدرب ولم يزل به حتى خرجه عن ذلك
الراي فرجع الى الحضرة حتى دخل باردو في اوايل
سنة ١١٦٥ وقد خشي له بالكمن ابيه جدا وخامره
الرعب من فتكه به فدبر في اراحة نفسه منه فاتفق
رايه مع ابنيه على ان يشخصه الى المشرق فامر رجب
بن ماجي ان يأتيه فيقول له ان اباه يأمرك ان تخرج
الى الحج بهذا العام في البحر وقد هيأ لك مركبا
لتركبه فقال له اما انا ما اشتغلت الى الحج ولا ابيت
واما انا فيهمني بده يسلم في عيالي واولادي فخرجت
عنه فامتنع من تسليم عياله واولاده وامتنع يونس
من الخروج فوقع الاتفاق ثانيا على القبض عليه
واعتقاله ولقيه اخوه سليمان متنحما لانه كان
في قلبه بوذر حنان عليه فقال له لم تخدع بنفسك
هكذا وحيث بلغ الحال بينك وبين ابيك الى ما ترى
فاي خير ترجوه في الاقامة تحت حوزته فاخرج
بنفسك وان لم تفعل اعتقلك ولم تدر ما يدبر منه
بعد الاعتقال فرجع يونس لذلك وخامره الرعب
وعمل على القيام وسرب كثيرا من ماله خفية
الى دار محمد الحنفاجي وعزم علي باشا على القبض
عليه وكان يونس اذا اراد الدخول على ابيه يخرج
من داره ويسلك على الجنينة ويصعد الى الباب
المفضي اليها من البرج ويفضي الى بيت الملك
التي يجلس بها اخوه محمد ويخرج من بابها الشارع
في البرج ويدخل بيت الباشا الى ابيه فاوعزوا
الى حسين الصبرجي صاحب الكابح ان يقف
في المابك بالسلاح ويترصده في بيت الملك
فاذا دخلها قبضوا عليه ولم يخف ذلك على يونس
انهاه الله عيونه عليه فعزم على دخول القصبة
ذلك اليوم وارسل الى الاتراك الذين تابعوه
على الثورة ان يترصدوه ما في باب القصبة

وباب البنات داخل سور المدينة واغرى احمد سنجق
دار جاويش السلاح عنده وكان من الجند الترك
وابطال العوان بليدني من صحبته الى سقيفة القصبة
فيجلس الى الاغا علي ملمايي فجاء ثم حتى يقدم
عليه ولما اصبح الصباح قدم كبداهم بعد الاتة الى
بستانه بمنوبة واظهر انه يريد الغداء هنالك
وارسل الى ابيه ببستانه في الخروج وطلب
منه ان يفتح له باب الباجية من بارحة المدخل
الى منوبة بعلم ان ما هم به من القبض عليه قدما في
ذلك اليوم باذن له وفتح له باب الباجية قبيلا
للمدينة فخرج الى منوبة ونزل ببستانه والعيون
مذكاة خلفه واخباره متتابعة الى اخيه محمد فمكث
في البستان لعشية ثم ركب وتوجه صوب الحنايا
والعيون ترقبه الى ان ابعد وكان خوفهم كله من دخوله
القصبة فلما راوه قد ابعد رجعوا عنه وظنوا انه
يعود الى منوبة وارسلوا الى محمد باي بالخبر
فلما علم بانقطاع العيون عنه اخذ ذات اليمين
ودخل غابة الزيتون ورجع قاصدا تونس وسترته
تكاثف الاشجار فلما سامت باب الخوخة خرج
من الغابة وسار حتى دخل منه وانتهى الى
باب البنات فدخل المدينة منه وسار مع السور
الى القصبة فوجد اولئك الاتراك يرتقبونه
فامسكوا بركابه وسار معهم فلما قرب باب القصبة
حرك فرسه وهجم السقيفة على الاغا فقام اليه
وامسك بعنانه وقال له ليته غيرما دون من ابيك
في دخولك القصبة بامر منه فتقبضوا عليه
وحملوه الى السجن ونزل بمجلس الاغة
وذلك ضحى يوم الاثنين التاسع من جمادى
الثانية سنة 1205 وامر بغلق ابواب تونس
واستدعى جواش العسكر وامرهم ان يبادروا بجمع
العسكر بالاجتماع اليه ومن اراد الاثبات في ديوان
الجند

الجند من ابناء الجند فليقدم فتسارعت اليه الاتراك
وابناؤهم وكان علي باشا قد اختار ثلاثماية منهم واثبتهم
في جريدة ورتبهم في القصبة لحراستها بالنوبة
وسماهم حوانب القصبة وهم اول تابع ليونس ووجدهم
بهم رتبهم من بابراج القصبة وامر لوقته ان يوتى
اليه برجب بن ماضي فاتى به فوبخه على تفتيشه المركب
لنبيه وارجعه السجن وسجن كماية من اصحاب ابيه
منهم عبد الرحمان لنبلوكي ومنصور المنزلي كاتب دار
الباشا وابراهيم المالكي خوجة الديوان وغيرهم
ووقعت وقت دخوله القصبة ضجة بالبلد فغلقت
الاسواق وتسارع الناس الى منازلهم واكثرهم لا علم
له بحقيقة الامر وكان الخبر الى علي باشا وابنيه فاتاعوا
لذلك واتاهم من كانوا يحذرون فامر علي باشا ابنه
محمد ابريك ويبادر الى ابراج الجبل الاخضر فيحوزها
ويرتب بها ثقاته وخافوا ان تدخل الابراج في طاعة
يونس فلا يسعهم فرار بهاردوا وركب لوقته واتى
الى الجبل الاخضر ورتب فابرج الكبير علي التميمي
وببرج زوارة حسين الشي في كاتب ابيه وببرج فليفل
كاتبه محمد بن عمران ثم قصد البلد فوجد الابواب
مغلقة فامر بفتح ثلاثة من الصبايحية عمايلي باب
ابي سعدون ففتحت وخرج اليه بعض الناس من
اهل ربض باب السويقة وبلغ يونس مجيء اخيه
فارسل كاهيته من عنده ليصده عن دخول البلد
فذهبوا وفتحوا باب ابي سعدون وتناوشوا القتال
واما سليمان باي فانه تاخر عن الركوب بعدما
ركب اخوه محمد فامره ابوه ان يركب وكان مصطفى
بن منيشه حاضرا عنده فسكت ثم اعاد عليه القول
فسكت فاعاد عليه الثالثة فقال له كيف اركب
واخرج هذا المنافق عندك يعني ابن منيشه ونهض
فقبض عليه بيده واخرجه من عند ابيه فاثقله
بالحديد واودعه الناموس وامر عمه مراح ان يحرسه

بنفسه الى ان يرجع ثم ركب وخلى اهله يوقف معه
بظاهر البلد حتى اقبل المساء فرجعا الى باردو ولما
جن الليل امر سليمان بخنق سليمان بن متيشم فخنق
وقد صب كاس الدابر واخوه محمد يتحرق عليه ولم
يقدر على افتكاكه من يده. ولما بلغ يونس خبر مقتله
قال الى لعنة الله الحمد لله الذي جعل هلاكه على ايديهم
والله ليس احد من حاشيتهم اعز الي منه وكان
سليمان هو الذي يقدمه فقدنا شديد الحلم فانه
هو السبب في فساد ذات بينهم فلما امكنت فيه
الفرصة انتهزها وسرب يونس من الليل عسكره
الى القصبة وبات ليلته يفرق فيهم الدراهم فاتاه
منتصف الليل احد الاتراك المواطئين له على الثورة فقال
له ان العطا للبيوت فلتشتغل باسوارهم هذا
العسكر مجتمع فافتح لنا باب الفحص ونمضي الى ابراج
الجبل الاخضر فنملكها فانها ان لم تدخل في حوزتك
لم تصنع شيئا فقال له لا عليك من الابراج فانها
واشار عليه الخنافي بان يخرج الاخبية فيضربها
بظاهر البلد ويخرج اليها في العسكر ويترك في
القصبة من يثق به فيكون قد ملك عليهم البلد
والضاحية فلم يجبه الى ذلك وبات علي باشا
وابناه ليلتهم تلك باكي ليلة لعدم الحامية
وعدم المدافع فان جنودهم وعساكرهم متفرقة وكتب
الى صبايحية الاوجاق ان يوافوا الى الحموه
والقلاع التي بها نوبات العسكر ان يتركوا في
كل قلعة عددا يسيرا لحراستها ويوافوه
الباقون والى العساكر الساكنين في القرى
ومن لم يكن ثابتا في ديوان الجند منهم ليتبعه
والى مشايخ قبائل البربر المتوطنين وغيرهم
ما حضر ان يجمعوا ويوافوه ولما كان اليوم الثاني
ركب محمد باي واخوه سليمان من باردو ووقفا
بالجبل الاخضر واجتمع اليهما طائفة من زواوة
وارسل

وارسل يونس كاهيته مع جنده ليحوزوا عليهم ابواب البلد
فوقع بين الفريقين قتال داخل باب ابي سعدون مات
فيه احد سنجق دار جاويش السلام ونفر غيره من
الفريقين فوجد يونس عليه وجدا عظيما وخرج الميل من
ربض باب السويقة الى علي باشا وارتاب فيهم يونس
وفي هذا اليوم لم عتب اعيان البلد الى يونس واقتفاه
الفقهاء المفتون منهم ابو عبد الله محمد ارنووط مفتي
الحنفية وابو محمد حمودة الرصاع مفتي المالكية وابو عبد الله
محمد سعادة مفتي المالكية ايضا فاجلسهم الى جانبه
وحدثهم بما جرى عليه وشكى اليهم ما نوعج به من النهب
والسبي واطال معهم الحديث في ذلك فلم ير من
الشيخ الرصاع الميل اليه وتحسس ما اتى به وذلك
بسبب نكبته وفي اليوم الثالث ركب محمد وسليمان
الى الجبل الاخضر وخرج يونس عساكره واعطاهم
الرايات ونظر الى زيهم وشارتهم وكثرتهم فاعجبه
ذلك وسرحهم الى الربض ليملكوه ويدفعوا
الحومة فانطلقوا والنوبة تضرب خلفهم من المريانات
والطبول ولهم في مشيتهم ضجة فخرجوا من باب البنات
وانعطفوا الى باب السويقة وسلكوا الطريق المفضي
الى باب ابي سعدون فلما انتهوا الى دور منهم
الى سوق اولاد بو زيد عارضهم كاهية مع جند
علي باشا فلم يلفوا محاربهم فتعلق بعضهم
بسطوح الدور ورماهم منها وبعضهم قابلهم
كفاحا فانهزموا وولوا لا يلوي احد على احد والاخرون
يتبعونهم فقتلوا واسروا منهم ودخلوا المدينة
واغلقوا ابوابها وكانت كسرة عظيمة على يونس
ومن ذلك اليوم خلص ربض باب السويقة لعلي
باشا وقوي جانبه واجتمع امداده وتكاثرت
جنوده ولما دخل يونس القصبة وقع الارجاف
بان علي باشا قتل وان يونس قد دخل القصبة
حتى فرغ من امره وشاع ذلك عند الخاصة والعامة

فبلغ ذلك يحيى باشا فأشار عليه بالركوب الى الجبل الاخضر
ليراه الناس ويطمئنوا فركب في اليوم الرابع وانتهى
الى الجبل الاخضر فوقف في خيله فرآه اعيان اهل
الربض فبينما هو كذلك اذ رمى بمدفع من القصبة
فصدم الراية فكبت الخيل فوقعت الكرة امامه
قريبا منه فنسفا فكنست موضعه على خديه ولحيته ولم
يملك رحها وكشف عمامته عن مقدم راسه ودعى
على يونس فقال اللهم لا تجعل منه ولا من نسله ولا من
ذريته وتحول من موقفه فوقف خلف البرج يتقي
به المدفع فمكث مليا ثم رجع الى داره ولما علم
يونس بمكان ابيه من الجبل الاخضر امر بالكف عن الرماية
بالمدافع الى ان رجع الى داره ثم ان يونس
رتب جنده من باب البنات الى باب البحر
يقابلون على الاسوار وامر بحمل متاريس بالسبخة
خارج باب البحر على التلل المجتمع من رمي الازبال
مقابل الابواب ورتب به كتيبة من العسكر
ورتب محمد باي جنوده في مقابلتهم وصنعوا
متاريس على السطوح تترسوا بها وحمي القتال
بين الفريقين ودافعت الاتراك مع يونس دفاعا
شديدا وبذلوا كل جهدهم ودحضوا القتال
لولا ما وقع في اعضادهم من عدم البارود فان ذخيرة
السلطنة بالحضرة كان محمد خزنها القصبة فلما
ثارت الاتراك على يحيى باشا وارادوا تسليم القصبة
وملكها ولم يتم لهم ذلك كما تقدم موصلا اشار
يونس على ابيه بنقل الذخيرة من القصبة
فنقلت الى داره واو غيره الى خارج البلد
فلما خلفها يونس لم يكن بها شيء مما يحتاج
اليه من البارود والموونة فاثر ذلك فيه وكسر
من شوكته وارتفعت الاسعار بالمدينة وربض
باب الجزيرة وعزت الاقوات من جميع الماكولات
ووقع ضد ذلك بربض باب السويقة لان جميع

ما كان

ما كان يجلب الى البلد صار يجلب اليهم خاصة وكان
بالقيروان رجل يدعى بالشيخ عالم بصناعة الالغام بارسل
اليه علي باشا واتى به فشرع في عمل الالغام وجعل
منها شيئا كثيرا لهدم السور من باب البنات
الى كرسي الخندق الذي بين باب السويقة وباب
قرطاجنة ولولا الخندق رده لاستاصل السور سيما
الى حيث يشاء وملك بالدخ جماعة من عسكر يونس
ثم تركوا الخروج الى الاسوار وصنعوا متاريس بالارض
وتترسوا بها وارتقت طائفة من اشرار الترك
الى الصوامع المطلة على باب السويقة مثل صومعة
جامع محمد باي وما حولها من الصوامع فجعلوا
يقتلون السابل في سكك الربض بالرصاص كلما
راوا مارا رموه فامر محمد باي بوضع مدافع بالحلفاويين
ورمى بها تلك الصوامع فهدم اعاليها وكف
عاديتهم وركب يونس مدفعا كبيرا بجامع محمد
باي لا يجاوز مدفع الحلفاوين بل يزيد لذلك لغلبة
البارود وركب محمد باي مدافعا على كدية النوايل
لترمي باب القصبة حيث يجلس اخوه فوقعت
كرة منها فوق الباب بيسير فتحول يونس من
مكان الاغة وجلس في زاوية السقيفة على
يمين الداخل وتتابع رمي المدافع على المدينة
والقصبة من النوايل وابراج جبل الاخضر
وخامر الناس منها الرعب واثرت فيهم ووقعت
كرة بجامع الزيتونة فكسرت سارية من سواريه
ومدافع القصبة معطلة لعدم البارود ولولا ذلك
لاثرت في الربض والابراج تاثيرا عظيما ولما
وافت الى علي باشا امداد قبائل البربر ما ركن
ما كان في ايدي مقاتلة اجبنتهم وطلبوا
القتال فاتوا الى النوايل واخذ اليهم خلق من نفية
المقاتلة خيلا ورجالا وهجموا على متاريس السبخة
بخارج باب البحر فنزل اليهم العسكر من متاريسهم

وامدهم من تونس بالمحلة بفيئة العسكر ووقع بين البريغيي
ملحمة مات فيها اناس من البريغيي وجزع الجبل
لان القتال رفع عشيا وكان الظهور في ذلك اليوم
لعسكر تونس

ذكر خروج سليمان باي

الى دواير دريد بالبحص ورجوعه خائبا ومجيء اولاد منّاع
الى علي باشا وبغية دريد وعربان مجور الى
تونس وما كان في ذلك

كان علي باشا قد اتخذ دايرة من اولاد منّاع مثل
دايرتيه اولاد جوين واولاد عمر في استكثارهم
لوجودهم وعصبيتهم لما دخل عليهم مراد بن مصطفى
بن يوسف الحسيني وكانت نواجع دريد وعربان مجور
لما دخل تونس الفتنة نزلوا بضاحية القيروان والدواير
بالبحص فاشار علي الخادب على علي باشا
بان يوجه ابنه سليمان الى الدواير ليكاتبهم من
البحص فيفوج من اليه استخدامها ردهم على حربه
وكتابته ان ينزعوا الى تونس فخرج اليهم سليمان
في اليوم الخامس من مبدأ الفتنة فاتى البحص
وارسل فاول من لقيه بعض اولاد منّاع فاوغش
اليهم بمقصوده فاجابوه بانه لا مطمع في انطلاق
اولاد منّاع معه لانهم لا يغافلون الامر فاجتمع
اثناء مراد بن مصطفى بن يوسف قايد دايرة
اولاد منّاع ومراد بن محمد بن مراد الحسيني المحبوب
بباب الاندلسية قايد دايرتي اولاد جوين
واولاد عمر فتكلما في رحيل الدواير معهم
فتلويا ثم رجعا عنه ليكلما القوم في زعمهما
فاعلنا بالخلاف عليه ومنابذته وحرضا القوم
على حربه فركبوا اليه فقدم معهم مراد بن مصطفى
يرمونه بالرصاص والحجارة فرجع عنهم خائبا
وعاد الى ابيه فاخبره وبلغ ذلك بونس عسكر

به

ثم ان خلت الدواير لوقتهم يقبلون نواجعهم فكانهم
مع صاحب القيروان وكانت جريد لما بلغهم خبر الفتنة
جلسوا للشورى والراي فاختلفوا فاما اولاد مناع فاختاروا
النزوع الى علي باشا واما اولاد جوين واولاد عمر جميعه وعمر بن
بحور فاختاروا التخلي عن الفريقين والارتحال الى الصحرا
فارتحلت اولاد مناع نازعين الى علي باشا فالتقوا
مع دواير قومهم التي ارتحلت من الصحرا في اثناء الخريف
فردوهم معهم ووردوا قايدهم مراد بن مصطفى كلهم واقبلوا
الى علي باشا فجلس بخدمتهم وامرهم ان ينزلوا امام
باجة واعلى تخوم منوبة والمحمدية وارتحل الآخرون
الى الصحرا وحلفت بهم دواير قومهم فساروا حتى نزلوا
على الفراشيش فاقتسموا بلدهم مما يلي تبسة وكان
الحجة في الجهورية الحسينية قايد الفراشيش وسمي
الجهورية لولادته في عمر بن بحور وهو من شيعة يونس
فاجتمع باولاد حسين ورؤساء جريد فقال لهم
انكم لم تنتفعوا بارتحالكم وتخليكم عن الفريقين
شيعة لانكم افسدتم امركم مع علي باشا فاتفقتم
عليه حيث لم تنزعوا اليه كما فعلت اولاد مناع
وجاهرتموه بالعداوة ولم تنتصروا ليونس وبعلم ذلك لحق
جميعا الى يونس ونتصره فوافقوه على رايه وعزموا
على الرجوع لنصرة يونس وكلموا الشابو اكبر الفراشيش
ان ينزع معهم الى يونس فابى وكتب بخبرهم
الى علي باشا فسرح لوقته صالح بن محمد الرزقي
وكان قايدا لاولاد ابي غانم وامره ان يجمعهم وكتب
الى اولاد يعقوب وشارن وساير القبايل
وتبعوز وورتنان وامرهم ان يجتمعوا جميعا على
صالح بن محمد ويصدوا اولاد جريد عن الوصول
الى يونس ويحولوا بينهم وبين ذلك فاجتمع
من اجتمع من هذه القبايل ونفروا اليهم على
الزوارين فاقبلت اليهم جريد فقاتلوهم فهزموهم
وقتلوا منهم واخذوا لهم افراسا وسلاحا

ومضوا قدما لوجهتهم وبلغ الخبر الى علي باشا فخرجوا من
الحضرة بانهاض البعض اولاد مناع والخيالة من جنوده
يقدمهم عثمان اغة فجاءوا عشيا وترصدوهم على المحمدية
واسرى الاخرون من سمنجة فاصبحوا عليهم فلما ابيى
الصباح التقى الفريقان واقبلت جريدة من الجبال
عليها الهوادج وقد انفصلوا عن جماعتهم وتركوها
وراءهم وتسارعوا للقتال فوقع بينهم قتال شديدا
بالخيل كان فيه من الصبايحية وغيرهم وتركوا القتال
وانقطعوا الى الناجعة وعاثوا فيها اخذا ونهبا
لانفصال الحامية عليها فلما رات جريدة ما حل بناجعتهم
اسلموا الهوادج وولوا اعنتهم للدفاع عنها فتبعهم
عثمان اغة في جنوده واولاد مناع فكانت هزيمتهم
واغارت الخيول على الناجعة فعاثوا فيها واخذوا
منها كثيرا من الابل والمتاع وساق من تخلف الاخذ
منهم ذات اليمين والشمال وراءهم حتى كانوا بقرب
سوشي راجس وسرح يونس على جبال فيمن
عنده من الخيل فوافاهم هنالك فدافع عنهم
ورجع عنهم الطلب واقبل بهم فامرهم يونس
ان ينزلوا بجزيرة كريك ملاصقين لجدران البلد
من قبليها ورجعت جنود علي باشا منهم
بغنائم عظيمة ثم بعد ايام من نزولهم بجزيرة كريك
راى علي باشا تبييتهم لمكانهم منها فسرح اليهم
الجنود خيلا ورجالا من الليل فاتبعوا البعض وقتلوا
منهم نفرا فبادرت بهم جريدة وجابدوا عن انفسهم
فرجعوا عنهم ولم يصنعوا شيئا وكان علي باشا قد كتب
الى جميع المزارقية من العرب ان يوافوه فتشاغلوا
عنه ثم بعد نزول جريدة بجزيرة كريك اقبل اولاد
سعيد وانقلبوا بفتنتي على عادتهم ما ذكلف
الكشف لهم وجوه الالسنة منهم الى علي باشا وانطلق
الباقون الى يونس بانفزال علي باشا الذي
وابوه منهم على اولاد مناع فقدوا عليه من الفحص
وكلموه

وكلموه في ان يسرحهم لقتال حريد فاجابهم الى ذلك
واستدعى اولاد مناع وحرض عليهم مقاتلة اولاد سعيد
وامرهم بالركوب الى القتال من الغد فقالوا له
كيف تخرج مع اولاد سعيد وابناؤهم واخوانهم عند
يونس فلا يلبثون انما قابلوهم ان ينهزموا بنا وينصرفوا
اليهم فقال لهم انا ارهنت ان اخشى ايديهم في الفتنة
فندموهم امامكم فلا دخل الدماء تفتح بينهم وبين حريد
فتكفى حمايتهم ويخلصون لنا فلما اصبح الصباح ركبت
اولاد مناع واولاد سعيد وسلكوا على سيجوم الى
مخيرة وانقلبوا الى حاشية السبخة وركب عثمان
اغا وحساب لا لأمر في الخزنية فوقفوا فاصل
السبخة مقابل الملاسين ولما راتهم حريد والى جنب
ومن عندهم من اولاد سعيد ركبوا من محيطهم لجهة كريكة
وساروا الى الشرف المطل على السبخة وراء مقام السيدة
المنوبية فوقفوا به وامهلوا اولاد مناع واولاد سعيد
حتى قربوا منه فنزلوا اليهم وحملوا عليهم فهزموهم واحدقت
اولاد مناع ان اولاد سعيد انهزموا بهم واتبعوهم وقد
خرج علي جبال في خيل يونس مددا لهم فاثخنوا
فيهم قتلا وجرحا وسار عثمان اغا مع حاشية
السبخة للدفاع فعارضوه ودفعوا الحملة عليه فرجع
ادراجه وانهزم وانتفوا في اثار المنهزمين من
اولاد مناع الى سيجوم ثم عادوا الى مضاربهم
مسرورين بعود الكرة على اولاد مناع والخزنية
ودخل علي جبال الحضرة حتى انتهى الى القصبة
في بروز عظيم ثم لم يقع قتال بين العرب حتى فر
يونس من القصبة

ذكر فتح حلق الوادي

كان يونس لما دخل القصبة كتب الى عساكر النوب
بالثغور يدعوهم الى الدخول في دعوته فتوقفوا
اولا حتى بلغهم الايقاع بعسكره في سوف اولاد بوزيد

وخروج رجب بباب السويقة عن طاعته وفر جواطا عنهم
الى علي باشا والتجأ كثير منهم فروا اليهم وقاتلوا
معه وكان من بقلعة حلق الوادي قد دخلوا من اول الامر
مع يونس وامروه بما عندهم من البارود والسفن واستمسكوا
بطاعته الى يوم   بقين من رجب فسرح اليهم
علي باشا طائفة من العسكر ومعهم رؤساء البحر وجماعة
من البحرية فانقضوا اليهم وكانوا بازاء القلعة مقابلا من
في اثار البرج مرتدفة السمك فصعد عليهما بعضهم
واجتهدوا المقاتلة بالرماية على اسوار القلعة
ولم يكن عندهم من البارود ما يدفعون به عن انفسهم فتنحوا
على الاسوار والقوا بايديهم وتدلى الاخرون بالسلاليم
على الاسوار وصعدوا اليهم فملكوا القلعة وانزلوا
من بها وساقوهم الى محمد باي فعفا عنهم استجلابا
لقلوب العسكر ثم ان رؤساء البحر شحنوا الشواني
بالمقاتلة والمدافع ودخلوا البحيرة فاثروا تاثيرا
عظيما في العسكر الذين بمترس الشبكة المتقدم
الذكر برمي المدافع وتتابعت الرماية منهم
على البلد وعظم الضرر بهم الى ان انقضت
الفتنة

ذكر استيلاء علي باشا

على الحضرة وخروج يونس من القصبة وتغريبه من افريقية

لما رأى يونس اختلال امره وانه لا يزداد الا
ضعفا وان امر ابيه لا يزداد الا قوة ورأى ما نزل
بسور المدينة من الهدم والثلم يليه من باب
البنات الى قرب باب قرطاجنة وتفرقت
عليه الامور عزم على الفرار والنجاة بنفسه
وكان محمد الحيا حي يشير عليه بالتلبث والثبات
ويحسن عنده التصبر الى ان يصير يوما من هبوب
الريح وعود الكرة واعظم ما عنده في عضده

ورهن

Fol. 283 v°

ووهى من امره نفاد البارود وكان قبل اخذ حلق الوادي
بعد الجندان يبعث مراكب الى بلد الفرنج تاتيه بالبارود
فلما استولى ابوه على حلق الواد واغلق باب البحر وملك
عليهم البر والبحر ايسوا من ذلك وكثر عليهم الفشل
والخور واستمر الحال على ذلك الى ان لم يبق عنده شيء
من البارود يحمل على البغال وسوى جناحيه للكبيرات
وارسل بذلك الى محمد باي عيونه بالمدينة واعلموه
بنفاد البارود واشاروا له فوجم عليهم المدينة فالشدة اعوا
له جماعة فلما ذكر عنده الخبر استدعا روساء جنده
واصحاب الرايات منهم وذكر عندهم الامر وامرهم
بالهجوم على المدينة صبيحة الغد وهو يوم السبت
الثالث من شعبان فاتفقوا على ذلك ورجعوا الى
متارسهم ورجع محمد واخوه سليمان من اخر النهار
الى ابيهما فاخبراه الخبر فسر به فلما كان الصباح
ركب محمد باي وسليمان الى الجبل الاخضر وضم محمد
اليه خيله من جميع المخازنية وامر اولاد مناع بالركوب
وارسل الى العسكر يامرهم بالهجوم فتابعوا الرماية
والحوا بالقتال ودافع عسكر يونس بما بقي عندهم
من البارود دفاعا شديدا الى ارتفاع الضحى
ثم القوا بايديهم وولوا على ادبارهم ودخل عسكر علي
باشا المدينة من انكارها واستولوا عليها
وكان يونس لما بلغه اعتزام عساكر ابيه على الهجوم
ارسل محمد الحياكي وكاتبه ابو القاسم الدريدي
ومن عنده من اولاد حسن الى ناحية دريد ويب
مجور لمكانهم من حضرة كريك ليلبثوا بها ريثما
يرجع نقله ويخرج اليهم كي ينجوا بنفسه فبي
غيابهم بانوتهم وقد اخذوا في الرحيل والتقويض
اذ كان عليهم يونس فساروا وتركوه وسار معهم
محمد الحياكي ومن معه فلما ابعدوا غير قليل حتى
عارضتهم اولاد مناع واولاد سعيد فانهم ركبوا
من اول النهار وسلكوا على السيجوم الى مقرين

وعارضوهم من امامهم فلم يكن لاحد منهم الا النجاة بنفسه
فاستاقت اولاد منيع ومن معهم ابلهم واتبعوا امتعتهم
واخذوهم اخذة رابية وما نجى احد منهم الا ابراهيم كحمزة
ونجا واشتغلت بهم العربية الى تونس فاقاموا بها حينها
على شر حال وكان من خبر الحناشي واولاد حسن ما
سنذكره واما يونس فانه بقي في القصبة الى قرب
الزوال حتى تحققت عساكر باي على المدينة ورجعت
اليه المنهزمة من جنده فح ركب فيمن عنده من اتباعه
ومماليكه ومشى لباب الغدر وخرج منه ودخل ربض
فيه جماعة من باب الرحبة وشق الربض حتى خرج
من باب العلجة وخرج معه ما بقي من العسكر فعدل
عن طريق القيروان واخذ السير حتى دخل تبسة
فاقام بها ولم يقدر على مجاوزتها لان سدويرة
بن مراد بن ابي عزيز شيخ الحنانشة بلغه
هروبه فركب اليه عمه ابراهيم في الخيل ليثار
منه فيبيت بعاته الى تبسة وارسل الى حسين
باي صاحب قسنطينة يعلمه بالحيازة اليه ويطلب
منه ان يرسل اليه من حتى يصل اليه فارسل
اليه حسين باي جيشا كثيفا وسار معهم الى
قسنطينة فاقام بها في غفوته وكان من امره
ما نشرحه من قبل وقد كان يدور على السنة
الناس قبل هذه الوقعة بازمان منطقا ونثريا وهي
تونس من يونس وبها وفي يونس من تونس
فكان الامر كذلك لم يخرج منها حتى تفقد متسـ
اسوارها ولحب كثير من دورها ومات من مات
من اهلها ورفع النهب والعيث خلالها ولما
اقام بها ما اقام قبل ثورته محمد قاصد حورا
ثم خرج طريدا شريدا وانتبذ عنها تحت
ملكه غيره محبوسا مضيقا عليه الى ان هلك
ولما خلت العساكر المدينة دخلوا حارة
اليهود فنهبوا دورها واسواقها وامتدت ايديهم بالعيث
والفساد

والفساد فيها وتجاوزوها الى دور اليهود ومسنا منه
البرج داخل باب البحر باستوعبوها انتهابا ووقعت لذلك
شبعة في البلد ولما خرج يونس من المدينة علم به اخواه
فكاتبهما من الجبل الاخضر يتجافيا عن لحاقه وتغافلا
عن ذلك ومضى ولما بلغ الجبوسي عنده بالقلبة
خبر هروبه نصح رجب بن مامي لوقته وكسر قيوده
وامر بغلق ابواب القصبة وصعد السور وارسل الى
محمد باي يستدعيه الى دخولها فسار اليه وخاطبه
شفاها واعلمه انه لم يبق بها احد من حاشية
يونس ثم فتح له باب القصر فدخلها واستولى على ما
تركه اخوه بها مما اثقل عليه حمله ثم رجع الى باردو
ومن الغد انهى الناس الى محمد باشا يهنونه بالفتح
وسكون ثائرة الفتنة ولما تتبع محمد باي جميع من ادخل
نفسه في امر الفتنة من العسكر والخازنية ورؤساء
العرب واهل البلد قتلا واخذا وتشريدا ولم ينج
من بادرته الا من الجاه الله وقليل ما هم باستلح رؤساء
العسكر من الراي بما دونه من الاختيار بين الجالتية
وامر البرايا فلم يسبق منهم احد وكذلك من
ضرب به من حاشية يونس واتباعهم ومن قام في امره
من اكابر البلد ومشيختها افنى الجميع خنقا وشنقا
ثم التفت الى بقية العسكر ومن ليس من اهل السور
منهم فشرد الترك الى بلدهم ونفاهم عن اخرهم
وكان كثير منهم متاهلين فتركوا نساءهم وابناءهم
واسقط ابناءهم من ديوان الجند وشرد بعضهم الى
القرى وما اقال لاحد منهم عثرة ولا عفى له
ولا رحم له عبرة وبلغ عدد من نفي من الترك
نحو عشرة مائة سوى من قتل منهم والتحق
اكثرهم بالجزائر وثبتوا في ديوان جندها وخرجوا
في المحلة مع المولى محمد باي لما خرج من الجزائر
كما ابنا عنه من ملكه وملكه ابيه وكانوا اشر الناس
نكاية في القتال وحرصا على دخول تونس وعظم

الظهور منهم جدا وصفته اقبح الغضب والانتقام والاخلال
بفضيلتي الحلم والعفو وانتمى اليه محمد الخياطي ولي القاسم
الدريدي في رجالات اولاد حسن مثل رحال بن مراد
وابي الضياف بن مراد ومراد بن مصطفى بن يوسف
وكان قد فر الى يونس قبل مهربه بايام بعد ما انتشب
به اولاد مناع الى علي باشا كرها ومثل الحدب ابي الضياف
واحمد بن علي الجويري وابنه محمد في ثلاثة عشر رجلا
منهم وعثمان بن حمودة شيخ اولاد جويز وكان من خبرهم
انهم اجفلوا من ناحية دريد والعرب من جهة كربيلهم
ومازنوا يونس ولما اشتغلت دريد والعرب الى ناحية
تبرسق اناسوا بها وعلم سولاة انهم لا منجا لهم الا الهرب
بعد قومهم وساروا يريدون قسنطينة فاجتازوا ببلد
دورغة فانذر بهم شيخهم محمد بن السنوسي فركب
اليهم في خيله وتلقاهم بالترحاب وعرض عليهم النزول
عنده وكان قد مسهم التعب والنصب وذاقوا الباس
الجوع والخوف فنزلوا عنده على كره منهم فقبض عليهم
عن اخرهم واستلب سلاحهم واموالهم واوصلهم
الى علي باشا فاودعهم الداموس اياما والقى العذاب
على الخياطي ليقر باموالـه وودايع يونس عنده
فامتنع وحلف ان لا يسمح لهم بدرهم ولو ناشر بالمناشير
فلما طال اشتداد العذاب عليه قال لا بيدي لا بيد عمر
وشنق ليلا بالتكة سرا ويليه والحي رسمه وامر علي
باشا باولاد حسن فخنقوا كلهم وامر ان يقدم ابن احمد
بن علي الجويري قبل ابيه ولعله ينظر اليه زيادة في النكال
به لعلمه بشدة شفقته به فجزع لذلك جزعا
شديدا وكان ابنه هذا حسن الصورة مليح
الشمايل جدا وهو الذي صنع له يونس المحفل البهيج
في اعراسه في الحيرية بعد انفصال الجزايريين
عن الكاف وتواجد محمد رشيد كلهم نزول على الحيرية
وشهد لهذا الذبيح واختلفوا في اللعب
وكان يونس واخوه يركبون في خيولهم كل عشية
لشهوده

لشهوده وتخرج الوفد من النظارة من الحضرة وانذل ذلك
ايلما وكان سليمان باي بن عم لابي القاسم الزيدي
سابقة مع باشا تونس من يتبعهم واعتقله عنده وشفع في
لابيه لينجيه من القتل بامعلي اخوه محمد حتى ركب
يوما الى منوبة واغرى في الخطاب ان يذكره لعلي باشا
ويذكر بعض ما نقم عليه من المقالات فقعل ذلك
فامر علي باشا بخنقه في الحبس وسعفه في يد سليمان
باي وخرج تقدمته وكان محمد باي قبل وفدة القديمة
ايام زبونه مع يونس قد قدر على امر عظيم من التدنع
وستر ما طبع عليه من الاخلاق الذميمة فلم يزل
يتودد الى الناس ويتقرب اليهم ويحسن الى محسنهم
ويتجاوز عن مسيئهم واكثر من الكرم وحسن الخلق
وطيب النفس والحلم مما استجلب به قلوب الخاصة
والعامة حتى انجذبوا اليه واملوه واشتملوا على حبه
وقد انطوى على ضد ذلك كله وانما تصنع بذلك
الحاجة في نفسه قضاها فلما قضى يونس عن
افريقية وخلاله الجو واستقلت قدمه من العثار
واستوسق له الملك ظهر ما كان كامنا في
نفسه من الاخلاق التي جبل عليها ابدا منه من
المكر والخداع والاحتقار للناس والاستخفاف
بالخاصة والصنائع والاولياء والبخل والقسوة
والجراءة على سفك الدماء حتى كان دم المسلم
عنده مثل دم البعوضة فقتل اعداه من
الخلق على كلمة تصدر من احدهم مدحا ليونس
او ذما له فلم يكن غير قليل حتى نفرت
عنه القلوب وانحرفت عنه الخاصة واشتملت
قلوب جميع الاجناد والرعايا على
بغضه الى ان كان مهلكه
كما سنذكره
ان شاء الله
تعالى

وفاة سليمان باي علي باشا

كان سليمان محببا الى ابيه عزيزا عنده وكان يختص
بالكرامة ويوثق بالنظر فيه وكان يخرج معه بالمحلة السلطانية
قبل ذهاب يونس وبعده رحلة الشتاء والصيف وكان محمد
شديد الغيرة على الملك وكان يجد في نفسه من ترشيح
سليمان بسبب المحلة السلطانية وجرا شديدا وكان
لشدة جبنه يرى ان لو مات ابوه لاستقل سليمان
بالملك دونه لتمام خلقه وقوة جنانه وعدم سوء
اثره في الناس ولما كان في المحرم سنة 1168 ورد على
الحضرة قبجي باشا من الحضرة الخاقانية بخلع التجديد
ياتي بخلعة للباشا وخلعة للباي وكان باي البلد
في الحقيقة هو سليمان لاستناد ذكر المحلات
وجبايات الاموال اليه وكان لمحمد التقدم من جهة
السن فوقع الكلام فيمن يلبس خلعة الباي
فاستقر الراي على ان يلبسها محمد فاذعن سليمان
لذلك واظهر الرضى وظن به محمد انه اخفاها
في نفسه فخاف لشدة جبنه فاجرته وحاجله
وسقاه السم فمرض سبع ليال واشتد به
المرض ولا علم لابيه ولا لاهله بشيء من حاله
بل كلما ارسل ابوه واهله من ينظر حاله اخبرهم
محمد بانه طيب وان مرضه خفيف غير مخشي
العاقبة الى ان قضى نحبه ضحى يوم الجمعة من
شعبان سنة 1168 فجاء على باشا من ذلك امر عظيم وارجف
واشتد جزعه عليه وحزن حزنا عظيما واخرجت
جنازته من باردو على رؤوس الرجال الى مدفنه
بالتربة التي انشاها ابوه بالقشاشين وحشد
الناس لشهودها واستمر الحزن بالبلد سنة
كاملة لم تضرب فيها آلة طرب ولا دق فيها عرس
مشهور وعلم علي باشا بان محمد اغتاله فاخذ فيه

لـه

له ونجم على مركه في جنب يونس وعيش بعد ذي حجة حينه
ولم يزل كئيبا مهموما الى ان انقرض ملكه باثر ذلك
كما سنقصه عليك ان شاء الله تعالى اخبرني بعض
خاصة سليمان باي الملازمين له في محل خلواته
قال استدعاني علي باشا بعد موت سليمان مرارا يسألني
عن الحالة التي كانت عليها اغتياله واخلاط السم عليه
فاخبرته اني لم اطلع على شيء من ذلك وقال لي بل قتلته
واعدمتني ابني الاول والثاني فعل الله به وفعل قال وكان
يعذر مماليك محمد باي الابشر بك لديه اخبرني ان
سليمان باي يوم مرضه دخل على محمد بسقاء فعفوي
وخرج من عنده بسعلة لحينه مريضا قال ولما خرج من عنده
بعد شرب القهوة استدعاني محمد باي وامرني ان ابدل
له كسوة سوداء وبالغ علي في الوصاة باخفائها وان لا
يطلع عليها احد ففعلت ذلك ولم اشعر حتى اشتد
المرض بسليمان ولما هلك اتيته بها من حينه فلبسها
واخبرني من اثق به من مشايخنا انه سمع من ابي عبد الله
محمد الطيب الحريري امين الاطباء بالحضرة ومن يوسف
الكيني النازح الى اليهودية من النصرانية طبيب الملوك
بالحضرة ان سليمان مات مسموما وكان سليمان قد
ترك ابنا بالغا للاشد اسمه النعمان فلما ان اوان خروج
محلة الشتاء بعد مهلك ابيه اراد علي باشا ان
يرشح النعمان ويجعله مكان
ابيه بالمحلة السلطانية ويخرج بها معه
عوض ابيه فقام في ذلك محمد وفد
ولم يزل بابيه حتى صرفه
عن ذلك وبطلت المحلة
في تلك
السنة

ذكر ولاية علي باي

ابن حسين بن علي وبوفاة اخيه المولى محمد
باي جمادى الثانيه سنة ١١٧٢

بويع اعزه الله تعلى يوم الاثنين لاربعة عشر
خلت من جمادى الثانية سنة ١١٧٢ صبيحة اليوم الذي
توفي فيها اخوه مولانا ابو عبد الله محمد باي **وكان**
قد سافر بمحلته في تلك السنة ووصل الى القيروان واقام
بها ثم ابتداء المرض في سفره ذلك فرحل راجعا الى
تونس ومرضه يتزايد فدخلها يوم الاحد السادس
من جمادى الثانية فمكث ثمانية ايام ثم توفي في التاريخ
المذكور على فراشه في القبة ملك بقصره من باردو
المعمور موته لمنافسة الكثير من امرائه او رخيه حرموها
بما نعقت اراء الجميع على توليته مولانا ابقاه الله تعلى
فاول من بايعه الحاضرون من وزراء اخيه واهل
دولته وفي مقدمة حضرته وخطيبه الشيخ الامام
ابو عبد الله حسين بن ابراهيم البارودي والماضي
الخبر صباحا الى تونس توعلت اليه افواج الناس
على اختلاف طبقاتهم يريدون بيعته فحضرها اكابر
العلماء واهل الديوان ورؤساء العساكر ووجوه
الناس بمجلس الحكم بصحن القصر من باردو المعمور
وبايعوه بيعة عامة ثم وفد عليه اهل كل ناحية
من المدن والقرى والنواحي وجميع المملكة وقضيتها
ببيعتهم طايعين غير مكرهين بقلوب صادقة ونيات
صحيحة وعزايم ثابتة **وكان** من الاتفاق الغريب
وصنع الله العجيب الدال على صحة عقد بيعته
البيعة رتبة نصاره وسوق قدمها واتصال سعادتها
ان اتفق في ايام مرض مولانا محمد باي وصول
قبجي باشا من حضرة الخلافة الخاقانية ومقر السلطنة
العثمانية بفرمانات التقليد والخلع بولاية
رحمه الله تعلى باشا المملكة الافريقية وولاية
مولانا ايده الله تعلى باي العساكر وامير المحال
المنصورة

المنصورة ومتولي جباية الاموال من البلد ونزل بجزيرة جربة
واشتاق مولانا محمد باشا الى وصوله اليه فلم يتهيا وصوله
الا بعد الفراغ من جمعه فاستحضر الباي واهل الديوان
والاكابر وجلس لهم مجلسا عاما بمحضر فخم وجلس
الناس على مراتبهم وحضر العسكر والقضاة والوزراء والحشم
وجميع اهل الدولة ونشرت الاعلام واحضر فيه باشا
يدخل يمشي المقعود وبيده الفرمان والخلعة فسلم
وقبل يد مولانا اعزه الله تعالى وجلس في الموضع المعد
لجلوس امثاله وبعد ان اخذت من يده الفرمان
والخلعة وقام لها مولانا قايما على قدميه وقام جميع
الناس وقوفا من تعظيما للامر فلبسها ونزل العمامة
الشريف وهو قايم وبعد الفراغ من قرائته جلس وجلسوا
وضربت النوبة واطلقت المدافع وحصلت الفرحة
العامة ثانيا من جميع من حضر وكان يوما مشهودا
وقوي بذلك امره واشتد عضده واتفق له ما لم
يتفق لغيره من حصول البيعة من اهل العقد والحل
والتولية من قبل السلطان في وقت واحد ولم يطلع
اتفاق مثل هذا لغيره من ملوك افريقية بل قصاراهم
ان يستقل احدهم بالملك ببيعة او غلبة ثم يرسل
الى حضرة السلطان يطلب التولية فياتيه التقليد
والخلعة بعد ان كان في الملك مدة وكان هذا
الاتفاق لمولانا من عنوان السعادة ودليل العناية
وظهر منه ايده الله تعالى من الحزم والثبات يوم
الاتي من ترتيب الامور وضبط الحصون وسد
الذرايع على من تتطرق اليه مطمعة الفساد وبعث
السرايا لتاميد السبل وتسكين البلد ما سكن
خواطر الناس وقوي قلوبهم وزاد في رغبتهم
وانساهم موت ملكهم الاول ومن سعادته
انه لم يقع بشيء في جميع عمله مما جرت العادة في
وقوعه في افريقية عند موت الملوك من الهرج
ولم تهرق بسببه ولا فيه محجمة دم كما قال كاتبه

ابو عبد الله محمد محمد الورتاني وبيرام وزرائه اخيه وقواده وعماله
وجميع ارباب الوظائف على مراتبهم ووظائفهم لم يغير
احدا منهم عما كان عليه ولا اخذه عن مرتبته فاستحسن ذلك
منه وعد من تمام عقله وحسن تدبيره

ذكر ثورة اسماعيل

بن يونس باي بن علي باشا

اعلم ان الله تعالى قد عقد لهذه البيعة المباركة بكل خير
ورتب عليها من المنح الجميل ما اجرى به كل خير فمن
ذلك ما اتفق باثرها بقيام اسماعيل المذكور وخروجه
مع كبار لبس والتفاف كثير من الاعراب وغيرهم عليه
واستفزازه للجهال وما وقع لهم واتصاله بعد ذلك
الى جبل وسلات وما وقع في ذلك من الصنيع
الذي لم يخطر ببال احد ولا وقع في حسبان ثم استخلاء
الجبل وجلاء اهله منه وخضد شوكتهم واستيصال شأفتهم
غائلتهم وهم امنع من عقاب لوح الجو وقد كان حلهم
شجى في صدر ملك افريقية لا ينتزع وغصة في قلبه
لا ترتفع كلما قاموا سوق الفتنة على ساقها
وسعوا في قلب الدول وفسادها وتفصيل ذلك ان
اسماعيل المذكور لما ثار ابوه يونس باي في قصبة
تونس على والده علي باشا ولم يتم له امر وخرج
هاربا الى الغرب واستقر في قسنطينة في قضية
طويلة سيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى
بقي ذلك الشاب سجين هو واخواه احمد ومصطفى
بدار سكناهم ومنعوا من الخروج والتصرف وبقيا على
تلك الحال الى ان استقر ركاب مولانا العالي
بتونس يوم الخميس لخمس خلون من ذي الحجة
سنة ١١٦٩ وقتل علي باشا وقتل ابنه محمد
ذلك اليوم وتفرق اخوته واولاده فكان اسماعيل
عند بتر ولم يكن قبل يخرج للناس قبل سجنه لصغره
فلم يكن معروفا عندهم ولم ير ابن يتوجه باتي مغلم

الشيخ

الشيخ الاستاذ الاكبر ابي سعيد الباجي رضي الله عنه
بجبل المنارة بمرسى قرطاجنة فوجد جماعة من المتعزمين
فرحوا بانفسهم فلم يعرفوه فاقام معهم ليلتين او ثلاثا
ثم اسر الى رجل منهم من زواوة اسمه محمد فخبره وعرفه بنفسه
وكاشفه بحقيقته فاشار عليه بالهروب ووعده ان يلتقي
الى حيث يامن على نفسه فاجابه الى ذلك وانطلق به
من مقام الشيخ المذكور فدخلا تونس من باب الخضرة
وخرجا من باب عليوة وانتهيا الى بلد سليمان فباتا بها
ليلتين اقاما بهما ما به الفجع الحاصل من التعب ثم اكترا
له حمارا الى الحمامات ولم يزل ينتقل به من بلد الى
بلد الى ان بلغا الى صفاقس فدخلاها سرا ولم ينزلاها
لانه كان قد خرج الفيها بعد ثلاث من دخوله تونس
لسبب اقتضى ذلك وخرجا منها الى بعض القرى
وركبا البحر الى جربة ومنها خرجا الى جرجيس
فلما حصلا فيها ارتاب اغا برج جرجيس لكونهما
وسمعا الخروج فنازعه بعض من زواوة الذين معه
انتصارا لمحمد الزواوي المذكور فابى الاغا الا منعهما
وطال بينهما الخلاف في ذلك فوردت عليهم سرية
خيل من فيئة فسل فوجدوهم متنازعين فجاءوا الاغا
وقالوا نريد ان نجر البر الواسع فلان لهم
وانطلقوا معهم يدا وسارا فبلغا الى بيوت اولاد
ابن مريم وهم عرب اهل خيام من ذري الجبال و
والخيل يطعمون الطعام ويكرمون الضيوف ويسمع
فتلك البلد اسم وشهرة فنزلا بهم قال محمد الزواوي
فكلفت منا حينئذ لا كيس بها رجلي لما اصابه
من الم المشي حتى تورمت قدماه قال فبتنا الليل
بينا من شدة وقالوا نبيتك الى تلك
البيت فعلمت انهم عرفوه قال فدخلنا البيت
فوجدناهم قد وضعوا بها ثيابا فلبسها الباس فلبسناها
وبتنا عندهم فلما كان الصباح اتونا بفرس وبغل
وقالوا في اركب انت الدجى ويركب صاحبك الفرس

واعتذرنا بان خيلنا غير حاضرة وبعثوا معنا من يعدينا
الكريك وجئنا الى طرابلس فسرنا الى ان انتهينا
الى الزاوية الاخرى فبتنا بداخلها وجلس الينا جماعة
من اهلها فالا يعرفوننا فقال احدهم الا تخبرون بالخبر
ان ابن يونس باي جرى من تونس ودخل هذه البلد
فقلت له من اين لك ذلك قال له هذا خبر صحيح
وقد دخل هذه البلد امس او اليوم قال فتعجبنا من
ذلك وخرجنا منها ووصلنا الى كمرة بظاهر مدينة طرابلس
فنزلنا بها وسلمنا الفرس والبغل الى اصحابهما وفارقونا
من هنالك راجعين وامرني ان ادخل البلد واتيه
بدواة وقرطاس فدخلت واتيته بهما وهو يكاتب
ذلك فكتب كتابا الى صاحب طرابلس ابي الحسن
علي باشا ابن محمد باشا ابن احمد باشا قرمانلي
يخبره فيه بنفسه واعطاني الكتاب فدفعته به الى
الكخية فاوصله الى الباشا فلما علم به ارسل اليه
باشا ومعه مركوب وامرهم ان يتلقوه ولا يعلموا
به احدا وان ينزلوا بدار محمد بن رجب ابن ماميي
ابن خالة ابيه وقد كان محمد بن ماميي المذكور
استقر بطرابلس قبله بقريب بهروبه اليها من
تونس ايام الفتنة الجيلانية فكتب له وهو
انه اظهر مرضا وخرج بعياله للتنزه في بساتين
قرطاجنة وقد تكلم مع بعض رؤساء المراكب
من النصارى بان ياتوه ليلا الى شط البحر الذي بازاء
العبدلية وحملوه هو واهله وماله وما استخفه
من امتعته وبلغوه الى طرابلس فاعطاه دارا بها
وعينت له الانزالات ولما بلغ اسماعيل الى طرابلس
انزل معه لما ذكرنا للقرابة التي بينهما والسابقة
خدمته وحرمته في ايامهم فمكث معه مدة
ثم حصلت بينهما وحشة ففارقه وعينت له
دار سكناها وحده ثم وقعت بينه وبين محمد
الزواوي الذي جاء معه ما حصل وحشة ايضا فضربه
ضربا

خربا امرها وكرده وانها ولم يزل مقيما بطرابلس الى
ان توفي مولانا محمد باي ابن حسين باي واستقل
مولانا العزيز الساعد قلي بالامر في التاريخ المتقدم فظن
ان قد خلا له الجو انه ان اخذ محلة تونس اطاعه
الناس وتبعوه وتملك البلد وزين له هذا الراي جماعة
من الغوغاء كانوا يلوذون به وانضم الى ذلك ان كاتبه
بعض اهل البساط من ابن رقية محمد بن عبد الكريم
الذي كان شيخ قابس في ايام جده وغيره يحسنون
له الخروج الى افريقية ويسهلون عليه تملكها وانضم
الى ذلك ايضا ان صاحب طرابلس ضيق عليه الامر
حدثه منه ما بعثه مع اصحابه على الخروج ودبروا امرهم
وخرج محمد التركي الى المنشية وجعل يشتري الخيل
خفية ويربطها الى ان اجتمع عنده عشرة افراس
واحد هذا كان من جوانب الترك بتونس بجنيا
جناية بن الى طرابلس وخدم اسماعيل
بقربه اليه وصيره من خواصه ولما انكملت له
الخيل خرج اصحابه متفرقين قبله وتواعدوا الاجتماع
بمكان عينوه ليلا وخرج هو عشية وحده مظهرا
انه خرج للنزهة في المنشية فلما جن الليل
التحق عليه اصحابه وساروا سيرا حثيثا ليلتهم تلك
ومن الغد الى الظهر وكانوا قد تركوا الطريق
وارتفعوا اذات الشمال خوفا من الطلب ولم يكن
لبعض منهم خبرة بتلك الارض فتاهوا ولم يجدوا
مسلكا واخذتهم الحيرة فبينما هم كذلك اذ لقيهم
رجل يقال له سالم بن عثمان المحمودي كان قد
خرج من بعض القرى باعرابه ذاهبا الى الطلح
فلما راهم خافهم على نفسه وعلى ابله فغيب
منهم ليستطلع خبرهم فقال فلما رايتهم ورايت
تعبتهم وقد اثر فيهم العطش وحر الشمس
تاثيرا شديدا تحققت فيهم فتقدم الى اربعة منهم
بحيي احدهم وسلمت فقلت له من انتم فسمعني بي

بعضهم فقلت انما اسألك عن صاحب الفرس الخضراء قال ذلك
سيدك اسماعيل بن يونس باي قلت وما جاء به الى
هذا المكان قال حدث امر بافريقية فجهزنا صاحب
طرابلس محلة في البر واسطولا في البحر وخرجنا لاخذ
المملكة الا انا ضللنا الطريق ولم نعلم مكان المحلة
قال فانطلقت اليه وسلمت عليه فقال لي سر معنا واهدنا
الطريق قلت ان لي ابلا موقرة بليرة اخشى ان اضيعها
البقر والحي لك قال اتركها وانا اوفرها لك ذهبا
ان شاء الله تعالى قال فجدا في الطمع على المختبي
معه فذهبت معه فقال عاهدني على ان لا ترجع من ورائي
واخذ يؤكد علي في ذلك فعاهدته على ان لا ارجع
من ورائه ولو كان سار بنا قال اني لعارف واخبرني
في قصته فوعدته بان ابلغه الى مكان اراده وشكوا
الي العطش فاخبرتهم ان الماء على ثمانية فراسخ
منهم وقلت دعوني اركض الى الماء واملا منه قربة
واعرضها لكم فقالوا نخاف ان لا ترجع فقلت ومن
يلزمني من الذهاب لو اردته فركضت الى الماء
وعلى ميل في الطريق سرب ظباء فرميت ظبيا
منها فصرعته وذبحته وتركته وانطلقت الى الماء
فملأت منه قربة ورجعت بها اليهم فعدوا على اثري
باتباعي اليهم وقد كادوا يهلكون عطشا فشربوا
وانطلقت فاحتملنا الظبي ولما كان الليل اكلناه
وسرنا بقية ليلتنا من الغد الى صبح اليوم الذي
بعده وقد كدنا نهلك جوعا اذ خرجت خيلنا
ايضا ان تهلك فقلت لهم عهدي بمكان فيه
الناحية فيه بن اولاد بن مزني صحابهم
اليه فدخلنا فجدنا تبنا لخيلنا
فوجدنا به التبن فنزلنا وتركنا الخيل تأكل
فنبشت فرس الارض فساخت يدها فقمنا
اليها فوجدناها قد ساخت في مطمور شعير
فكشفنا عنه وجعلنا لنا منه مخالي لخيلنا
فلما

فلما صلينا ء اخر خلاءة انكشف الشيخ عن جرابين علوية
فكشفنا عنهما فوجدنا فيهما دقيق شعير فعلفنا الخيل
واكلنا ما في الجرابين من غير طبخ فتماسكنا وتشكنت
خيلنا وانطلقنا باتباع الفديمونت اولاد بن مسيلم
دون الحاضرة فصنعوا لنا طعاما وقالوا لنا اركبوا
فان القايد احمد بيري في جماعة من الخيل قد رجع
امس من هاهنا في طلبكم وجميع صاحب طرابلس
في اثركم وقد كان خرج من طرابلس في اثرهم
صبيحة ليلة خروجهم فسبقهم الى ذلك المكان
لانهم ابا ارتفاعهم ذات الشمال وتباعدهم الطريق
كانت مسافتهم بطالع يدركهم وقد انتهى على
طرابلس بن تونسي قال فلما سمعنا هذه المقالة
ركبنا وتناحينا الجارفة من الفد وهم على فرسخ
من جرجيس فنزلنا قريبا منهم وارسلنا احدنا الى
شيخهم الشيخ سعيد بن عبد الله فارسله الينا ان
امكثوا بمكانكم ولا تدخلوا الينا ونحن نوجه اليكم
بطعامكم وعليقة دوابكم وارحلوا عنا فلا حاجة
لنا بكم ثم اقبل الينا سعيد بن عبد الله في نفسه
وكرر تلك المقالة وعاتب اسماعيل في خروجه من
طرابلس واعلمه انه لم يصنع شيئا ورجع وقد
كان رحومة بن سويد الجبيرى النويري في خيل لهم
عند الجارفة ذلك اليوم فلما بلغه الخبر خرج الى
اسماعيل وتكلم معه واعلمه بقصده فيما عزم
عليه وواعده النصرة وان جميع الحي طوع امره
ونهيه وانه سيجمع عليه الرجال ويصل فقال لهم
فلا حتى ندخل حيز الجارفة ونبيت هذه الليلة
قال فقمنا ودخلنا عليهم فلم يلقونا بالمكان رحومة
بن سويد الجبيري منهم وطلب منهم اسماعيل
ان يبدلوا خيله بخيل من عندهم لانها كلت
ولم يسعفوه بذلك فعجلوا وابدل له سعيد
ابن عبد الله فرسه بجواده وارحلنا من عندهم

حيث جا بأنها ما رفت احدى قرى قابس فنزلنا هنا
ونتسامع بامره اهل قابس ومن حولهم من الاعراب
بينما نحن كذلك والحكام يصنع لنا بما رقت اذ ورد
عليه كتاب محمد بن عبد الكريم من قابس يخبره ان الخازنية
الذين بقابس وزوارة ومن انضم اليهم عازمون على التعرض
له بانتهم وارتحل واترك المحام واشار عليه بالتوجه
اليه بين جزيرة جابه ثم وفرق جيشه فتكلم معهم في القيام
بدعوته فاجابوه واشاروا عليه بقصد بلد الحامة لان اهلها
مجيبون لهم بعضهم ما فبلغا اهلها بالقبول وتسارعوا
الى اجابته وكان عم اغا البرج الذي بها ومن معه
من زوارة وقدم عليهم محمد بن عبد الكريم وناس قليلون
من اهل قابس فاقام بالحامة واضطرب امر اهل
قابس وانقسموا فريقين فركب اليهم من معه من
العرب فنزل عليهم اربع ليال يدعوهم الى اجابته
ووجد جماعة من وجوه اهلها بقصد لين لباجه
الانصاري رضي الله عنه فاعلموه ان كانت عنهم لا تنفعه
لانهم لا يمكنهم ان يدخلوه الى بلدهم لانها ليست
ذات منعة بل ما لم يحصل منهم على طايل رجع
الى الحامة وكتب الى مكمام اهلها ان يكفيهم
ليتخذ عندهم محلا يا وي اليه وحصنا يلجا اليه ويختص
به فيردوا رسوله وامتنعوا منه غاية الامتناع
فاقام بالحامة ثلاثة وثلاثين يوما وقد اجتمع
عليه كثير من العرب من قبايل شتى وقدم عليه
جحجي بن خضر ومعه جماعة من اهل بيته وغيرهم
من اهل جبال وكابعة من المثاليث وغيرهم
فتزينوا له الرحلة والتقدم والتزم له اهل جبال
بالقيام معه والمناضلة دونه وسهلوا له
الامر وعرفوه ان الباطيل واهل جبال شيعة
في بلاشتاهم القديم وانضم الى ذلك قايدهم
منصور المشرقي احد السيرة فلم وعسقهم
فلما جاو غرقلوبهم بما غتنوا العرصة بكرعمهم

العاسد

الجالسين للحكومات السابقة ولما اجتمع من ظلم القايد
المذكور وكثير من غايلة جور ظلم العمال والقواد وانتهاك
حرمة الله تعالى وحرمة السلطان في الرعية فان الخلق
عيال الله تعالى ومتى استعمل في الرعية الاراذل والسفهاء
واهل البطالة والاعلان بالشهوات كان ذلك
داعية الى فساد دنياهم وذهاب ديانتهم وانهماكهم
في شهواتهم ولما تحقق عند مولانا ايده الله تعالى
ظلم منصور المشرفي واعتسافه للرعية عزله واخذ
احجاره وولى على مكانه سوسي الحاج شعبان
السبعي وهو رجل ذو عقل ومروءة فاستقامت به
الاحوال وجيء بخصم المذكور احد قواد علي باشا
المنتصبين في الولايات في دولته عفا عنه موالينا
لما تملكوا في جملة من عفوا عنه ولعل من بينا كبير
بجمال فلم يقنع بالعافية فخرج الى الحامة كما تقدم وتولى
كبر هذه الوقعة وخرج معهم اسماعيل من الحامة
حتى انتهى الى صفاقس فحكم في بلدها ومتوليها
اذ ذاك ابو عبد الله محمد الاصرم احد الوزير
العقبي الكاتب ابي العباس احمد الاصرم فاجتمع
اليه وجوه البلد وتشاوروا معه فاتفق رايهم
على غلق ابواب المدينة فاغلقوها ودخل الاصرم
قصبتها وضبطها احسن ضبط فاقام اسماعيل
عليهم ثلاثا يدعوهم الى اجابته وفتح المدينة
فامتنعوا عليه ووقع بعض تشغيب من بعضهم
فلم يتم له وفي اليوم الثالث ركب اسماعيل
وقرب من سور المدينة فرموه بمدفع من القصبة
فسقطت الكرة قريبا منه فرجع وعاث في
بعض الاجنة فافسدها وارتحل عنها وتوجه
الى جمال فلما وصل اليها خرج اهلها للقايه
يفرحون كبيرهم وصغيرهم فدخلوا به بلدهم مسرورين
ولم يعلموا ما ادخلوا على انفسهم فنزل بدار منصور
المشرفي وكان دخوله لها لثلاث عشر

خلت من ذوي القعدة من السنة بامان بها وقد اجتمع عليهم
اهل جبال فاطمة واناس كثير من اهل الغرب الغربية
سعد ابي يحيى الحشد اليه من الاعراب كبني يزيد والحزم
وكثير المثاليث والسواسيين واولاد سعيد والغواسم
وغيرهم تبلغ عدتهم الكثير من ثلاثة عشر الاف فارس
وقد كان مولانا ايده الله تعالى لما بلغه خروجه من
كرابلس ووصوله الى الاعراض تخوف ان يسبق
الى جبل وسلات لعلمه انه ليس بها رفيق معقل
يا دي غيري لصعوبة مسالكه وتوعر شعابه وما في
قلوب اهله من الضغينة والاحقاد القديمة وبعث
وزيره المختص به ابا الحسن الحاج علي بن عبد العزيز
كبير دولته وزعيمها في اربعين فارسا وامره بالمسير
الى وسلات يتكلم معهم ويذكرهم العهود التي عاهدوا
عليه مولانا نصره الله تعالى لما ارتقى الى جبلهم في ايام
اخيه وان يستنفر جلالة ويرسل الى صنايجية
الفيروان بيافوت وينزحوا الكرفان المعضدة
الى وسلات بلدال اسماعيل ان يقصده ويحوزوا
بينه وبين الوصول اليه بسابق جرمه ووصل
جميع ما امر به الى وسلات من ناحية المنج
وارسل اليهم منزل ابيه القايد احمد السهيلي ووجوه
من اهل الجبل باعلمهم بخروج اسماعيل وحذرهم
من الفتنة وخوفهم سوء عاقبتها ورغبهم ووعدهم
باجابة بانا على ما عاهدنا عليه الامير من الانقياد
له والدخول تحت كلمته وليس لنا علم من امر
اسماعيل ولبين جاءنا رحمناه ولم نقبل من امره
شيئا ويكفينا ما وقع لنا في القيام مع جد الباشا
وما كرا علينا من قتل الرجال ونهب الاموال
فلجا ابعد شيء من الدخول في هذا الامر فاعجب
الحاج علي بمقالتهم وشكرهم على ذلك وعرضوا
عليه الصعود الى جبلهم وان يبيت عندهم بمقعد
معهم فنزل بسور حال بلد القايد احمد السهيلي
باكرم

باكرم نزل واجتمع اليه المشايخ ووجوه الناس بعرف فيهم
اموالا وانصرف الى القيروان فاقام بها وخيله مترددة
فينهاوش وسلات في خدمة بكل مرصد وبعد ذلك
جهز مولانا محلة زواوة وصبايحية وارسلها الى الحاج
علي مع احمد شلبي في اغا الصبايحية وكتب اليه ان يلقاها
ويتعرض لاسماعيل ويبعده عن الدخول في البلد
فخرجت لتسع خلون من ذي القعدة فتلقاها الحاج
علي فيما عنده من الخيل وقد تحقق عنده قصد اسماعيل
بجمال بتوجهه اليها وارسل الى السواسي واولاد سعيد
يستنفرهم فاشتد في ايديهم من بقي منهم حتى نزل بظاهر
مساكن وبني على اربعة فراسخ من جمال ولما بلغه
كثرة العدو كتب الى مولانا اعزه الله تعالى يستمده
فامر بانتقاء مائتين رجل من العسكر واركبهم الابل
وبعث معهم حسينا النمتام في اغا صبايحية الترك
وكاهية كثيرة من صبايحية العرب وامر الحاج علي
بجمعهم وقد كان ايضا لما بلغه محاصرة اسماعيل
لصفاقس اختار مائتين من العسكر واركبهم مركبا رحلي
الرواح وارسلهم مع علي رايس قبودان البحر وحمو السوفي
احد رؤساء البحر في كابنة من البحرية لنجدة اهل
صفاقس وضبط البلد فلم يدفعوا الى سوسة فوجدوا
اسماعيل بجمال والحاج علي بالمحلة على مساكن فنزلوا
بسوسة وخرجوا اليه بالزفني واوردوا عليهم
والمدفع الذي جاءه في البر فلما كان ثاني يوم
من قدومهم هذا الامداد على المحلة خرج اليهم
اسماعيل بجنوده من جمال فركب الحاج علي ومن
معه ولما تقابل الفريقان ياد رجاعته من اولاد سعيد
والسواسي وبعد الخزنية الذين مع الحاج علي
بالهروب الى اسماعيل والتخوف باخوانهم الذين
فيه عنهم امنهم ومكرا فانكسرت لذلك قلوب
اهل المحلة وبادرتهم خيل اسماعيل بالغارة فلم
يلبثوا ان انهزموا امامهم وتبعهم الاخرون حتى

اوصلوهم الى المحلة واخرجوهم منها فاما بعض جلاص فلم
تقتف سريلتهم الا الى ان نزلتهم بنواحي القيروان وبعض صبايحية
باجة فلحقتهم الهزيمة الى باجة ولم يبق مع الحاج
علي الا شرذمة قليلة من الخيل فتحير لما تم وبقي
العسكر وبعض زواوة بالمحلة فالفئتين لا يدرون ما
يصنعون فلما رأى اسماعيل فرار من ذكرنا وانه لم يبق
بالمحلة الا الترك ومن معهم قصدنا حينئذ فتنتهي اليهم
ان يعلموا اليه وهم بالعنوة حتى قرب من الاخبية
فارجس في نفسه الحاج علي خيفة ان يكبسوه
لما رأى عدم مقار ففتهم له وقد رجعهم ابدا فاتاهم وقال
لهم ما هذه الخيبة ان كان مقصودكم اللحاق
باسماعيل فتفعلوا تذهب اليه جميعا وان كان مقصودكم
القتال فقاتلوا فتح تكن خلفكم وكان اول من باحر
حسين التمتام الاغا فوجه مكحلته نحو اسماعيل
ورماه وتبعه العسكر فتأخر اسماعيل وتراجعت
الناس واقتتلوا برهة ثم انفصلوا ورجع اسماعيل
بجنوده الى جهة وفدا خذوا نحو سبعين فرسا
ومات منهم ثلاثون نفسا وبعض من لحق المنهزمين
من خيل اسماعيل رجعوا الى المحلة ودخلوها
ظنا منهم ان المحلة قد اخذت وان صاحبهم استقر
بها وجعلوا يسألون عن مضربه فقتلوا وبات
اسماعيل وجنوده فرحين بما ظهر لهم من امارات
الغلبة ولم يعلموا ان العاقبة للمتقين واقتضى نظر
الحاج علي ومن معه ان يوجهوا الى سوسة وياتوا
بمدافع ليرهبوا بها العدو والاعراب وكان نظرا
سديدا فاتوا بها وهيؤوها ولما كان من الغد
ركب اسماعيل في جنده وسار قاصدا القتال
وركب الحاج علي في خيله ولما التقى الجمعان رماهم
محمد بن السوسي بكرة من مدفع فصادفت فارسا
منهم فاهلكته هو وفرسه فانشمر الاعراب
ورجعوا منهزمين ولاسيما اهل الاعراض
فانهم

بانهم استبعدوا امر المدفع لعدم احتياجهم له وكان يومئذ
عليهم لا لهم وقد كان مولانا اعزه الله انصاره جهز محلة
بمائتين خباء ما بين عسكر وخيل وامر عليها كاهيته
حسين ابو كاعات وارسل معهم الحاج شعبان السبعي
واليا على سوسة بعد عزل منصور المشرف عنها واخذه
كما تقدم فلما نزلوا بدار سليمان على مرحلة من تونس
ورد الخبر على مولانا من بعض من اسرع بالهزيمة ان محلة
الحاج علي اخذت فكتب الى حسين كاهيته يامره بالمقام
بمكانه الى ان يتثبت الامر فوردت الاخبار بعد وصول القتلى
من اهل جمال ارسل بعدها الحاج علي الى الحضرة يشاور
اصحابه في الرحيل والمقام حتى يرد عليه مشاور الحاج
شعبان السبعي بالرحيل وقال ان مولانا لم يامرنا بالمقام
الا لما بلغه من اخذ المحلة وحيث تبين لنا بطلان ذلك
فما مقامنا ها هنا فارتحلوا فلما قربوا من الحاج علي
كتبوا اليه ان يرتحل وينزل المعتمر وتلتقي المحلتان
هناك ففعل ومن الغد ارتحلوا جميعا ونزلوا
بقرية على مرسى من جمال يقال لها دار غالب
بوقوع القتال المحكي الموافق لهذا الاسم فاقاموا
بها اياما ثلاثة او اربعة لم يقع فيها قتال وبعد
ذلك انتشبوا القتال صباحا بجميع الحرب والتحم
القتال فانهزم اهل جمال ودخلوا بلدهم متحصنين
وقد كانوا خندقوا عليها خندقا وجعلوا عليه
متاريس من الحصر المملوءة بالتراب وقاية من
الرصاص حتى يتقدم العسكر وقربوا من جمال وصنعوا
متاريس مقابلة لها وحاصروها بقية يومهم ولما
اشتد الحصار اقتضى نظر اكابر المحلة
ان يقلعوا محلتهم من مكانها وينصبوها حول
متاريسهم قريبا من جمال ففعلوا ذلك فانزل الله
تعالى الرعب في قلوب اهل جمال ومن معهم
وايقنوا بالهلكة ورتب الحاج علي خيله وقسمهم
على النواحي فاحاطوا بجمال من جميع جهاتها

الا الجهة القبلية فلم تكن الا حاضرة لها وركبت عليها المدافع
من جهاتها الثلاث ايضا وضاق عليهم الامر وتقدم
الرايس محمد بن السويسي بمدفع يجر على عجل وصار
يرمي متريس اهل جبالة يرميهم به حتى رمي برصاصة فخر قتيلا
رحمة الله عليه بعد ان ابلى بلاء عظيما ولما جاء الليل
امر اسماعيل فاسرج له فرسا وخرج بنفسه بطايفة
لجنود جبالة من اوله الى اخره وحرض الناس ورجع
الى داره فاستلقى مستريحا نفسه وقد اخذت
جنوده من اهل جبالة والحرب وغيرهم في الهرب
والفرار فخرجوا من ناحية القبلة افواجا افواجا
وتفرقوا شذر مذر فلما احس بذلك بعض اصحابه
اتاه فايقضه من نومه واعلمه بما جرى فقام فزعا وامر
فقرب له حصانه فركبه وخرج فمن بقي معه من خيله
وهم خمسة عشر فارسا فلم يبق معه من ذلك الجم الغفير
غيرهم وكان خروجه من ناحية القبلة ايضا فعارضته
خيل من المحلة فرجع على عقبه وقصد ناحية المحلة
وستره ظلام الليل فجاز براس كمرة ولجام ولما
علم بخروجه من بقي بجبالة من اهلها ولم يبق
الا القليل انزلوا رجلا وبعثوه الى المحلة ليخبرهم
الخبر فوافا بها الحاج علي فاخبره الخبر كله واعلمه
ان البلد خالية ليس بها الا اناس قليلون وقد
تفرقت تلك الجموع وهرب اسماعيل فارا بنفسه
فتوقفوا اولا خوفا من ان تكون مكيدة ولما ثبت عنده
ذلك ركب في اثره ودخل العسكر زواوة والخارجية
وغيرهم جبالة صباحا ونهبوا دورها ومخازنها
وجميع ما اشتملت عليه ولم يات عليها الليل الا
وهي بلاقع واتبعوا اهلها في الكهوف
ينهبونهم ويسلبونهم امتعتهم وامتدت
الايدي الى بعض حرمهم وتفرقوا في كل
مذهب فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
وكان ذلك يوم الخميس غرة ذي الحجة السنة

فكاتب

فكانت مدة اقامته بجبال نفوسة عشرة ايام ما اطرب قول الفقيه
القاضي ابو محمد عبد اللطيف الطويري القيرواني يذكر
ما اصاب اهل جبال من جملة قصيدة طويلة

لاهل الله جبال الغد نزلت به بقوم من الخلف ارجلا ارجال

وقال ايضا الكاتب ابو عبد الله محمد بن الحداد الورغي من جملة
قصيدة طويلة

الكذب الحسب بجبال وقد كان مشهودا كيوم الجمل
ونال في الخائب السفاقسي
نجم السعادة في علاك تصعدا
والنصر في ماضي حسامك خلدا

ذكر انتقال اسماعيل

الى جبل وسلات وقياسهم معه
ولما خرج لمن معه من جبال راوا اولا ان يرجعوا
وراءهم الى بلد الجنة ثم بدا لهم قصد وسلات
فسلكوا طريق القيروان وقد اتبع عليهم بعض من المنهزمة
من خيلهم فصاروا الى الخشبي فارسا فساروا اليهم تلك
ومن الغد والليل كله الى الصبح فاصبحوا تحت جبل
وسلات فصعدوا اليه فلم يلقهم احد من اهله
فاتوا القصبة احد فراه فنزلوا تحتها وانتظروا
من ياتيهم فلم ياتهم احد فبينما هم كذلك اذا برجل
اطل عليهم من موضع فقال يا ابن سليمان هل فيكم
اسماعيل بن يونس فاي قالوا له نعم اراد يسمع
كلامك فقال له بيننا وبينك الله ارحل عنا
فلا حاجة لنا بكم فانا لا ناتينا من ناحيتكم الا الشر
واغلظا له في القول وانصرفوا ولم يجبه احد فبقوا
على تلك الحال حائرين الى المساء فدخلوا
القرية فلم يجدوا بها الا الصبيان والنساء ينادون
النجا وقد هرب منه الرجال فباتت بها عازما
على الرجوع الى الاعراض فلما كان الصباح اتاه

رجل يسعى واخبره انه ما ينبغي مقاتلة من تشبث باهل
وسلف من اهل الجبل احد الخماس وسلف
فلما اتوا الى عيسى بنصرته بركبه وتلقاهم وفرح بقدومهم
وشكرهم على صنيعهم فطلعوا مكانه فهم فرحا واعلموه
انهم سابقون له محدقون ثابتون بنصرته وانطلقوا
به الى بلدهم فبات عندهم واشاروا عليه ان ياتي خمس
اولاد اسماعيل فان ابا جابر يحب اهل الجبل
كلهم وهم خلوا الخدمة كما عندك لانهم اكثر الاخماس
رجالا واسدهم باسا فاتاهم من ناحيته الجوف فخرجوا
اليه يشتدون من جا اعطيه له ركب معه بالرمام والحجارة
وجرحوا رجلا منهم برصاصة واستخرجوا منه فبقي في
غاية الاستنشاق فركبه ابتهم السماعيل يستدعيهم
ويرفويهم فرموه بحجارة على جبهته فشجته
فعدل الى زاوية الجلويين الكاينة بخمسهم من الناحية
القبلية فبات بها ومن الغد انتقل الى خمس تيغاب
فهم فيتصلا معهم على كمايل وحملة الامراء السبب
ما حدث والسبعة اسحوا القيام معه والدخول
تحت حوزته والمشايخ وذوي الاحلام يتمنعون
من ذلك فبات فكان يقال له الدمان ومن الغد
انتقل الى بلد القدر من خمس تيغاب ايضا فنزلها
ودعاهم الى مراده فاجابوه وكثر عليه الناس وشاع
في جميع قرى البلد الجبل امر القيام والتعالف بركبه
في جمع كثير واتى الى بو رحال بلد القايد احمد
السميحي ونزل بدار جعفر من اولاده واهله وارسلوا
الى القايد يستند عونه وقد كان تشاور مع بعض
اكابر الجبل في امر اسماعيل لما صعد فاتفقوا
على عدم نصرته على ما زعموا ووجهوا اثني
عشر رجلا من كبارهم الى تو خس ليتكلموا
مع مولانا ايده الله تعالى في امره ويعلموه
براءتهم من الدخول في شانه ونزل احمد
السميحي بسعاية اسعد الجبل يتنكر عن
اصحابه

أصحابه فلما استقر إسماعيل بدار الطاعة أهل الجبل أرسلوا
إليه يعتذرون بسبب الإدخول معهم بسبب ما كان أمر
باشى كان يقال أن امتناعه أولا من القيام معهم وتحذيره
للأهل وسلانت من غائلة ذلك إنما هو بسبب
الكاهية بعكس ولما وفد منه تلك الجماعة إلى مولانا
نصره الله تعالى تكلم معهم باعلامهم أن جميع من وراءهم غيرنا
كثير لعهودهم ولا داخلين في شيء من الفتنة فشكر
صنيعهم وبرهم وكساهم وردهم إلى بلدهم وأرسل معهم
الوزير الفقيه الكاتب أبا العباس أحمد الأصرم القيرواني
رئيس الكتبة بالحضرة رحمه الله تعالى وعم السعيلي
أخا القايد أحمد المذكور وأمرهم أن يأتوا وسلانت
ليؤكدوا الأمر وليتوثقوا منهم بالترغيب والترهيب
فلما انتهوا إلى جبلهم بلغهم الخبر بما عندهم لإسماعيل
واتفاقهم على القيام معه ونكثهم للعهد فبعث
أبو العباس الأصرم بحض من معه من أعيان وسلانت
إلى القايد أحمد السعيلي ورجاله يكون قد بقي
من تلافي أمره بغيته وان هو منعهم يقبل الرمح فترددت
الرسل بينهما مرارا وآخر الأمر أعلمه انه قد
انتشب الحرب على الراغب وأنه إن لم يرجع فربما
صدر من بحضه غو عابهم مكروه ينالهم في خير من
معه من أهل وسلانت في الرجوع معه والصعود
إلى جبلهم باختيار الصعود ونظلوا عسى أن يكون
منهم تلاف وحيث لما وقع ورجع هو وعم
السعيلي إلى القيروان ثم رجعا إلى الحضرة ولما
تحقق مولانا أعزه الله تعالى من أمرهم ما تحقق
وظهر عنده ما كان يتخيله منهم من تقلب
القلوب وكمون الضغائن والأحقاد القديمة
فيها اقتضى نظره السديد ورأيه الأرشد
السعيد أن لا يخرج إليهم بنفسه أصلا ولا يقاتلهم
ما داموا بجبلهم ولو مكثوا فيه على حالهم تلك
ما مكثوا بل يوجه إليهم بجلة بعد جلة تنزل

بقرب جبلهم شجى في نحورهم وغصة في حلوقهم فهم من
بهم حدا اليهم او ينزل منهم فان ترددوا فاقتلهم وان جفوا
بجبلهم تركتهم ورأى ان السداد والصواب والراي كل
المكيدة مضى وقتهم بهذا الضيق وتركه فقاتلهم
في عقر جبلهم لوعورة مسالكه وعدم بصارة الجند
بها مع شدة خبرة اهله بذلك وصعوبته عليهم
حتى ان السيجي والقدي في شعابه ايبس عليهم منه
بالسهل عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المومن
من جحر مرتين فان والده المقدس برد الله ضريحه
كان لما قدم عليه ابراهيم علي باشا بوسلاف واطاعه
اهله خرج عليهم بنفسه في محلاته وحاصرهم بجبلهم
وقاتلهم واقام عليهم مدة ولم يحصل على كبير طايل
من امره وتعب غاية التعب هو وجنوده ولم يمكنه
الرجوع الى تونس قبل الفتح بعد ان كان قد خرج
بسببه فلم يقع الفتح الا بعد ثمانية عشر شهرا
من يوم خروجه وكان ما كان في يوم بورحال من
صعود العسكر الى الجبل وهجومهم عليه واشقايهم
الى بورحال واخذهم اياها ثم رجوع الكرة لاهل
وسلاف عليهم وقتل من قتل منهم وامور صعاب
بعد ذلك ثم لم يتيسر له مراده حتى ارتحل عنهم
ونزل علي باشا وعاث في البلد ومضى الى الساحل
ووقع عليه بها ما وقع الى الغرب وسنبين خبر
هذه الواقعة مجملا ان شاء الله فكان
هذا السبب هو الذي حث مولانا اعزه الله على ذلك
الراي السديد الذي لم تظهر نتيجته لمن
يعلم سره الا بعد زمان **وقد** كان
الوزير الحاج علي بن عبد العزيز تبع اسماعيل
عند فراره من جمال ولم يزل متبعا له حتى لحق
عشية صعود الجبل بقصد ناحية بوجد ثلاثة
رجال من اهله فامسكهم وسرح واحدا منهم
الى القايد احمد السبيبي يستطلعه الخبر عنهم

فوصل

فوجه ما فعلوا باجابة بانهم على ما عهدوا عليه ولم تزل الرسل
تتردد بينهما الى ان اجتمع به بالشريشارة واستوثق منه
وانصرف الى الديوان ولما نجع نفاق اهل وسلاف واستيس
منهم رجع الى محلته بتجال فكتب اليه مولانا يامره باخذ
التلاميذ الذين قاتلوا بتجال فنظر فاذا اخذهم غير ممكن
لانهم متفرقون بغاباتهم مسيرة ثلاثة ايام فجمع
اخذ جلة منهم وسمع الباقون ففروا ايضا فعند ذلك
الحاجب منهم بالمكيح فراجعه في ذلك فامره ان ياخذ
من كبارهم ستين رجلا رهنا تحت يده لئلا يعودوا
مرة اخرى وامره ايضا ان ينتزع من اهل القرى بالساحل
مكاحلهم فرماهم عصيانهم مع اهل وسلاف فعند ذلك
وارتحل بمحلته وارتحل حسين كاهية بمحلته ايضا فدخلا
تونس ضحى يوم السبت لثمان خلون من المحرم
سنة ١١٧٣ ثم جهز مولانا محلة اخرى من العسكر
وامر عليها حسينا كاهية فخرج بها يوم الاثنين
لسبع عشرة خلت من المحرم ثم اردفها بمحلة اخرى
زواوة وخيالة وامر عليهم الحاج علي بن عبد العزيز
فخرج بها لخمس بقين من المحرم وامرهما معا بان ياتيا
العلم ويقيما به شهرا في نحو اهله وسلاف
ولا يقاتلوهم الا اذا نزلوا اليهم فاشتغلوا الى العلم
واقاموا به مضيقين على الجبل من تلك الناحية وفي
مدة اقامتهم بالعلم شن اسماعيل بالغارات بلا معه
من الخيل على جلاص واخذ بعض مواشيهم
ثم ركب الى ماجر وهم قبيلة كبيرة من بوادي افريقية
تشتمل على عدد كثير يبلغ عددهم جميعا انهاء
ثلاثين الفا لما اتاهم وهو من شيعة جده علي باشا
اجابوا دعوته وكان عدو الله العرايشيش فانهم
ابوا ان يدخلوا في الفتنة فامرهم بالرحيل معه
والنزول على وسلاف فيفعلوا الا ما كان من
الشيخ ابي الضياف بن يحيى شيخ شقهمة
فانه امتنع من ذلك وركب فرسه وسار ناحية

بل اتبعهم بالحفة اسماعيل في خيله وخرج بنو جرير الشيخ
ابي الضياف فسبقه للارض راجلا فادركه اسماعيل
بنفسه فرماه ابو الضياف وكذب فخطأه فرماه اسماعيل
فاخطاه فاخترط سيفه وضربه به حتى برد فاحتز
راسه وناوله لبعض من معه ورجع لماجر حتى انزلهم
على وسلات ثم انطلق الى اولاد عيار يدعوهم الى
الدخول معه فاجابوه وارتحلوا ونزلوا على وسلات
ايضا ولما راى اسماعيل كثرة من معه من جماعة
ماجر واولاد عيار خرج من فجوة رجال وعسكر بسفح
الجبل واقام هناك واطمان على الحلم وفي اوايل
شهر ربيع الاول من السنة خرجت قافلة عظيمة
للتجار من قسنطينة تريد حضرة تونس بالتجارة
وفيها اموال كثيرة فلما كانوا حول تاستور على
مرحلتين من تونس اغار عليهم اولاد مناع واخذوا
القافلة بما فيها وحجروا مدة السلطان فيها وارتحلوا
من وطنهم وارسلوا الى اسماعيل مركبا اليهم
واتاهم بمكان يسمى واد الخشب فنزل بهم وتكلم
معهم ان ينزلوا على وسلات كما فعلت ماجر واولاد
عيار فقالوا له هذا غير ممكن فان وسلات فيحصم
يضيق على اخامنا ومواشينا ولا طاقة لنا
بالحصر فان شئت المنع عندنا وجئنا بدعوتك
فلم يجبهم الى ذلك ولم يجبروه الى ما اراد فعاد
الى وسلات وارتحلوا هم بحليهم الى ناحية
الجبيد واولاد مناع احد قبايل دريد الاربع
وهم بنو رزق واولاد جوين واولاد مناع واولاد عمر
ودريد هم عمود السلطنة بافريقية وعليهم مدار حلها
وارتحالها ولهم ديوان وارزاق عظيمة تخرج اليهم
كل سنة يتوارثها الابناء عن الاباء وللملوك
بهم اعتناء عظيم ليس لغيرهم من العرب
بحيث يجالسون الملك وياكلون معه ولهم الخدمة
حرمة وابهة ومكانة وقد كان مولانا

ايده

ايده الله لما بلغه امر ما جرا اولاد عيار عزم على الخروج
اليهم بنفسه وراى ان المبادرة الى قتالهم وارجاعهم
عن مساحلة الجبل واجتث اخذ معقلهم والبوادي مجبولون
على الفساد فربما تبع بعضهم وتكاثروا وتعاظم الشر
فلما بلغه ان اولاد مناع اخذوا ناحية قسنطينة واطاعوا
اسماعيل امر فوقتا بنصب المحلة ليخرج بنفسه لمنع
هذه القبايل الثلاث ودفع ضررهم من غير تعرض
لقتال اهل وسلاتة لان الذي يقتضيه النظر
الصحيح والراي المصيب ان لا تدفع مغالبة اهل الجبل
الصعب المرتقى الوعر المسالك الا بالحصار وشدة
والمحاصرة والتضييق وقطع المادة من غير ان يقاتلوا
في تلك الاوعار وان يبادر الى دفاع من نزل بساحتهم
لنصرتهم وتقوية شوكتهم بالقتل والاسر والاخذ
فخرج ايده الله ذفلو يوم الخميس لسبع عشرة خلت
من شهر ربيع الاول وارسل الى محلتيه اللتين
بالعلا ان ترتحلا وتتلاقياه بالفحص واستخلف على
تونس صهره ووزيره رجب خزندار لما يعلم نصحه
وديانته ونجدته وذكره وامره ان يغدو كل يوم الى
تونس فيجلس بدار الباشا لفصل الاحكام بين
الناس ويروح الى باردو ويجعل محله بباردو ورجالا
من يثق بهم وكذلك جعل في قلاع الجبل الاخضر رجالا
من ثقاته وشحنها باهل النجدة وسار محفوفا بالنصر
والتاييد الى ان بلغ الفحص فاجتمعت المحلات الثلاث
وكتب ايده الله ذفلو الى جميع المزارقية من العرب
ان يوافوه فاتوه افواجا افواجا وارتحل من الفحص
يريد ان تركب بها محلة امر عليها ابا الضياف
ايه ابي الحسن الدوباني كاهية الباجية وامره
ان يقيم لمكانه ولا يبرح منها عينا على اسماعيل
خشية ان يخالفه الى تونس واوطاه انه فلعمي
اتاه اسماعيل او سمع به قاصدا تونس يرسل اليه
الخيل وكذا للخبرة ويرسل الى خزندار بتونس كذلك

ثم ان كانت له كفاية بقتالهم قاتلهم والا تركهم واخذ نصر الله
من المهدي نذاك اليمين الى ساحة اولاد عيار فلما نزل بهم
استسلموا واقبل مشايخهم بالطاعة والتوبة ولم يلبث
الجند ان اغاروا عليهم ينهبونهم فارسل اليهم يامرهم
بالكف عنهم فلم يكف فتدارك ذلك واخذ ولم اخذه وابيه
وتفرقوا شذر مذر ثم اقبل اليه مشايخ ماجر وكبارهم
متفادين مقبلين بطاعتهم معتذرين بما فرط منهم
وحملوا على انفسهم الف ناقة واربعماية جموس يجلبونها
له ويكف عنهم فقال لهم اني قابل منكم وكاف عنكم
مع علمي بانني اذا رجعت عنكم الى تونس رجعتم
الى اسماعيل ولكن ان عدتم عدنا وجعلنا بكم مثل ما
فعلنا باولاد عيار فجلبوا اليه ما التزموا به على ان
لا يعودوا الى مثلها وبعث معهم من يقبض الابل والخيل
وتركهم وبلغه توجه اولاد مناع الى نواحي الجريد فارسل اليهم
شيخهم حميدة بن سليمان بن الحد ولم يكن دخل في شيء من
امورهم ولم يكن معهم حين فعلوا فعلتهم التي فعلوها فادركهم
وقد تجاوزوا قفصة ومعه كتاب من مولانا اليهم بالامان
ان رجعوا وردوا ما اخذوا للناس فتشطبته ثم نزل
الشيخ حميدة بن عبهم ويرغبهم الى ان اجابوه ورجعوا معه
فوجدوا مولانا على القيروان فردوا ما وجد عندهم بعينه
من الاموال وبقي ما لم يوجد ما قيمته سبعون الف
ريال فاداها عنهم مولانا من ماله حين الامر لابيه
لا بريك وقد كان ايده الله نقل كتاب يوسف لان من جميع
جهاته بالخبر فخرجوا ولم ينزل احد منهم الا ما كان بالشر
يشير نزلت كما يعني منهم الى ان خرج من الجبل فبادر
اليهم بعض من خف من الجند من غير اذن لهم في ذلك
فاقتتلوا معهم برهة ومات احد العشواش المبليجية
فارسل اليهم مولانا فردهم عن القتال وفي اثناء كونه
بالجبل وقعت مشاغبة بين الترك وزواوة ادت
الى محاربتهم للقتال فارسل اليهم اكابرهم
ورجالات خواصه ولم يزالوا بالفريقين حتى
اصلحوا

المعونا ليرتفع بعد جهد ومشقة بامر الحاج علي ان يرتحل بمحلة
زواوة فارتحل بها ونزل بناحية قاستور فاقام اياما ثم ارسل
اليه ان يسرح المحلة الى تونس ويقدم هو عليه بما جباه
وجهه مع ابي العباس احمد الاصرم رئيس الكتبة
في محلة خيالة الى الجريد لاستخلاص مجابيه ونزل مولانا
على القيروان كما ذكرنا واقام بها حتى رجعت محلة الجريد
بالمال ودفعت له ما جرما عليها من الابل والخيل
واقبلت اليه اولاد مناع بالطاعة والعكس عكايا جسيمة
وجرت اموال عظيمة في العسكر والعرب واهل القيروان
وغيرهم وعم الناس بالاحسان ثم ارتحل الى تونس
فدخلها يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الثانية وكانت
مدة مغيبه عنها تسعة وتسعين يوما

ذكر مولد حمودة باشا

في ربيع الثاني سنة ١١٧٣

وفي هذه المحلة وردت عليه البشاير بولادة النجل
الكامل الامير الاسعد الامجد مولانا ابي محمد حمودة باشا
حرسه الله تعالى مجده وكانت الولادة حاطها الله تعالى
ليلة السبت الثامن عشر من شهر ربيع الثاني
سنة ١١٧٣ وفي يوم الاحد الثالث عشر من شعبان
من هذه السنة خرج حسين كاهية في محلة لاهل
زرع اولاد عمار بالحاضرة بانهم كان لهم بها زرع خصيب
زرعوه قبلا اخذهم وذلك خشية من ان يدرك
فينتفع به اهل وسلات قطعا المادة عنهم ثم
خرج في اثره الحاج علي بن عبد العزيز في محلة اخرى
يوم السبت لثمان عشرة خلت من الشهر ومعه
اسماعيل اغا الصباحية ومحمد مع بلبي وخير القتال
اغا صباحية الترك وجماعة من الاعيان واسماعيل
اغا المذكور احد مماليك سليمان باي بن علي باشا
استخدمه مولانا محمد باي ورفعت له نجابته بولاية اغا
الصباحية وزوجه بابنة اخته فنزلت المحلتان معا

على الجادة ومعهم من العرب المزارفة وغيرهم عدد كثير
وشرعوا في اكل الزرع واستيصاله وفي مدة اقامتهم
تلك غزا اسماعيل كسرة وهي اربع قرى على عشرة
فراسخ من وسلات في ستة الاف مقاتل من اهل
وسلات والعرب فاقام عشرا يتحصنوا منه بقلعتهم
وادخلوا جميعا جميع مواشيهم وقاتلوه ليلتهم ومن الغد
الى الليل فلم يظفر منهم بشيء ومات من محلته
نحو من مائة واربعين مقاتلا ورجع عنهم فتخوفوا
عوده اليهم فكتبوا الى الحاج علي ومن معه يستنجدونهم
فجمع الحاج علي رؤوس العرب واستشارهم فاشاروا عليه
ان يركب في جميع خيله ويتبعهم الى كاف القريبة
فيراهم اسماعيل وجنده ويروا كثرتهم وقوتهم
فيقع الرعب في قلوبهم فان كان عازما على قصد
كسرة مرة اخرى رجع عن ذلك فلما اصبح الصباح
ركب في خيوله وانتهى الى كاف القريبة فوقف
به ساعة وضرب دف خيله برجلين من وسلات
نزلا يفكرهان الحشيش بواد فقتلوهما وتقدمت
طايفة من الخيل الى السعيد وفي × الشيخ الرملاني ضريح ×
وبه سمي اليوم يوم الرملاني وخرج اهل كسرة
واخذوا ناحية وحدهم وركب اسماعيل في شرذمة
خيل وتلقاهم فلما راوه الخلفوا مكانهم دفعة واحدة
ثم انهزموا فاتبعهم قتلا فقتل منهم نحو ستة
وعشرين رجلا فلما رات العرب هزيمة اهل كسرة
رجعوا منهزمين من غير قتال وثبت الحاج علي
مكانه ولم يبق معه الا بعض من الخزانية
ولقد اخبرني من شهد الوقعة انه لم يكن
مع اسماعيل الا نيف وعشرون فارسا فلما
ابصر اهل وسلات وبقية خيل اسماعيل
الهزيمة نزلوا كلهم من الجبل وقصدوا الحاج علي
فلما راى اصحابه كثرة من جاءهم انهزموا ايضا
وتبعهم اسماعيل وجنوده يقتلون ويأسرون

وتاخر

وقاتل الحاج علي في اخريات القوم حامية لهم وكبا باسماعيل
اغا فرسه فتسارع اليه العدو فدافع عنه الى ان خلصه
وركب وانطلق معه فشمر ان فارسان العدو
يقال له يوسف بن الحاج الحناشي ادرك الحاج علي واخذ
ثيابه يريد ان يقتلعه من سرجه اسيرا فرماه الحاج
علي فسقط قتيلا مكانه ثم ادركه فارس اخر ماجري
يقال له ابو جد بنار فكرحه بالرمح فوقع السنان في
منكبه فتناوله الحاج علي وصرفه عن نفسه
ورمى ابا دينار ايضا باذ نعب نصب حنكه باضراسه
فرجع عنه ومات بعد ذلك بتلك الضربة بثلاث
ورجع الحاج علي الى محلته سالما بعد جهد جهيد
وقتل في ذلك اليوم محمد صغير بلي اغا صبايحية
الترك ومبارك الفقيه كاتبة صبايحية الكاف
واخذ اسماعيل اغا اسيرا وذلك انه سلك
طريقا صعبا فبرزح فرسه ووقف لا يستطيع حراكا
فنزل عنه وادركه ثلاثة فرسان من العدو احدهم
يقال له احمد الحيادري والاخر يقال له ابن جدة
الحرزي وابنه فاول من ادركه بن جدة المذكور فرماه
اسماعيل اغا فاصاب فرسه راسه فخر قتيلا
فتناول ابنه فرسه وتقدم احمد الحيادري فرماه اسماعيل
اغا فاصاب فرسه فوقعت ووقع هو الى الارض
فقام واخترطه اسماعيل اغا بسيفه وتقاتلا
بسيفيهما فاجلى في وجه اسماعيل اغا ثلاث
جراحات وقد اثقلته ثيابه وسلاحه فجرح
احمد الحيادري بسيفه وصارعه وكان قويا فاوثقه
كتافا واتى به الى اسماعيل واسر ايضا حسين
التمتام اغا صبايحية الترك والقايد منصور
الساجي وعبد المسني كاتب الحاج
علي وغيرهم وقتل جماعة واخذ نحو الستين فرسا
فلايح ولما انجز الناس رجع اسماعيل
الى محلته ولما جيء اليه جيء باسماعيل اغا موثقه

وامر ان يذكى سلاحه وثيابه التي سلبها وقيد ما كان تبع
لينتزع عصا عن اخذها ثم امر به فقتل ومن الغد
خرج اسماعيل التمتاع بيده وسجن منصور السايس
جانا في سجنه وبعد هذه الوقعة قتل محمد التركي
صاحب المختص به الذي خرج معه من طرابلس
لخبر ذنب عرف منه وهم بقتل سالم بن عثمان الجودي
الذي بعداه الكريني لما خرج من طرابلس وقد تقدم
خبره وهرب منه الى مولانا ابا حسن اليه واستخدمه
ووقعت محلة حسين كاهيه ومحلة الحاج علي
بكاذيها الى ان خرجت سنة ١١٧٣ برجعته الى
تونس وكان دخولها اليها يوم الخميس منتصف
المحرم **وفي** غزا اسماعيل برقو وهي قرية
على ستة مراحل من وسلاتة فقاتلهم قتالا شديدا
ولم يقدر منهم على شيء ومات عن معه عدد كثير
وفيها ايضا بلغه ان قافلة خرجت من القيروان
الى سوسة باموال للتجار وانها خارجة مع قافلة
سوسة الى تونس فارسل اليهم رجوعهم بن سوف
الجني التوري بمقاديهم فالتقى بها فاخذهم ورجع الى
وسلاتة وكانت غنيمة عظيمة وقبل ذلك
غزا القيروان في جنود كثيرة فخرج اليه حسين بن
عمار كاهية الغروبيين فاقتتلا برهة فانهزم حسين
بن عمار وتبعه اسماعيل الى قرب المدينة وبلغ
الى مقام ابي زمعة البلوي صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم رجع الى وسلاتة **وفي**
يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة ١١٧٤
خرج حسين كاهيه بمحلة للتضييق على اهل وسلاتة
وحصارهم **وفي** يوم السبت لست من ربيع الثاني
خرج الحاج علي بمحلة اخرى وبقيتا الى اوائل شعبان
برجعت وانتقل حداد والعجب من جلاص والكعوب
والفوازين وحدوبان واولاد عون والخماسية
وغيرهم للجبل محدقين به من جهاته ونزلا
نفع

تفرح فيهم وفي اهله الغارات على السرح من الجانبين
وربما اغار اسماعيل بنفسه الى ان خرجت هذه السنة

ذكر الاسباب المبيحة التي

خلا جبل وسلات وفرار اسماعيل منه
الى الخرب وما كان في ذلك من امر الجبل

كان لاهل وسلات في هذه السنة زرع عجيب
بسفح الجبل فارسل مولانا الحلات بقطعها للمادة وتضييقا
عليهم فاول من خرج بمحلة حسين كاهية ابوكاغا وكان
خروجه لثمان بقين من شعبان ثم خرج بعده الوزير
الاجل رجب خزنه دار وابو عبد الله محمد بن عمار
باش حانبة كل واحد منهما بمحلة وكان خروجهما
لليلتين خلتا من شهر رمضان ونزلت كل محلة بناحية
من نواحي الجبل ووقفوا يهلكون الزرع فاستهلكوا
منه ما كان بالسفح ولم يسلم منه الا ما كان بالاوعار
وهو اقله ولما فرغوا منه رجعت المحلات الثلاث
في اول شوال ثم لما رجعت المحلات عنهم نزل جيش
منهم واغاروا على حلة لرياح وكانت الكعوب
والغوازي نزولا بالقرب منها فاتاهم الصريخ
فركبوا وادركوهم واحاطوا بهم واخذوهم اسارى
ولم ينج منهم الا ما شذ وارسلوهم الى مولانا
فاستخدمهم في قناة الماء الذي جلبه من عين الجبل
الاحمر الى تونس وسياتي ذكرها ان شاء الله
تعالى ثم نزل جيش اخر منهم واعجب بمجيئه
صناديدهم وذووا النجدة والشجاعة منهم واغاروا
على دوريان فلما تلاقوا نصرهم الله تعالى عليهم وقتلوا
منهم طائفة عظيمة واسروا الباقين وارسلوهم
الى الحضرة ايضا فاستخدموا في قناة الماء وكان
جملة من اسر منهم نحو الاربعماية نفس فبعد
ذلك من اعدادهم وكسر من شوكتهم وبعض من
جانبهم وانضم الى ذلك انه ورد على الحضرة

في شهر رمضان من هذه السنة فجيء باشارة سرور للامة الحنفية
الخاقانية مبشرا بولادة ابن لمولانا السلطان محمد بي
خان ابن السلطان احمد خان رحمه الله تعالى وامر بزينة
البلاد واطلاق المدافع بشاير وذلك لانه مضى مدة
طويلة ولم يولد لآل عثمان **وكان** ابو الضياف
بن ابي الحسن كاهية الباجية نازلا بمحلة على سليمان
فبلغه ان اهل وسلات ينزلون بمواشيهم الى بير
بسفح الجبل يسمى بير الاضراس يسقون منه فركب
في خيله ومعه الدواب حتى بلغ البير فكمن بالمكان قريب
منه يترصد لحوق بقية خيله بالرجلة وفرسان منهم عدة
فاغاروا على البير ولم يشعر بهم فوجدوا عليه غنما
فساقوها وهرب من كان على البير من اهل وسلات
وتحصنوا بالمكان ودخلوا الى اخوانهم متربصين اليهم
كالرجعة فادركوا اولائك الفرسان وقاتلوهم فقتلوا
منهم فارسلوا فخذوا الفرسان افتكوا غنمهم فلما
راوا خيل ابي الضياف الكامنين معه الدخان فرجعوا
وظنوا ان اسماعيل عزائمه فهربوا ولم يبق مع ابي
الضياف الا اثنى عشر فارسا فقصد ناحية الدخان
واستخبار الغزاة فتلقاه فارس يركض من الجبل
المتعرضة فاخبره بما وقع لهم فسار ابو الضياف
قدما فقيل له ما تصنع تغرر بنفسك ونحن قليلون
لا غناء عندنا فقال لا افشل حتى ارى العدو بعيني
وارجع فلما قرب من الجبل اذا بالاصوات مرتفعة
بالغناء وراءه واذا هم اهل وسلات الذين نزلوا
راجعين بغنمهم التي انتزعوها فكمن بازاء الوادي
حائل بينهم وبين الجبل فقصدهم فلما راوه ظنوه
اسماعيل نزل اليهم فتلقوه جريا فلما قربوا
منه شب عليهم الدفاع فتلك الخيل القليلة
فسقط في ايديهم والقى الله في قلوبهم الرعب
وهزمهم هزيمة شنعاء فقتل منهم ثلاثين
رجلا واسروا كثيرا من مائة وساقوا الغنم

والاسارى

والاسارى بعد ان نزع اسلحتهم ورجع بهم وكان ذلك عند
غروب الشمس فلم يزل سايرا بهم ليلة الى الصباح
وتراجع اليه كثير من خيله فاعانوه على سوق الاسارى
الى ان بلغ الى محلته فارسلهم الى الحضرة ثم بعد
ايام عاد الى غزوهم ومعه محمد بن سلهام شيخ الحنانشة
كان قد انس في قومه منجدا وخادما لمولانا فقاتل اهل
وسلاتن وصعدوا الجبل الى ان بلغوا الجبيل احدى
القرى جمع وارسلوا جرسانا قليلين فاغاروا عليهم فتسامعوا
وركب اسماعيل فانهزم اوليك الجرسان امامه الى ان بلغوا
حيث الكمين فثاروا عليهم وكانت الكرة على اهل وسلاتن
وانهزم اسماعيل وقتل من جنده جماعة واسر منهم
نسحنة رجلا ورجع ابو الضياف بالاسارى وارسلهم
الى الحضرة ولما بلغ اسماعيل ان مولانا استبقى الاسرى
ولم يقتل منهم احدا استراب لذلك وراى من اهل وسلاتن
تغيرا وانكسارا ووجد اعظمها على اسرايهم ولا يزال الرجل
الرجل منهم ياتيه فيجلس اليه وولده او اخوه او ابوه
او ابن عمه اسير فخشي ان تحملهم الشفقة على اقاربهم
على الطاعة والانابة لمولانا وود ان لو كان قتلهم
لخبثت بذلك نفوسهم وقوى غضبهم وحردهم وانضم
الى ذلك الوقايع ان مولانا كتب اوامره الى جميع
العرب باقطار المملكة حيثما كانوا بالتعيين والاستعداد
ان يكونوا على الهبة للحرب الى ان يرسل اليهم من يستتبعهم
الى حيث يامرهم فلما بلغ ذلك اسماعيل استراب لهم
وخشي ان يكون عمومة كانت من اهل وسلاتن
لما اجهدهم من قتل رجالهم واسرهم وارتاب جميعهم
وانكروه فعزم على الفرار فلما كان يوم الخميس
منسلخ ذي الحجة ركب واظهر انه يريد ان يطلق
للحرب الذين معه من اولاد سعيد وغيرهم ركبا تبعهم
واخفى امره الى ان نزل من الجبل من ناحيته وركب
المغرب الى قسنطينة حيث ابوه مستقر فشاع
الخبر في ذلك في الجبل وركب القايد احمد السكيليبي

في أولاده وأهل بيته ومن تعلق به وانضم لهم ريثما فر بنفسه
ولما رأى ذلك أهل وسلاتن تحيروا وألقى الله في قلوبهم
الرعب وسلبهم الرأي وأعماهم عن كيفية التدبير ونجوا
بوضع غير محميين على كلمة فلما جن عليهم الليل أقبلوا
نازلين من الجبل بحرمهم وذراريهم أفواجا متفرقين من كل
ناحية ولا علم لأحد منهم بوقوعهم من الأعراب بأمرهم فلم يشعروا
بهم إلا وهم نازلون على ما وصفنا فاستقبلوهم ينهبون
ويأخذون وصعدوا الجبل ونهبوا جميع قراه واستولوا
على ما فيها وامتلأت أيديهم من الغنائم والأموال
وبلغ الخبر أبا الضياف كاتبه فأقبل حتى صعد الجبل
يوم الجمعة غرة المحرم سنة 1176 فوجده خلاء بلقعا
والعرب تنتهب وتأخذ ما قدرت عليه وكتب الخبر بذلك
إلى مولانا فوصل إليه البشير يوم الجمعة المذكور فأرسل
الوزير الأجل الحاج علي بن عبد العزيز لتسكين الأعراب
وتشديد الأمور والنظر في شأن أهل وسلاتن
فوصل في أسرع مدة وقرر الأمور ومهدها
وأمر مولانا بأهل وسلاتن أن يتفرقوا في
البلاد ويسكنوا حيث شاءوا منها ولا يعودوا
إلى جبلهم البتة وأمنهم وعفا عنهم الجميع
والخلق أسارى ولم يبرح منهم رجل واحد
منهم وعفا أيضا عن العرب الذين كانوا معهم على
الفتنة الجميع وأمر أن يعود كل فريق
منهم إلى أهله وأمن الناس وسكن البلاد
ورتب الأمور واستقرت الأحوال على أحسن
نظام وبقي جبل وسلاتن خلاء خاويا
على عروشه إلى وقتنا هذا **وأما**
إسماعيل فإنه بلغ إلى قسنطينة واجتمع
بأبيه وأقام بها ثم انتقل إلى الجزائر وبقي
فيها إلى الآن رحمه الله تعالى بعد الفتنة
ووقي شرها وكفي أمرها وكان فتح وسلاتن
وفرار إسماعيل منه ونزول أهله في يوم الخميس منسلخ

ذي

في الحجة من سنة 1175

ذكر مولد المامون

بن علي باي 12 صفر سنة 1176

وفي ليلة الاربعاء السابع عشر من حجة سنة 1176
ولد لمولانا الامير اعزه الله تعالى ولده الاسعد مولانا ابو عبد الله
محمد المامون وقاه الله تعالى شر ما كان وما يكون من تشغيب بني
مولانا حمودة باشا حفظه الله تعالى وفي يوم
السبت غرة جمادى الثانية من هذه السنة خرج مولانا
بمحلة المنصورة لتمهيد البلاد وتسكينها وتدبير الامور
وترتيبها وخرج الوزير الاجل رجب خزندار بمحلة
العسكر فوصل مولانا الى القيروان واقام بها وانفصل
عنه خزندار الى الجريد باستخلاص جبايته ونهض الى
في عياش وكانوا قد خالفوا ومنعوا الجباية بنازلهم حتى اذعنوا
بالطاعة واستسلموا وانقادوا وادوا ما عليهم من المال
فرحل عنهم راجعا وخرج الوزير الحاج علي بن عبد العزيز
بمحلة اخرى وتوجه الى المثاليث واستخلص منهم
اموالا كثيرة ورجع في ايام اقامة مولانا بالقيروان اعطى
عطايا جسيمة وفرق اموالا عظيمة في اهل القيروان والقرى
الذين كانوا محاصرين لوسلات وغيرهم وقرر الاحوال
ومهد بها ورتب الاشياء في مواضعها وعاد الى
حضرته وكان دخوله اليها يوم الخميس لاثنى عشرة
بقين من رجب فكان مدة مغيبه عنها ثمانية واربعين
يوما

ذكر مولد عثمان باي

سنة 1176

وفي يوم الجمعة لاربع عشرة خلت من ذي القعدة
من هذه السنة اعني سنة 1176 ولد لمولانا النجل الاهدى
الامجد مولانا ابو عمرو عثمان وفي يوم الخميس لسبع
خلت من شهر ربيع الثاني سنة 1178 كان ختان

ولدي مولانا الاكبرين مولانا ابو عمرو عثمان ابي الربيع
سليمان وكانت ولادته ليلة الاحد الثامن عشر من
ذي الحجة سنة ١١٧٢ ومولانا ابي محمد حمودة باشا وولدي
اخيه مولانا ابي الثناء محمود ومولانا ابي الفدا اسماعيل
وفي هذه السنة خرج مولانا في محلته الشتائية وخرج معه
ابناؤه وهي اول خرجة خرجوها معه وكان ذلك يوم
الاحد لستة خلت من رجب واقتفى مولانا الى القيروان
واقام بها واحسن الى اهلها واجرى عوائده وارسل وزيره
رجبا خزنه دار الى الجريد بجلة العسكر ورحل راجعا الى
حضرته فدخلها يوم ——— الاثني عشر ليلة
بقين من شعبان وفي هذه السنة انشا مركبين برسم
الجهاد في البحر وكان انشاؤهما بحلق الوادي ورميتا الى البحر
في شهر ربيع الاول وفي من رجب من هذه السنة
كان رجوع الخراب هدمه **وفي** نقل السيف الى
قرابه وصل الجد الى سراره وشمس الحسن الى
مغربها ابو جاء ابن مولانا ابي الربيع سليمان **وفي**
يوم السبت خلون من رجب من سنة ١٨١ خرج مولانا
بمحلته الشتائية فبلغ القيروان واقام وابلى احسانه
جريا على رسمه وعادته وارسل وزيره رجبا خزنه دار
بجلة العسكر الى الجريد باستيفاء جبايته ورجع ايده
الله تعالى الى حضرته فدخلها يوم الثلاثاء لثلاث
عشرة خلت من شعبان

ذكر ما هم مولانا من

محاسن الاخلاق وكرم الطباع وشرف
الخلال وحميد الخصال

ولما استقر ركابه العالي بالحضرة واشتغل بالامر
وجلس على اريكة السلطنة باكمل محبة العلم
وتعظيمه وتعظيم اهله واكرامهم امرا بعد الاهتمام
بمثله وتقريب العلماء واصطناعهم وعظم مراتبهم

ورفع

ورفع منازلهم واعتنى بالمذاكرة والتدريس بمجلسه العالي
مع يجعل اوقاته من ذلك مع تحمله باعباء السلطنة
وقيامه بجميع مصالح الرعية ومباشرته للجليل والحقير
من امورهم بنفسه واكثر اعتناءه بالحديث الشريف
فقد عمر اوقاته بدراسته وروايته وله فيه اسانيد وروايات
واجازات سياتي ذكرها والتزم ختم صحيح البخاري
في كل عام ختمة يعقد له مجلسا في الضحى بين يديه
امامه الذي يملي به الخمس ويحضر المجلس من
العلماء من تكون من بينهم المفتين بحضرته العلية
تلك الليلة ويحضر بشرح القسطلاني وشرح العيني
ليرجع اليهم فيما اشكل فهمه واضبطه وختمه
يكون في كل عام ليلة سبع وعشرين من رمضان
يحضرها ابناؤه وجميع الفقهاء واكابر الدولة
فيقرءون ختمة من القرآن الكريم ثم يروي الراوي
فيختم واخر الشيء الى قوله كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى
الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم اخذت
الجماعة في التسبيح والتحميد والتهليل ثم يدعوا
الامام وتؤمن الجماعة على دعائه ثم يبتدي
الختمة الثانية في ذلك المجلس لئلا تنقطع الرواية
كما يبتدي من يختم القرآن بعد ختمه بقراءة الفاتحة
والايات من سورة البقرة لئلا تنقطع القراءة
وليكون كالحال المرتحل على ما ورد في الحديث
ثم ينفض المجلس وقد افاض عليهم ايده الله سجال
احسانه وهكذا في كل عام على الدوام واما غير
صحيح البخاري من كتب التفسير والحديث
والسير والفقه فلا يفتر بحضرته العلية ليلة
بانه قد اتخذ جماعة من العلماء ورتبهم للمبيت
عنده للتحصيل والمباحثة والمذاكرة والمحاضرة
ووزعهم على ليالي الاسبوع بحيث يبيت
عنده في كل ليلة منهم كما يعينه منهم يدرسون

كتابا بالدقيق الذي في تلك الليلة وكلما ختم كتابا بدئ بكتاب
غيره وقرئ بمجلسه العالي كتب كثيرة منها صحيح مسلم
وسنن ابي داود وسنن الترمذي والموطأ للامام
مالك والجامع الصغير للحافظ السيوطي والشفا
للقاضي عياض والمواهب اللدنية للقسطلاني في
والاكتفاء للحافظ ابي الربيع بن سالم الكلاعي ومنها
تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي وتفسير الخازن
ومنها شرح العيني على الكنز وشرح الشيخ
يوسف بن تنبكتي على القدوري والدر المختار وتنوير
الابصار في فقه الامام ابي حنيفة ونفح في ذلك
مباحث ومناظرات بين الفقهاء ثم لا تخلو ليلة
من الليالي من بر الكاتب واحسان لاهل المجلس
الفقهاء فكل ذلك اوا جل بحيث لا ينصرفون
الا بصلة وتكرمة ورتبا منا لهم واطلق لهم في اقتراح
ما شاءوا من قضاء حوائجهم واجابة مطالبهم
واجازة شفاعاتهم ولقد اتفق في ليلة من الليالي
ان قال لهم ليسئلني كل واحد ما شاء فسألوه
فاعطاهم ما سالوا ولما راى طلاب العلم ومن
فيه اهلية التعلم احسانه المشايخ على الفقها
وتعظيمه اياهم والتفاته الى جانبهم رغبوا في تعلم
العلم واكبوا عليه فكثر طلاب العلم وعمر الجامع
الاعظم بالدروس في جميع الفنون المتداولة
بصرف ابنه الامير وجه عنايته باطلاق لهم
المرتبات الواسعة والوظائف النافعة واتصل
الامر على هذا الشان الى ان دخلت سنة ١١٨٣
وقد تكاملت عمارة الجامع بالدروس وتوافرت
المدرسون والطلبة فاقتضى نظر السيد
ان يشملهم باحسانه ويجري عليهم سجال العامة
واكرامه وذلك ان امر فضبط له مال الجزية
بايسره ورجع اليه حسابه وكتبت في جريدة
باسماء المدرسين بالحضرة من ابتدائها

ومن

ومن الغرباء الواردين عليهما لطلب العلم وأسماء المنتفعين
من الطلبة ووزع عليهم مال الجزية كله بحسب لكل مدرس
مرتبا في مقابلة التدريس ولكل طالب منها مرتبا
جزء الأول إعانة لهم على تحصيل العلم الذي هو بهجة
يضاف عنهم مال الجزية الكثير فهم بزاحهم فواضل أوقاف
جليلة محبسة على مصالح يفضل عنها بعد إقامة
ما عينت له مال له بال لا يقرب من محصول الجزية
ووزعه عليهم أيضا بعد أن شاور أهل العلم في صرف
فواضل الأوقاف المذكورة في هذا المصرف بافتوه
بالجواز بناء على أن لصاحب الأمر أن يتصرف في أحباس
الولاة والعمال ونحوهم ويدفعه فيما يراه من وجوه المصالح
لحصول النفع العام لطلاب العلم وبحث ذلك
وهكذا وقع بفقهاء المدن من عمله كفقهاء القيروان
وسوسة وصفاقس والمستير وباجة والكاف وقفصة
وغيرها وبقي لهم المرتبات الواسعة من الجزية وفواضل
الأوقاف غير أن القيروان لما لم تكن مسكنا لغير أهل الجزية
لعدم سكنى الكفار بها تعظيما لآثار الصحابة رضي
الله عنهم صرف إلى فقهائها جزية جربة ووجهي
ذلك من الأكيدية أن أهل جربة لما كان مذهبهم
على غير مذهب السنة لم يكونوا أهلا لصرف جزيتهم
لهم إليهم وحولها عنهم إلى أهل القيروان
وأن المنزهة بلد تهم عن سكنى الكتابيين الذين
ثم بعد هذا كله ارتفعت على الجميع سبعون رفعا عظيما
من عمار الجزر لهم بالإرث في زالة ثم ردوهم إلى
ناظرا وطلب المدرسين يقسم عليهم غلته
والعادة جارية في الحضرة بأن البعض المرتسمين
في ديوان الجند من الجنديين لا يدفعون من الخدمة
والسعي ويطلق لهم رواتبهم لكن كان ذلك في
الدول السالفة خصوصا بأمثال العلماء وأهل
الوظائف حتى جاءت دولة مولانا فجعل ذلك
لكل من تعاطى قراءة العلم حتى حصل ذلك الجل

المبديين وبهذا السبب كثرت طلاب العلم منهم وخرجت
منهم جماعة نجباء ولما انشاء تربته بسباته عجل
انشاء مدرسة مجاورة لها واوقف عليها اوقافا واسعة
ورتب لها مدرسين في فنون شتى وطلبة واجرى
عليهم الجرايات الواسعة التي لم تكن في مدرسة
من المدارس غير مدارس فاس في تفصيل ذلك ان شاء
الله تعالى وعلى الجملة فاعتناؤه بالعلم الشريف وبجلته
قد بلغ من الشهرة مبلغا الحق بالمعلومات الضرورية
واما الحكمة الخلقية فيدل عليها ما اخذ عليه
نفسه من الاعمال الصالحة والطاعات والقربات
والمواظبة على الخيرات وانا اذكر منها اهمها مما لا
يدخل تحت خلق من الاخلاق الدينية اما ما لا
دخل تحت شيء منها فكثرة الصدقات الداخلة
تحت السخاوة وطهارة الذيل الداخلة تحت العفة
ونحو ذلك فاوخر الكلام فيه الى موضعه من ذلك
المحافظة على اداء الصلوات لوقتها بحيث لا يجعل
عنه تاخير صلاة من الصلوات عن وقتها في حضر
او سفر مع تعديل اركانها والقيام بسننها وفضائلها
والمحافظة على الطهارة والمبالغة في التحرز من النجاسة
واتقان الوضوء واتمام السباغ والقيام بالسنن
المرتبة وعدم الاخلال بشيء منها في معظم
الاوقات ومنها المداومة على حضور مجالس العلم
من التفسير والحديث والفقه وغيرهما على ما مر
تفصيله ومنها المواظبة على الاذكار ليلا ونهارا
بحيث لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى في غالب
اوقاته بعد ان اتخذ الذكر ديدنا وركب فيه لسانه
فهو يستعمله حتى في وقت جلوسه للحكم
والقضاء وفي وقت سمره وغير ذلك من الاوقات
التي يشتغل فيها بقضاء المصالح والحوائج مع كونه
قد اورد وقتين للذكر لا يعمل فيهما عملا سواه
وهما بعد صلاة الصبح الى ان تضحى ساعة من النهار

ومن بعد

ومن بعد صلاة المغرب الى وقت العشاء بعد الذي نفسه
ذكر كلمة التوحيد ثلاثة آلاف مرة في كل يوم فلم يترك
ذلك منذ سنين متطاولة ولا في ايام الحرب الشديدة
مع ما التزمه من الاوراد والاذكار وغير ذلك وله في ذلك
اسانيد واجازات عن الشيوخ **ومن حكمه**
الخلقية سياسته لاهل منزله واهل بيته ومملكته
اذ ذاك داخل في مسماها كما مر باسم سياسته
لاهل منزله فقد اخذهم بما اخذ به نفسه من الطاعات
والمحافظة على الصلوات والاذكار وقراءة القرآن حتى
الحاجب وقراءة دلائل الخيرات والرحمة بخلق الله
تعالى والشفقة عليهم وكثرة الصدقات والاحسان
فلكل دار من ديار العامرة صدقات راتبة للنساء
مستورات جارية عليهن على الدوام كما سبق في
تفصيلها دون ما يليق براتبة على عاجزي العدو وكفالة
اليتامى ومن يتبعهن وتزويجهن اذا بلغن امد ذلك
وتجهيزهن باحسان الجهاز على قدر ذوي البيوتات
بناتهم هذا وهو الاب لا تخلو دار من ديار العامرة
من عدة يتامى يوصل بهن ما ذكرنا الى قبول الشفاعة
في اهل الجرائم والتوسل لكل طالب الحاجات
والارزاق فتح باعلى ايديهن بذلك خيرات كثيرة
وقد اعتنى بتهذيب ابنائه وتعليمهم في صغرهم
فقد ضمني اليه سنة ١١٨٦ لتعليمهم العلم الشريف
حتى غدوا يقرؤون على الحضرة وضم اليهم امامه الشيخ
ابا محمد حمودة بن جاكير يعلمهم الفقه على مذهبهم
الحنفي وقد عرف ابنه مولانا محمد المأمون انه كلما دخل
عليه وعنده احد من الفقهاء اعطاه جملة من
الدنانير يتبع بها فيهم حتى صار ديدنا له
وذلك من سياسته ايده الله ما يليق بالسمي
الجوهرة سيما جراء على ذلك بتعويد متابعة
الدعاء للفقهاء وغيرهم حتى جاء اكرم
من السبيل ولما رأينا سلك كبيرهم مولانا ابو محمد حمودة

باشا ركان خليفة الى راعلامه وعلمها ولم تقع الاله
ولم يكن بصالح الاهالى لذى منع الاجناد وامرة العساكر
وجوطر اليه امر الجبايات فقام باعبا ذلك اتم قيام
حسبما شرحنا الجبى عن ذلك بمامر **واما**
سياسته لاهل بلده واهل عملته
بقد سار فيهم سيرة لم يسلكها احد من هذا الاعمال
من لين الجانب وسهولة الحجاب والعفو عن الجرايم
عن الزلات والكف عن الدماء والحان ورفع
الظلمات والتعفف لاحوال الضعفاء **واما**
حكمه الماد رمنه في قضايه في رعاياه
وتنفيذه للامور ملكه وابرامه لمصالح مملكته بلم يبق
ذلك طريقة غريبة لم يسبق لاحد من الملوك غير
ولنذكر ترتيب احواله اليومية
المندرج فيها ماذكر زيادة في الفايدة فنقول
قد جرت عادته ان يصلي كل يوم الصبح في الوقت
جماعة بوسم امامه وليشهد سامعي الفقهاء
الذين تكون تربيتهم في المبيت عنده وسماليكه
ومونذنوه ثم بعد الانصراف من الصلاة والفراغ
من الدعاء يسلمون عليه وينصرفون بمجلس للذكر
وقراءة الورد الى ان يمضي ساعة من النهار ونحوها
يخرج الى محلته السامية باخذ التشيخ على كرسيه
دخل عليه خاصته وزرايه فيقبلون يده ويأخذون
مواضعهم ثم يأذن للبايع الناس ويقعلون بعد
من قبلتهم من تقبيل يده والوقوف ولا يجلس احد
في مجلس الحكم الا الكتاب فانهم يجلسون على
مساكب معدة لهم منتظمين ثم ان كان هناك
وفود من العرب او من اعيان الحواضر يدخلوا
فيقبلوا يده وانصرفوا باذاتهم سلام الناس عليه
كيف عليهم بمكان الحلواء وبعدها فناجين القهوة
ثم يناديه رئيس الحابنة بالسعود لك علامة
على الاذن في دخول المتظلمين واهل الشكايات
فلا

فلا يحجب عنه فقير مستضعف ولا شيخ عاجز ولا امرأة
ملهي ولا بدوي جاف فيفضي كل احد ظلامته ويتكلم
كيف شاء بذات صدره من غير زجر ولا ازعاج وفي فسح
الجانب وانفعه فمن بين يديه فيتلقى كلامهم بما كان
من الظلامات فان الحكم متكرر الامتثال فيها من غير
استيمار وغيره فيامر فيه مولانا بامره الكتاب فيكتبون
فلا يصدر منه من الاحكام الى العمال ورؤساء النواحي
وقد اخبرني جماعة من النسوة ثمان او نحوهن ان يدخلن كل يوم
الى محكمة السلطنة فيدفعن اليه ظلامات من لا يستطيع
الابلاغ من المسجونين والنساء المخدرات وغيرهم
من كل من يمنعه من الحضور بنفسه مانع وقد
اشتهر امر هؤلاء بالنسوة وعرفهن الناس فهم يقصدونهن
بحاجاتهم ويبدرون كل يوم على السجون ليتلقين حاجات
لا تكاد تعرض على ايدي الوزراء ويحصل لهن بذلك نفع
واكتساب من الناس مع ذلك وهو يتفقدهن بعد فاته
وقتا بعد وقت ومن الغرائب انه لا يحجب عنه اذا جلس
في مجلس الحكم السوال والكاتبون للصدقات فيدخلون
عليه كل يوم من يدخل عليه ويقف فيما بين يديه في
سورة المشتكين من الضرورة والحاجة فيامر لهم
ان يجلسوا في زاوية من زوايا المحلة حتى اذا اجتمعوا
قرب الانفصال من الحكم اتاهم مملوك رفي فيفرق
ما امر لهم به ولا يزال جالسا لمجلس حكمه
ينفذ اوامره الى ان لا يبقى مشتك ولا صاحب
ظلامة وقد يطول ذلك حتى يفجأ اهل المملكة من
الوقوف فاذا لم يبق احد نادى رئيس الحجاب
الحاجبية رافعا بها صوته وذلك علامة على انتهاء
الحكم فينصرف الناس وينفض سوق مجلس حكمه
فيكون على حيارة الاسلة ثم يخرج الى مكان من
اماكنه محروسة فيستدعي خاصة كتابه فيجلسون
ويسرد عليهم احدهم جميع ما كتب في ذلك اليوم
من الاوامر والتذاكر وهو يسمع اليه

فيسمع كل ما فيهما فيميز منها ما وافق الحكم والصواب ويأمر
بتمزيق ما خالف ذلك ويلقي لصاحبه الى صاحب الطابع
فيطبع ما اجيز منها وتعرف على اصحابها ثم يؤتى
بالفطار اثر ذلك عند الزوال فيتغدا معه جماعة عشرة
فما دون من خاصة كتابه وبعض خدامه واكابر الاصحاب
فيأكلون معه ويقرب بيده الى كل واحد منهم ما يعرف
انه يشتهيه من الالوان وربما اشتهى احد منهم
لونا من الطعام فلا يكون حاضرا فيأمر ان يصنع له
من الغد ويوجه اليه فاذا انقضى الغدا انصرفوا
فيدخل الى محل استراحته فينام قليلا ثم يفيق
فلا يدخل اليه احد الا من كانت له حاجة مهمة
او يستدعيه الى ان تبقى ساعة للعصر فيتوضا
ويستعد فيأتي الامام والفقهاء اصحاب نوبة المبيت
فيصلون الظهر ثم يجلسون لقراءة صحيح البخاري
فاذا فرغوا من ذلك صلوا العصر لاول الوقت وانصرفوا
وقد جرت العادة في جميع الممالك العثمانية
بضرب النوبة بعد العصر وهو قانون قديم من عهد
السلطان عثمان جد ملوك السلاطين وكان ذلك
٦٢٢ مسئلة فاذا فرغ من نوبة العصر ذهب مولانا
جلس ببيته المسماة ببيت الباشا الديوان القديم
فيدخل عليه خاصته واتباعه فيقفون بين يديه
صفين الا الكتاب فيجلسون على عادتهم في اعلا
البهو فيطاف عليهم بفناجين القهوة ثم قد يعمل
في هذا المجلس بعض القضايا التي لم يحضر المطلوب
فيها زمن الحكم وفي يوم الاحد يكون الديوان
لحضور الفقيه والقضاة لفصل القضايا الشرعية
فحين يدخلون عليه يقوم لهم قائما على قدميه تعظيما
لهم فيسلمون عليه ويقبلون كتفه فيصافح الكل
واحد منهم ويضمه بيده ولا ياذن لهم في تقبيل
يده اجلالا وتعظيما للعلم وتواضعا فلا
يأذن في ذلك لغيرهم من العلماء بل بعضهم

يقبل

يقبل كتفه وبعدهم بيد الجميع مصافحة ثم يجلس فقهاء
الحنفية عن يمينه والمالكية عن يساره باعلى البلاط
ويوجهون للخصوم في الدخول ويمشي عونين في القضاء الى
قرب المغرب ويبيتون عنده تلك الليلة لا يحضرها
غيرهم حتى الامام فلا يرى احدهم وبعد انقضاء ديوان
العصر يكون على ديوان الحامرة [?] ايضا ثم يخرج فيستدعي
من يريد ان شاء فاذا دخل وقت المغرب استدعى
امامه والفقهاء فيصلون لاول الوقت ويخرجون فيجلس
للذكر وقراءة الورد الى وقت العشاء فيستدعي الامام
والفقهاء ايضا فيجلسون معه للمسامرة والقراءة
كما تقدم الى ان يمضي نحو ثلث من الليل اربع ساعات
او خمس او اقل من ذلك او اكثر بحسب ما يقتضيه
المجلس ثم ينهض فيجدد الوضوء ويخرج اليهم فيصلون
العشاء الاخيرة وينصرفون الى مضاجعهم هذا هو
الدأب في الحضر والسفر حتى لا يترك في ايام الزيارة
والخلاعة الا في النادر من الايام لعذر وقد ركب او نحوه

واما ترتيب العيد فبعد جريان العادة
بالاحتفال بليلتي العيدين يحضر اهل الدولة جميعا
عشية ليلة العيد وبعض الفقهاء فاذا صليت المغرب
مد السماط بانواع الاطعمة وعجائب الالوان فيجلس
مولانا في الصدر ويجلس معه جميع الحاضرين فاذا
طعموا انتشروا ثم تجلس طبقة اخرى دون الاولى في
الرتبة فاذا فرغوا جلست طبقة اخرى وهكذا الى ان
لا يبقى احد الا طعم حتى تنتهي النوبة الى السابلين [?]
فيخرج الجميع بالصحاف مملوءة طعاما ثم بعد برهة يجلس
ايده الله تعالى بمجلسه ويجلس عن يمينه وعن شماله
الفقهاء والكتاب ويدنو حوله الخواص من اصحابه
ويصطف باقي الناس صفين عن اليمين وعن الشمال
وقد اوقدت الشموع واتى بالمجامر بينها الكبير
المسمى بكوادح [?] الحبني [?] المصنوع من الحبني [?] والعود
الزجاجي [?] والمسك الذكي الرائحة الذي لا يدفع الا بنفيس [?]

بما عهدنا بجانبها غلمان البرج ولا ينقطع ذلك الى تمام المجلس
ثم يدخل المغنون من الترك بالالات التركية فيغنون على
الالات البديعة ويغنون برهة ايضا ثم ينفض الموكب
وينصرف الامير الى محل خلواته ويستدعي اهل سمره
من الفقهاء والكتاب فيجلسون معه ويخلع عليهم
ويعم احسانه لديهم هذا والنوبة تدق بمكان معين
من القصر الليل كله فاذا اصبح الصباح خرج الى صلاة
الصبح ثم يجلس ببهو ويجلس حوله المذكورون
ويؤتى بانواع الحلويات الملوكية فياكلون معه
ويشربون القهوة ثم ينهض الى صلاة العيد فيخرج من
قصره في ترتيب عجيب والنوبة تدق خلفه حتى
يدخل الجامع فيصلي في المقصورة المعدة له ثم يخرج
فيجلس على كرسيه بجهته السامية فيسلم عليه وزراءه
وخواصه وكل من شملته بارد والمعمورة فلا ينقضي
سلامهم حتى تدخل اعيان الناس من الخزنة من الفقهاء
واكابر البلد فاذا انقضى سلامهم وضع لهم كرسي
باعلا برج البرج فيخرج ويجلس عليه وياتي البلاهوانات
المصارعون فيتصارعون قدامه وهو ينظر اليهم عادة
قديمة للترك ثم يدخل الى قصره فيدخل اليه المغنون
فيسلمون عليه ويختصون بذلك المجلس تمييزا لهم
عن مساواة غيرهم وفي اليوم الثاني يصل اليه
عامة اهل البلد مع مشائخها ثلاث طوائف
باهل المدينة مع شيخ المدينة اهل ربض باب
السويقة مع شيخهم واهل ربض باب الجزيرة
مع شيخهم وفي اليوم الرابع يصل اليه الباي في
الاختيارية والجاوشية فاذا دخلوا عليه قام لهم
قائما فيقبل الباي كتفه ويده ويقبل ثم يقبل
الاختيارية يده وهو قائم فاذا فرغوا جلس واجلس
الباي الى جانبه وامر الباقين بالجلوس ثم يقبل
الجاوشية يده وهو جالس ثم يعيد السلام عليهم
وهم جلوس فيجيبونه رافعين اصواتهم بالدعاء

بلسانهم

بلسانهم التركي ويترنم الهم بذلك فجنة ثم يطاف عليهم
بالشرب في صحاف الصيني والبلور والفضة ثم بفناجين
القهوة ثم يطيبون بماء الورد المكرر ومجامر الطوابح
وينصرفون

واما حسن التدبير

ونفاذة الراي وصواب الحدس وكثيرا ما يرى الراي فيه
مهمات الامور بخالفه في مباحثه كل من يحضر عليه
ثم لما تبين عاقبته يتجلى الامر بصوابه ويحتج في كل
ما انكره بادي بدء وانه لا ينبغي ان يكون الامر الا كذلك
وذلك لمهارته بعواقب الامور وخبرته بمدارك
ما اراده من التكثير السيد يدخ في مكاوي امن

وسلات

لما شقوا العصا وخرجوا عن الطاعة وكبد عن قتالهم
في عقر جبالهم لعلمه بان قتالهم في تلك الاوعار والمراخر
التي احاطوا علما بمسالكها وسهل عليهم الوصول لحصون
سلوكها مما يزيدهم جراءة وقوة شوكة كان
النكير هو مناجزة الثاير وترك المطاولة معه مما ان المطاولة
مما ينبغي صاحب الدولة المستجد دون المستقر لما
تبين في محله لانه اذا كان القتال مجد بالي دفاعهم
ويحمله لا حرص من استيصالهم ولذلك لما انبذ ثب
ما جرى وال عيد الطاعة وتابعوا اهل وسلات
وشايعوهم على النجاف باي رابعد الله تعالى لما جزتهم
واخذهم وعزالهم بما كانهم من البادي التي لا يخشى
على اجنادهم من التورك في مسالكها وترك اهل
وسلات وحالهم ولم يعرض لهم دغي الاخذ بمخنقهم
بالمحلات المحاصرة لهم وقطع المادة عنهم واحتثاث
زرعهم لما اقتحم توصيلهم بكاتبة عاقبة ذلك
امراليهم ان في الحساب من نزولهم من جبالهم ودخولهم امنح
من عقاب الرجح الجلي وحيرونهم من كي الذبيب
وما ري للبوم راحابة الصدى بعد التاسيل البالغ
والعمارة الكاملة والمنعة التي اعتنى ذب شجي
في صدور بروقهم بحيث لا تكحم الملوك
منهم باكثر من الطاعة اما حسم مادة

وخضد شوكتهم واستيصال شافتهم واستنزالهم من معاقلهم
وحيث وقعهم عبيدا للحجر وخولا للمخازن بالامس
لا حديث **واما شجاعته** ما اخبرني به
من اثق به وسمعته من غير واحد ان القتال استمر بينهم
وبين يونس في بعض منازل لاتي للقيروان مدة طويلة
فكان يونس يركب كل يوم في عساكره وجنوده ويخرج
المولى الامير رحمه الله تعالى في جنوده من القيروان
ويقع بينهم مناوشات ومنازلات الى وقت الظهر
ثم يرجع يونس الى محلته وقد جرت عادته انه
اذا انتهى الى الجهة التي المدافع واستغنى بها الجنينة
يعود المولى الامير الى البلد ويخرج السرح الى المرعى
ويمكث مولانا ايده الله تعالى في سرية من الخيل
لحمايته فلا يدخل البلد الا في اخر النهار حين يرجع
السرح فاحتال له يونس في بعض الايام باظهار
الرجوع الى محلته كعادته وكمن بجيوشه وراء الزرائع
وامر باطلاق المدافع في الجهة فعاد المولى الامير
الى القيروان بجيشه وخرج السرح وبقي مولانا
لحمايته على الرسم وسار حتى نزل تلقاء الزرائع
التي كمن يونس خلفها وسار يونس والزرائع بجيشه
الى ان لم يبق بينهما الا مسافة يسيرة فاحس به بعض
اصحاب مولانا فاسرع اليه وانذره به فجال في صهوة
فرسه وركب من كان نازلا من اصحابه خيولهم
وانكفوا راجعين فاغار يونس في اثارهم ولم يدركهم
فعطف على السرح فاخذه واستاقه فخرج
فعظم ذلك على مولانا واخذته رجوليته وثارت
حميته فعطف عنانه وكر راجعا لارتداد السرح
وقد انهزم عامة اصحابه وتكلوا فلم يبق معه
الا الحاج علي بن عبد العزيز وابو الضياف
بن الغزاء وعثمان بن حلوبة فحملوا باعنتهم
على تلك الجموع التي لا تحصى كثرة فتمزقت
الكتايب من ايديهم وابو الضياف يقول ما بقي الا ان
اموت

امرت على سفح جلاص فدافعوا دفاعا شديدا حتى
انتزعوا السرح بتمامه من ايدي العدو ولم يبق منه
الا جدي واحد عاقه الشكال فهم مولانا بالانصراف
فابى عليه اصحابه وطلبوا ان لا يرجعوا الا بالبقي
ارطيو فتزاحفوا ولم يزالوا يقاتلون عليه حتى قطع
احدهم شكاله بسيفه ورجع به رضي الى جملة
السرح ورجعوا به ظافرين وقد خرج المدد الاميري
من القيروان لملاقاة الصريخ فوجدهم قد فرغوا من
شانهم وخرج في ذلك اليوم ابو الضياف بن الخزاء
اصيب بجبة على ركبته فكان فيها حتفه رحمه الله
ومات على سفح جلاص كما قال **وفي**
بعض تلك الايام اغارت اولاد مناع على سرح
اهل القيروان وهم نحو اربعمائة فارس فاستاقوه
باجمعه فركب مولانا وصحبه الحاج علي ايضا فابعدوهم عنه
وانتزعوه من ايديهم وبقيت منه بقرة واحدة
بايديهم فحمل عليهم الحاج علي لانتزاعها منهم
فقالوا له ان تلك البقرة دعها لنا نتعشاها فقال لا الا ان
تشبعها او تفنيها بالبارود الجد تركوها وانصرفوا
وقالوا له لا بارك الله فيها **وقد** تقدم
في جملة اخبار ان اغا المولى محمد باي ايام مقامه
بسوسة ارسل الى ابيه لمكانه من القيروان يستصرخه
على جنود علي باشا وهم بالفلاحة الدخلية فندب انجده
فامده مولانا في جيش من القرويين فنزل على
سوسة وعسكر بها نهارا فبلغت المثاليث
مددا لاهل الفلاحة ولحق بها من جند علي باشا
رجع سوار المولى محمد باي ان المثاليث اقبلوا
وتركوا حللهم حوالي جبال خالية من الحامية
بجمعهم فيهم فاركب الخيل لتبييتهم وامر مولانا
ان يبيت خاصا بخيله معهم وكانت عنده
كتيبة مختارة شجاعة وبسالة وفروسية يفتح
بهم كل شدة ويخوض بهم كل غمرا با   عليهم

وقال له مولاي لا بد ان نوفيه وله ابا رفقهم فان تثبت سرقته
معهم فاعطاهم ولما وصلت الخيل عن سوسة بلغ خبرهم
الى جندية باشا بالقلعة الصغيرة فانتهزوا الفرصة
وهجموا محلة مولانا لجهلها من خارج سوسة وكان اعزه
الله ذلك بايتا بالمدينة عند اخيه فلما سمع الصيحة
الخارجة امر بغلق باب المدينة فامتنع اهلها خوفا
من هجوم العدو عليهم فعنفهم وقال لهم كيف نترك
محلتنا ونحن نتكرس وراء الجدار افتحوا الباب ففتحوا
فخرج وخرج المولى محمد باي مرتب بقائد البلد
ونهض مولانا في نحر العدو يدافعهم فاستشهد اكثر
خيله سبيل ماء هنالك وسار هو متحليا ومعه
قليل من الفرسان ورجالة القرويين فاجهض
العدو بالرماية وتكاثروا عليه فالتوى عنانه الى
البلد واحرك العدو يتخطفون الرجال حواليه
ودخل خيله الذين استشهدوا سبيل الماء في غمار
العدو فلم يشعروا بهم لكثرتهم وقلة تلك الخيل
فيهم ودخل المولى محمد باي البلد ونزل اهل سوسة
من اعالي السور زمرا الى بيوتهم فلما راى مولانا
تشاغلة تلك العريطة سمت به همته العالية
فنادى في اصحابه بالكرة وعطف عنانه نحو
العدو ونعم الحرب ولم يبلغ عدد من بقي معه
من الفرسان العشرة فلما راى صدق كرتهم
انصدعوا عن شك وهم فلما راوا ذلك
من دخل في خمارهم من اصحابهم ثابت اليهم نفوسهم
ورجعت اليهم عزائمهم فضرب كل واحد منهم
من يليه من العدو فلما راى ذلك ارتابوا وظنت
الخازنية ان العرب غدروا بهم فسفكوا بين
ايديهم جميعا وكانت تبعتهم مولوا لا يلوون
احد على احد وتبعهم خيل مولانا تقتل وتاسر
وتتعقب الى القلعة الصغيرة
ولما
كان مستقرا بضاحية فسكيسة خرج خير باي
بالمحلة

بالمحلة فرارا ايده الله تعالى بها ورمى عليه رجب
في احد الصفين وسوى ذلك فتولى امر الحنانشة
بعد مهلك الشيخ ابي عزيز بن نصر وكان في
نفسه حسن فلم يبق منه شيء فاعتقله وعزم على عزل ناجعته
وتصييرها لامر مولانا ان يركب الى ناجعته ويبعث
الى محمد بن سلطان فاتبع رجب فيستنفره وعهد اليه
ان يوافيه صباحا للغارة على ناجعة الحنانشة
اصحاب رجب فركب ايده الله وسار بقية يومه
وليلته ومعه نحو عشرين فارسا من اتباعه
فاخلفوا الطريق ولم الى صوب ناجعتهم
ولما اصبحوا وجدوا انفسهم قد بعدوا فرجعوا
على اثارهم وقد فاتهم ما قصدوا اليه وكان حسن باي
قد صبح ناجعة الحنانشة فاخذهم في صبح ذلك
اليوم وتشردت خيولهم منهزمة فلما ارتفع الضحى
اقبلت كما يعني منهم فصادفت مولانا فلما راى الجماعة
عرفهم وعرفوه فجابهم على نفسه وامتدت اطماعهم
الى القبض عليه ليستخلصوا به حاجتهم فحملوا
عليه فثبت لهم وامر الحاج علي بن عبد العزيز ان يحمل
عليهم فحمل ثم حرض مولانا حسينا بوكاغان
على الحملة وغيره ووجهه فحمل عليهم ايضا فانهزمت
خيل الحنانشة وولوا الادبار ورجع الحاج علي
وحسين بوكاغان الى موقفهما بينما هم كذلك
اذ طلعت عليهم اعنة الخيول من كل ناحية
فقال مولانا لاصحابه لا يرمين احد منكم فانكم اذا
رميتموهم فاخطاتم تجاسروا علينا ولاكن ناولوني
مكاحلكم واحدة بعد واحدة فارميهم بيدي
فانه اذا كانت كل رمية تردي فارسا منعهم
ذلك من الاقدام علينا ولم يعلموا انه ايده الله
ارمى الناس لا يكاد يخطي في رماية فتكاثرت
عليهم الخيل واقبلوا من كل اوب واحد فوالهم
من كل جهة فلما راى مولانا كثرتهم علم انه

لا كافة له ولما معه ثم يرجع الى رايه السديد وعقله
الثابت الرشيد بناء الى يا ميعاه الحنانشة
انا بلادي لجاي وما لكم وان صاحبكم رجب بن احمد الصخيري
فدمات فتله حسن باي وليس عليكم مكافاة عن
محمد بن سلطان فجعله الله تعالى مباركا عليكم وانه قد
وجهني حسن باي لاتيه بمن يخلع عليه ويقدمه على
الحنانشة وعلم بهذا الكلام انه يخلصه منهم لانهم انما
يريدون ان يقبضوا عليه ليخلصوا منه صاحبهم وحيث ملكه
بلا معنى للقبض عليه الا زيادة عداوة حسن باي
ولانهم يسرعهم ولاية محمد بن سلطان بعد رجب وانما
يكرهون ان يتولى عليهم سعدي بن ابي عزيز فلما
سمعوا هذه المقالة ترجلوا عن اخرهم واقبلوا الحموي
وقبلوا يده واعتذروا اليه بانهم لم يعرفوه ثم ركبوا
خيولهم وفارقهم الحموي راجعا وهذه الواقعة
تشهد بكمال الشجاعة والثبات وغاية كمال
التدبير **وفي** ايام مقاتلتهم لعلي باشا
بتونس خرجت عساكر تونس من فنار سعم رجالهم
وخيالة وقصدوا المحلة الجزايرية لكونها ما هي
مغيرة فخرجوا اليه وركب حسن باي والمولى محمد باي
ومولانا في خيولهم والتقى الزحفان فلم يلبث
الجزايريون ان انهزموا وولوا الادبار وتبعهم
عسكر تونس وولى حسن باي منهزما وتبعه
المولى محمد باي وكانت الهزيمة لا شك فيها
فثبت مولانا وافتدى الى صاحب ان تعرض للمعتارية
بجيشهم كرها وامرهم بضرب طبولهم ونشر رايتهم
وابواقهم لتثبيت [illegible] المنهزمة واتى ابراهيم
ابن ابي عزيز شيخ الحنانشة وعاتبه على
الفرار من غير كبير قتال فثبت معه وتكلم مع
الحنانشة فقالوا انا في تبع الترك وقد
انهزموا فما يغني دفاعنا فسار الى الترك
ولم ينهزموا فعاتبهم ولامهم على فرارهم

ما غيـه

من غير مدافعة فاعتذروا بفرار ابراهيم لان حسين باي فاجر بالهزيمة
وقادوا الى الباي فقال لهم انا الباي وها انا ذا معكم
وحرضهم وحركهم حيث فيهم بعد ما قال لهم فكروا معي
واجيبوا الخيل وثبتوا للقتال اخبرني ابدى الله
تعالى قال اما فعلت الذي فعلته من قبلي في تثبيت العساكر
طمعا في عود الكرة لنا والارجاء للغلبة لا في لما رايت
تلك الهزيمة الشنعاء ايست من ذلك وانما اردت
ان يستمر القتال فرقة ريثما ينجوا اخي بنفسه حتى
لا يدركه الطلب لانه لم يكن له طاقة على شدة
الركض لثقل جسمه فقلت اشاغلهم عنه حتى
ينجوا فلما ثبت الجزيريون وعاودوا الكرة لم يلبث
عسكر تونس ان انهزموا واستمرت بهم الهزيمة
الى ان دخلوا منازلهم وكانوا قد خرجوا على غير
تعبية ولا فكر رئيس يدبر امرهم واميرهم محمد باي
بن علي باشا جالس داخل المترس ينظر بالمراة
فلما راى هزيمة عسكره جعل يبكي ويضحك لرؤسائهم
جبنا وخورا وسوء تدبير ومن ذلك اليوم استفحل
امر الجزايريين واخذ امر علي باشا وابنه في الانحلال
والتلاشي الى ان كان ما تقدم ذكره من اخذ
تونس ودخولها في التاريخ المذكور فدخلها
مولانا ابو محمد حسين باي وفتح دار الباي التي
اسفل القصبة وبها عيالات علي باشا ليستبري
حسين باي ما عندهن من الحلي والجواهر فدخل
مولانا وامر النساء ان يحتزين في الحين ووضع كرسيا
في صحن الدار واجلس عليه حسين باي ودخل هو
على زوجته الجليلة ابنة علي باشا فامرها ان تخرج
له ما عندها من الحلي والجواهر فاخرجت له
من ذلك شيئا كثيرا وخرج به فبينما امر الخصيان
فوضعوه بين يدي حسين باي فلم يرضه وطلب
احضار ما بقي فرجع مولانا الى زوجته وامرها
ان تخرج له جميع ما بقي عندها فاخرجته له فلم يرضه

حسين باي ايضا وقال له مولانا لم يبق عندهن شيء فقد
اعطيتك جميع ما عندهن قال لا حتى ادخل بنفسي وانظر
هل بقي شيء قال له كيف تدخل على الحرم وفيهن زوجتي
قال لا بد من ذلك فحاوله فلج وصمم على الدخول فاظلمت
الدنيا في عيني مولانا ببصيرته وقال قبح الله ملكا
يجيء بمثل هذا وشتم حسين باي وعمد الى مكحلته
من وسطه فاحتزمها وسوى زنادها فلما يرميه بها
فلما راى حسين باي منه الجد فر من بين يديه وخرج
هاربا فبعدوا الى مركبه وهو لا يصدق ورجع
الى محلته واصبح يتجنى ويقول في باي يوم ادخلته
بلده اراد ان يقتلني فكان من اسباب خروج مولانا
على الاثر الى صفاقس واقامته بها الى ان ارتحل
حسين باي من تونس باثقال المرض فجاء باي في يوم
رحيله من القصبة الى باردو وعشي ذلك اليوم
ثار عسكر تونس واجتمعوا بفناء القصبة
ودخل معهم طائفة من كبار عسكر الجزائر
فخلعوا طاعتهم وسولت لهم انفسهم ان يملكوا
البلد وينصبوا للامر رجلا منهم الا انهم جبنوا
عن ذلك ولم يصرحوا به واخذوا يتحللون بان
الحرب خالفوهم في المساكر الملاجي وصار الجندي
لا يتميز منهم والاشياء غير ذلك لا حقيقة لها
ودخلوا بعض باب السويقة وعاثوا فيه ونهبوا
وقتلوا اخوان ثلاثة رجال ثم برفعهم الليل ومن
الغد اجتمعوا بفناء القصبة ايضا وتكاثروا ودخل
معهم من لم يشعر بالامس وركب الباي
مصطفى مزيد عليه واخبرهم انه يسكنهم ويعطي خمسة
في ابنائهم زعموا ومنته نفسه الامان فلما
تم اجتماعهم خرجوا من البلد وقصدوا باردو واجاروا
لذلك وتحرك خوفا شديدا وامر بغلق الابواب
ووجه اليهم المدافع ولم يكن معه بباردو الا نفر
من اتباعه فلما ترسخوا الكرسيين تنفذوا وتوامروا

فيما

فيما بينهم ثم رجعوا تخذيلا من الله لهم ومن الغد
اصبحوا مجتمعين بمحل النوبة ايضا وعند ذلك المولى
محمد باي خبر الخبر الى مولانا لانه كان من جفا فيه
من اول ثورتهم واستعجله للقدوم عليه فوصل اليه
الخبر في اسرع وقت فركب حينه وسار ليلته
ونهاره وطوى المراحل فدخل باردو عشيا واجتمع باخيه
واشتد به عضده ولما اصبح الصباح ركب الى تونس
فقيل له ان ثمة ثورة عظيمة ونخشى عليك بادرة
تثور من جهة رعاع الاتراك فلا تامنهم فلم يقبل
حتى اتى النوبة بما شق عليه ان يجلس بسقيفتها
في مجلس الحكم لانه نصيب ابيه وجلس خارجها
بمحاذاة النوبة وارسل الى رؤوس الثورة من عسكر
تونس وعسكر الجزائر فاقبلوا اليه متقلدين اسلحتهم
فقيل له من يضع السلاح بابيه وقال اخ ينادون
ان في قلوبنا هيبة لهم فلما امتثلوا بين يديه شتمهم
ووبخهم وعنفهم حتى كادوا ان يقضى عليهم من الرعب
وحتى اذا اخذهم بال في سراويلهم من شدة الخوف
وقال لعسكر الجزائريين من وجدته منكم بتونس بعد
ثلاثة ضربت عنقه وردهم ولم يعاقبهم باكثر من
التخويف سياسة اقتضاها الحال فرجعوا فداخل
امرهم وسكنت ثائرتهم وكفى الله المومنين
شرهم بعد ذلك فتتبع المولى محمد باي اكابرهم فاباحهم
وخضد شوكتهم رحمه الله ملكه

واما كرمه فشيء لم تسمح به الايام ولا اهتدت
الى موافقته الاوهام وها انا احكي حكاية في ثمن بابها
وهو انه كان في بعض الايام تحولاته في الصحراء
قد نفد الزاد عنده واشتد فقد عليه الميرة وكان يوتى
اليه كل يوم برغيف وشيء قليل من اللحم فيقسم ذلك
في الصحابة فينال كل واحد منهم قطعة من الرغيف
وتمرات ونياله من ذلك حصة كاحدهم لا يزيد
على ذلك حتى بلغ ذلك منه كل مبلغ واضر به الضعف

وصار اذا قام الى فرسه ليركبه لم يستطع ان يركبه الا معتمدا
على غيره فاتاه يوما خزندار الزاوية بقصعة
فيها خبز مفتوت بسمن وتمر ودخل بها الى محل خلوته
ووضعها في يديه وقال له كل هذه لتمسك بها
فقال له ادع اصحابنا ياكلوا معنا منها فقال الزاوية
الفلاني لا ارى لي ان اكل منها شيا فكيف يكون ذلك
وقد اضر بك الجوع واشتد عندك بقايا الزاد فجعلها
خلف لا اكل منها شيا وقال له تريد ان يتحدث
الناس على انني استاثرت بالزاد دون اصحابي وهم هلكى
من الجوع ان كان الله تعالى قد قدر في الحياة فانا
اعيش بدون صحيفتك هذه وان قدر في غير ذلك
فما هي التي تغني شيا وكاشف على الحالتين كونها
غير حسن فقال له يا سيدي الحلف امرا في واحد عزم
لئن كلوا معك قال لا والله لا اكلت منها ان تثبت
فاجمع بعدهم فاكلوها وما حاف لهم منها شيئا
وفي بعض تلك الايام ايضا وهو
بناحية تكرت قد فنيت نفقته ولم يبق معه الا عدد
قليل من الدراهم فاتاه رجل ضعيف ومعه بنية
له تحمل فوق راسها طبقا بالتمر فاهداه له
فاستدعى خزندار الزاوية وقال له كم بقي
عندك قال كذا وكذا قال اعطه لهذا الرجل
ونصبح الا ما كنا حاضرين غدا او بعده ان النجد
كل ما عندنا النفقة بذبحه ويبقى لا يملك درهما
او لاجي دينار فلما كان بعد يومين او ثلاثة اتاه
على البريد رسول لسيدنا المولى الامير
ارسله اليه من مكانه بالقيروان بمال للنفقة
فانشرحت به حاله وفيما كان نازلا
بالحماسة بعد ارتحاله من ناحية قسنطينة
نفدت نفقته ايضا ولم يبق عنده الا اردية
حتى انه تيسر ذلعها لا يملك غيرها وقد نال منه
ومن اصحابه الضر فاشترى بها حملا من التمر

فاخذ

باخذ عشرة منه لنفسه وتوزيع اصحاب العدل الاخر وكان
اكثر ثم اركبهم عنده الدراهم ويعلمون ان نفقتهم تنفد
ولم تسمح انفسهم بدفع شيء مما اخذوه لانفسهم فخافت
نفسه من ذلك وخشي من ان يقع فيه مع علمه
بنفاد نفقتهم ووجود الدراهم عندهم حتى ثم ان يطلبهم
ذلك ثم رجع اليه كرمه وقال ان لوم اصحابي قبل اليوم
وقع وما عسى ان نفني هذه الدراهم فلم يبق له على ذلك
الايام وجاءه رجل اخاف لا يعرفه وذكر له
ان والده الموكل الاميركان قد استودعه غنما
وانه باعها واتاه بثمنها الفي ريال فقبضها
منه واذن في الرجل ولم يرجع اليه الان واما
عطاياه وجرايته واحسانه وصدقاته فمن بعد عوده
الى ملكه بشيء لا يستوعبه الحصر وفي
المحرم من سنة ١١٨٧ صدر عنه في جانب المتقاعدين
من العسكر مكرمة لم يسبق اليها وذلك انه قد جرت
العادة في الديوان المذكور ان من كبر سنه من
العسكر وضعف عن السعي او حصلت له زمانة
او غيرها من الامراض المانعة عن الحركة ولم يكن
قد خدم الديوان بمرتبة من المراتب ولا ينتبه بان
يجري عن الخدمة والاسفار وحراسة الثغور وينقص
من راتبه ويرد الى مقدار جزئي وتسمى هذه الطائفة
المتقاعدين فلما علم ضعف حالهم وان المقدار الذي
ردوا اليه لا يكفيهم اقتضى نظره ان يزيد في
مرتباتهم رفقا بهم وشفقة على ضعفهم فامر
ان تجري الاسماء لهم في جريدة ويعرضوا عليه
وباشر ذلك في نفسه ونظر في احوالهم وزاد في
عطاياتهم على حسبها فمنهم من رده الى الطائفة
الذي كان ياخذه زمن الخدمة ومنهم دون ذلك
على ما اقتضاه النظر في احوالهم ومن كان فيه
البقية واختار الخدمة رده الى الطائفة الاول واخرجه
من ديوان المتقاعدين ورسمه في ديوان الخدمة

ثم انه زاد في راتب الحزب في الاغوات على
المقدار الذي يردون اليه حين تنقضي خدمتهم وذلك
ان الرجل من العسكر يتوصل الى ان يصير بلوكباشي
ويترقى في المراتب الى ان يصير اغا العساكر
بالديوان فيمكث كذلك ستة اشهر ثم يخرج
فلا يدخل الديوان بعد ذلك ولا تبقى له خدمة
اصلا ويسمى معزول الاغا ويرجع راتبه كما بدا ما
كان الى عشرين ناصريا واكثر ما يكون راتبه في
بلوغ النهاية ربع نصفية وعشرون ناصريا فرسم
الامير ان يردوا الى اربعة وعشرين ناصريا بزيادة
اربعة ناصريا على القدر الذي كانوا يردون اليه
اعانة لهم وذخرا لمحتاجهم ثم انه نظر الامير
في مصلحة اخرى الى مراعات مصالح الرعية وذلك
انه قد جرت العادة في الديوان المنصور ان من بلغ
راتبه اثني عشر ناصريا وكان له ولد رسم
اسمه في الديوان بنصف ناصري فان مات والده
بعد ذلك كمل له ناصري ويسمى ناصري اليتيم
الى ان يكبر ويرسم في الديوان فلا يحتاج حينئذ
الى ذي عناية لان اسمه مرسوم هنالك ومن لم
يبلغ راتبه اثني عشر ناصريا لم يرسم اسم ولده
في الديوان فان مات وكبر الولد واحتاج الى
الاثبات في الديوان بعد ما تحصل له مشقة
ان لم يكن ممن ربما شعروا بانه يطالب بالاثبات
فعسى فرد الامير من المصلحة ان يرسم اولاد
من ماتوا قبل استكمال اثني عشر ناصريا
بنصف ناصري بعد موت ابائهم ليكون ذلك
حفظا لاسمائهم في الديوان مع ما يحصل لهم
من النفع بما ياخذونه وان كان يسيرا اسهل
من كان منهم بغير رسم وقف على هذا العدل
من كان متاملا ولم يعلم احوال الرواتب وشديد
الملوك السابقة في شانه وضبطهم له

وبه نختم

ومبالغتهم في الاحتياط عليه ربما استدعى هذه الامور
وقد كان امر الراتب قبل ايالة مولانا
في غاية الصعوبة لا تكاد تجد ملوكا من ملكون او يوفيه
بستة اشهر في السنين منه ولقد رايت حجة بخط محمد باي
بن مراد في سنة ولايته الثانية ربيع ١٠٧٧ سلمة يرجع فيه
قد تعدى من راتب الفقهاء كلهم الا اراد حتى ان راتب
الشيخ محمد بن عبد الكريم مفتي الحضرة قد كان
كاملا لتسعة وعشرين ناصريا برده الى ثمانية عشر
ناصريا ولقد ادى علي باشا كثيرا من
الفقهاء السعي والخدمة او يتركوا الراتب وعزل كثيرا
من المدرسين بجامع الحنفية يخدموا ولم يقربهم الا من
الراتب له او من كان مسرحا من الخدمة بسبب
اخر غير الاخذان ولقد كان الفقيه من الحنفية يقرا
العلم السنين المتطاولة ويداب في تحصيله ويبلغ مرتبة
التدريس ولا يتوصل الى سراح راتبه ومولانا قد سرح
رواتب اكثر الطلبة المتدربين في اول بداية طلبهم
واعفاهم من الخدمة اعانة لهم على طلب العلم وحرصا على
تكثير العلماء حتى بلغ عددهم ـــــــ ولـه
ايده الله تعالى اوقاف جليلة اوقفها على وجوه كثيرة
من وجوه البر فمن ذلك المدرسة الرفيعة التي احدثها
بساباط عجم من احسن المدارس وابدعها ورتب بها
شيخا مالكيا واسند له التكلم في امرها واشترط
عليه اقراء درس من مختصر الشيخ خليل بشرح مما
شروحه صباح كل يوم فيما عدا رجب وشعبان
وشهر رمضان واما في هذه الاشهر فاشترط
قراءة صحيح البخاري رواية ودراية في [illegible]
وجعل له امامة مسجد المدرسة وجعل له راتبا في
كل يوم ستة وارديس ناصرية واوقف دار السكنى
امام المدرسة من احسن الدور كائنة في القديم
لوالده فوهبها لبعض خواصه فاشتراها مولانا
من ورثته واوقفها على ما ذكر ورتب بها ايضا

شيخا حنفيا يقرئ بها دروس فقه جامع للعبادات والمعاملات
بعد صلاة العصر ورتب ثمانية طلبة من الحنفية يحضرون
عليه الدرس المذكور ورتب بها أيضا شيخا ثالثا
مالكيا يقرئ دروسا في الحديث أو الأصول أو الكلام
أو المنطق ونحوها من الفنون بعد صلاة الضحى ورتب
بها أيضا شيخا من أعيان القراء يقرئ دروسا من التجويد
قبل صلاة الظهر وأسكن بها ثلاثين طالبا يحضرون
دروسها ويقرؤون كل يوم حزبين من القرآن العظيم
بعد صلاة الصبح وحزبين بعد صلاة المغرب
ورتب بها ثمانية مؤذنين للأذان بها مجتمعا
وقيام الليل للذكر والتسبيح وقومة يقومون
بمصالحها وضرورياتها وأجرى على كل واحد من هؤلاء
الأرزاق التي لا توجد في غيرها من المدارس وعين
من الوقف صدقة توزع على الشيخ والطلبة وغيرهم
يوم ختم صحيح البخاري من شهر رمضان في كل سنة
وفي يوم عاشوراء من كل سنة يجتمع بها مائة صبي
من الفقراء ويعطى لكل واحد منهم كسوة وريالا أو ربع
عليها أوقافا معتبرة تفي بجميع هذه المدارس
وبما يحتاج إليه من زيت لوقد السرج وشمع وحصير
في أوقاته وغير ذلك من الضروريات وبقي الآن
على أحسن حال من العمران **واحدة**
بجوار المدرسة ورتب بها رواية صحيح البخاري كل
يوم بحيث يختم كل عام ختمة ليلة سبعة وعشرين
من رمضان وأسند ذلك لشيخ المدرسة
ورتب بها الثلاثين طالبا الذين بالمدرسة
أن يقرأ كل واحد منهم حزبا من القرآن العظيم
صباحا وحزبا مساء بالأسحار بحيث تحصل من
مجموعهم ختمة كل يوم ورتب بها أربعة طلبة
يذكرون لا إله إلا الله سبعين ألف مرة في كل
شهر ومادحا يقرأ دلائل الخيرات ويختمه
في كل جمعة مرتين ورسم أن تجري بها الليالي

المراسم

المراسم ختمتين من القرآن وجدد بناء مكتب ملاصق لها
ورتب فيه مؤدبا وعشرين صبيا يحفظون كتاب الله واجرى
الارزاق السنية على الجميع واوقف عليها الاوقاف النافعة
ولما استدارت قبتها قبل تمامها وقبل تمام المدرسة
رتب بها اولا ثلاثين قارئا يختمون كل يوم ختمة
من القرآن الكريم يقرا كل واحد منهم سفرا جزءين
ثم بدا له فزاد ثلاثين قارئا اخرين يختمون كل يوم ايضا
ختمة كالاولين ثم زاد ثلاثين اخرين ولم يزل يزيد ثلاثين بعد
ثلاثين الى ان بلغوا مائة وثمانين قارئا يختمون كل يوم
ست ختمات من القرآن الكريم على الرسم المذكور وعين لهم
في كل شهر مائتين ريال وسبعين ريالا وذلك من
اوقاف التربة والمدرسة لعدم وجود مستحقيها قبل تمام
بنائها وترتيب دروسها وسكنى الطلبة بها وكان قصده
ان يستمروا على ذلك الى ان يتم بناء المدرسة ويتم بالكلية
ويقوموا بوظائفها المتقدمة فيستغنى بذلك اولئك القراء
ويجتمع طلبة المدرسة وعلى هذا الشرط كان يجري لهم
فلما تم بناء المدرسة وصرفت غلات الاوقاف في مصارفها
ارسل للقراء مالا وزعه عليهم احسانا وصرفهم ثم بدا له
في ذلك ورأى ان لا يحرم نفسه من اجر ستة ختمات
من القرآن الكريم كل يوم فاجرى الاعانة عليها فرد اولئك
القراء الى قراءتهم واقرهم على ما كانوا عليه وامر ان تخرج
ارزاقهم من خزانته مدة حياته و منها بناء للمكتب
الملاصق لجامع والده ورتب فيه درسي تجويد اشترط
في احدهما ان يكون شيخه حنفيا يقرئ برواية حفص
عن عاصم وفي الاخر ان يكون شيخه مالكيا يقرئ برواية
قالون عن نافع ورتب على كل شيخ ثمانية طلبة
وجعل لكل واحد من الشيخين ذهب ريال كل يوم
ولكل طالب خروبة واشترط ان لا يزيد الطالب على
ختمة واحدة فاذا اتمها ترتب مكانه غيره حرصا على
عموم النفع لما رآه من اهمال الطلبة للتجويد وعدم
اهتمامهم به في هذا العصر وكان اول شيخ درس به

للتجويد برواية حفص في الحضرة الشيخ ابا عبد الله حسين بن
ابراهيم البارودي يختم به ختمة واحدة وكان ختمها بحضرة
مولانا **ومنها** ما اوقفه على قراءة الحزب الكبير
المحزوب بالسبع الذي يقرأ بجوانب جامع الزيتونة بعد صلاة
الصبح ويختم فيه القرآن الكريم ختمة في كل جمعة
وهم يزيدون على المائة ينقسمون الى سبع طوائف
كل طائفة لها يوم من ايام الاسبوع فاوقف عليهم وقفا
جليلا وجد به عليهم من غلة زاوية البارودية واتبعهم من
الاوقاف القديمة واجرى على المنكور عليه رواتبا ايضا
واشترط عليهم ان يقرؤوا من بعد الفراغ من قراءة الحزب
قراءة الفاتحة ثلاثا وسورة الاخلاص احدى عشرة مرة
ويهدون ثوابها له وعليهم ان يجتمعوا كلهم ليلة سبع وعشرين
من شعبان في كل عام بجامع الزيتونة ويجلس كل دولة
من الدولة السبعة بزاوية من زوايا المسجد ويختمون
ختمة من القرآن الكريم جماعة ثم تختم كل طائفة
ختمة قراءة من الاسفار ويهدون ثواب ذلك الى
محافظ الحبس ومنها ما اوقفه على المؤذنين
القائمين بالاسحار في جميع الجوامع بتونس للتهليل
والتسبيح والذكر واجرى عليهم من ذلك رزقا
في كل شهر **ومنها** ما اوقفه على المدرسة
الباشية نسبة الى الشيخ الصالح ابي حفص عمر الباشي
دفين الجلاز فانفق عليها ما يقوم بذلك **وكذلك**
اوقف اوقافا نافعة على المدرسة التوفيقية لما
وقع في اوقافها من الاختلال **ومن** اوقافه
الجليلة انه وجد التكية المتقنة البناء المحسنة الشكل
الواسعة الفناء التي احدثها المكان حائزة الايالة
بعد هدمها وتعطيلها كما سيأتي وجعلها ذات
بيوت كثيرة اعدها لسكنى الفقراء المنقطعين
عن السؤال واجرى عليهم الارزاق من الطعام والكراسي
والفرش والكسوة وعين لهم اللحم والارز في كل
اثنين وخميس وبنى بها مسجدا ورتب به اماما

وصلا بهم

يصلي جميع الصلوات الخمس واجرى لهم على ذلك رزقا واعد بها
طعاما كثيرا كل ليلة خارجا عن طعام الساكنين بها
يطعم منه كل من يحضر من الفقراء والسؤال والمساكين
خلق كثير بحيث لا يصد عنه واحد ولا يبرح عنه تام وعلى
الارتفاق والانتفاع بذلك لهذه الكائنة من الفقراء ولما
وقعت المسغبة سنة ١١٧١ وكثر السؤال واشتدت
حاجتهم زاد في ذلك الطعام على ما عينه من الوقف
زيادة بالغة وصار يقصدها من الفقراء اضعاف من كان
يقصدها قبل ذلك بجميع طبقاتهم وسد جوعتهم واشترى
دارا مجاورة لهذه التكية واعدها لسكنى النساء
المعقبات واجرى عليهن بها ارزاقهن مثل ما اجرى على
الرجال واوقف على جميع ذلك اوقافا عظيمة ولما بناء
التكية المذكورة صدر الامر بعمل تاريخ يكتب على بابها
فوقع الاختيار على مقولي

كل بر حلا في التكية
فيه خير وما سواها ركية

شيدها مولى له راحتي تغدو
كل يوم على الملوك مزية

ولمينا لابن الحسين علي
اكرم الناس غير ذي شتوية

جوزها كمارس الكوز لاكي
للمعالي تنهزه الاريحية

من مزايا هذه الدار فيها
جنة المرتقى بطولها جنية

فيه للبائس الفقير تراسا
ثم ما في غدت وثم بنيه

حرم آمن وظل ظليل
ورغاء وعيشة مرضية

وجمل الامل للاخي فارخ
دم كهفا لابن السبيل التكية

ثم عمل الكاتب ابو عبد الله محمد الورنادي في تاريخها

بعد الامر بكنه على باب تكية النساء
بنى الباشا على ذي التكية
لوجه الله مبعدا اذى بعيبة
سبيلا حسبه سيدنا المعدى
ابو الخير افندر البيسى الرضيى
على الفقراء ماكولا وماوى
مدى الايام من اعلى مزية
بدا ابدع الدعاء له بخير
تقبل منعم رب البرية
فما بدنيعها شرقا وغربا
وذى التوفيق رتبة علية
فيا بشراه لما ارخوها
له ارخى ثوابا في التكية

واما اهتمامه بالمياه لما راى قلتها بالبلد لكثرة
السكان وقلة الامطار وما شرب اهل الحضرة الا ما هو بما
يختزنونه بالمواجل من ماء المطر وما هو من وراء الحسبان
فاحيا مراسم ءابار راس الكابية المجلوبة على الحضرة
على الحنايا ذات الاقواس المرتفعة السمك بعد ان كانت
قد تعطلت ايام علي باشا وكثر في ارجائها فاحياها
بعد الدثور واستانف جد تعاشم محو الى بير
معينة ذات ماء غزير اسفل الجبل الاحمر المحدقة
به غابة الزيتون على بعد سبعين من الحضرة فشق
الارض حفرا عموديا حتى ساوى الحجر اسفلها
اخدودا يبلغ عمقه ستين ذراعا ثم مشى بالاخدود
نحوا مطويا تحت الارض فبنا محكم الصنعة
وخرق البير الى الاخدود يجري ماؤه فيه واستنبط
بجانبيه ءابارا عدة خرقها اليه ايضا واجرى مياهها
فيه وانتهى الاخدود مطويا يمشي فيه الرجل
مستقيما الى الوادي يجري فسهلت الارض هنالك
وانبسطت فاجرى الماء في ساقية عظيمة
حتى وجه الارض الى ان بلغ راس الكابية
واختلط

واختطه بالبناء ابارا جاريا على الحنايا الى الجبل الاخضر داخل
الى القصبة متسربا منها في قنوات المدينة متشعبا
في سككها في مذانب تحت الارض الى دهقنة وعشرين
سبيلا في اماكن متفرقة واتصل العمل في اجراء هذا
الماء من الجبل الاخضر نحو من ست سنين وبلغ عدد الفعلة
فيه كل يوم ما ينيف على الالف واقيم من الاوقاف
المعتبرة على ما يحتاج اليه من الاصلاح والرم وقت
الحاجة اليه وأما الماء الداخل الى ربض باب السويقة
فاصله من البئر الكائنة باعلى العدان المحروقة بجنة بني
عتيق بعض الفقهاء مولانا بئر العلجية المجاورة لها
ثم اشترى بئرا ثالثة داخل باب سيدي عبد السلام
عذبة الماء وجعل عليها ناعورة وزاد ماؤها الى
ماء البئرين المذكورين وبنى في الكل الى اماكن من
الربض المذكور وبكل مكان سبيل مباح لكل وارد واشترى
بئر المسجد المشرف من ربض باب الجزيرة وجعل عليها
ناعورة وبنى حولها حوضا كبيرا يجتمع الماء فيه
ترده الدواب والانعام وبئرا اخرى بالمركاض من ربض بني
حماد على هذا المنوال ثم لما رأى شدة
الحاجة الى سقاية والدي الموازية للجبل الاخضر وعظم
النفع بها ونفادها في بعض السنين القليلة الامطار
قبل انقطاع الحاجة اليها انشأ سقاية مجاورة لها
ملاصقة اياها مثلها عظم مساحة واحكام بناء
وجعل بينهما منفذا يخرج الماء فيه من السقاية
الجديدة الى العتيقة والامتياح والاستسقا كله
من العتيقة ابقاء على مآثرة والدي وتحاجيا على الاشتهار
بذلك النفع وحصلت الكفاية وتقدم ان من
مآثر والدي ايضا السقاية التي انشاها بكداء من
القيروان وجلب اليها الماء المحتضر في خليج اقتطعه
من الوادي السايل المعروف بموقف الخيل وكان المنهل
قبلها السقاية القديمة المنسوبة الى بني الاغلب
وانشا ايضا بمدينة صفاقس سقاية التي [illegible]

بركتها وذلك ان السقاية العتيقة لا تفي بسقيا سما فانشا
هذه السقاية على مسير وادي عقارب واشترى
البير المعينة المشهورة بعذوبة الماء المعروفة ببير
الطراز الكائنة براس واشترى البير المعينة التي
بسفح جبل منارة المعروفة ببير الخلادي واوقفها
ايضا سبيلا ومن ءاثار مولانا الخالدة
الذكر الحكيمة الاجرا القنطرة على نهر ملبسان
المنصوبة جسرا على الطريق العظمى مدرجة السابلة
من جميع البلاد القبلية وهي من احسن القناطر
جمالا منظرا احكام بناء وعظم سعة بعد كانت
السابلة على كثرتها تعثر جدا حتى زمن الشتاء وقت
زيادة النهر في عبوره الى العدول الى القنطرة القديمة
على طريق راس الما فيتجشمون زيادة مسافة ذات
اميال ويتركون الطريق الجادة ومن الاتفاقات
الغاربة بسعادة الجد ونجح السعي انه لما وقع
الشروع في بناء هذه القنطرة احتيج الى قطع
الصخور العظام التي تعارض شدة جري الماء لتوضع
في الاساس ويرتفع بها السمك وكان في مكانها
وفي المكان الذي تجلب منه الصخور العظام مسافة
بعيدة يحتاجون في نقلها منها الى عمل كبير ومشقة
بادية فلم يشعر احد الا وقد عثر بعض الفعلة
على عين من الصخور العظام بارض قريبة جدا من
مكان القنطرة بينه وبين نشوشه راس فاستخرجو
ها وبنوا بها كانها كانت معدة لهذا الشان وبقي
ذلك المكان محفورا باللجة المعدنية التي تقع في
المباني الضخمة جلبها منه من شا ورتب
باعلى القنطرة رخامتين مكتوبا على كل واحدة
ابياتا تتكفل التاريخ احدهما وهي اليمنى
على طريق الذاهب من الحضرة مكتوب عليها من
نظم الورغي

الدهر حسن يجلي ـــ بكل صنع اجمل

يزهو به ميدان عن ∴ مجردة وتعلي

ومن جديد اسسها ∴ يحكي وضل الاول

وزاد وضلا اخذ ذا ∴ لما بني بالمنزل

نجل حسين من نحى ∴ منحى الهداة الاول

بلغه خالقه ∴ ما يبتغي من امل

وباسمه ارختني ∴ زكى به الباشا علي

وعلى الاخرى وهي اليسرى منقاصة نضم الكوهر

الدهر خاصة بيننا ∴ قد تم حسنا ومعنا

علا بها يا يزهوا ∴ بناء رخا وامنا

نجل الامير حسين ∴ بناء رخا وامنا

بارك فيه رب له ∴ مولاه ما يتمنى

يعنيه سعي حميد ∴ لغيه ما تثنا

يا عابر الجسم بمشي ∴ ما بوقه مكمينا

للمنشي اجع وارخ ∴ علي باشا يعنا

واما القناطر التي ذكرناها على اودية واماكن
يعسر عبورها اوقات الامطار والاوحال فكثيرة كقنطرة
الحمرا وقنطرة وادي الجبك وقنطرة الاحواش وقنطرة
العدان وغيرها اكبرها قنطرة البغلة التي على
حليج مرنان من وادي زرود في طريق الساحل من
القيروان ومن مآثره الضخمة سور
القيروان الذي ادار عليها سياجا وشيد عليها
ثلاثا وحلاها به سورا بعد ذكرت ان يونس بن
علي باشا كان قد اجتثه عن اهله واستاصل جملته
باسره ايام الفتنة حين ملك القيروان بعد حصاره لها
الطويل وبقي على تلك الحال منجحبا ايام علي
باشا كلها فلما تولى الامير محمد باي وافتتح
اريكة الملك بالحضرة حرك عزمه الى رفع عاليه
واحيا معالمه واهتم بذلك واعتنى به واعتزم
على ان يديره محيطا بدائرة القيروان كلها وبالجناح
الاخضر مع بني الاعلام والاعيان من رجالها امر حبـ
اليه بصرة العملة من الحضرة واختطوا اساسه

على حسب ما قدر وابتدأ البناء من الجهة الشرقية
حيث الاربجي هنالك وتتبعوا عين الاساس القديم لسابقة
تثبيتها بها الاستنداد ثم علو وفق تقدير وبنوا كما ينبغي من
السور والبرج الضخم المشيد الاركان وعاجلته المنية
عن اتمام ما اراده رحمه الله تعالى **واستقل** بالامر
بعده مولانا يجرب عزمه الى اتمامه لكنه راى ان التمادي
على ذلك الوضع ياتي على الاموال وتفنى دونه الازمان
ولا يفي التعب فيه بالمنفعة منه بمثل الوصية
والخرجة الى الاساس القديم والقى متقن البنا محكم
الصنعة محيطا بالمدينة دون اربا ضها واذن للناس في
بناء الدور في البراح الذي استغنى فيه اساس السور
القديم وفي الفسحة الشرقية التي بناها اخوه فعمرت
هنالك نحو ثلاثماية دار ولما تم بناء السور
امر بجعل تواريخ تكتب في الرخام على ابواب المدينة
الاربعة من نظم الكاتب احمد لسميه **فعلى**
باب تونس منها
لنعم الذي يسمو بتشييد سما
وحسن كلاهه الزمان تبسما
ما للبلد ابواب الا وكلها
حسنى وحصن باي كل منهما
باب الحسين علي باشا اضحت
عزماته سورا يبسك كلما
وجملا الابواب المدينة بعمة
باتت بحسنه برجي الانتما
يا داخلا للقيروان مؤرخا
من باب تونس حي ممانا في الحما
وعلى باب الجلادين
سور المدينة دار بالتحصين
والباب منه كغرة بجبين

بالنور

فانظره راجع لمن سعى لـه في
تجديده بالنصر والتمكين
نجل الحسين علي باشا من له
عزمات مامون وعزم امين
كثرت مزاياه فجاء لها
عرفت من الاحصاء والتبيين
حق الخطا التي الكمال مورخا
بالحسن حظك بباب جلاح بين

وعلى باب الخوخة ويسمى باب الجامع

ويعكة اسماها في الشعر
الله اكبر لاح باب الجامع
كضيا صبح او كبرق لامع
فجلا بيعها المشاهد نزهة
وتشوف وتشوق للسامع
لما العام علي بدا ذوقه
من السور احدثه به لمنافع
فالله يذوقه بنية وما
يبغيه له يسعى بحي لمانع
يجزاه خيرا اذ اتى تاريخه
خير الصلاح فما بيدب الجامع

وعلى باب الحديد

فكمال السور بذكر من بعيد
بسور لاح من ملك حميد
سليل حسين باي علي باشا
سنا الحلم ذي الراي الرشيد
له بالقيروان نظام سور
بدا النظام عقيان بجيد
ومفتاح الفلاح سعى اليها
فجل الباب للنجي المزيد
من الباب المبارك خير وارخ
سنة البركات في الباب الحمي بحد

ومن الآثار الشاهدة بفخامة الدولة ما أحدثه
بباردو المعمورة من القصور المشيدة والبناء البديع
والدواوين السامية والقبب المنيفة والمجالس المزوقة
فقد كانت باردو على عهد ملوك الموحدين من بني أبي
حفص منتزها من سائر متنزهاتهم التي اتخذوها
لترفيههم ونجعة عائلتهم كرأس الطابية وأبي فهر وغيرهما
من منازههم لا لسكنهم ما اتخذوها دارا للسكنى ولا محلا
لإقامة مراسم الملك حتى كانت دولة آل مراد
بعدهم فاعتنوا بشأنها وبنوا بها الدور والمساكن
وصيروها مدينة استقلوا بسكناها انفرادا عن
ملابسة الجند من الأتراك وتجافيا عن التورط
في حبائل ثوراتهم واختاروها لقربها من الحضرة
بأنها على فرسخ منها أو أقل من شماليها
على طريق المرسى. فسكنها منهم محمد باي بن مراد وأخوه
رمضان باي وابن أخيهما مراد باي بن علي فلما
انقرضت دولتهم وملك بعدهم إبراهيم الشريف
ونبذ سكناها واستغنى بدار حمودة باشا بالحضرة
للحالة التي على الأتراك. بحفيظة فلما ثل عرشه واستبد
بالمملكة المولى الأمير بعده مؤسس هذا الأمر انتقل
إليها واتخذها أريكة لملكه وأسكن بها معه
خاصته وخدمه وأقام بها الجمعة ولم تقم بها قبله
وبقي بها مدة دولته وبها كان مولد من ولي بعده
أبنائه ونشأتهم فلما ملك بعده علي باشا اعتنى
بها غاية الاعتناء وزاد فيها زيادة تقرب من نصفها
وأدار بها خندقا حاجزا وشيد أبراجها وبنى بها
البناءات المرتفعة واحتفل بالقصور وجلب لها
الرخام والمرمر حتى قيل لا زيادة على ما صنع
فلما رجع بسببها إلى خرابه وأعقب النفوس بأربها
بعودة مولانا إلى مقر سلطنته منها اتخذ بها
ما لم يخطر على ذهن أحد ممن تقدمه فبنى بها
المصانع الحافلة وجلب إليها المرمر الملون

الجزع

الجزع مالم يجلب الى الحضرة فبلغ حتى صار نزهة للناظرين
وموتنجا لابصارهم ومن جملة ما احدثه بها القبة السامية
المنظرة المحكمة بيت باشا المقابلة لها في فخامة الشان
المزرية عليها في حسن الشكل ويكون المدخل اليها من
البيت باغنى عن تجشم الكلفة بقطع مسافة المشي
في الحزوات الباردة وجعل على يسار الداخل الى القصر
والاخرى على يمينه وصارت الان لمولانا في محل جلوسه
باشا يجلس فيها ايام الاعياد والمراكب بين الناس
اذا استناب مولانا في ذلك **وفي** سنة ١١٨١
وقع الطاعون باعراب العمالة من ناحية الشرف
وتوقع الناس وصوله الى الحضرة فاراد حياطة ذلك وكان
مولانا في التحرز من دخوله الى باردو لمنع الداخل اليها
ولم تطب نفسه بترك الحكم بين الناس والنظر في
احوالهم فعمد الى برج من ابراج سور باردو المعدة لوضع
المدافع ومواقده على يسار الداخل اليها فانزل
مدافعه وازال شرفاته وبنى عليه قبة بها مشارفة
على الطريق وقد راجه يجلس فيها للحكم بين الناس
ليسمع كلامهم من غير ان يدخل احد منهم الى باردو
وارتفع الطاعون من اعراب العمالة وبقيت تلك
القبة من احسن الدور مطلة على بساتين
منوبة والجديدة مشرفة على الداخل الى باردو
والخارج منها وجعل لها منفذين من البيت الكوبية
التي بصدر الفسر احدهما عن يمين البهو والاخرى عن
شماله وجلب اليها الماء في فوارة من الرخام
وسطها **واعظم** ما منحه الله عباده
من سفك الدماء وقتل الانفس التي حرم الله
بغير حق شيء لا يكاد يوثر عن ملك غيره ولقد
عفا عن جم اقوام اثاروا الفتن وشبوا نيران الحرب
من كانت الملوك تسامح في اذى رجل منهم
وقد تقدم في بيان حلمه وعفوه كثير من هذا
المعنى وما تعرض لاحد من ابناء اعدائه الذين ضج بهم

بل لا تتسبب في حياتهم فلما مرض محمد بن يونس
باي بلكانة من الدار التي سجن بها مع اهله بينهم فلما
بلغه مرض محمد بن يونس امر بادخال الطبيب اليه
يوصف له بعد الذكر بامر الامير بقتله اتاني واخلاهما
اليه ليتناول لبنهما فقيل له اما تخاف ان تقتلهم
حتى مرت ترغب لهم في طول البقاء فقال سول تحت
يدي وانا الذي منعتهم من التصرف بان مرض احد منهم
ومنعته من التداوي فلما قتلت المتسبب في قتلهم
والمسؤول عنه يوم القيامة و الشيء بالشيء يذكر لما
خرج المولى الامير ابناء عمه الحضرة وملكها علي باشا
من يديهم ترك المولى محمد باي ابن المولى الامير ابنا صغيرا
اسمه يوسف وكان مع امه واهله بينهم فكان يجتمع
بهما شب وبلغ اشده استخرج محمد باي بن علي باشا
واخوه سليمان من بيت حرمه الى مكان بالحبيبية
وانجعها وزجها اخذها ونساؤه ينظرون اليه مما كسوة
تشرف على موضع ذبحه وتالفت مع الجزع لذلك
ما تذوب له الاكباد واتى ابنا علي باشا والسادة
المذكورون شنعاء منكرة تمجها الاسماع حتى ان يوقتهم
ابنه تبرا منهما وشنع بها عليهم وعدها من مثالبهم
حيث ثار بالقصبة **ثم** ان محمد بن يونس
المذكور ابان من مرضه ودبر هو وابناء عمه محمد
باي المسجونين معه في الخروج من مكان سجنهم بدا خلوا
الكتاب الذي ينفذ الكنيف بباردو فجعلوا
سربا تحت الارض من محل الكنيف الذي يحبسهم
الى مكان عينوه للخروج منه وتحيلوا في نقل التراب
الذي استخرج بالحفر بحيلة لطيفة لم يطلع
عليه ولم يترك الا قليلا ويفضي منتهى السرب
وبين المكان الذي اريد الخروج منه اذا ارتحل
خرجوا الى الفضاء فعولوا الى ان يستنفروا بر منهم
ويتبعهم ما ارادوا وقدروا انهم اذا خرجوا
توثقوا في بعض الحصون او الجبال الممتنعة

ويلحون

ويلحقون الى مملكة الجزاير ونجوا على ذلك مستمنجين لما نجوا
في فتداركه لطف الله وعاد محمد قجة بن يونس مرضي
بملكه في ذي القعدة تمام سنة ١١٨٥ وبقي بتونس جميع
وبقي السرب على حاله مدة لم يطلع عليه احد الى ان اتت
امراة لم تعرف الى الان الى بعض رجال الدولة فناولته
كتابا مختوما وقالت له اوصل هذا الكتاب الى الامير
فان فيه نصيحة له وان لم توصله فانت ابصر واوصله الى مولانا
ففتحه فاذا فيه شرح هذه القضية والاخبار بامر
السرب المذكور وما لهم فيه محمد قجة وابناء عمه من
الخروج وذكر اشياء اخر كانوا لهموا بها وذكر امارات
عليها فعلم مولانا ودخلته الريبة لذلك في الحاج
عنبر اغة كبير الهوانبية باب المسجونين من ال
علي باشا كانوا لذلك وثقوا به الانه واعتماد على
سالف خدمته باستدعاء مولانا ايده الله تعالى
وساله عن القضية فانكر ان يكون له شعور بها
ثم تصدى بنفسه ومعه عنبر اغة المذكور وغيره
ودخلوا دار محبس ال علي باشا فاتى موضع السرب ودخل
فيه بنفسه حتى انتهى الى اخره وعلم المكان الذي
ارادوا الخروج منه وارتاع لذلك ابناء محمد باي فسكنهم
وقال لهم لا باس عليكم ثم خرج فبنا ذلك السرب
وسده واحتاط في امر المسجونين وقويت عنده
تهمة عنبر اغة فعاتبه الاعتابا يسيرا وعفى عنه
وبقي على مكانته موفور الجاه والحرمة الى ان هلك
وقبض على الكتاب المذكور بحبسه زمانا ثم اكد في

على ابطال الخمر وعصرها

ونفيها وجلبها من بلاد النصارى
اواخر سنة ١١٨٣

ومنع غيره وبيع ابطال لعصر الخمر وبيعها وجلبها من بلاد
النصارى في جميع اقطار مملكته وهدم حانات كانت لها
واقامة الحد على شاربها واشتد النكير لمن عثر عليه
يعصرها او يبيعها او جاء بها الكبر ومنة لم يبق البقا احد

من ملوك افريقية ولا قدر عليها غيره وذلك انه كان بتونس
خانات كثيرة في اماكن متعددة تباع بها الخمور جهارا
من غير تستر ولا تكتم ويتعلل لذلك بان اوجاق العسكر لابد
فيه من ذلك ولابد من الملائمة للعسكر ومهما منعوا
منها خشي من ثورتهم وحدوث فتنة وسفك دماء نفس
اشد ضررا بكثير من بيع الخمر وشربها لمن اراده واستغنى
بهذا الخيال في اذهان الملوك السابقة مع ما يحصل لهم
من الاموال الكثيرة التي ياخذونها من الملتزمين لبيعها
في كل سنة ومن الضريبة التي يجعلونها على من يبيعها
من اسارى النصارى الذين بايديهم غير ان مولانا حسين
باي بن علي الحج مولانا فقد هدم من الخانات بتونس
وبنى في اماكنها بناءات لوجوه من الانتفاع فمن
منها خانة الشواشي الكائنة داخل باب الجزيرة
صير مكانها مسجدا جامعا من احسن المساجد ومدرسة
عظيمة لقراءة العلم وتربة لدفنه دفن بها ثم جاء علي
باشا بعده وهدم خانة العجمية وجعلها دار ضرب
في ايام دولته ومنع من بيع العنب للخمارة وعوض
واقتصر بهم على بيع ما يجلب اليهم من بلاد النصارى وما
يستخرجونه بالطبخ من الزبيب والتين ولما
ملك مولانا بارك الله بدا به من امرها ان هدم خانة
الترامة الكائنة داخل باب البحر وجعل مكانها خانتين
عظيمتين لسكنى التجار ودورا ومخازن وغير ذلك
والحصر بيع الخمر في الخانات الكائنة ما بين باب
القصبة وباب البنات تحت السور لبعد ذلك المكان
عن الدور والاسواق الى اواخر سنة ١١٩٣ عزم على ابطال
بيعها وعصرها وجلبها من بلاد الكفر وهدم خاناتها
وترك المال الماخوذ من لزمتها وقدره اذ ذاك سبعون
الف ريال في السنة وارسل الى الخانات من اخرج
النصارى منها واغلقها واخذ مفاتيحها ثم هدم
تلك الخانات كلها وبنى في اماكنها بناءات
عظيمة فتباشر الناس بذلك وعظم السرور لديهم

بهذا

هذا الملك الجليل الذي انعم الله تعالى به على عبده البعيد
في هذا الزمان السوء الذي صار المعروف فيه منكرا

اخبار ولاية يونس باي علي باشا

بتونس باي تيسا في كرب متعبا عند تعرضنا
لدولته ابيه مجملا ان شاء الله تعالى ولسنا الان بصدد
ذلك وانما المقصود هنا الاشارة الى سياقة الخبر عن موته لما في
ذلك من وفاء الله تعالى على مولانا المنصور سعادة جده
وعلو كعبه من اهلاك اعدائه بسعود لا تجحد وبدو
الحوادث لا باعمال السيف والسنان واستدعى الكلام
على ذلك ان الاجال لخبره منذ دخل قسنطينة الى ان
توفي بها كان وصوله اليها في سنة 1165 فارا من ابيه
اثر قيامه عليه بحضرة تونس كما سيأتي ومتوليها اذ ذاك
عثي حسن باي من قبل محمد باشا صاحب الجزائر
فتلقاه واكرمه وداره بداخلها في بيتة عظيمة ورفيعة
وامر من امواله ودخائره ومماليكه وحشمه ودوابه
ومراكبه وغير ذلك من الاسباب التي لا يتخذ مثلها
الا الملوك فاقام بها بردهة يتقلب في تلك النعمة
وبابه مفتوح للوفود ويده كايلة بالتصرف واذا ركب
ركب في موكب من غلمانه واتباعه واكتسى احواله
جارية على ترتيب الملوك واحمل الراي ولم يحسن
التدبير في تقاطعه وظهوره في ايالة غيره فلم
يحتمل له ذلك حسن باي ثم وقع بينهما وحشة لاسباب
صدرت منه فاعتذر عليه حسن باي فامره بلزوم
داره وطرد عنه اكثر حاشيته ثم توفي عثي حسن
باي سنة 116[illegible] بقسنطينة فكان حسن
باي ازرق عينيه بافاء على حالته تلك من التحجير
عليه ومنعه من التصرف وتوفي بعد ذلك محمد باشا
صاحب الجزائر فملكها علي باشا بوصبع في
سنة 1168 وهو خال حسن باي بارزقت مكانته عنده

وعظمت منزلته واستحكمت العداوة بين علي باشا صاحب تونس
وعلي باشا صاحب الجزاير وحسن باي وعزم صاحب الجزاير
على قصد تونس بالمحلة مع موالينا ابناء حسن باي في
التضييق على يونس واستولى على جميع امواله واسبابه
الكثيرة ثم خرج مولانا صاحب الجزاير الى قسنطينة ليداخل
اهل الخواجي من افريقية ويجتمع عليه الاعراب فلما
استقر بها لم يلبث حسن باي ان ارسل الى يونس حتى
استبقى جميع ما معه من الذخاير والاموال والامتعة
والاحجار النفيسة التي لا يبلغها الوصف واخراج من
كان معه من عبيده واتباعه ولم يترك معه في داره الا
كاتبه احمد بن ابي الحسن السعيدي ورجلين من خدمه
يخدمانه وامر ببني عليه بابها وترك به منفذا
يدخل اليه منه ما يحتاج اليه ثم شرع في بناء بيت
بسقيفة داره محصن جدرانه وجعله ضيقا جدا
وارسل الى صاحب الجزاير يستاذنه في نقله اليه
فاذن له في ذلك فلما تم بناؤه نقله اليه وحده و عليه
بابه وجعل فيه منفذا ضيقا يدخل اليه منه طعامه
وشرابه فكان مولانا كلما دخل دار حسن باي ايام
مقامه بقسنطينة ومر على تلك البيت التي بها
يونس ضرب بعصا عكازه المعروف براسه فلم تقع له
عليه عين ثم خرج حسن باي الى تونس وكان
ما كان من امرها حسبما نشرحه فيما نستقبله
ان شاء الله تعالى ورجع الى الجزاير الدنيا
وراءه ومعه احمد بن يونس باي ومحمد بن اخيه
محمد باي لمات قبل وصوله الى الجزاير في اخراج
يونس من محبسه ذلك الى مكان متسع وجعل
ابنه وابن اخيه معه باذن له في ذلك فنقله الى
علو مدخل داره وجعلهما معه ومعهم احمد السعيدي
فاستمروا على تلك الحال الى ان توفي احمد بن
يونس ثم توفي بعده محمد بن محمد باي وبعد
ذلك توفي اسماعيل بن يونس من سلالة حسبما

قدمنا

قدمنا الحديث عن سجنه وكان معه في مكانه ذلك

سنة ١١٧٧

ولم يزل على الحال على ذلك الى اوايل شعبان
فورد الامر من الجزاير على صاحب قسنطينة بنقله من محبسه
ذلك الى مكان يخفى فيه خبره ولا يمكن الاطلاع عليه فيه
وان يشاع موته وينشى الخبر بذلك في الاطراف فامتثل
ذلك احمد باي ونقله ليلا من ذلك العلو الى بيت اسفله
فشيد الجدران من جوانبه الاربعة لا منفذ له اصلا وانما
نقب من اعلاه دارا تركوه اليه وتركوه في ظلمته ينزل اليه
طعامه وشرابه من ذلك النقب الاعلا وترك ابنه
وكاتبه بذلك العلو ليلا يستريب باختلاف الطعام
والشراب اليه ولما نقل ابنه الى الجزاير ترك كاتبه
احمد السعيدي بذلك العلو دفعا للريبة في ادخال
ما يدخل اليه واشاعوا انه مات ودفنوه من الليل
مثالهم واوهموا انهم دفنوه وحذروا من كتمان ذلك
على امر عظيم وكتب احمد باي الى مولانا بخبر موته
وشاع الخبر بذلك في اقطار البلاد واقام عليه اقاربه
بتونس الماتم ولم يشك احد في موته

وسبب

اخفا بيعهم اياه واستشاعتهم موته فيما بلغنا ان احد
عظماء الدولة بالجزاير خرج رسولا من صاحبها الى
حضرة مولانا السلطان محمد بن خان فيما هو بها
استدعاه الوزير الاعظم محمد راغب باشا باغراء
من بعض من ينتمي لخدمة علي باشا ساعيا في خلاص
يونس من ايديهم بذلك وقال له بلغني انكم لما
اخذتم تونس وقتلتم صاحبها علي باشا حملتم
منها من الاموال ما لا حد له وسمى له عددا
مستكثرا اجمالا ثم سجنتم ابنه يونس عندكم
واحتزتم من امواله شيئا عظيما وقد بلغ هذا
الخبر لمولانا السلطان وهو مرسل الى الجزاير من ياتيه
بيونس باي فيخلصه من ايديكم ويجبيه بعدد
امواله فيستوفيها منكم لانه مال اوجاقه
اخذتموه بغير حق لكم فارتاع لكلامه ذلك

الرسول ولم يزل يتلطف به ما بلغ اليه وسعى في ذلك
مع بعض اهل الدولة باسلامبول حتى خشي ان تفسد
امره وسكن غضب الوزير ورجع الى الجزائر باخفى ما احبها
في باشا لما قال له الوزير وخرجه ووصول قبجي باشا
بهذا السبب واشار عليه بقتل يونس بتقدم في ذلك
على باشا وراى انه خسارة للذمة وتخوف من وصول من
يطلب منعه من جانب السلطنة وقد راى انه ان سلمه
كانت معرة عليه وان منعه كان عصيانا لامر السلطان
فسح له من الراي ان يسجن ويخفي مكانه ويشيع موته
بما طلب منه تسترا بموته وارسل الى احمد باي بقسنطينة
يامره بذلك فيعمل به ما ذكرنا ثم نمى الخبر بعد ذلك
بان موته لا حقيقة وانه باق في السجن وافترق الناس
في ذلك بين مصدق ومكذب وكافة العامة والمطلع
اكثر الناس على الحقيقة ولم يزل في محبسه ذلك
مخفيا لا يراه احد ولا يدخل اليه الى ان دخلت سنة ١١٨٣
فوقعت مفاوضة بين مولانا وبين احمد باي صاحب
قسنطينة في الباطن فاراد ان يكيده باخراج يونس
باي من محبسه والتنويه بشانه وقد توفي علي
باشا وتملك بعده محمد باشا فسعى
عنده احمد باي في ذلك وتحيل بان الذي اشاع
موته قد مات وكذب عليه فاذن له باخراجه
في اوائل شهر ربيع الثاني من هذه السنة
واسكنه بمحل متنزه واذن له في الركوب واذن للناس
في لقائه ولم يمنع احدا عنه وكتب الى مولانا يخبره
بذلك اغاضة له ووقع الارجاف بانه عازم
على تسريحه لدخول اطراف المملكة والتشغيب
على مولانا حرسه الله تعالى فغاظه ذلك واهمه
واقلقه ولم تمض الا ايام اربعة او نحوها حتى
دخل عليه مجلس حكمه رجل من اعراب قسنطينة
يناجيه بالبشارة فاشار اليه بالسكوت
وامره ان يعدل ناحية ولا يدخل اليه احد والقصة

القصة

الثلاثة في روعه انه اتى مبشرا لمولاي يونس بكونه ان يخرج
به على رؤوس الناس انه لعله لا حقيقة له كما وقع في
اول مرة والتفت الى من حوله من بطانته فقال لهم
انظروا ماذا يبشر به هذا فاذا هو لا علم له فقال انما جاء
مبشرا لمولاي يونس بالحضور الى المسرة بذلك واستبحروا
في البسط وتمادى بتشاغله لم يرفع مجلسه حتى انقضى
حكمه في الوقت الذي عادته ان ينفذ فيه فقام ودعى
بالرجل وساله محاورا له فاخبره انه رسول من عند
الشيخ محمد بن سلطان الحنانشي ارسله يبشر لمولاي
يونس واخرج له كتابه بذلك يخبر فيه انه مات
بعد خروجه من محبسه بسبعة ايام فتوقف مولانا
عن اشاعة الخبر حتى يتبين بحقه وتواترت
عليه الاخبار بذلك وكتب اليه به احمد باي ولما خرج
من محبسه خرج وقد ترهل بدنه وانتفخ بطنه
ورجلاه وقدم ماء بين كتفيه سويعة وبرز الناس على تلك
الصفة ثم توفي في حينه اثر خروجه فبحمد مولانا
بعفته باي الامرين سوا شد سرورا بموت عدوه وعدو
دولته وقاتل ابيه وكان موته يوم الاربعاء الحادي
عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الثاني سنة ١١٨٢

وفيها من سنة الواقعة في حسن الدفاع
ما وقع لابراهيم بن ابي عزيز شيخ الحنانشة ورئيس
العرب لما قدم جانب مولانا بكيده ورده الله تعالى
في نحره وجعل دائرة السوء عليه بانه لم يزل بجانب مولانا
مظهرا له غاية الصداقة وتمام المشايعة والموالاة ومولانا
كثير التفضل له والاحسان اليه والمدافعة عنه والمسارعة
الى قضاء حوائجه على كثرتها واستمر الامر بينهما على
هذا الحال الى سنة ١١٨٧ فرجع الى لوم طبعه
ومذموم خصاله فاغار على نشارن فاغار على حلة
منهم واستاق مواشيهم ثم عمد الى ابل اولاد مناع
من دريد في بلده وتحت حمايته كانوا ارسلوها
اليه طلبا لجودة المرعى وكثرة الكلا فاحتاز سائرها

وفي زمان الجوار بحاجة نافية وجاهز بعداوة مولانا
كتب الله نفلي اعاجيه وتبذ عهده ورفع الارجاب من
المنابقين بان سدا الباي حسن ابراهيم من تلقاء نفسه
ولا تجاسر عليه براجه بل هي مقدمة للعتق وطليفته
للحرب رفع عن ملامه خدر ميه بكتب مولانا الى صالح باي
صاحب قسنطينة يخبره باهدر دم ابراهيم في جانبه
ويعلمه انما يدوه عن غزوه والانتقام منه كونه في
ايالته وتحت نظره يقدر يكبره ان يجازيه بجنيث وعلى
موالاة له بارسال صالح باي الى ابراهيم من ازعجه
واضطره الى رجال اولاد مناع الى اربابها واسترجع
منه جميع ما اخذ بروه على اصحابه على كره منه
ورغم لانفه وبقي هو على عداوته ومراغمته
يتربص الدوائر وكانت عليه

ذكر وقعة الونيس

كانت وقدومه بالاسطول الى تونس
في مبادي السابع في سنة ١٢٤٣ وذلك
ان جزيرة فرنسا كانت حربا للنار كان امرها راجعا
الى صاحب جنده بخزائن العرانيس في بعدة السنة
باسطوله وحاربها وحام حصاره لها ومقاتلته
ايها مدة سنة حتى تملكها بلدا بعد بلد وفي اخر ما
اخذ منها بلد كورنتي التي بها باولو صاحب فرنسا
وفي اثناء محاربته ايها ودخوله بعض بلدها
في طاعته احتاج الى الاستعانة بمراكبهم في
جلب الاقوات والاسلحة والمدافع من بلده وخاف
من اخذ مراكب المسلمين لها وطلب من ملوك
الاسلام المصالحين له كتب امان لهذه المراكب
الفرنسية المترددة في مصالحه ومن جملة ذلك
طلب من مولانا اثني عشر كتابا بالاثني عشر
مركبا منها سمى رؤساءها وكتبها اليه وفرجت

في تلك

في تلك المدة مراكب الجهاد من تونس بلاقت مركبا لاهل
فرنسا الذين بايديهم كتاب الامان فاخذوها واسروا ما فيها
وغنموا ما معهم فلما اشتكى الفرنسيس في الجزائر
ورفع امرها خرجت مركب من مراكبهم الكبار وبها احد
اكابرهم فوصل الى حلق الواد وارسل الى مولانا يطلب
منه الاذن في الوصول اليه فاذن له فلما مثل بين يديه
طلب منه الاسارى والمغانم التي اخذ فرنسا ايام محاربتهم
لها فاجيب بان هؤلاء الذين اخذناهم ليس بايديهم
كتاب امان منا فقال انهم دخلوا في حيز كتفنا وصار
حكمهم حكمنا فاجيب بان اقتصاركم في طلب الامان
على اثني عشر مركبا دليل ان ما زاد عليها بقي
منابذتكم ثم يشكل من اتى بكتاب من كان غنيمة
فلم يكن معه كتاب يقبل له لا كلام معك وان اراد
الكلام غيره الكلام في هذه القضية فليرسل الينا كتابه
ونحن نجيبه عنه فلما لم يحصل على طائل ارتحل مغاضبا
الى بلده فكان هذا احد الاسباب الباعثة لهم
على قصد تونس والسبب الثاني ان معظم صيد المرجان
من البحر الشامي انما هو بما يلي افريقية وكان اهل
طبرقة من نصارى الجنويز المستامنين بها يصيدونه
ويحصلون منه مكاسب جليلة ويؤدون على ذلك ضريبة
لصاحب تونس فلما انتزعها منهم علي باشا واسرهم
جميعا واستبد في امرهم واخلاها وعين لابراجها
نوبة من العسكر وزواوة يحرسونها وذلك في سنة 115
تعطل صيد المرجان من هذه الناحية ولم يبق ما يصيده
بها الا اهل القالة وهي قرية يوقف بها نصارى
من الفرنسيس مستامنون يؤدون لاجل ذلك
شيئا معلوما في كل سنة لصاحب تونس ولصاحب
الجزائر فطلب الفرنسيس من مولانا ان يطلق
لهم صيد المرجان وشرطوا له عددا معلوما من
الزوارق وهو اثنا عشر زورقا وفي كل زورق خمسة
عشر رجلا لا يزيدون على هذا العدد تخرج من القالة

بعيد المرجان عارية كبيرة وبقرب باب احتاجت السفينة
في خروجها زورقه في خلفها واخذ ما يحتاج اليه على
ان يدفعوا في مقابلة ذلك عشر امثال المال معينا للخزانة
في كل سنة ويكون ذلك في مدة سنتين فاذا انقضتا
فان كان واحد من الفريقين مخيرا في اتمام ذلك
او مضايقته او نقضه وابطاله فاجيبوا لذلك وكتب
لهم فيه الكتاب فخرج رئيس الكنبنية في العباس
احد الاصوم فوقعت منه هفوة في ذلك بان كتب
كلاما يقتضي ان الامر منحل من جانبهم بعد انقضاء
السنتين ومبرم من جانب مولانا الجيش فهم منه
الخيار لهم دونه ولم يذكر في الكتاب اشتراط عدد
الزوارق ولا عدد الرجال الذين بها وشرعوا في صيد
المرجان على الرسم فلما انقضى الاجل ذكر مولانا
فوجدهم قد زادوا في المقدار الذي وقع الاتفاق عليه
من عدد الزوارق ووقع منهم تجسس واطلاع على
عورات المسلمين فمنعهم من ذلك فقالوا لهم قد انقضى
الاجل وقد اخترنا نقض هذا الامر وابطاله فاحتجوا
بالكتاب المذكور المشتمل على عدم الخيار من
جانبه فاجيبوا بانكم تعلمون ان الاتفاق انما وقع
على الخيار من الجانبين ولكن وقع منكم تزيدنا سهوا
وعدم تحفظ فيما عمل عليه وضرب على ايديهم في
صيد المرجان **والسبب** الثالث
ان احد رؤساء البحر من فرنسيس يقال له سليمان
رايس البحر في خروج في مركبه غازيا فاعترضته
مركب للفرنسيس فاستدعى ان يفتشها وطلب
منه الموافقة على العادة في ذلك فلكنه شك عليه
في الطلب واغتصب منه صندوق خمر ولما عارضه
في ذلك شتمه فشتمه فتحاوض به ضربا مبرحا
فكان مجموع هذه الاسباب هو الحامل لهم
على اسطولهم الى فرنسيس بقصد المحاربة.
الا انهم كتموه غاية الكتمان ولم يظهروا الشيء

من الاخر

من امارته خروجه من التهيىء لقتالهم ولما دخلت سنة ١١٨٤
ارسل قنصل الفرانسيس الذي بتونس الى مولانا
يستاذنه في الخروج الى مرسى فرضة جنه بقصد التنزه
واظهر ان به مرضا وان طيب الهواء هنالك يذهبه فخرج
الى الجبل الذي على ساحل البحر واقام بها وفي يوم
الخميس لثلاث بقين من المحرم اقبل التمرالي الذي
كان اقبل من فرنسا في ثلاث مراكب كبار وارسى بحلق
الوادي فلما كان من الغد والناس يتذاكرون نزوله ليعلموا
ما عنده اذ ورد الخبر بانه ارسل زورقا بالليل لشاطئ
البحر المجاور للعبد لينزل ركبه القنصل وهرب اليه رشاء
الخبر انهم انما جاؤوا لنقض الصلح وفي صبيحة الليلة
الثانية اصبحت جميع مراكب الفرانسيس مرسية في
حلق الوادي قد انقلعت من اماكنها واحرقته بالمراكب
المذكورة وقد كان القبوطان علي رايس محرز ثلاث
مراكب وخرج بها من مرسى غار الملح برسم الجهاد
واقام خارج المرسى يتذاكرون الاخف من بقي من العسكر
فتوجهت نحوه مركبان من مراكب الفرنسيس الثلاث
ووقفتا بازائه قريبا من غار الملح وبقيت الثالثة
وهي الكبرى منها مرسية بحلق الوادي وارسل علي
رايس يستاذن في قتالهم فلم يوذن له وامر ان يلتزم
مكانه الذي هو به وكانوا يقولون لا يبدا بحرب حتى يباحر
بها وحثت على الوفاء بعهد الصلح فمكث كذلك اياما
ثم امر بالدخول الى غار الملح فدخلها وقد كاد
ان ينشق غيظا لانه كان من رايه ان يقاتل المركبين
اللتين كانتا بازائه بامل ان يسر الله تعالى له اخذهما
شحنهما بالرجال واقبل بهما الى التي بحلق الوادي
فلم يجب الى ذلك لما علم ان راي مولانا الميل الى
عدم نقض الصلح لانه راى ان الفرنسيس
لم يتجاسروا على قصده الا لما وقع من الوهن ببلاد الروم
من ضعف ومبادي الغلبة للموسكو على مولانا
السلطان مصطفى في الواقعة المشهورة والفتنة

العظمى التي كان مبدوها في سنة ١١٨٣ وفيها
تحقق ان اسطول الكاجي بيه قادم على تونس على الاثر
شرع مولانا في تحصين قلعة حلق الوادي وشحنها بالرجال
والمدافع والبونبة وامر بعمل برج بالغرب منها
وجعل فيه عدة مدافع وهيأ اغربة للمراكب المرسيات
من مدافع القذفة وامكن في الرمي وامر جميع الثغور
بالرجال والمدافع وارسل حسين كاهية ابي كاغان
الى بنزرت لحمايتها في جملة من العسكر وارسل حسين
اغة الصبايحية الى سوسة ورتب لكل بلد ما يليق
به وتوجه على قلعة كبرفة تخوفا شديدا وشحنها
بالعسكر وتهيأ الناس للجهاد واشتغلوا باشتراء
السلاح وارتفع سعره ارتفاعا عظيما فبيع كل
شيء منه باضعاف قيمته ولم يبق للناس بيع
ولا شراء في الاسواق الا فيه وبقيت مراكبهم الثلاث
بحلق الوادي خمسة وعشرين يوما يمنع من يدخل
المرسى ومن يخرج منها فخرج ابراهيم رايس في
مركب صغير جدا من غار الملح يريد حلق الوادي
فظن انه لصغر مركبه يفلت منهم فتبعوه ورموه
بمدافع كثيرة فالجأ مركبه الى الشط فاحرقه
ونزل الى البر ونجى هو ومن معه وانكسر مركبه
وفي هذه الايام طلب تجار الفرنسيس القاطنون
بتونس من مولانا ان يسرحهم لبلادهم فاذن
لهم وركبوا من حلق الوادي الى مراكبهم وتركوا بديارهم
وارزاقهم في محلها وكان بعض رؤساء مراكب
الفرانسيس التي بحلق الوادي اخذ زوارق مراكبهم
بتونس فطلبوا تسراح من سرحهم ايضا ورأى ان
هؤلاء قوم دخلوا البلد بامان وعهد فلا يسوغ
اسرهم ولا حبسهم ولم يرتض احد منهم تسريحهم
وقد جعل الله تعالى فيه خيرا لانه كان حجة
على طاغيتهم اعترف بتوجهها عليه حيث صدر
من مولانا هذا الرفق بهم ولم يعملوا بمقتضاه

فبعد ذا

فبعثوا بالمنافذ ثم رفعوا ايديهم بعد الى مركب ابراهيم
رايس كماندا منذ **ولما** كان يوم الاحد لسبع
بقين من حجة اتى اسطول بلد باريس لحلق الواد
وكان عدد مراكبه ستة عشر مركبا وامدهم صاحب مالطة
بغرابين ومركب كبير وانتظر الناس ان يزيد مددهم
فلم يزيد على ذلك فاستفرجوا امرهم وعلموا انما
قصدهم التشغيب والفساد لا غير وكانوا يحسبون
انهم يلقون في من المراكب وينزلون الى البر
للقتال فاستعدوا لذلك فمكثوا ليلتين او ثلاثا بحلق
الواد لم يات منهم احد ثم ارسلوا زورقا الى شط
حلق الواد وبه اناس معهم كتاب الى سيدنا فاخذ
منهم واتى به اليه فاستدعى الشيخ الامام ابا عبد الله
حسين بن ابراهيم البارودي مفتي الحنفية ليشهد
قراءته وكان الكتاب باللغة التركية وكان مضمونه
طلب سبعة اشياء **احدها** اخلاء جزيرة
ترسقا في عقد الصلح **والثاني** رد ما اخذ منهم
من الاسارى والمغنم بعد دخولها في **والثالث**
رد اسارى الذين اسروا قبل ذلك **والرابع**
امداد صيد المرجان على الوجه الذي تقرر سابقا
والخامس عقاب سليمان رايس الحربي الذي
صدر منه ما قدمناه في جانبهم والانتقام منه **والسا**
دس ان يمكنوا من تاسكرت وصيد ونرنيه في كبرهم
ونبرزنت كانت بايديهم سابقا يصيدون منها
المرجان ثم قدم لها مراكبهم فترجع موسوقة بالميرة
من حنطة وشعير وغير ذلك مما يجلبه اليهم الاعراب
والسابع ان يودي اليهم جميع ما صرفوا
من الاموال التي جهزوا بها اسطولهم في وجهتهم
والايالة بجزة والحرب واخرا اذا لم يرجع الينا الجواب
بعد ثلاثين ساعة نشرع في رمي البونبة
والمدافع على قلعة حلق الواد بصدور الجواب بانا عقدنا
بيننا وبينكم واشترطنا فيه شروطا سطرت في كتاب

العقد بسبب تفرقها بل وجدنا قد تجاوز الشهر وكان المشتري كتب
في عقد الصلح عن ظالم او اخذ الحق منه وبعث اليه في
الجواب قبل الثلاثين ساعة فلما بلغ الكتاب الى حلق
الوادي امسك في باريس ومن معه بحلق الوادي من خدام
مولانا حتى مضت ساعات بعد الثلاثين لينظروا
ما هم فاعلون فلم يصدر منهم شيء وتكررت
المكاتبات مرة بعد اخرى في هذا المعنى فلم يجيبوا
الى شيء من مقصودهم فقطعوا المكاتبة واقاموا بمكانهم
اياما ومن سعادة مولانا انه كان اكترى مركبا من
مراكب الفرنسيس واركب فيها فتيانا من فتيان
الطواشية وعجايز من جواري ارسلهم الى اسلامبول
برسم شراء جوار له ولابنه مولانا ابي محمد محمود
باشا فورد الخبر قبل قدوم الاسطول بان تلك
المركب خرجت من اسلامبول وفيها الجواري المشتراة
تريد تونس فتخوف الناس تخوفا شديدا من دخولها
حلق الوادي والاسطول الفرنسيس به فيأخذونها
وفيها جواريه المشتراة برسمه وبرسم ابنه
وفتيانه وعجايز جواري فتكون وهنة عظيمة وقلقوا
قلقا شديدا حتى ود كثير من الناس ان دخلوا
بالمكي حيث امن وفوت هذه الوهلة فلم يشعروا
الا وقد جاء البشير من المستير بخبر ان المركب
المذكور دخل المستير والا علم لهم فيها بما جرى
وان قايد المستير انزل جواري مولانا وفتيانه
بجميع ما معهم واخذ في بيع المركب و[illegible]
اسارى ففرح الناس بذلك فرحا شديدا
وعلموا ان مولانا موفق حفظه الله تعالى ناصره
على عدوه فارسل مولانا اثر ذلك ودخلت
الاسارى ناكسين رؤوسهم وكلفوا العمل في دار
البارود ليستعان به على قتال اخوانهم ثم
وردت مركب للفرنسيس الى قليبية مشحونة
بالزيت فاخذت فيها ايضا النصارى اسارى

وافى

واتي بعد الى الحضرة فاستخدموا بدار البارود وانزل ما فيها
من الزيت ثم اندفعت مراكبهم من حلق الواد في
اوايل ربيع الثاني ولم يبق به الا المراكب الثلاثة التي جاءت
اولا فاصبحوا على غار الملح واقاموا عليها البلنبي واطلقوا
عليها مدافع ثم اقلعوا عنها واصبحوا يوم الثلاثاء التسع
خلون من الشهر على بنزرت فاقبلوا الى يوم الاربعا
ثم شرعوا يرمونها بالبونبة والمدفع وكان قايد راجبس
الفنودان ومن معه جماعة من رؤساء البحر خرج في البر
بجاج بعد لما اقلعوا من حلق الواد فلما ارسوا على غار الملح
دخلها ليقاتلهم بالمدفع من قلاعها فلما قصدوا عنها خرج
هو ومن معه لجاج بعد فلما ارسوا على بنزرت دخلها فلما
رموها في غلتهم احرقهم الله تعلى شرع هو ومن معه في
رمي مراكبهم بالمدفع من قلاعها ودام قتالهم اياها
يوما وليلة رموا بالقمامن البونبة شيئا كثيرا ما يقرب
من ثلاثماية بونبة وبرز الناس لهول البونبة بزعا شديدا
في جوانب البلد فصار يمشي الى كان هو بها في مقعد زادر ربعهم
وتركوا المدينة خالية ليس بها من يحميها من داخل
الا قايد راجبس من ناحية يقاتل بالمدفع والا عسكر كان فيه
في كناية من العسكر في ناحية اخرى وورد الخبر
بذلك الى الحضرة صبيحة يوم الخميس واخبر الرسل
ان يخشى على البلد من نزولهم اليها فامر مولانا الوزير
رجبا خزندار بالخروج اليها من وقته وامر جاويش
العسكر ان ينادي من كان له اسم في الديوان فليخرج
الى بنزرت وامر للقايد سنجق بخروج العسكر كله اليها
ارسالا ليلحقوا اليها من اخر النهار فوجدوا العدو
قد كف عن رميها ومن غد بعث خزندار الاموال احسانا
على جميع من معه من العساكر واقلعت النصارى
عن بنزرت راجعين الى حلق الواد وسبب ذلك
هبوب ريح شديدة منعتهم من القرار في مرسى بنزرت
في كوجه ليلتين ثم اقلعوا وتوجهوا لناحية القبلة
ومروا على قليبية والحمامات وذهبا الناس لقتالهم فلم يكن

منهم حرب فلما كان يوم الثلاثاء الثامن بقي من الشهر اصبحوا
على سوسة ومن الغد شرعوا يرمون البونبة والمدفع
فخرج الناس الى خارج البلد مستعجبين للقتال وتركوا
لهم الجدران يرمونها وتمكنوا من رمي المدينة واصروا فلما
وكان مولانا قد ارسل الى سوسة الشيخ ابا العباس احمد
الامرم بن كاهية الشيخ الفقيه عامر المزوغي فجمع
الناس ودبر امرهم بما تقتضيه نكايتهم وحسن في اعين
وغيرهم من اهل الرأي ان ينزلوا من القلعة مدافع
ويجعلوها على الارض من شاطئ البحر لتمنعهم من رمي
البونبة ففعلوا ذلك فابعدتهم تلك المدافع عن المكان
الذي كانوا فيه وصارت البونبة لا تصل الا الى اطراف
المدينة الموالية للبحر وجعل اكثرها يسقط خارج المدينة
وكان جملة ما رموا من البونبة على سوسة زهاء الف
بونبة منها في يوم واحد مائتان وخمسون ثم لما راوا
انهم لم ينفعوا شيئا اقلعوا عن سوسة وارسوا الى
المستير فاقاموا عليها سبع ليال ولم يكن منهم لها
قتال ثم كروا راجعين الى حلق الواد وقد
كان بالحضرة قبطان باشا ورد من حضرة السلطنة العثمانية
يطلب وصول المراكب الجهادية من تونس الى اسلامبول
مددا لعساكر الاسلام على الموسكو فلما حصل المنع
من قبل الفرنسيس وكانت عليه الاقامة طلب
السراح فاذن له فيه ومعه جاويش من جانب قبودان
باشا ارسله ايضا لهذا المعنى فاذن له ايضا في
العود مركبا معه من حلق الواد في المراكب المعينة
لهما للعلم بان الفرنسيس لا يمنعهما لكونهما من حضرة
السلطنة فلما حصلا مركبهما من حلق الواد استكفا وهما
كبيرا الفرنسيس فاجاباه ولما حصلا بمركبهم دار الكلام
بينهما في شان تجارة تونس فاعلمه قبطان باشا
ان سفره الذي منع على حضرة السلطان حيث قصدوا
ارجافه وهو مشغول بحرب عدوه ان جميع ما صدر منهم
انما وقع على وجه الظلم والتعدي ورفع الوهم واوضح

في تغرير

في تقرير الصلح على وجه يحصل به رضى الفريقين وطلب منه
ان يكون على يده، فاجابه الى ذلك فنزل راجعا الى مولانا لعلمه
بطلبه الى مصالحتهم وتسكين شوكتهم لاجل اشتغال السلطان
بقتال عدوه فلما انتهى الى مولانا واخبره بما دار بينه وبين
النصارى امره ان يرجع اليهم ويطلب ان ينزل اليه القنصل
ورجال معه من ذوي مشورتهم ليقف معهم ما يريد فنزلوا
اليه واعادوا عليه طلب الستة الامور التي طلبوها اولا فاجابهم
بقوله اما ادخال جزيرة قرسقة في الصلح فهذا امر لا يلزم
عقد الصلح معكم اذ لا يتأتى امن مملكة واحدة بعضهم
معاهد وبعضهم غير معاهد وهذا الا ان اخرتم الى طلبكم
اياها منا واما رد اسارى اهل الجزائر الذين اسرناهم بعد دخولها
في حمايتكم فلم نأخذهم الا لكونهم لا عهد لهم منا ولا حرمة
ولا لكم ان تسالونا فيها باس لانكم تقولون انها انما
دخلت في ملككم انسحب عليها حكم الصلح واما رد اسارى
الذين اسرناهم قبل ذلك فهذا لا سبيل اليه لانه لا وجه
له الا بعد ~~صيد المرجان~~ واما سليمان رايس
فان تلبث دعواكم عليه عاقبناه بما تقتضيه الشريعة
ان قدرنا عليه لانه قد هرب منا واما امر صيد المرجان
فانا عقدنا فيه عقدا على الخيار من الجانبين وقد اخترنا
الفسخ فاي حجة لكم في هذا واما تامكرت فبلاد
قد انتزعها من ايديكم من كان قبلنا ووقع الصلح بعد ذلك
على عدم تمكينكم منها فلا نردها اليكم ابدا واما ما ادعيتم
ما صرفتموه في وجهتكم الينا فهذا يلزمنا لو احوجناكم
الى ذلك بظلمنا اياكم وحيث لم يصدر منا ظلم لكم وبدأتمونا
بالحرب ظلما وتعديا فنحن نطلب منكم ان تردوا جميع
ما صرفناه في هذه الواقعة لانكم احوجتمونا الى ذلك
فرجعوا الى كبيرهم وتكررت المراجعة الى ان آل ذلك
الى ان انفصل الامر وعقد الصلح على ان تدخل قرسقة
في عقد الصلح ويرد اليهم الاسارى الذين اسروا منها
وان يكونوا في صيد المرجان باثني عشر زورقا تخرج في
القابلة خمسة عشر مستقبلة وان يكونوا شراء ثلاثة

في الاب نبيذ فجابدوا لهم يحملونها الى بلادهم من غير ان يعطوا
شيئا على حملها وان يعطوهم من الهدية ما جرت عادتهم
باعطائه وعقد الصلح وتقررت الامور على ما ذكر انقلبوا
راجعين الى بلادهم وبعد برهة ارسل مولانا ابراهيم خوجة
كاتب الديوان ووجيها من اهل الديوان رسولا الى طاغية
البرنسيس ليتمم امر الصلح على الوجه المذكور فلما انتهوا
اليه اكرمهم واحسن نزلهم وقرر الامر معهم وردهم مكرمين
الى الحضرة وارسل هدية واستقرت الاحوال على ما كانت

ذكر خروج المراكب الجهادية
مع اسطول الاسلام المنصور

لما انقضى امر البرنسيس شرع مولانا في الامر
الذي كان اقوى الاسباب ميلا الى مصالحتهم وهو اخراج
مراكب الجهادية مع الجيوش الاسلامية البحرية امتثالا للامر
السلطاني الذي ورد به فيجي باشا المذكور فاعتنى بامر
باصلاح خمس مراكب كبار لما تحتاج اليه وعين لها من
العساكر البحرية وغيرهم ما شحنها ورتب لهم رؤساء من
اعيان الديوان من البلوكباشية وغيرهم وجعل النظر
في امر البحر للقبودان علي رايس وجهزوا باحسن
جهاز واقلعوا من حلق الوادي في اوايل المحرم سنة 1185
وكان يوم خروجهم يوما حافلا ركب فيه مولانا في
خيوله واستدعى لختام الشيخ الاستاذ ابا سعيد
الباجي من جبل المنار لما بينهم وتوجهوا مصحوبين
بالنصر والتاييد فاتوا جزيرة قندية فبلغهم الخبر
بها بان اسطول الاسلام لم يخرج من خليج القسطنطينية
وان اسطول العدو قد تمكن في تلك النواحي وتملك
جزيرة بارة واتخذ مرساها مستقرا لمراكبه واستولى
على فم الخليج يمنع الداخل والخارج فترددوا في
المضي وبينا هم كذلك اذ رمى بهم البحر حذو باي
وهو جزيرة استنكوي بمراكب صاحبها ولنواحي
المرتهن العدو ابى رئيسهم المضي الى الخليج خوفا عليهم
من العدو

من العدو ما وقع للاسلام فتشاور علي رايس ومن معه من
أكابر العسكر فاجمع رايهم على ان يلبثوا هنالك ويرسلوا
بالخبر الى مولانا حتى ياتيهم امره بما عليه العمل فلما اتاه الخبر
حجر امره المعايب عن ان يقيموا بمكانهم فبان بلغهم ان اسطول
الاسلام خرج من الخليج مدوا اليه والا تثبتوا بمكانهم
الى ان ياتيهم امره وشحن مركبا كبيرا لهم بالميرة وارسلها
اليهم فاقاموا بالجزيرة السرداني جزيرة فنديقة وكان في
اقامتهم بها نفع كبير لاهل الجزيرة المذكورة فقد كانت
مراكب العدو من الفرنسيس وغيرهم تغير عليهم وينزلون
الى البراح المكتنفة بالمرسى ويعيثون ويفسدون وياخذون
ما قدروا عليه وتدروا فيهم غاية الضرر فكفوا شرهم
وضررهم منذ اقامت عندهم مراكب مولانا ولم يتجاسر
احد من العدو ان يقربهم وفرحوا بذلك واكثروا الدعاء
لمولانا وفي ايام اقامتهم هناك بلغ القبودان
علي رايس ان جزيرة صغيرة بالقرب من جزيرة فنديقة
يقال لها غاودش قد خرج اهلها من الفزع والمجاعة
وصارت مراكب العدو تكمن عندهم بما امكنتهم البرهنة
اغاروا على بلاد المسلمين منها فتوجه نحوها ونزل اليها
فاحس به اهلها وهربوا من بين يديه وتركوها
خالية واختفوا في جبال وغيران صعبة فاقام بها اياما
يفتش عنهم الى ان ظفر بجماعة منهم نحو مائة راس فغنمهم
في غيضة بدواميس تلك الارض فسباهم ورجع الى
مقره من جزيرة فنديقة في مكثهم هناك ارسل
اليهم مولانا يامرهم بالقدوم الى مستقرهم لراحة
العسكر حتى باذن الله بالاياب وخرج اسطول
الاسلام بجميعه يعودون ان شاء الله تعالى فاقلعوا
راجعين ولقوا الحضرة سالمين ودخل علي رايس بذلك
السبي بجرد ورائه واوصله الى مولانا فتصدق فيه
وكانت تمام خمسة اليه بجارية منه وكان وصولهم الى
حلق الواد في ثم جدد مولانا في
عمارة مراكبه في سنة ١١٨٧ وارسلها مددا لجنود الاسلام

وقدر ان يساعدوا عزة من العدو بيد خلو الخليج في جواري
باشتغنت ثلاث مراكب منها السن
افرجوز ومركبان الى ابوخس وبدفع استيلاء العدو على فم
الخليج باقاموا باماكنهم وتوجه السلطان مصطفى خان
وكانت وفاته يوم الجمعة لثمان خلت من ذي القعدة
سنة ١١٨٧ وتولى السلطنة بعده اخوه مولانا السلطان
عبد الحميد ودام الحرب بينه وبين الموسكو الى جمادى الثانية
من سنة ١١٨٨ بوقعت المهادنة ووضعت الحرب اوزارها
وانقضت احدى الفتنة التي سهدت لها العيون وشابت
منها النواصي وتصدعت لها القلوب وكان عهد
الاسلام بمثلها بعيد اذ احرقت المراكب بعد اجتماعها
كلها في افرجوز واحرقت في الخليج فصادفت
مركبا للخازندي من الغربي بها اربعة وعشرون مكحلا
ومعهم بضاعة من الحرير والثياب وغير ذلك باخذ وهم
دخلوا الخليج بوجد وابو قبودان باشا هو والى
اولئك الرهط الاسارى ونزعوا ما في الغنيمة واجازهم
الى اسلامبول ابو حسن اليهم مولانا السلطان عبد الحميد
وبرهم ورجعوا سالمين غانمين ووصلهم الى حلق الوادي في
٤ اخر السنة

ذكر ظهور الدعي

عثمان الحداد بجبل خمير وسياقة الكلام على الدعي
بهم وقتله

سنة ٦ لو تحقق كان حقها ان تضع قبل سنة ٨١
الا انا اخرناها لاتصال الكلام السابق بعضه ببعض
فيا ليتنا بيناه بتمامه وذكرنا ما بعده لترتيبه بما
بعده مما سبق الاخبار **كان** في ١٤ اخر سنة ١١٨٣
فتح شاب يقال له عثمان الحداد كان صبايحيا رخصه
انساما اهل الدولة واصله من رياح وقطع لجبل
خمير وهم اهل جبال في طرف المملكة مما يلي طبرقة
انما يبعدون عن الادراك لا يدينون بالطاعة ولا يعطون

الخراج

الحواضر واستجار بشيخهم علي بن عون واجمعوا انه ابن يونس جاء
بن علي باشا المسجون ببارد وامر ابيهم من سجنه بحيلته
لمقاتلة باجاره الشيخ علي بن عون واواه وتبعه خمير كلهم ونفش
خبرهم في البلاد وتسامع به العمال البوادي وجعل من
يريد الفساد منهم ياتونه ويتحدثون معه في القيام
بامره وجعل يذكر لهم اشياء لثبات نسبه واستدام
وضع اللثام على وجهه ليلا ونهارا من وراء ستر قبل ذلك
وصدرت عنه الكتب الى كثير من القبائل والاعراب وكاتبه
من يريد الفساد وكثر الارجاف في الحضرة وسمى
نفسه احمد باي بن يونس باي واجاز ذلك اغمار البادية
ولم يعلموا ان احمد باي ابن يونس باي توفي بقسنطينة
قبل هذا التاريخ بنحو وان المسجون ببارد والذي
زعم هذا الدعي انه ابوه اسمه مذكور في ورقة كثير
عن يعرفه قبل ذلك فاخبروا انه عثمان الحداد لا شك فيه
وشاع ذلك وصار الخبر عندهم بين مصدق ومكذب
هذا كله ومولانا متغافل عنه مغض عن التهاون بامره
وعدم الاكتراث به تسكينا للاسرار الى بدع الفساد
واخذ بالملاينة لهم بالمسارعة اليه منهم ولما
حدثت فتنة الفرنسيس في اوايل سنة ١٢٨٤ كما تقدم
وتشاغل مولانا بدفاعهم كثر غشيان المتوسمين من
العرب واشاع بعضهم ان هؤلاء الفرنج الذين جاؤوا لمحاربة
تونس انما هم اخواله اتوا لنصرته لما سمعوا بخروجه
لان امه اصلها من نصارى الجنويز من سبي طبرقة
وكثر الهرج بسبب ذلك في البوادي واخذ يكاتب
الناس حتى بعث كتابا الى ابي الضياف بن ابي الحسن
كاهية الباجية بباجة يستميله فيه ويستدعيه لنوبته
والدخول تحت طاعته ويعده المواعيد فلما علم ابو الضياف
ما في الكتاب ركب من حينه الى مولانا واطلعه
عليه بمحضره فغضب وقال ما تجرأ هذا الدعي على
مكاتبة ابي الضياف مع اختصاصه بخدمتي و الا
لكثرة من كاتبه ممن ينتمي لخدمتي من يزعم انه ابوه

أو أخوه وقد كان لاجئا في الضياف هل تستطيع أن تحمل
الجبلية في الصلح بينه من غير قتال ولا صرع فقال يكون
ذلك إن شاء الله تعالى بمساعدتك فقال له فسهل
ولينك أمر الشيخية واستخلاص مجابيهم في العام لينبغي
لك الطريق إلى تحصيله والشيخية أهل جبل مجاور لجبل
خير الدين فيه عثمان الحداد فسار أبو الضياف لوقته حتى
أتى باجة وسار منها   من الصبايحية إلى الشيخية
فلما أتاهم أحسن السيرة فيهم وعاملهم بالجميل ثم تكلم
مع كبارهم في شأن عثمان الحداد وأسر لهم يثق بهم
أنه إنما قصده الصلح بسد رواجه إلى أن أدرك الحلقة
التي هو فيها فتكلم معهم في تثبيته ليلا وأخذه قسرا
فأجابوه بأن لنا أعداء كثيرة من أمامنا ومن خلفنا
فلا طاقة لنا بعداوتهم ولكننا نأتيك بالشيخ
علي بن عون كبيرهم فتكلم معه فيما أردت فسرحهم
إليه فجاءه به ليلا فتكلم معه ورغبه ورهبه فكان في
جملة ما قال له كيف رضيتم بهذه الوصمة المنكرة
التي يبقى عارها عليكم إلى آخر الدهر بإتيانكم عثمان
الحداد الذي هو أحد خدامي ويدعي عندكم أنه بن
يونس من غير دليل على دعواه بل قد أخبرني
كثير من الناس بحقيقة أمره فلم تقبلوا واتبعتموه
وجلبتم إلى أنفسكم عار الأبد فقال لو علمنا ليس بابن
يونس لما اتبعناه ولا آويناه فقال أبو الضياف
أنا أعرف الناس بعثمان الحداد لأنه خدمني مدة
من صغره كيف وكيف قال نعم فقال بأنه والله
عثمان الحداد لا شك فيه فعليك أن تمكنني منه
وتدفع عن نفسك هذه الوصمة قال أنا أنفقنا
عليه مالا كثيرا ومن لنا به فقال كم أنفقتم عليه
فذكر مالا كثيرا فلم يزل أبو الضياف يدرجه إلى
أن أخذ ألف ريال يأخذها الشيخ علي بن
عون ويمكنه منه واتفق معه على أن يرسل إليه
خيلا ورجالا من الليل يسلمه إليهم يأتونه به

فارسلهم

فارسلهم في الليلة الثانية واعدا ان يسلمه اليهم فيها فلم يفعل
ثم ذلك رجعوا وعاودوا الليلة الثالثة فلم يفعل
ايضا فارسل اليه ابو الضياف انه مادام نازلا في عرض
الحي فلا يمكنه ما اراده منه فافعل الحيلة في اخراجه
عن بيوت الحي فبعد ذلك فان تشاجر مع اخيه
حتى نال منه بغضها لذلك وارتحل فاعلا مغاضبا فتبعه
الحي ليستردوه فاجاب لهم بالايمان الغليظة ان لا يرجع
اليهم ابدا اللهم الا ان يانيه الباي وحده فرجعوا واركبوا
عثمان الحداد ومعه رجلان ليرده فلما ادركه وقد بعد عن
الحي وطلب منه الرجوع الى اهله قال نعم واكرامة ولكن
نبيت الليلة ها هنا لاستراحة فاذا اصبح الصباح
ركبنا ورجعنا فبات عنده وصنع له طعاما فلما جن الليل
اتى اصحاب ابي الضياف وكلموا فيما منه واعلموا عليه
ان يكون بمكانهم بالتستر لئلا يسمعوا ما يجري فيه
وبينهم ثم فكنه منهم ثم جاوره الخطاب الى ان قال له بلغني
عنك انك من رياح وان اسمك عثمان الحداد فانكر ذلك
عليه غاية الانكار ولم يشعروا الا والقوم قد وثبوا
عليه فاوثقوه كتافا وانطلقوا به الى رجالهم فلما قدا في
الضياف ليلته قدما فينتظره من يسمه مسرج وعليه
سلاحه فلم ياته الخبر الا مع الصباح فركب لوقته ونادى
في حيله بالركوب وسار بقومه حتى انتهى الى
الحلة التي وضع فيها اصحابه عثمان الحداد امر الشيخة
فوجده في بيت امراة من حمير متزوجة في الشيخة
وقد اجارته فيما زعمت ووجد الشيخ علي بن عونا
هناك فلما رات تلك المراة ابي الضياف قالت لعلي
بن عون كيف رضيت لقومك العار والخيانة ياتيك
من ملك مستجيرا بك فتمكنه بايدي اعدائه فمتى كنت
خيبته فقال لها احتفظي به حتى يسار وقد اتته خميس
كلها خيلا ورجالا لنفع الحي وتوزعوا في تلك
الجبال عازمين على افتكاكه فلحقهم ابو الضياف
ولم يزل يقتل لهم في الاودية والغارب الى ان ارجعهم وهم

له كسوة لتلك المرأة الخبيرية واحسانا لاولادها بالسنى ضاها
في جمعون بذلك واعلمها انه ليس بابنه ملك وانما هو رجل
من رياح ونسلم ابو الفياف عثمان الحداجي بلغنه بايدي
ثقات من رجاله وامرهم بالمسير في من ناحية في ناحية
القوم وقال لهم اني منطلق الى هولاء الذين رغموا انهم
يريدون ان نزعه من ايدينا وشاغلهم عنكم فان راتموهم
اقبلوا معي فاقتلوه وانطلقوا وانطلق اليهم وشاغلهم
بالحديث الى علم ان اصحابه قد بلغوا بالطفل موضعه عنهم
وتنحوه فانثنت اليهم وقال يا خيبرا رجعوا وعدوا فاتكم
هالككم فلما راوا قد فاتهم رجعوا لكذا اخبرني
بهذه القصة ابو الفياف كما نعيه المذكور
وغيري فالعه في سيا فتيا وكيف كان
فانه اوصله الى الحضرة موقفا مورى للناس
وهو فيمن كان يروجه قبل ذلك ولما
كان يوم حضور المشايخ الفقيهين
والقضاة بالمجلس الشبعتاهم
مولانا في قتله فاقتوه بذلك
لما انتهى رسعيه في بالارض
بالفساد فامر بصلبه
في الاسواق حتى
شاهده الناس
ثم
صلب
انتهى

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اثيرا

نحمدك يا من قضيت ان لا يكون غير مرادك، ونشهد الكون اجمع لطفا ودلالة
بانفرادك، وبعثت سيد ولد ادم رحمة لعبادك، وقصصت عليه نبأ الماضين من اهل
طاعتك وعنادك، وخاطبته ان في ذلك موعظة وتثبيتا للفؤاد، فصل عليه وعلى اله ما عصا طالح
وكفر به اهل لعنادك. وبعد فان القصيدة التي انشأها الفاضل الاديب الحبر اللبيب سيدي احمد بن
عبد الدائم الانصاري في مدح طرابلس مغضيا عن هجاها هو وان صرح بالمدح فيه اجمالا يحتاج
للتفصيل بذكر جزئيات اخبارها ولم ار من تعرض لجمعها على حدة من المورخين وانما ذكر
ما ذكر منها متشتتا في الصحف والدواوين فندبني لجمعها من ادام الله تعالى سعوده، وحرس لحياطة
الدين والمكرمات وجوده، ظل الله في بريته وخليفته في خليقته، رافع منار الشريعة
النبوية، ناصب رايات العلوم الدينية، ليث النزال صاحب الافضال والمقام العالي وكوكب المجد
المنير المتلالي، الجامع لصنفي المفاخر والمعالي الشاد لعرى الاسلام، القامع بسيفه اهل عبادة
الصلبان والاصنام، الناشر الوية الانصاف، الماحي اثار كل الجور والاعتساف، من متع الله
به الخاص والعام، واكثر منه للفقراء الجود والانعام، المستور لاعظم، والمقام الافخم، كامل المملكة
الطرابلسية، واكرم من خفقت عليه الالوية العثمانية، مولانا احمد بو سعا بن محمد
بن مصطفى باشا بلغه الله من استقرار العز والدولة ما يشاء، تنشر بجلاله واستدامة لعادته
الحسنى في استحسان امري واظهار الجميل بي ولم ازل به ظهيرا على نوايب دهري، فامتثلت
امره انتدبت نبصنا ببركاته، وتلقيا للنجح باقتفاء مراسمه من جميع جهاته، وانتصبت
لذكر ما حضرني من اخبارها، معاروبيت وشاهدت من اثارها، سالكا فيه سبيل
الاختصار، راجيا التوفيق والمعونة من الغافر الغفار، وجعلته خدمة لعسكر بابه
التي هي معول رجال الامال، وملتقى نشعاء الاكابر والاقيال، لازالت ملاذا راياته الفضايل ومحط
رحال الافاضل واهل الفعل المعروف واغاثة لكل مغتبط ملهوف بجاه النبي الاكرم صلى الله عليه وعلى
اله وصحبه وسلم وشرف وكرم، وسميته التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من
الاخبار، ارى زمنا يقتنص المها بلا جارح والاسد في فلواته سوارح، رد الفنص بمنزلة
الحا، فقال كعا يانه من معانيه، اتى هله يهوى ويشرانه بر بغته من ضبيا نها ومهاما
نيه، ارى من راى البصرية وهي تتعدى لمفعول واحد وهي هنا زمنا والزمانة
العاهة كذا في القاموس وخصها عرب النعت بالعاهة الموجبة لعدم قبام الانسان
والمراد بها هنا، ابنة الجهل على زعم الناظم لهجوه من لا يستحق هجوا والاقتناص
الاصطياد من قنصه اذا صاده، والمها، اسم جنس جمعي واحده مهاة وهي البقرة
الوحشية

سماح

طرابلس

بقنصه

الوحشية تشبيها لطيف الوصف الذي لا يدرك الا بدقيق الفهم والجارح خصه العرف بما
يصطاد به من حيوان طيرا كان او كلبا والاسد جمع اسد وهو الحيوان المفترس والمراد به هنا
الفهم الذكي شبه به من حيث الحماية وكما ان الاسد يحمي ما يحميه كذلك الفهم الذكي
والقيض القشرة العليا ويقال على البيض كذا في القاموس فيقضا صفة اذ منه ما ليس
كذلك والزبلة بضم العليا ملقى الزبل وموضعه وهو معروف والحمى بكسر الحاء المهملة وفتح
الميم والقصر هو المكان الذي يمنع رعيه فيتوفر فيه الكلا فترعاه مواش مخصوصة ويمنع
من غيرها والكلا اسم مهموز مقصور وهو المرعى رطبا كان او يابسا والكلا بالقصر من غير
همز النبات الرطب **قال** في المشارق وضبطه الحسن فندي والعذري ممدودا بالمد وهو خطأ
قال الحافظ ابن حجر ومن مده فقد اخطا والحشيش هو العشب اليابس وظاهر
كلام القاموس ان الحمى يجوز فيه المد ولم يحك في المشارق الا القصر والحمى بمعنى المحمي مصدر
بمعنى المفعول وهو خلاف المباح وتثنيته حميان وحكى الكسائي في تثنيته حموان
بالواو والصواب الاول قاله الباجي واصل الحمى عند العرب ان الرئيس منهم كان اذا نزل منزلا
مخصبا استعوى كلبا على مكان عال فحيث انتهى صوته حماه من كل جانب فلا يرعى فيه
غيره ويرعى هو مع غيره فيما سواه هذا معناه لغة **واما** شرعا فهو حماية الامام
موضعا لا يقع فيه التضييق على الناس للحاجة العامة الى ذلك للخيل التي يحمل عليها الناس
للغزو والماشية الصدقة كذا في الباجي نقله الحافظ ابن عرفة **والاصل** في اباحة الحمى
ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب الشرب عن يحيى بن بكير **قال حدثنا** الليث عن يونس
عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصعب
ابن جثامة رضي الله عنه **قال** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** لا حمى الا لله ولرسوله
وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم حمى البقيع وان عمر رضي الله عنه حمى الشرف والربذة
والشرف بكسر الشين المعجمة الحكم في قسمة المال وضبطه الاصيلي بالفتح **قال** ابن حجر والصواب
الاول والبقيع بالموحدة موضع فيه اروم الشجر من ضروب شتى وبه سمي بقيع الغرقد وهو
بالمدينة كذا ذكره الجوهري في حرف الباء ونحوه في مختصر العيني ومثله لابن سيده وزاد والغرقد
شجر له شوك كان ينبت هنالك فذهب وبقي الاسم لازما للموضع **وقال** عياض في المشارق
في اخر الموحدة لما ذكر اسماء المواضع بقيع الغرقد الذي فيه مقبرة المدينة سمي بذلك
الشجر غرقد وهو العوسج كانت فيه وكذلك بقيع بطحان والشرف بفتح المعجمة والراء
بعدها فاء المشهور وذكر عياض انه عند البخاري بفتح المهملة وكسر الراء **قال** وفي موطا الامام
مالك ابن انس بفتح المعجمة والراء وكذا رواه بعض رواة البخاري او اكثرهم وهو الصواب **واما**
سرف فهو موضع بقرب مكة ولا بد فيه من الالف واللام والربذة بالراء المهملة المفتوحة

لعله الغرقد

وبعدها يا، موحدة مفتوحة بعدها ذال معجمة. قال ابن حجر بفتح الباء، وهو موضع معروف
بين مكة والمدينة. قال الزركشي في كتاب العلم من حاشية البخاري موضع على ثلاثة مراحل
من المدينة، والصعب هاذا السهل وعلى وزنه وجثامه بجيم مفتوحة وثاء مثلثة مشددة كذا
ضبطه النووي في اول كتاب الحج من شرح مسلم انتهى معنى الابيات بين قال ان اهله بهوى وبشرانه.
بريقة من ظبيانها ومهاتها. الا فيها النحرير منه عرمة منه. فيا في الاوان بان ما قطرانها.
اهل الرجل عشيرته وقرباه، والهوى من معانيه ان يقبل بالشيء مرة ويدبر به اخرى والعرف
خصه بالبشارة بالشيء، يوتى بالمصدر من لفظه للاعلام بها والبشارة بالفرح ومنه ابشر
بكذا افرح به والربق بالكسر حبل فيه عدة عرى تشد بها البهم كل عروة ربقة بالكسر والفتح
وجمعه ربق كعنب وارباق كاصحاب ورباق كجبال وربقه بربقه جعل راسه في الربقة كسفينة
البهيمة المربوقة في الربقة الظبي معروف قال في مختصر العيني في باب الظاء في الثلاثي المعتل
الظبا ضرب من دواب البر على خلقة الكلب قال ولست على يقين منه والمها واحد المها،
وقد تقدم والنحر بر والنحرير بالكسر فيهما قال في القاموس الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن
الفاضل الفطن البصير بكل شيء، لانه ينحر العلم نحرا غريبة قدم على حضرة الامير احمد
باشا رجل منتسب للطلب متعلق بالفتوى يطلب منه توقيعا يقتضي زيادة احترامه
وتوقيره فامر ايده الله تعالى احد كتبته ان يكتب له توقيعا بذلك على عادتهم في مخابرة من انتسب
الى الدين فكتب ما نصه هذا كتاب امير المومنين اكرمه الله بيد حامله العالم العلامة النحرير
فلان يوذن من يقف عليه بزيادة احترامه وتعظيمه الخ فلما تناول الكتاب وفي النحرير
كاد ان يخرج من عقله حمقا وراجع بعض النبلاء واشتكى من الكتاب والامير وتلهف على
غضبهما حقه فبين له معناها فلم يقبله وحمله على ما يودي اليه ركيك فهمه من خلاف
الصواب في الفاظ اللغة وتوهم لبلادته انه وصفه ببيع الحرير لاتفاق اللفظين في اكثر الحروف
اذ راجلة في وصف اهل الذمة لمشاهدته ان غالب سوقتهم يتعاطون بيعته في البلد دون
اهلها والكاتب مخطئ في الحقيقة اذ وصف الرجل بعالم يقع به معناه خطأ ولكنه اجر فما اجتهد
فاخطأ منه اسم فعل معناه انكفف كذا في القاموس والمذمة مفعلة من الذم ضد المدح
قال في القاموس ذمه ذما ومذمة فهو مذموم وذميم وذم ويكسر وضد قم ممدح
والبيت النظير في سبك الابيات. طرابلس لا تقبل الذم انها. لها حسنات جاوزت سيئاتها.
هي لفظ رومي معناه ثلاث مدن كذا ذكره صاحب القاموس قال بعضهم وهو الاشهر وهو
بفتح الطاء وضم الباء واللام وعلى ذالك ادرج احد متاخري ادبائها فقال ايام هجرته
بالجامع الازهر. طرابلس الغراء نرى الى عودة. اليك وهل يدنو الذي كان قد ذهب.
سقى الجانب الشرقي منك سحابه. ولازال فيها من رياح الصبا يهب. بلاد لها يا خلد اية نسبة.

فمن.

ومنها نبات الزعفران كذا العنب • ترا سودها من فضة فاذا اكتست • بشمس الضحى
اضحت بحبتها ذهب • وفي كل حول حولها حلة حلت • فروبتها خضرا من سندس القصب •
وفيها نخيل باسقات اذا الصبا • تهب عليها اسقطت يانع الرطب • وفيها من الاشجار ما جل وصفه •
فيا ورقها الورقا غنت من الطرب • وفي ثغرها طعم الرضاب وعينه • بها التي قد سمت وفضة اية
العجب • فيا حبذا ثغرله النصر خادم • ويا حبذا عين بها الماء قد عذب • امثل تشوقا شكلها
في ضما بري فيسفح دمع الشكاب مشدة التعب • بديعة حسن زادها الله بهجة •
وامرها فيها من الخوف والشغب • لقد عجزت اوصافها كل معرب • وكل الذي املي وكل الذي كتب •
ولكن قصدي مطنب القول انها • تفوق بلاد الغرب طرا والاعجب • وناهيك بالبحر الجديد وسري
يحوزنه دارا بها القلب ملتهب • فلا تلهني ان ارق البين مقلتي • وكادت بي الاشواق تقضي
الى العطب • فان من الايمان والنص شاهد • محبتك الاوطان عن سيد العرب • وكيف
بدار قد حوت كل رفعة • يقوم لهم في العلم باع وفي الادب • ومن فضله لي طويل ووافر •
مديد مدا الايام لا يعتريه عتب • هو الوالد لا زال كاسمه • حسن اخا الحسنى لاحمد ينتسب •
املي من الاحسان احيا ما ثرا • ومن قبله البهلول ذو الفخر والحسب • فيا فالق الاصباح
والحب والنوى • تمد له عمرا طويلا بلا وصب • سقتك ابا ربع الاحبة ديمة • فدوم ولازالت
بك الغيث تنسكب • فيالك من ربع اذا ما ذكرته • اهيم كما الثكلى او شارب الحبب • وذكر
البكري وغيره انها بزيادة الف قبل الطا، وسكون الطا، وكذا هو بخط الاجداب على ذلك قول
احمد بن يحيى من قدما، شعرايها • لقد طال شوقي الى فتية • حسان الوجوه بطرابلس •
وقد قل صبري فما مسعدي • على الشوق الا دمعي المحبس قال التيجاني واختار بعضهم
في الغربية زيادة الالف وفي الشامية اسقاطها وعكس صاحب القاموس فجعل الهمزة
للشامية وقد سكن بعضهم لامها للضرورة وهو الكاتب ابو الحسن على ابن ابي بكر ابن بلال استنادا
لما تقرر في اللغة من تغيير الاسماء الاعجمية للضرورة فقال مجيزا نفسه حين قدمها
متوجها للحج فيصرفه الدهر في بعض خدمها بحسب اشتياقه • ويطلب التخلص مما عاقه •
رسمي قرسي في سيري ولو انه • تخلى من الاوزار وسار وطرابلسي • سعى سعي طماح
لابعد غاية • فكانت له دار المقام طرابلس • والمدن الثلاث التي جعل هذا اللقب
علما لها • لبدة وطرابلس وصبرة ثم غلب على المدينة المعروفة الان التي بساحل البحر
الغربي بين لبدة وصبرة وهي بلدة انيقة حصينة الجرم • اعطا سكانها الشجاعة
وقوة العزم • لا كثر اهلها شبه بالصحابة • فلذا اشربت منهم قلوب الكفرة مهابة • وبالجملة
فهو بلد انيق المنظر فسيح الساحة • جمع منظرة بروبح فلذا يجد القلب فيه راحة
اهلها امطر الله سحايب الرضوان عليهم فتراهم يحبون من جاورهم زادها الله حسنا

بلد المنشية الذي استوى المحاسن واتسع بفناء واذكى منظر الانظر وورقه الاخضر
جنة الخلد واستبرقها . حدق بها من جهة شرقها والغرب . فهي نازلة له وللبحر
منزلة اللب والقلب . جمع من انواع الفواكه ما يعجز عن حصره وتستلذ الشفاه عند
رؤيته او ذكره . قطوفها دانية جنة الا انها فانية . وهي اول بلدة فتح عنوة
بارض المغرب بعد صلح انطابلس وهي برقة صالح اهلها عمرو بن العاص رضي الله
عنه بعد ان قدم عليهم بعد فراغه من فتح الاسكندرية صالحه بربرها على ثلاثة
عشر الف دينار اجرعونها يؤدونها على ان يبيعوا في جزيتهم من اولادهم وكان يسكن
برقة من البربر لواتة وكانت ارض البربر فلسطين وسبب انتقالهم منها الى برقة وارض
المغرب على ما ذكر المؤرخون ان بني اسرائيل لما قتلهم بخت نصر البابلي واخرب بيت
المقدس واستولى على خزائنه والتابوت الذي فيه عصا موسى والسكينة وعمامة
هارون وقد كانوا يقدمونه امامهم في الحرب فينتصرون صعب امرهم على القتال وقويت
عليهم شوكة البربر فلم يزل امر بني اسرائيل في ادبارهم وامر اسرائيل فسالوه كتال
ربك وامر البربر في اقبال حتى نبأ الله شمويل عليه السلام فاتاه بنو اسرائيل فسالوه سل
ربك يبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فسال فاوحى الله اليه اني منزل اليك عصا وقرنا
فيه دهن القدس فضع العصا والقرن حولك فاذا دخل عليك رجل منهم وغلا دهن
القدس فقس نفسه بالعصا فان طابقها فذلك ملكهم الذي يفتح لهم على يديه فصار
اهل بيت الملك يدخلون عليه فلم يغل دهن احد منهم فلما دخل طالوت ولم يكن من
بيت الملك وانما كان سقاء ضل له حمار فخرج في طلبه فلما مر ببيت اشمويل عليه
السلام قال لمن معه الا ندخل بيت هذا الرجل الصالح لعل ببركته نجد ضالتنا فدخلا
فغلا دهن القدس فقاسه بالعصا فطابقه فقال ان هذا ملككم الذي يفتح على يديه
فكان من جوابهم ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن
احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم والله يوتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وان اية ملكه ان ياتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ءال موسى وءال هارون تحمله الملائكة
ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين **وكان التابوت** قد استولى عليه
فلما حل بين اظهرهم تشاءموا فيه فاخرجوه من بين اظهرهم الى قرية اخرى
فاصبح اهلها موتى الكلف البعارة افيد تهم فاخرجوه ودفنوه فقلقت من الارض
فصار كل من بال متوجها نحوه اصابه حصر فاخرجوه وجعلوه في عجلة يجرها ثوران وضربوهما
فاخذهما الملائكة حتى اتت بهما بيت شمويل **فلما** شاهدوا اذعنوا لملكه

املوا

وملكوه عليهم وامرهم بالتاهب لقتال البربر فتاهب معه لقتالهم من بني اسرائيل ثمانون
الف شاب وخرجوا لذلك فاوحى الله الى اشمويل عليه السلام ان مبتليهم فابتلاهم
بنهر ماء بعد قيضهم ونهاهم عن الشرب منه واخبرهم اشمويل عليه السلام ان من
شرب منه ضعف ضعف على لقاء العدو فشربوا منه الا قليلا منهم فلم يجاوزه معه الا اربعة
الاف منهم ايشا ابو داوود عليه السلام وكان له اربعة عشر ولدا اصغرهم داوود عليه
السلام فلما التقى الجمعان جمع البربر وعليهم ملكها جالوت وجمع بني اسرائيل وملكهم طالوت
اوحى الله تعالى الى اشمويل عليه السلام ان هلاك جالوت على يدي ولد من اولاد ايشا فامر
طالوت ايشا باحضار اولاده فاحضرهم الا داوود لصغره فقال اشمويل اتى فيهم
من هلاكه على يديه واستقبحه الكل غيرهم فقال ولد صغير فامر باحضاره فلما حضر
قال هو هذا فامره طالوت بفرس وسلاح فتقلد داوود عليه السلام وركب فلما استوى
عليه نزل ورمى بالسلاح واخذ الة يرمي بها الحجر فمر بحجارة الانبياء فصاحت
به فاخذها حتى مر بحجر موسى فصاح به انا حجر موسى فاخذه ووضعه في الالة وقذف به
جالوت فاصابه فقتله واستولى طالوت على عسكره واموالهم ثم افضى الملك لداوود
عليه السلام واستولى على ارض فلسطين ولما استولى عليها وثبتها اوحى الله
اليه ياداوود ان اخرج البربر من ارضك فانهم خبث الارض فاخرجهم من فلسطين وبعث
بهم من قطع بهم النيل متوجهين لارض المغرب **قال ابن عبد الحكم** كان البربر بفلسطين
في زمن داوود عليه السلام فخرجوا منها متوجهين لارض المغرب حتى انتهوا
الى لوبة ومراقية وهما قريتان من قرى مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء
ولا ينالها النيل فتفرقوا هنالك فتقدمت زناتة مقبلة الى المغرب وسكنوا
الجبال وتقدمت لواتة وسكنت انطابلس وهي برقة وتفرقت في المغرب وانتشروا
حتى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة مدينة صبرة
وجلا من كان بها من الروم من اجل ذلك واقام الافارق وكانوا خدما للروم على صلح
يؤدونه الى من غلب على بلادهم وهم بقوا فارق بن بيصر بن حام فلم يزل كل فارضه الى ان فتح
عمرو بن العاص مصر واسكندرية فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح
اهلها على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها اليه جزية على ان يبيعوا من ابنائهم
في جزيتهم ولم يكن يدخل برقا يوميذ جابي خراج انما كانوا يبعثون بها اذا جاء
وقتها ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة قال الطبري فافتتحها
بصلح وصار ما بين زويلة وبرقة سلما للمسلمين قال ابو العالية الحضرمي سمعت
عمرو ابن العاص يقول على المنبر لاهل انطابلس عهد موفى لهم به **قال ابن عبد الحكم**

ثم سار عمرو ابن العاص حتى نزل طرابلس في سنة اثنين وعشرين فنزل على القبة التي على
الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا ولم يقدر عليها بشيء، وفي ايام حصاره بعث الى ودان
بسر ابن ارطاة فافتتحها سنة ثلاثة وعشرين كذا قال البكري **قلت** ولا خلاف بينه
وبين ابن عبد الحكم لاحتمال ان يكون الحصار اواخر سنة اثنين وعشرين والفتح في ثلاثة
وعشرين على ان ابن عبد الحكم اطلق في الفتح **قال البكري** وكان لها قلعة حصينة والمدينة
دروب وهي مدينتان فيهما قبيلتان من العرب سهميون وحضميون وجامعها واحد
بين الموضعين وبين القبيلتين تنازع وتنافس وعندهم فقهاء وقراء وشعراء واكثر عيشهم
التمر ولهم زرع قليل يسقونه بالنضح ثم خرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا
في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة حتى ابعدوا عن العسكر ثم رجعوا فاصابهم الحر فاخذوا
على ساحل البحر وكان البحر لاصقا بالمدينة ولم يكن بين البحر والمدينة سور وكانت سفن الروم
شارعة في مرساها الى بيوتهم فنظر المدلجي واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة
ووجدوا مسلكا اليها من الموضع الذي حسر منه البحر فدخلوا حتى اتوا من ناحية الكنيسة
وكبروا فلم يكن مفزع للروم الا سفنهم وابصر عمرو واصحابه السلة في جوف المدينة
فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف من مراكبهم وغنم عمرو ما كان
بالمدينة وكان من بصبرة متحصنين وهي المدينة العظمى وسوقها السوق القديم
فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس وانه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم
امنوا فلما ظفر عمرو بمدينة طرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وامرهم بسرعة
السير فصبحت خيله مدينة صبرة وهم غافلون فلما راوا ذلك فتحوا ابوابها لتسرح
ماشيتهم فدخلوها ولم ينج منهم احد واستولى اصحاب عمرو على ما فيها ورجعوا الى
عمرو انتهى ما لابن عبد الحكم وقد اطلق في خروجهم وذكر غيره السبب كما ذكرنا وذكر
غير ابن عبد الحكم ان المدلجي ومن معه لم يدخلوا المدينة وحدهم بل ندبوا معهم جماعة ولما
استولى عليها عمرو وهدم سورها وارتحل عنها الشروس مدينة نفوسة ففتحها
قال البكري وهي مدينة اهلة جليلة وبين طرابلس وشروس خمسة ايام ولم يزل
سورها خرابا الى سنة اثنين وثلاثين ومائة فجدد ما جهة البر عبد الرحيم بن حبيب
المتغلب على افريقية اذ دولة بني امية وتاخر بناؤه من جهة البحر الى سنة ثمانين ومائة
فبني على زمن هارون الرشيد زمن ولاية هرثمة ابن اعين امر افريقية قبله وهو الذي
بناه على يد ثغمة زكريا ابي قادم ثم زاد ابو الفتح زيادة الصقلي متولي طرابلس سنة
خمس واربعين وثلاثمائة في رفعه واتقانه من جهتي البحر والبر من جهة المنصور اسماعيل
بن القائم بامر الله ابن عبيد الله المهدي لعنه الله ولم تزل تحت ولاية بني امية ثم بني العباس

الى ان غلب

تغلب ابو عبد الله الشيعي على اكثر بلاد افريقية وفر زيادة الله بن الاغلب من رقادة
هاربا الى طرابلس واقام بها اياما ثم رجع الى رقادة وولى عليها اخاه ابا العباس علة زيادة
وفصل من المبارك وانفصل الى سجلماسة فلحق بعبيد الله المهدي واخرجه
من سجنها ودعا له بالخلافة سنة سبع وتسعين ومائتين وقدم افريقية وقتل
ابا عبد الله الشيعي وابا العباس اخاه ولما استقامت له الامور جهز جيشا
لطرابلس مع بعض قواده فحاصرها مدة ثم انصرف عنها خائبا ولم يفتحها
فغاض ذلك عبيد الله فوجه اليها ولده ابا القاسم الملقب القائم بامر الله جيشا
وكان ذلك في سنة ثلاث وثلاثمائة فحاصرها وضيق عليهم الى ان نفد طعامهم
وشرابهم وقد كانوا اسعروا شرا ونالوا نصبا وتعبا من عرضه فتنالهم في انفسهم
الا قليلا منهم وغرمهم ما انفق على الجيش في الكراء للعصابة الف دينار وولى نقد بعضهم
ونقد بينهم خليل بن اسحاق من ابناء جندها ومولديها وكانت له صولة وهيبة
وخط قليل من العلم وباع متسع من الادب واستخلف عليها القائم والياس قبله ثم انصرف
عنها متوجها لمصر بجيوشه فلحق بها سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فاخذ
الاسكندرية واكثر الصعيد وكان هو ابوه المهدي قبل ذلك سنة احدى وثلاثمائة
قصد مصر في اربعين الفا ليأخذها فرد خائبا ثم رجع ولم تزل طرابلس في يد بني
تحت ولاية ولاية ابنه المنصور ثم ابنه المعز لدين الله معد الى ان صار مصر
غلاء شديدا ضعفهم وكان ذلك سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد
وفاة كافور الاخشيدي الخصي المكنى بابي المسك كان عبدا حبشيا اسود اشتراه
محمد الاخشيد بن طغج التركي الفرغاني المتغلب على مصر زمن الراضي العباسي فانه
ملكها قهرا ثم وصل التقليد من الراضي عن كبره وقد كان كافور هذا تولى ملك
مصر بعد وفاة ابني سيده ابي القاسم وابي الحسن وكانت في صفر سنة خمس وخمسين
وثلاثمائة فاقام سنتين واربعة اشهر وكان يدعى له على المنابر بمصر والشام
والحجاز وله مآثر حميدة ودين بالقراءة وكان خبيرا بالسياسة فطنا ذكيا
جيد العقل يداري ويخدع وكان يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله اليه ويذعن
لطاعة بني العباس وقد وقعت في ايامه زلزلة فعرا الناس وجل فانشد بعض الشعراء
فقال ما زلزلت مصر من خوف يراد بها لكنها رقصت من عدلكم طربا. ولما
مات تولى ابو الفوارس احمد بن علي الاخشيدي وكان صغيرا لم يحسن الامور
ولم يبق بمصر من يجتمع عليه الغلو بعد كافور واصابهم الغلاء وكانت للمعز
جواسيس بمصر في ايام كافور يراسلونه انه ان زال الحجر الاسود ملكت الدنيا

ويعنون به كافور فلما مات ارسل المعز بوجه البهي جوهر القائد في مائة الف فدخل
مصر بلا قتال فلما وطئ مصر وارتفعت منها الخلافة العباسية بنا له القاهرة معاندة
لبغداد بني العباس سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وشرع في بناء الازهر سنة تسع
وخمسين وثلاثمائة واتم بناءه في سابع رمضان سنة احدى وستين ولما بلغه اتمامها
انتقل اليه المعز لدين الله محمد بن المنصور بن اسماعيل بن القائم بامر الله بن المهدي
بالله عبيد الله بن الحسين بن محمد بن قداح وهو اول ملوك العبيديين تولى خمسة وعشرين
سنة وثلاثة اشهر وكانت ولايته سنة سبع وتسعين ومائتين وهو الذي بنى مدينة
المهدية بافريقية واليه تنتسب ثم تولى ابنه القائم بامر الله ارض المغرب وافريقية
وطرابلس اثني عشر سنة وسبعة اشهر ثم تولى ابنه المنصور مملكته اثنين وثلاثين
سنة ثم تولى المعز المغرب وافريقية وطرابلس ومصر اربعا وعشرين سنة وكان
انتقاله لمصر سنة اثنين وستين وثلاثمائة كذا ذكر الشيخ مرعي في تاريخه مدة تولي
كل منهم ولم اره لغيره ولا يصح شيء من ذالك لمن تامل كلامه وذالك انه اتفق على ان عبيد الله
المهدي دعي له بالخلافة سنة سبع وتسعين ومائتين وهو بسجلماسة ثم قدم
افريقية وافتتحها من يد الشيعي وفي سنة احدى وثلاثمائة جهز لطرابلس ومصر
جيشا فعاد خائبا كما مر وحاصر طرابلس سنة ثلاثة وثلاثمائة على يدي ابنه القائم
بامر الله فافتتحها ولحق بمصر سنة ست وثلاثمائة واخذ الاسكندرية واكثر الصعيد
ثم انتقضت وقد ذكر ان مدة توليتهم غير المعز تسعا وستين سنة وعشرة اشهر
منها ثلاثة تكملة الثلاثمائة وبقيت سبعة وستون وثلاثمائة الا اشهر فمقتضى
ذالك ان ولاية المعز كانت فيها وقد ذكر ان المعز انتقل الى مصر بعد ان افضى اليه
الملك سنة اثنين وستين وثلاثمائة واقام في الملك اربعة وعشرين عاما وهو
مقتضى اول ابتداء ولاية المعز كان في سنة سبع وستين فهي كما له اولا واخرا تنافر
لا يخفى ولما انتقل المعز سنة اثنين وستين وثلاثمائة من دار ملكه التي هي
صبرة الى مصر وعزم على اتخاذها دارا لملكه وكان بيده ما يزعمونه عنده اثارة
من علم الحدثان عرف بها مصاير احواله واهل الثقة من اعيان رجاله وكانت
عنده علامة لخليفته بافريقية اذا صار اليه ملك مصر يانس بها انس الكبير بذكرى
شبابه ويعرفها عرفان العاشق بديار احبابه دعى زيري بن مناد وهو يومئذ
من صنهاجة بمكان السنام من الغارب وبمنزلة الوجدان من نفس الطالب وكان
له عشرة من الولد فقال ادع لي بنيك فقد طمحت بل عملت رايي فيهم وفيك وكان
اصغرهم سنا واهونهم عليه شانا يوسف يدعى بينهم سواء فلما حضرهم

بين يديه

بين يديه نظر في وجوههم فانكرها حين فقد تلك العلامة فلم يرها فقال للزيدي هل
غادرت من بنيك احدا جلست اراهم ههنا منهم ابدا ولا بد الا فقال الا غلاما
وطيف بجفو نشانه والغدار عنانه واعانه وبطوي اخباره والاختبار يزيد عليه
مداره فقال له المعز الا اراك حتى اراه فلست ادبر سواه فلما راه عرفه
وفوض اليه من حينه واستخلفه وتوجه لمصر ومعه القوم وخمسماية حملا موسوقة
ذهبا وحمل توابيت ابايه صحبته ودفنهم بالقاهرة فهو فلا رحمه الله ولا رحم
اباه فاستولى من وقته على الامور وزحمت معاينه الاهواء في الصدور وبعد
اسعاره واشتهر اخباره واشتمل على طرق الايام والليالي ايراده واصداره ثم اجاب
صوت مناديه وخلع الامارة على اعطاف بنيه انتهت منهم الى المعز بن باديس ووقع
امارتهم على ابي بقية استولى على طرابلس بنو خزرون الزناتيون ووقعت بينهم
وبين الصنهاجيين حروب كثيرة من يريد ذلك فليراجع تاريخ الرقيق فان فيه غرايب ولما
استولى المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بن زيري بن مناد اول ما افتتح به شانه علة هناد
وثبت به زعم سلطانه اذاية الرافضة اشياع بني عبيد شيعة وبلغ ذلك ابا القاسم
احمد بن علي الجرجاني وزير الظاهر بن الحاكم العبيدي الذي بنا جامع عمرو بن العاص
تنور فيه ماية الف درهم فضة وبعث له من القصر الف وماية وتسعين مصحفا منها
ما هو مكتوب كله بالذهب فصرفها وبنا الجامع الحاكمي وسماه الانور بين باب النصر
وباب الفتوح وهو الان خراب فبنا سميسه على شفا جرف هار وكان قاضيه يكتب على
السجل قاضي القضاة عبد الله الامام الحاكم امير المومنين صلوات الله عليه وعلى اله ابايه
الطاهرين على القاهرة المعزية ومصر والاسكندرية واجناد الشام والرحبة وبرقة
والمغرب واعمالها قال المورخون لم يل مصر بعد فرعون شر من الحاكم رام ان يدعي
الالوهية وصار قوم جهال اذا راوه قالوا يا واحد يا احد يا محيي يا مميت وامر الرعية بالقيام
له عند ذكر اسمه في الخطبة وغيرها في مواضع الاجتماع وكان كثير التلون لعنه الله مرة
يامر ببناء الكنايس ومرة بهدمها وبنى المدارس وجمع فيها الفقراء والمشايخ وبقتلهم
وتخريبها ومرة يامر بقتل الكلاب وحرم الملوخية ويغلق الاسواق نهارا ويامر بفتحها ليلا وله قبايح
كثيرة وكانت دولة بني عبيد الناجمين دولة ردية تنتسب لفاطمة الزهراء رضي
الله عنها كذبا وافتراء وعزوهم في ذلك نسبتهم الى الحسين بن محمد بن قداح كان مجوسيا وقيل
يهوديا فظنوا انه الحسين بن علي رضي الله عنهما وانما هم زنادقة مجوس او يهود وعلى
ذلك اكثر المورخون وبهم ارتفعت الخلافة العباسية من مصر سنة ثمان وخمسين وثلاثماية
كما ذكرنا وتسمى الظلمة بالخلافة وامراء المومنين واقاموا مذاهب الرافضة والشيعة

وعطلوا الحدود وأباحوا الفروج وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء وفي مدتهم لعنهم الله قبحوا
أئمة السنة قتلا ونفيا وتشريدا وأوذي العلماء بالتآليف فمنهم أبو شامة أفردهم بكتاب
سماه كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والكيد. وكتاب لبعض أجلة بغداد من العلماء
فيهم أيام الحاكم كتبا بأنه أنهم ليسوا من ولد علي بن أبي طالب وإنما هم كفار وفساق وملحدون
وزنادقة ومعطلون وللإسلام جاحدون عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وسفكوا الدماء وسبوا
الأنبياء الخ وقال الرعيني أجمع علماء القيروان أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة
لما أظهروا من خلاف الشريعة وقال أبو الحسن القابسي إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه
من العلماء أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت فيا حبذا لو كان
رافضيا ولكنه زنديق وقال تقي الدين بن تيمية بقي ولاة القاهرة نحو مائتي سنة على
غير شريعة الإسلام وكانوا يظهرون أنهم رافضة وهم في الباطن إسماعيلية ونصيرية
وقرامطة وباطنية كما قال الغزالي في كتابه في الرد عليهم ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه
الكفر المحض والذي يوجد في بلاد الإسلام من الإسماعيلية والنصيرية والقدرية من أتباعهم
وكانوا هم بالقاهرة يستوزرون مرة يهوديا ومرة نصرانيا أرمنيا فبذلك كثرت الكنائس
والديور في أرض المسلمين وكانوا ينادون في القصر بمصر من لعن الصحابة فله دينار وإردب
وكانوا من أشر الخلق فيهم قوم زنادقة دهرية لا يؤمنون بالآخرة ولم يستوزر أحد منهم
مسلما على مقتضى كلام ابن تيمية إلا الظاهر لإعزاز دين الله علي ولد الحاكم فإنه استوزر أبا القاسم
أحمد بن علي الجرجرائي أحد رجال الدنيا سياسة ودهاء في بعد غور ونفوذ مكر ولما
بلغه أن المعز بن باديس أشاع في بلده سب بني عبيد وكان متسميا للمعز معرضا
بالتحزب معه على بني عبيد فانتهى أمر المعز في أذية أتباعهم وإذايتهم حتى بداهم بالقتل
وصرح بلعن بني عبيد على المنابر وراسل أمير المؤمنين القائم بأمر الله عبد الله بن القادر
بالله أحمد بن المقتدر بالله ابن المعتضد بن الموفق بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم
بالله محمد بن المأمون عبد الله بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد
بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ببغداد وخطب له ببلاد المغرب
وأفريقية وكتب له القهر وأرسل له الخلعة واللقب على طريق القسطنطينية قبل وكتب
المعز للجرجرائي لما كان يظن به من التحزب معه على بني عبيد قطعة تمثل فيها يقول
وكيف صحبت قوما لا خلاق لهم. لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا فحظه بتشنيع ذلك لبني
عبيد ويزعم أنه إنما بقي عليهم بعض الإبقاء من أجل حبه فلما وقف الجرجرائي عليها
قال ألا تعجبون من هذا الأمير صبي مغربي بربري يحب أن يخدع شيخا بغداديا عربيا
وانقصد بأنه إنما فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم إن عثروا على هذه الرموز فأقسم
لأجيبنه

لاجنب اليه ولا تحملت فيه نصبا وكان المستنصر العلوي صاحب مصر بلغه ما فعل المعز من قطع
الخطبة له وخطبته للقائم بامر الله فكاتب المعز وتهدده فلما بلغ كتابه المعز اغلظ عليه
في الجواب فكلف الوزير الجرجرائي على ما ذكر ابن بسام العرب في العبور اليه وكانت بطون من بني
عامر بن صعصعة زغبة وعدي والاثبج ورياح وغيرهم تنزل بالصعيد لا يبيح لهم بالرحيل
ولا يخلي بينهم وبين اجازة النيل فافرج لهم الجرجرائي عن السبيل واذن لهم في المعز امنية
~~طالما~~ طالما سرت اليها اطماعهم وعلقت عليها اسماعهم وابصارهم فخشيه
منهم سبيل العزم ورضاه منهم بدولون ابنت الرفع فيتطاولون العزبهم اولا فيشغلهم بخدمته
واثقلهم بالعيال نعمته وهم في اثناء ذلك يتمرسون بحياته ويدبون الى انصاره وحماته
ويطلعون على مقاتله وعوراته حتى بان لهم شانه وهان عليهم سلطانه فجاهروه بالعداوة
واراد وكر على الاناوة فاغضى الجرجرائي اهل افريقية بربيعهم حاجة كانت في نفسه من ابتساره
هذه البلاد تعجل قضاها انتهى ما لابن بسام باختصار وقال ابن الاثير ان الذي
اقطع العرب النيل الوزير اليازوري استوزره المستنصر العلوي ولم يكن من اهل الوزارة وانما
كان ذلك من اهل النيابة والفلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله كان يخاطبهم
بعبيده فخاطب اليازوري بصنيعته فعظم عليه ذلك وعاتبه فلم يرجع الى ما يجب فاكثر
الوقيعة في المعز واغرى به المستنصر فشرع في ارسال العرب الى الغرب فاصلحوا بين بني زغبة
ورياح وكانت بينهم حروب وحقود واعطوهم اموالا وامروهم بقصد القيروان وملكوهم كلما
يفتحونه ووعدوهم بالمدد والعدد واختلف فيما اعطوهم من المال فقيل لكل بدنة ودينار
~~واختلف~~ وقيل غير ذلك فدخل العرب افريقية وكتب المعز بالله اليازوري الى المعز اما بعد فقد
ارسلنا اليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله امرا كان مفعولا
فلما دخلوا برقة وما والاها وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الاهل لان زناتة كانوا اهلها
فابادهم المعز فاقامت العرب بها واستوطنوا فيها وكانوا في اطراف البلاد وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم
وكان المعز لما راى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد ووضع لهم في العطا
فاجتمع له ثلاثون الف مملوك وافلقت العرب فملك بنو زغبة مدينة طرابلس سنة ست
واربعين واربعمائة فتتابعت رياح والاثبج وبنو عدي الى افريقية واقطعوا السبيل
وعثوا في الارض وارادوا الوصول الى القيروان فقال موسى بن يحيى المرداسي ليس العمارة
عندي بارض فقالوا كيف تحب ان تصنع فاخذ بساطا فبسطه ثم قال لهم من يدخل الى وسط
هذا البساط من غير ان يمشي على طرفه قالوا لا يقدر على ذلك فقال فهكذا القيروان
خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى الا القيروان فخذوها قالوا انك لشيخ العرب واميرها وانت
المقدم علينا ولسنا نقطع امرا دونك ثم قدم امراء العرب الى المعز فاكرمهم وبذل لهم

شيئا كثيرا فلما خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل لهم من الاحسان بل شنوا الغارات
وقطعوا الطريق وافسدوا الزرع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الامر
وساءت احوالهم وانقطعت اسفارهم ونزل بافريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط فعند
ذلك احتفل المعز وجمع عساكره وكانوا ثلاثين الف فارس ومثلها رجالة وساروا
من دار مملكته وهي صبرة وهل هي زواغة التي هي مدينة بينها وبين طرابلس
مسيرة يوم وزواغة وصف لها وليس يعلم هو صبرة او هي صبرة التي بافريقية وهو
الاظهر حتى قدم جندار جيل بينه وبين القيروان ثلاثة ايام وكانت عدة العرب ثلاثة
الاف فارس فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد وحال المعز هالهم ذلك وعظم
عليهم فقال موسى بن يحيى ما هذا يوم فرار اليوم يوم الكبير والتحم القتال واشتد الحرب
فاتفقت صنهاجة على الهزيمة وتركوا المعز مع العبيد حتى يروا قتالهم ويقتل اكثرهم
فعند ذلك يرجعون فانهزمت صنهاجة وثبت المعز مع العبيد حتى قتل منهم خلق كثير
وارادت صنهاجة الرجوع فلم يمكنهم ذلك واستمرت الهزيمة وقتل من صنهاجة خلق
كثير وانتقل المعز الى القيروان مهزوما على كثرة من معه واخذ العرب الخيل والخيام وما فيها
من المال وغيره وما فيها يقول علي بن رزق الرياحي اولئك الاعراب في قصيدة :.
:. وان ابن باديس لاحزم مالك . ولكن لعمري ما لديه رجال . ثلاثون الفا منا غلبت لستة :.
:. ثلاثين الفا ان ذا لنكال . وكان توجيههم لارض المغرب من مصر سنة اثنين واربعين واربعمائة
ولقيهم المعز وجيشه سنة ست واربعين واربعمائة ولما دخل القيروان مهزوما
جمع في يوم النحر من هذه السنة سبعا وعشرين الف فارس الى العرب جريدة
وسبق خبره فهجم عليهم وهم في صلاة العيد فركبت العرب خيولها وحملت فانهزمت
صنهاجة وقتل منها خلق كثير ثم جمع المعز وخرج بنفسه في صنهاجة وزناته
في جمع كثير فلما اشرف على بيوت العرب وهي قبلي جندار انتشبت القتال واشتعلت
نار الحرب وكانت العرب سبعة الاف فانهزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم الى منزله
وانهزمت زناته وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتا عظيما لم يسمع بمثله
ثم انهزم وعاد الى صبرة التي هي المنصورية وحصي ما قتل من صنهاجة ذلك
اليوم فكانوا ثلاثة الاف وثلاثمائة ثم اقبلت العرب حتى نزلت مصلى القيروان ووقعت
الحرب فقتل من رقادة والمنصورية خلق كثير فلما رأى ذلك المعز اباحهم دخول القيروان
لما يحتاجون اليه من بيع او شراء فلما دخلوها وقعت فتنة عظيمة بين اهلها والعرب
ادت الى حرب وكان سببها فتنة بين عوام البلد وبعض العرب فكادت العرب وكان
المعز سنة اربع واربعين بنى سور بلد القيروان وفي سنة ست واربعين واربعمائة
حاصرته

علم رجادة لان هذا الاسم علم على قبيلة من العرب مذكورة في كتب التواريخ

حاصرته العرب بالقيروان آخرها كما تقدم وأشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهدية لعجزه
على حمايتهم من العرب وأقام المعز والناس ينتقلون الى المهدية الى سنة تسع
واربعين واربعمائة فانتقل اليها في شعبان فتلقاه ابنه تميم وكان المعز قد ولاه عليها
خمسة واربعين واربعمائة احسن قبول وكانت وقعة بين عبيد تميم وعبيد المعز
وقعة ذلك لها عبيد المعز وكانوا يبلغون المعز أن ابنه ما يكره فلما رآه رأى ما يسره
منه وسلم اليه الامور فنزل بها المعز الى سنة ثلاث وخمسين واربعمائة فتوفي رحمه
الله وكان ملكه سبعا واربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثمان
سنين وستة اشهر وكان رقيق القلب خاشعا مجتنبا لسفك الدماء الا في حد حليما يتجاوز
عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده واصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطايا
لهم كريما وهب مرة مائة الف دينار للمستنصر الزناتي كان عنده وقد جاءه هذا
المال فاستكثره فامر به فافرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم امرت باخراجه من اوعيته
فقال لئلا يقال لو رآه لما سمحت به نفسه وكان له عشر خمس ولما مات رثاه الشعراء
ومنهم ابو الحسن ابن رشيق فقال

لكل حي وان طال المدى هلك ● لا عز مملكة يبقى ولا ملك ● ولى المعز على اعقابه فرعى ●
او كاد ينهد من اركانه الفلك ● مضى فقيرا الى ما في خزائنه ● فها الملوك وما ادركه ما ملكوا ●
ما كان الا حساما سله قدر ● على الذين بغوا في الارض وانهمكوا ● كانه لم يخض للموت بحر وغى ●
خضر البحار اذا قيست به برك ● ولم يجد بقناطير مقنطرة ● قد نوهت باسمه الدنيا بها الملك ●
روح المعز وروح الشمس قد قبضا ● فانظر بأي ضياء يصعد الفلك ● ولما توفي
ملك ابنه تميم وكان مولده بالمنصورية منتصف ● من سنة اثنين وعشرين واربعمائة واستقل
بالملك واتخذ المهدية لانها محل ولايته في حياة ابيه كما ذكرنا ولما [illegible] بالملك سلك
طريقة ابيه في حسن السيرة ومحبة اهل العلم الا ان اعمال ابيه الذين في البلدان قد طمعوا
في الاستقلال بالملك بسبب تغلب العرب وكانت هيبته في بلاد بني حماد وهم ابناء المعز
فلما كان من الاعراب فلما مات ازداد طمع العمال في الاستقلال واظهر كثير منهم الخلاف
فمن اظهر الخلاف عليه القائد حمو ابن مليك قائد صفاقس واستعان بالاعراب ووقعت
بين اصحاب تميم وحمو وقعة كانت لاصحاب حمو على اصحاب تميم وكان مطوي عن كاتبه
لحمو وكان بليغا مشهورا بالبلاغة وحسن الكتابة وكان يكتب عن حمو الى تميم ما
يغيظه ويبلغ منه كل مبلغ فلما كانت بين اصحابهم الوقعة المذكورة واستاصل فيها
اصحاب حمو اصحاب تميم كتب مطوي الى تميم كتابا تمثل فيه بقول ابي الطيب المتنبي
عفا الله عنه ● وان الحسام الخطيب الذي ● قلتم به في يد القائل ● فان كان اعجبكم عامكم ●

فيعود والى مصر في القتال وكان قد تحدث في المهدية بموت حمو وبلغ ذلك حموا فامر مظفر
ان يكتب الى تميم في هذا المعنى فكتب متمثلا بقول ابي الطيب المتنبي فقال ::
. فقد فقدت وكم اقبرت عندكم . ثم انتفضت فزال القبر والكفن . ما كل ما يتمنى المرء يدركه .
. تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . كتب تميم لحمو رقعة يوعده ويتهدده وتمثل فيه بقول
الشاعر . تعلم علما لتدين به . واترك غير ما تريد الغاية . فراجعه عنه المظفر متمثلا
بقول قيس بن الذريح . ستعلم ان شطت به غربة النوى . وزالوا بليلى ان عقلك زايل وقيل
انه تمثل في مراجعته عن هذا الكتاب بقول جرير . زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا . ابشر
بطول سلامة يا مربع . **قلت** وهذا اظهر في الجواب من ذلك وكتب تميم الى حمو باثر
وقعة كانت لتميم عليه كتاب ايناس والطاف فراجعه في الجواب مظفر متمثلا بقول
عبد الله بن محمد القصار . لا انطفى امرء عصمه بسبب . ثم انقضى ذلك السبب . سالم
الصدر من الغدر . كثير الود ولم يبد الغضب . كرماد النار يبقى حرها . كلما فيه
ولو زال اللهب . وبعد ذلك تاكدت الوحشة بينهما واستعان حمو بالعرب وقصد حصار
المهدية فخرج اليه تميم واصحابه واقتتلوا فانهزم حمو واصحابه وكثر القتل فيهم ونجا حمو
بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين واربعماية وكان التقاؤهما
بسلقطة وبها كانت الوقعة ثم سار تميم الى سوسة وكان اهلها خالفوا اباه المعز
وعصوا عليه فملكها وعفا عنهم وفي سنة وخمسين من التاريخ المذكور وقعت
بين تميم والناصر بن علناس الصنهاجي حروب عظيمة وكان سببها ان حماد بن مالك
الناصر كان بينه وبين ابن عمه باديس بن المنصور ابي المعز تميم خلاف وشقاق
اوجب مسير باديس اليه وحاصر حماد ولولا تلك القلعة لاخذه سريعا ومات باديس
وهو محاصر لها وتولى ابنه المعز فبايعه حماد على ضغن منعه من اظهاره العجز
ومات وتولى ابنه القايد فدخل تحت طاعة المعز على ما كان عليه ابوه وكان يضمر
الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك الى ان رأى قوة العرب ومانال المعز
منهم من خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين
ابن محمد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكان منهم محصورا
بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم **فلما** رجع المعز من صبرة والقيروان الى المهدية
تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من اهلها الى بلد بني حماد
لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت اموالهم وبقيت
في نفوسهم الضغاين من باديس ومن بعده من اولاده يرثها صغير عن كبير الى ان
ولي تميم الامر بعد ابيه فاستبد كل من هو ببلد او قلعة من عمالهم بمكانه وتميم

بداره

ويتجلد حتى اتصل بالناصر ابن علناس فيقع فيه في مجلسه ويذمه وانه عزم على المسير
اليه ليحاصره بالمهدية وانه خالف بعض صنهاجة وزناتة ليعينوه على حصار
المهدية فلما صح ذلك عنده ارسل الى بني رياح فاحضرهم اليه وقال انتم تعلمون ان المهدية
حصن اكثره في البحر لا يقاتل منه في البر غير اربعة ابراج يحميها وانما جمع الناصر هذه
العساكر ليسير اليكم فقالوا له الذي قلته حق ونحب منك المعونة فاعطاهم المال
والسلاح من السيوف والرماح والدرق فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا على قتال
الناصر وارسلوا الى من مع الناصر من بني هلال يقيموا عندهم مساعدتهم للناصر
ويخوفونهم منه انه قوي وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وانه انما يستتم
له الملك والاستيلاء على البلاد ان زاغ الخلف وضعف السلطان فاجابهم بنوا هلال
الى الموافقة وقالوا اجعلوا لنا جعلة نحملوها علينا ونحن ننهزم بالناس ونعود
عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فاجابوهم لذلك واستقر الامر وارسل المعز بن زيري
الزناتي الى من مع الناصر من زناتة فيخوفهم بنحو ذلك فوعدوهم ايضا ان ينهزموا فرحلت
رياح وزناتة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبني هلال فالتقت
العساكر بمدينة سبيبة فحملت رياح على بني هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت
الطائفتان وتبعهم عسكر الناصر منهزما ووقع فيهم القتل فقتل من قتل منهم القاسم
بن علناس اخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة اربعة وعشرون الفا
وسلم الناصر في نفر قليل وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح
ودواب وغير ذلك واقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب
ملك البلاد فانهم قدموها في ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا ذلك وكثرت دوابهم
وسلاحهم وقل الخاسر في البلاد وارسلوا الاموال والسلاح وخيم الناصر بدوابه
الى تميم يردها يقول ان اخذ سلب ابن عمي بارض العرب بذلك وعلناس بفتح
العين المهملة واللام والنون وبعد الالف سين مهملة ولما كانت هذه الوقعة
بين بني حماد والعرب وقويت شوكة العرب اهتم تميم بذلك واصابه حزن شديد
فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه ابو بكر بن ابي الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق
بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر الم اشد عليك الا تقصد ابن عمك وان تتفقوا
على العرب فانكما لو اتفقتما لم تخرجنا العرب فقال الناصر صدقت ولكن الامر كان قدر
فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب في الاصلاح
فقبل تميم قوله واراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار اصحابه فاجمع رأيهم
على محمد بن البعبع فقالوا هذا رجل غريب وقد احسنت اليه وحصل له منك الاموال والاملاك

فاحضره واعطاه دوابا وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى موضع بجاية
وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد ابن البعبع وقال في نفسه ان هذا
المكان يصلح ان يكون مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما وصل دفع الكتاب وادى
الرسالة وقال للناصر مع وصية اليك واحب ان يخلى المجلس فقال الناصر انا لا اخفي على وزيري
شيئا فقال بهذا امرني الامير تميم فقام الوزير ابو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول
يا مولاي ان الوزير مخامر عليك وهواه مع الامير تميم لا يخفي عنه من امورك شيئا وتميم
مشغول مع عبيده وقد استبد بهم واخرج صنهاجة وغيرها ولو وصلت بعسكر الى
المهدية ما لاقيها لبغض الجند والرعية لتميم انا مشير عليك بما تملك به المهدية
وغيرها وذكر له عمارة بجاية واشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال
له انا انتقل اليك باهلي واولادي ولذلك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع
الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية واراه موضع
الميناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسار
بذلك وشكره وعاهده على وزارته ان عاد اليه ورجعا الى القلعة فقال الناصر لوزيره ان
هذا الوزير الرسول محب لنا وقد اشار ببناء بجاية ويريد الانتقال الينا فكتب له
جوابا كتبه فبعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث جدد بناء بجاية عقيب
مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول طالب من الناصر ان يرسل
معه بعض ثقاته ليحقق هذه الاخبار ويعود بها فارسل معه رجلا يوثق به فكتب
معه انه لما اجتمعت بتميم لم يسئلني عن شيء قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم
امرها عليه وقد انهضت فانظر من تثق به من العرب ان ترسل الى موضع كذا
فانه سائر اليهم مسرعا وقد اخذت عهود زويلة وغيرها على طاعتك وسير
الكتاب فقراه الناصر وسلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره واثنى
عليه وقال لقد نصح وبالغ في الخدمة فلما تاخر عليه انفاذ العرب ليحضر معهم
ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة من الكتاب وارسل الكتاب الذي بخط
الرسول الى تميم وكتب فيه ما يذكر له الحال من اوله الى اخره فلما وقف تميم على الكتاب
عجب من ذلك وبقي يتوقع له سبيلا ياخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه في الليل
والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض اوليائه الى الحسن الى تميم واخبره ان الرسول
صنع طعاما واحضر عنده الشريف القهري وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه
فاحضره تميم وقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعاني فلما حضرت
عنده قال انا في خدمتك احب ان تعرفني مع من اخرج من المهدية فمنعته من ذلك
وهو

وهو غائب فاوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وامر فاحضاره فحضر الشريف فلما وصل
الرسول الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين يسيرهم الناصر ومعهم الناصر
فامرهم اليه فالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعبع سقطت
الكتب منه فاذا عنوان احدهم من الناصر بن علناس الى فلان فقال تميم من ابن هذا
الكتاب فسكت فاخذها وقراها فقال ابن البعبع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك
وامر بقتله فقتل وغرق جثته وجهز الامير تميم في سنة ثمان وثلاثين واربعمائة
جيشا لطرابلس فاخذها بعد المعز **وكان** سببه ان اهلها كانوا كارهين
لواليها من قبله ولم يزل يده عليهم فلما وصل اليها شاه ملك من ملوك مصر
ملكوه من البلاد وملك شاه هذا من الاولاد بعض امراء الاتراك ببلاد المشرق
خالف في بلاده امرا فاقتضى خروجه منها فسار الى مصر في ماية فارس زمن الافضل
امير الجيوش فاكرمه واعطاه اقطاعا واموالا ثم بلغهم عنه اشياء توجب
اخراجه من مصر فخرج هو واصحابه فارين واحتالوا حتى اخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا
الى المغرب فوصلوا الى طرابلس فملكوها بواسطة بعض اهلها واخرجوا واليها
فلما سمع تميم الخبر جهز اليها العساكر وضيقوا على الاتراك الذين بها ففتحوها
ووصل شاه ملك معهم الى المهدية فسر به تميم وفرح به وقال قد ولد لي ماية ابن انتفع
بهم وكانوا لا يخطي لهم سهم فلم تطل المدة حتى جرى لهم امر غير تميم عليهم فعلم
شاه ملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم في الصيد في جماعة من اعيان
اصحابه نحو ماية فارس ومعه شاه ملك وكان تميم قد قدم اليه الا يغرر بشاه ملك
فلم يقبل فلما ابعدوا في طلب الصيد غدر به شاه ملك وقبض عليه وسار به وبمن اخذ
من اصحابه الى سفاقس فبلغ الخبر تميم فركب وسير العساكر في اثرهم فلم يدركوهم
ووصل شاه ملك بيحيى بن تميم الى سفاقس فركب صاحبها حمو بن مليك ولقي
يحيى ومشى في ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فاقام عنده اياما
لم يذكر له ابوه بالكلية **وكان** قد جعله ولي عهده فلما اخذ اقام ابوه مقامه
ابنا له اخر اسمه المثنى ثم خاف حمو من يحيى على نفسه ان يثور معه الجند واهل
البلد ويملكوه عليهم فارسل الى تميم كتابا يسأله انفاد الاتراك واولادهم ليرسل
اليه ولده يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه ابوه عنده مدة ثم اعاده
الى حاله ورضي عنه وجهز معه عسكرا الى سفاقس فسار اليها وحصرها برا
واقام عليها شهرين وضيق على الاتراك فيها واستولى عليها بعد ان فارقها
الاتراك الى قابس ولما اخذ المحصد اخاه المثنى اخرجه تميم من المهدية فصعد

الامير مكرين كامل الدهماني بسفاقس وحسن له الخروج الى سفاقس والمهدية واطمعه
فيها وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكرم ما يمكنه جمعه وساروا الى سفاقس فبلغهم
ان جند تميم قد قدم البحر وانهم لا طاقة لهم به فساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها
وكان الذي تولى قتالهم من اهل المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة
وحرموا حسن التدبير فلم يبلغوا منها غرضا وعادوا ورجعوا خائبين وتلف ما كان مع
المثنى من مال وغيره وعظم امر يحيى وصار هو المشار اليه وتوفي تميم في رجب
سنة احدى وخمسمائة شجاعا ذكيا له معرفة حسنة حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة
عفا على مظفر كاتب حمو الذي كان يكتب لتميم عن حمو ما يغيظه ويبلغ منه كل مبلغ
لما وصل اليه حين برحوا الى سفاقس وقد كان دخل عليه وهو لا يشعر وخر مثل بين يديه
طلب العفو ~~فعفا~~ فعفا عنه مع شدة غضبه عليه ومثل هذا الذنب لا يغفره الملوك
بل يتزايد به الى العقاب ويؤدي ذلك الى ضرب الرقاب وكان له شعر حسن فمنه
انه وقع حرب بين طائفتين من العرب عدي ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا واهدروا
دمه وكان صلحهم مما يضر به وبيلاده فقال ابياتا يحرض على الطلب بدمه وهي هذه
• متى كانت دماؤكم تطل • اما فيكم بثار مستقل • اغانم ثم سالم ان فشلتم • فما كانت
اوايلكم تذل • وتمتم عن طلاب الثار حتى • كأن العز فيكم مضمحل • ولا سكرتم فيه العوالي •
ولا بيض تفل ولا تسل • فعمد اخ المقتول حين سمعها فقتل اميرا من عدي واشتد بينهم
القتال حتى اخرجوا بني عدي من افريقية ومن محاسنه انه اشترى جارية بثمن كثير
فبلغه ان مولاها الذي باعها ذهب عقله واسف على فراقها فاحضره تميم بين يديه
وارسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات واواني الفضة وغيرها ومن الحلي شيء كثير
ثم امر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم فلما وصل الى داره وراها على تلك الحالة خر مغشيا
عشيه عليه لكثرة سروره ثم افاق فلما كان من الغد اخذ الثمن وجميع ما كان عليها وعاد
الى دار تميم فانتهره وامره باعادة جميع ذلك الى داره وكان لديه البلاد اصحاب
اخبار لهم ارزاق كثيرة ليطالعوه باحوال اصحابه لئلا يظلم الناس فكان بالقيروان تاجر
له مال وثروة فذكر بعض الايام التجار تميما ودعوا له وذلك التاجر حاضر فترحم
على ابيه ولم يذكره فرجع ذلك الى تميم فاحضره الى قصره فسأله هل ظلمك
بعض اصحابي قال لا قال ~~فهل ظلمتك~~ فلم اطلقت لسانك بالامس بذمي ثم قال له لولا
ان يقال يشد كمه ماله لقتلتك ثم امر به فصفع بحضرته قليلا ثم اطلقه فخرج واصحابه
ينتظرونه فسألوه ما الخبر فقال اسرار الملوك لا تذاع فكانت بافريقية مثلا وكان
عمره ستا وسبعين تولى منها ستا واربعين سنة وعشرة اشهر وعشرين يوما

وخلف

وخلف من الاولاد الذكور ما يزيد على المائة ومن الاناث ما يزيد على الستين ولما
مات تولى ابنه يحيى في رجب من السنة المذكورة وكان عادلا في رعيته ضابطا لامور
دولته رحيما بالضعفاء والفقراء كثير الصدقات يحب اهل العلم والفضل وكان عالما
بالاخبار وايام الناس والطب وكان حسن الوجه اشهل العينين لا طويل ولا قصير
ولما استقر في الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان اهلها يقطعون الطرق
ويأخذون وينهبون اموال اهل التجارات فحصرها وضيق على من فيها حتى دخلوا تحت طاعته
وحكمه وزال الظلم والفساد عن العباد وكف اللصوص وقطعهم واصلح امر البحر للمسافرين
فتوفي سنة ٥٠٠ خمسماية وكانت موتته فجأة يوم عيد الاضحى وقد ذكر
له منجم له في تقسيم امره وقال لا تركب فلم يركب وخرج اولاده واهل دولته الى المصلى
فلما انقضت الصلاة فأتوه ليصلوا عليه ويهنوه وقد قرئ القرآن وانشدت الاشعار
ثم انصرفوا الى محلاتهم لاكل الطعام فقام يحيى من باب المجلس آخر ليحضر معهم على
الطعام فلم يمش غير ثلاث خطوات حتى وقع ميتا وكان ولده علي بمدينة سفاقس
فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره
اثنين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة
اشهر وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا ورثاه بعد موته الشعراء منهم عبد الجبار
ابن محمد بن احمد ابن الصقلي بقصيدة هنا فيها ابنه علي وهي هذه
ما اغمد العضب حتى جرد الذكر • ولا اختفى قمر حتى بدا قمر • بموت يحيى أُميتت
الناس كلهم • حتى اذا ما علي جاءهم نُشروا • ان يبعثوا بسرور من تملكه •
فمن منية يحيى بالاسى قبروا • وابى على حسن الملك ضاحكة • وعينه من ابيه دمعها همر
• شقت جيوب المعالي بالاسى وبكت • من كل افق عليه الانجم الزهر • وقل لابن تميم حزت ماقيها
• فكل حزن عظيم فيه مغتفر • فقام الدليل ويحيى لا حياة له • ان المنية لا تبقي ولا تذر
ولما تولى علي علت همته وانف مما كان يفعله فواده ومنهم رافع بن مكن الدهماني
قايد قابس وكان لا يصنع احد بافريقية اسطولا يحمل التجارة في البحر الا اميرها وكان
رافع اصطنع في ايام يحيى اسطولا يحمل التجارات فلم ينكر عليه يحيى فلما استقر علي
في الملك لحقته انفة وبعث الى رافع يمنعه من ذلك فالتجأ الى رجار صاحب صقلية لعنه
الله واعتضد به فوعده ان ينصره ويعينه على اجراء مركبه في البحر فانعقد في الحال اسطولا
الى قابس فلما جاز اسطوله بالمهدية فتحقق على اتفاقهما وكان اذا قيل له اتفاقهما على ذلك
يكذبه فلما اجتاز الاسطول بالمهدية اخرج علي اسطوله اثره فتوافى الجميع الى قابس فلما
شاهد رافع اسطول الافرنج والمسلمين لم يخرج على مركبه فعاد اسطول الافرنج وبقي اسطول

على يحصر قابس مضيقا عليها ثم عاد الى المهدية وتمادى رافع في المخالفة لعلي وجمع قبايل
العرب وسار بهم حتى نزل المهدية محاصرا لها وخادع عليا وقال انما جيت للدخول
في الطاعة وطلب من يسعى له في الصلح وافعاله تكذيب قوله فلم تجبه على حرب واخرج
العساكر فحملوا على رافع حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت
فلما راى ذلك النساء صحن وولولن فعادت العرب وعادة القتال واشتد فيبهت
الامر ودام الحرب الى الغروب ثم افترقوا وقتل من اصحاب رافع خلق كثير ولم يقتل من جند
علي غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر علي مرة اخرى فاقتتلوا اشد من القتال الاول
وكان الظهور فيه لعسكر علي فلما راى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية فبلا الى القيروان
فمنعه اهلها من الدخول فقاتلهم ثم دخلها فارسل اليه علي عسكرا فحاصروه الى ان اخرجه
منها ورجع الى قابس ثم ساله جماعة من اعراب افريقية وغيرهم الصلح فابى ثم اجاب
وكان استجار رافع بالجار سبب الوحشة بينه وبين علي وكانت بينهما مودة اكيدة
فخاطبه الجار بقول لم تكن عادته ان يخاطبه واغلظ فيه فتاكدت الوحشة واحترز علي
منه واخذ في تجديد الاسطول واعداد الاهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش في الدخول
معه الى صقلية فكف الجار عما كان يعتمده وتوفي علي سنة خمس عشرة وخمسماية
في العشر الاواخر من ربيع الثاني وكان مولده بالمهدية وكانت امارته خمس سنين
واربعة اشهر وثلاثة عشر يوما وفي ذلك تولى ابنه الحسن بعهد منه وتولى امر الدولة
صندل وقصرها الجار صاحب صقلية كما سنذكره ان شاء الله تعالى وكان سن الحسن بن علي
يوم ولايته اثنا عشر سنة ولما تولى امره صندل راسل امير المومنين علي بن يوسف
ابن تاشفين الملثم بمراكش لما كان بينه وبين والده من المودة لما وقعت الوحشة بينه
وبين الجار صاحب صقلية بسبب الاسطول الذي كان فعله عامله مكي ابن كامل الدهماني والي
قابس من قبله لحمل التجار واستعانته مكي ابن كامل بالجار واتفق ان وصل بالاثر تولية اصطول
امير المومنين علي بن يوسف مع قايده علي بن ميمون الى بلاد الجار ففتح منها حصونا وسبا
منها سبايا كثيرة فلم يشك النصارى ان الباعث لعلي بن يوسف على ذلك انما هو الحسن
بن علي فاستجاش وحشد اجناده ومقاتليه وبالغ في كثرة امرها فمنع السفر من سواحل
المسلمين فلم يخف على الحسن مقصوده وخشي ان يطرق بلاده دون اهبة له فامر باتخاذ
الاسلحة وتشييد الاسوار واستقدام القبايل من الاعراب وغيرهم للجهاد فوصلت
الجيوش اليه من كل جهة ونزلت الاعراب بظاهر المهدية فلما كان يوم السبت لخمس
بقين من جمادى الاولى سنة سبع عشرة وخمسماية وصل اصطول الجار الى المهدية
ورسى بالجزيرة المعروفة بجزيرة الاحاسيس وهي على عشرة اميال من المهدية
ونزل

[illegible]

٢ مضراب

ونزل قائداه عبد الرحمن وجرجي الى الجزيرة وضربت لهما المضارب ونفذ الامر الى الابرنج الى الغراب
هناك وكان وصولهم اخر النهار فخرج منهم الى البر تلك الليلة خلق كثير وساروا حتى بعدوا
عن البحر ايا الاثر عادوا الى الجزيرة ووصل القائدان في ذلك اليوم في البحر الى المهدية في بعض
قطع الطريق فقطع بهم وانتهيا الى ساحل زويلة فحال بينهما ما راوا بالبلد من سوار
والسوا من الناس وانصرفا عائدين الى الجزيرة فوجدوا طايفة من الاعراب ومن الاجناد
قد دخلوا اليهم وكشفوا من كان بها من الروم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما ونهبوا
بعض اسلحتهم **فلما** كان اليوم الثالث تمكن النصارى من القصر المعروف بقصر الديماس
وحصل به زهاء مائة منهم باعانة بعض الاعراب لهم على ذلك لما منهم عبد الرحمن وصاحبه
وقد كان تقدم امرهما بالنزول بجزيرة الاحاسي والنخل على اخذ قصر الديماس بمباطنة
العرب ثم الرجف من هنالك في البر بالرجال والخيل الى المهدية **فلما** كان في اليوم الرابع
اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت من في الجزيرة فظنوا انهم
داخلون اليهم فانحفزوا الى مراكبهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيلهم ودخل المسلمون
الجزيرة ولم يبق بها احد منهم فوجدوا منهم خيلا والة واسلحة اعجلهم الهروب عنها واحاطوا
اغاثة بقصر الديماس يقاتلونه والاسطول يحاذي ذلك ولا يستطيع اغاثة من في القصر
لكثرة ما اجتمع في البر من عساكر المسلمين فلما عاينوا انهم غير قادرين على انفاذ
من في القصر اقلعوا ذاهبين الى صقلية واقام المسلمون يقاتلون من حصر بقصر
الديماس منهم الى ان اشتد عليهم الحصار وكمل ماؤهم وطعامهم فخرجوا منه ليلة
الاربعاء الرابع عشر من جمادى الاخير فتخلصتهم بل تخطفتهم سيوف الاعراب فقتلوا
عن اخرهم وفرح الحسن بهذا الفتح ولم يدر ما تحت طيه من المحنة التي خصت وعمت
للمسلمين بسببه وكتب عنه كتاب الى ساير الجهات منها كتاب يقول في بعض فصوله
وان صاحب صقلية لج في طغيانه وغيه • واستنصر على عدوانه وبغيه • وحمله سوء تقديره •
وفساد تدبيره • على استهضام جانب الاحكام • وتوهم ان ذلك سهل للملتمس قريب
المرام • ولم يعلم ان للعرب خبايا مكنونة في صدورهم لم تخرج عن ضمايرهم لان العرب لم يدخلوا
مكان الداخل وبلا ما استجاشوا وحشدوا واستعدوا للتقدم وهما استنفد له في جلب
اموره وكمل قد بيره الذي فيه تدميره سيرا سطوله نحو المهدية حماها الله تعالى
في نحو من ثلاث مائة مركب حملت ثلاثين الف راجل وزهاء الف فارس وكان اقلاعهم
في طالع مقارن للنحوس وماض عليه بتلاف الاموال وهلاك النفوس فمن اول ما نشاه
الله فيه من فعل الجميل واظهره من عنايته التي لا يؤدي حقها بغير الشكر الجزيل ان ارسل
عليهم ريحا صيرت جميعهم البتاتا واصلتهم ببرد الماء حر النار في كلام طويل **ولما** اقلع

الاسطول الى صقلية خائبا خاسرا غاظ رجار الحال واتفق بإثر ذلك ان وصل اسطول
العلج مرة اخرى وقائده محمد بن ميمون المذكور قبل فعاث في بلاد رجار وقتل وحمل نساء فكان هذا
سببا الى بلوغ ما كان رجار كلما وصل اسطول من الغرب الى بلاده نسبه الى الحسن فعزم
العزم المصمم على غزو المهدية وانشأ في ظاهر الامر بينه وبين الحسن صلحا
وفي نفسه ما فيها لتتم خديعته ويتمكن من مراده، وكان بين الحسن وبين عمه
يحيى ابن عبد العزيز ابن حماد بن المنصور بن الناصر بن علناس المتقدم الذكر صاحب
بجاية ما اوجب ان بعث في هذه المرة لمحاصرة المهدية اسطولا في البحر وجيشا
في البر قائده مطرف بن علي بن حمدون الفقيه فحصر المهدية برا وبحرا ونزل مطرف بجيشه
بظاهر زويلة فاستمد الحسن رجار فامده باسطوله فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهدية
مسرعا وكانت لرجار جواسيس بالمهدية يكتبون اليه يعلمونه ان بمرساها مراكب قد استوت
وسقها فامر جرجي قائد اسطوله المتوجه للنصرة بالهجوم عليها واخذها فاخذ ذلك
غدرا وحملها الى صقلية ثم هجم بعد ذلك على مرسى المهدية فاخذ منها مركبا للحسن
قد استعمله وشحنه بذخائر ملوكية ليوجه بها الى الحافظ العبيدي صاحب مصر وكان
ذلك المركب يسمى بنصف الدنيا ولم يزل يوالي الغزو عليه باساطيله والمقدم
والمقدم عليها جرجي المذكور وهو العارف بالمهدية حاضرة وبادية وبقيه
في ذلك الى ان دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسماية فلم يشعر الحسن صبيحة
يوم الاثنين الثامن من صفر الا وقد طلع عليه جرجي المذكور في ثلاثين مركبا فارسى
على بعد من المهدية وكانت الريح قد منعته من الدخول الى المرسى فارسل الى
الحسن يخادعه ويذكر له انه انما وصل لطلب عسكر يستعين به على اهل قابس
ليرد اليها ابن رشيد واليها الفار اليه مستعينا به وله قصة طويلة مع بريد يهب
بقليل اخيه في محلها فعلم الحسن انها مخادعة الى ان يتهيأ الريح بدخولها وانه لم
يصل الا بعد علمه بخلاء المهدية من العساكر وكان الغلاء المستولي على افريقية
اضعف اكثر جند الحسن واهلك خيلهم ومع ذلك كانت بقية العسكر في محاربة بني
خراسان بتونس عضد المحرز بن زياد الفادغ صاحب المعلقة فعزم الحسن على
تسليم المهدية للنصارى وامر الجيش بالرحيل عنها وخرج من القصر بما خف معه
وما امكنه باهله وولده وحشمه فتفارقوا بما قدروا عليه من اهل وولد وجرى عليهم في هذه
الضغطة ما لم يكن يقدرونه وكان الحسن يقول عند خروجه سلامة المسلمين احب الي من
الملك والقصر كذا ذكر ابن شداد وبقي الاسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلد
بسبب الريح العارضة له الى الساعة السابعة من جمادى وصوله ثم لانت الريح فدخل ووجد

المهدية

المهدية خالية فتملكها من دون دفاع وحرب ووجد جرجي قصر الحسن على حاله لم يحمل منه
الحسن الا ما خف حمله وفيه من الذخائر الملوكية ما هاله وختم على ذلك كله وامر ان ينادي
في المهدية بالامان فارتفع النهب منها واخرج جميع النصارى من المهدية فتتبعوا نزلهم
فيها بينها من مضاربهم واخبيتهم فكان من بقي في المهدية احسن حالا ممن فر منها
فان الفارون لقوا من المشقة وعدم الماء ما هلك اكثرهم الى ان تداركهم جرجي فبعث لهم قبلا
يعلمونهم بالامان فرجعوا الى بلدهم وفرق عليهم مالا وطعاما اقام اوده فصلحت احوالهم
واغتبط الناس بالمهدية لما راوا من عدل النصارى فعمرت احسن عمارة وسار الحسن
الى عسكره الذي قدمنا انه كان في نصرة محرز بن زياد فلقيه محرز بالبر والاكرام وانزله
عنده فاقام هنالك اشهرا وهو مكاره في الاقامة لما يرى عنت محرز من الشماتة فاحب
الانتقال الى مصر وواليها اذ ذاك عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن
العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وباسمه كان الحسن يخطب في بلاده
فابتاع من تونس مركبا اعده للسفر فعلم جرجي بذلك فاعد له عشرين قطعة ترقب
اقلاعه فعدل عن السفر الى مصر ونظر في التوجه الى الخليفة عبد المومن بن علي السلمي
ونقد كبار ولده يحيى وتميم وعياله الى ابن عمه يحيى بن العزيز يستاذنه في الوصول اليه
وتجديد العهد والمسير من عنده الى عبد المومن فاذن له يحيى فسار اليه فلما وصل اليه
لم يجتمع به يحيى وسيره الى جزيرة بني مزغنان هو واولاده ووكل بهم من يمنعهم من التصرف
فبقوا كذلك الى ان ملك عبد المومن بن علي بجاية وكان وزير يحيى ميمون بن حمدون تلقى
بني الحسن احسن تلق وكتب على لسان يحيى الى الحسن بالتوجع على ما جرى عليه والتحضيض
على الوصول والعدل عما خطر بباله من قصد غيره فاعلم الحسن محرز بن زياد بما كتب
اليه ابن عمه فاشار اليه بالتنكيب عنه وان يتوجه حيثما احب فهو خير له منه فلم يطعه
الحسن في التوجه الى بجاية فلما قرب منها ندب يحيى وزيره الى لقاء الحسن فامتنع من ذلك
وامر اخاه قايد بن العزيز بالخروج الى لقايه مع مشيخة البلد وان يعدلوا به الى بجاية
الى الجزاير فيكون مقامه بها ففعل اخوه ذلك وانزله هو واولاده بمدينة الجزاير
في امكنة لا تليق بهم واجرى عليهم جرايات لا تكفيهم وامر ميمون بمراعاة
احوال الحسن ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المومن بن علي لما
توقعه من استعانة عبد المومن به في اخذ بجاية فبالغ في التشديد عليه في ذلك
واقام ساكنا بها الى ان نزل عبد المومن من المغرب الاوسط وقد تغلب على جميع
بلاد المغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك سنة سبع واربعين وخمسماية
وتغلب على مليانة والجزاير فاجتمع بالحسن هنالك وسار اليه وهو بمدينة

نيجة واقبل عليه عبد المومن وقربه اليه واستصحبه معه وجعل الحسن يغريه على اخذ
بجاية حسدا لابن عمه ورغبة في خروج الملك من يده ليقتسما وابعد ذالك فنزل عبد المومن
الى بجاية في الحسن معه فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها وكان ذالك بعدها فيمة
عصاكر صنهاجة زيدي واعانة يحيى على نفسه بانهماكه في لذاته واهماله تدبير
امر دولته وتفويضه الامر لغيره فلما استولى عبد المومن على بجاية فر يحيى بن
العزيز منها من البعد. وكان مرامه التوجه الى بونة والنفوذ من ذلك الى بعد لعلمه
ان الخليفة العبيدي بمصر ينتقم عليهم الخلع الاول **فلما** وصل الى بونة جعل
الحارث يتناقف منه بنوبه على اهمال العقد فخرج عنه يحيى الى قسنطينة وبها
اذ ذاك اخوه الحسن بن العزيز فاتى من الحسن وتخلى له عن الامر فاقام بقسنطينة
ابدا ما يعمل برايه الى ان تاب الى الطاعة ودخل في ايالة الموحدين ووصل الى الخليفة
فاكرمه وانزله مع ابن عمه الحسن بن علي ثم كانت لعبد المومن على العرب الوقعة
المعروفة بوقعة سطيف هزم فيها طوائفهم وطلع الى حضرة مراكش بجميع
ما حكم عليهم ومن جملتهم الحسن بن علي ويحيى بن العزيز واسكنهما ببر الحشم
في رفاهية ورزق جار **فلما** كانت سنة ثمان واربعين وخمسماية وصل الخليفة
الى سلا واستصحب معه يحيى بن العزيز واسكنه بها في بعض قصورها واقام بها
الى ان مات هناك ودفن بمقابرها الجوفية مما يلي البحر ثم عاد الى مراكش وبها كان
الحسن بن علي مقيما فلما وصل اليها امر بنزل الحسن بقربه بالحركة الى افريقية
ويحضره عليها وعلى استنقاذ المهدية من ايدي النصارى الى ان تلاقت نفسه
الى ذالك فاخذ في الحركة اليها سنة اربعة وخمسين وخمسماية **وكانت**
بيد لجار صاحب صقلية ملك الافرنج وكان اخذها من يد الحسن في صفر سنة ثلاث
واربعين وخمسماية **وكان** لجار هذا لسنة تسع وثلاثين وخمسماية قصدا الى تغلب
الاسطول الرومي عليها فاحسن محاجة جرجي بن ميخاييل الى اهلها الا ادعوه
من خلف غيرها من البلاد الساحلية وابقى فيها جندا من المسلمين والصقليين
وغيرهم وولى عليها شيخها ابا يحيى بن مطروح بن فحصر طرابلس بالاسطول
فلا فقدها لما علم انهم لم يدخلوا في بيعة الحسن بن علي وقدم عليهم معشاج
بني مطروح بد بروا امرهم وظنوا انهم لا يقدرون على شي. فسير اليهم الاسطولا
فحاصرها اهله وكان ذلك تاسع ذي الحجة فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا
الكلاليب في سوره ونقبوه حتى كادوا ياخذونها **فلما** كان الغد وصل جماعة
من العرب نجدة لاهل البلد فقووا بهم اهل البلد فخرجوا الى الاساطيل فحملوا عليهم
حملة

حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاضحة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا
الاسلحة والاثقال والدواب فنهبها العرب واهل البلد ورجع الافرنج الى صقلية وتجهزوا
وعادوا الى المغرب فوصلوا الى جلجل فلما راهم اهل البلد هربوا منهم الى البراري والجبال
فدخلها الافرنج وسبوا من ادركوا فيها وهدموها واحرقوا واحرقوا القصر الذي
بناه يحيى بن العزيز النزهة وعادوا ثم وجه لجار لطرابلس اسطولا كبيرا سنة
احدى واربعين وخمسماية فاحاطوا بها براوبحرا في ثالث المحرم فخرج اليهم اهلها
ونشبوا القتال ودامت الحرب بينهم ثلاثة ايام فلما كان الثالث سمع الافرنج بالبلد
ضجة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وكان سبب ذلك ان اهلها
كانوا قبل وصول الافرنج بايام يسيرة قد اختلفوا فاخرجت طايفة منهم بني مطروح
وقدموا عليهم رجلا من الملثمين بربيع الحج ومعه جماعة وولوه امرهم فلما نازلهم
الافرنج اعادت الطايفة الاخرى بني مطروح فوقع الحرب بين الطايفتين وخلت
الاسوار فانتهز الافرنج الفرصة ونصبوا السلاليم وصعدوا على السور فاشتد
القتال فملكت المدينة عنوة بالسيف فسفكوا دماء اهلها واخذوا نساءهم
واموالهم وهرب من هرب والتجوا الى البربر والعرب ثم نودوا بالامان في كافة الناس فرجع
كل من فر منها واقاموا الافرنج ستة اشهر وحصنوا اسوارها وحفروا خندقها
ولما عادوا اخذ رهاين من اهلها ومعهم بني مطروح والملثم ثم عادوا رهاينهم
وولوا عليها رجلا من بني مطروح وتركوا رهاينه وحده واستقامت امور المهدية
وانضم اليها صقلية والروم وعمرت سريعا وحسن حالها هذا ما قال ابن الاثير
وذكر التجاني ان لجار اخذها سنة اربعين وخمسماية بعد ان اخذ المهدية
وسبب ذلك ان اهلها في تلك السنة اصابتهم شدة عظيمة ومجاعة
مهلكة هلك فيها الناس وفروا عن اوطانهم فجهز اليها لجار الرومي صاحب
صقلية اسطولا فحاصرها به وذلك بعد استيلايه على المهدية وسبعة اشهر
واستقرار ولايته عليهما ووقع خلف بين اهل طرابلس ادى الى تغلب اسطول
الروم عليها فاحسن قايده جرجي بن منجاييل الى اهلها لما اذعنوا من تملك
غيرها من البلد الساحلية وابقى فيها جندا من المسلمين والصقليين وغيرهم
وولى عليها شيخها ابا يحيى بن مطروح التميمي وجعل قاضيهم ابا الحجاج يوسف
بن زيد فكانت احكام المسلمين كلها مصروفة الى واليهم وقاضيهم ولم يكن يتعرض
في شيء من احكامهم واقامت تحت تغلب النصارى اثنا عشر عاما الى ان فتح عبد
المومن بفعلها الشريد او بغية فخاف النصارى من اهل طرابلس ان يقوموا عليهم حتى

ثروا بين اهل طرابلس وبين الموحدين عداوة فامروا ان يصعدوا المنار ويتكلمون في جهة
الموحدين بسوء وكان ذلك سنة اربعة وخمسين وخمسمائة لما بلغهم من ملك
عبد المومن اكثر بلاد افريقية فاغتنم ذلك اهل طرابلس واجتمعوا الى فقيههم
ابي الحجاج فسفر بينهم وبين النصارى واعلم النصارى ان لا سبيل اليهم الى ذلك
وانما الامر انما كان العقد بينهم ان لا يكلموا المسلمين بشيء مما يخالف امر دينهم وذكر
اهل الدين بسوء مما يخالف دينهم فان رضوا بذلك والا سلموا لهم البلاد وخرجوا
عنها فاعياهم النصارى من ذلك وتعاقدوا على القيام عليهم والتخلص من ايديهم
واسروا النجوى بذلك بينهم واعتدوا الليلة معينة وتهيئوا في تلك الليلة خشبا
وانا شيطي الطرقات تمنع الخيل من الجري فيها وثاروا عليهم فبادر النصارى الى خيولهم
فركبوها فلم يجدوا مجالا فاخذوا قبضا باليد وعاد البلد الى تملك المسلمين وكان
قيامهم عليهم في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وحكم على البلاد شيخها يحيى
ابن مطروح التميمي وكان رجلا شهما حازما صانع العرب المجاورين له فاستقر
حاله بها الى ان نزل الخليفة عبد المومن بن علي الى افريقية في سنة خمس وخمسين
وخمسمائة ووصل اليه وفود البلاد وكان من جملتهم وفد طرابلس ومعهم يحيى
ابن مطروح فاثنوا وبايعوه ابي عبد المومن فابقى عليهم شيخهم ابا يحيى بن مطروح
المذكور فلم يزل محمود السيرة فيهم الى ان عجز وكبر وذلك في ايام ابي يعقوب بن عبد
المومن لانه فنيه الهرم والكبر فطلب التوجه الى الحج فسرحه السيد ابو زيد
ابن ابي حفص بن عبد المومن المذكور فتوجه بجميع اهله في البحر واستقر بالاسكندرية
وكان دخوله لها سنة ست وثمانين وخمسمائة وبها مات ذكر[2] البيتين
وانشد. بمصر لو قفت بين باب البحر ضاحية. وباب هوارة وموقف العين. .
انتهى الى النفس من كسر الخليج. ومن دبر الزجاج وشاطي بركة الفلزم.
انتهى ما للتجاني وذكر ابن الاثير ان عبد المومن قدم افريقية وبايعه اهل
طرابلس سنة ~~اربعين~~ اربعة وخمسين وخمسمائة والله اعلم وكان
لم يستول عليها العدو من لدن الفتح غير هذه المدة سنة سنة عشر وتسعمائة
وذكر ابن بطوطة ان العدوا استولوا عليها في ايام السلطان ابي عنان وفداها
منهم بخمس قناطر من الذهب العين ورد ها للمسلمين فعد ذلك من ماثره
الحسنة من اعتنا بشيء. هنا ولم اقف على تاريخ استيلايهم ولعل ذلك
كان بين ثمنة ست وسبعمائة الى سنة سنة عشر وتسعمائة اذ في ما بينهما
كانت دولته بني مرين الذين منهم ابو عنان وهل ذلك انما كان بعد اضطراب حالها
بعد بيعة

والظاهر[2]
البيتين انه
التجاني

بيعة اهلها الموحدين وتولى فتى شريف الدين قراقش الاميني مملوك الملك المظفر
بن شاهنشاه بن ايوب ابن شاه ابن اخي السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب
الكوي ويحيى بن اسحاق الميورقي وذلك ان يحيى بن اسحاق الميورقي كان بينه
وبين قراقش المذكور مهادنة ومصالحة وكان يجتمعان في اكثر خروجهما وبينهما
العداوة لبني العباس لطرابلس وبعض المورخين من افريقية وسبب انتقال قراقش
على ما ذكر المورخون ان عمر سيرة الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب انما ملك
هو وعمه اسد الدين شيركوه بجيش نور الدين محمود بن زنكي وفي سلطانه
وكان من قواده واعوانه ولما توفي اسد الدين حدثت بين صلاح الدين ابن ايوب
ونور الدين ابن زنكي وحشة وكان سبب ذلك ان سنة ثمان وستين وخمسماية
اختلط صلاح الدين بسببها وفسد امره بين بلد اليمن وبلد المغرب وبغى على الانداع
امامه حتى وصله نور الدين وسبب الوحشة ان صلاح الدين يوسف بن ايوب
عمد من مصر الى بلاد الافرنج غازيا ونزل شوبك اي حصن شوبك بينه وبين الكرك يوم
وحاصره وضيق على من به من الافرنج واداموا ذلك فلما سمع نور الدين بن زنكي بما فعله
صلاح الدين سار عن دمشق قاصدا بلاد الافرنج وهم على هذه الحالة فاتى من جانب
ونور الدين من جانب حتى ملكها ومتى زال الافرنج على الطريق واخذ ملكهم لم يبق لك
بديار مصر مقام مع نور الدين وان جاء نور الدين البلد وانت بها هاهنا فلا بد لك
من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكم فيك بما شاء ان شاء تركك وان شاء مسكك
والمصلحة الرجوع الى مصر فرحل عن الشوبك راجعا الى مصر ولم ياخذه من
الافرنج وكتب الى نور الدين يعتذر باختلال الديار المصرية لامور بلغته عن شيعة
العلويين وانهم عازمون الى الوثوب لها والذي يخليهم يخرجونهم وتكون ممتنعة
واطال الاعتذار ولم يقبله منه وتغير عليه وعزم على النزول الى مصر واخراجه منها فلما
سمع صلاح الدين الخبر جمع اهله ومنهم ابوه نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين
الحارمي وغيرهم ومعهم ساير الامراء واعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته
اليه واستشارهم فلم يجبه احد بكلمة فقام تقي الدين عمر بن اخي صلاح
الدين فقال اذا جاء نا قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من اهلهم
نجم الدين ايوب وانكر ذلك واستعظمه وشتم تقي الدين واقعده وقال
لصلاح الدين انا ابوك وهذا شهاب الدين خالك ونحن اكثر محبة من جميع
من ترى والله لو رأينا نور الدين لم يمكننا الا ان نقبل الارض بين يديه ولو امرنا بضرب
عنقك بالسيف لفعلناه الك فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا وكل من تراه عندك

من الامراء الا نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد
له ونحن مماليكه ونوابه فيها فاذا اراد عزلك سمعنا وطاعة والراي ان نكتب له
كتابا مع نجاب تقول فيه بلغني انك تريد الحركة لاجل البلاد فاي حاجة الى هذا فيرسل
المولى نجابا يضع في رقبتي منديلا وياخذني اليك فما ههنا من يمتنع عليك واخا
الامراء وغيرهم فتفرقوا على هذا فلما خلا به ابوه قال له باي عقل فعلت هذا اما
تعلم ان نور الدين اذا سمع بعزمنا على منعه ومحاربته جعلنا اهم الوجوه اليه وحينئذ
لا نقوى به واما الآن اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار تعمل
عملها والله لو اراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته عليها حتى امنعه او اقتل
ففعل صلاح الدين ما اشار به ابوه فترك نور الدين تعجيل قصده واشتغل بالاهم عنه
الى ان توفي سنة تسع وتسعين وخمسماية وكان من تلك السنة شرع في تجهيز
للدخول الى مصر فاتاه امر الله الذي لا مرد له وكان اسمر اللون طويل القامة ليس
له لحية الا في حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين اي ادعج العينين
وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما دخلها شمس
الدولة ابن ايوب سنة احدى عشرة وخمسماية وطبق ذكره الارض بعدله وحسن
سيرته قال ابن الاثير وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ار فيها بعد الخلفاء
الراشدين وعمر ابن عبد العزيز احسن من سيرته ولا اكثر عدلا منه وتحريا عن
الظلم وقد اتينا على كثير من ذلك في كتاب الباهر في اخباره ولنذكر هنا نبذة
مختصرة لعل يقف عليها من له حكم فيقتدي به فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه
كان لا ياكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه
من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المومنين ولقد شكت زوجته من الضائقة
فاعطاها ثلاثة دكاكين من حمص كانت له يحصل منها في السنة نحو العشرين دينارا
فلما استقلتها قال ليس لي الا هذا وجميع ما في يدي انا فيه خازن للمسلمين
ولا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلي بالليل وله اوراد حسنة فكان
كما قيل جمع الشجاعة والخشوع لربه ما احسن المحراب في المحراب وكان عارفا بالفقه
على مذهب ابي حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث واسمعه طلبا للاجر
واما عدله فانه لم يترك في بلاده على سعتها مكسا ولا عشرا بل اطلقها جميعا في
مصر والشام والجزيرة والموصل وكان يعظم الشريعة ويقف عند احكامها
واحضره انسان الى مجلسه فارسل الى القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري ووقف
هو اي الحاكم المذكور بقول الخصم قد جئت محاكما فاسلك معي ما تسلك مع الخصوم وظهر
الحق

الحق له فوهبه للخصم وقال تركت ما كنت ادعيه عليه فخفت ان يكون الباعث
لي على ذلك التكبر والعلو عن الحضور لمجلس الشريعة فحضرت ووهبته له وبنى
دار العدل في بلاده وكان يجلس فيها هو والقاضي وينتصف للمظلوم من الظالم
ولو كان يهوديا او يحكم على الظالم ولو كان ولده، وأما شجاعته ففي اقصى الغاية
وكان في وقت الحرب يأخذ قوسين يقاتل عليهما مرة يركب على هذا وتارة على
الآخر فقال له القطب النيسابوري الفقيه بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالاسلام
فان اصبت في معركة لا يبقى للمسلمين احد الا اخذه السيف فقال له نور الدين
ومن محمود حتى يقال له هذا قبلي من حفظ الاسلام والبلاد ذلك الله الذي لا اله
الا هو وأما فعله من المصالح فانه بنى اسوار مدن الشام وقلاعها
فمنها دمشق وحمص وحماه وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها وبنى
المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية وابنا الخانقات للصوفية وبنى
في الطرق السقايات ووقف على الجميع الاوقاف الكثيرة وكان حاصل اوقافه في
كل شهر تسعة آلاف دينار وكان يكرم العلماء واهل الدين ويعظمهم ويقوم
اليهم ويجلس معهم وينبسط ولا يرد لهم قولا ويكاتبهم بخط يده وكان
موقرا مهابا متواضعا وأما فعل صلاح الدين على الجملة والاحتياط
فسبب الوحشة بينهم وبين نور الدين فانه قسم امره بين بلد اليمن وبلد
المغرب ونفي الدماغ حتى وصل نور الدين فوجه اخاه توران شاه الى اليمن
ففتحها سنة تسع وتسعين وخطب فيها لمحمود بن زنكي وطلب ابن اخيه
الملك المظفر تقي الدين ان يوجهه لارض المغرب ليفتحها وكانت طرابلس
وافريقية والمغرب في ايدي الموحدين فاشتغل تقي الدين في حركته ثم زهد
في غزو ارض المغرب لما بينه وبينها من العربان والمهالك وقد سر خبر تغريبه
الى جمع جنده وخواصه فاستبشروا لذلك وبنوا عليه فلما امتنع تقي الدين من
التغريب نفر بطائفة من جنده مملوكه شرف الدين قراقوش المتقدم الذكر وبازكي
ابراهيم ابن قرانكين صلاح دار المعظم وصفا المعظم سيده وسيده المعظم //
شمس الدولة ابن ايوب الكردي اخ صلاح الدين المذكور وكان ابن قرانكين جند
تقي الدين فتوجه العبدان المذكوران لارض المغرب مختفيين حتى جاوزوا العقبة
فاتفق رأيهم على ان يفترقا ليقعد كل بما قدر له من الملك فسار قراقش الى //
سنترية وهي المعروفة في زماننا بسيوه وفتحها وخطب فيها لصلاح
الدين وللاخيه تقي الدين سيد قراقش من بعده وكتب اليهما بذلك وفتح اوجلة

وزاله وهي المعروفة عند العوام بزله وازال من فزان دولة بني خطاب الهواريين
وكانت قاعدة ملكهم زويله وهي المعروفة بزويلة ابن خطاب وعذب ملكها محمد بن
خطاب ابن يزليتن ابن عبد الله بن زنجل ابن خطاب آخر ملوكهم على المال حتى هلك
وخطب فيها لصلاح الدين ولتقي الدين ولم يزل على هذه الطريقة يفتح البلاد
ويخطب لمن ذكر حتى وصل الى طرابلس فاجتمع عليه الذبابيون وهم بنو ذياب ابن ربيعة
ابن زغب ابن جندر ابن مالك بن خفاف بن امرؤ القيس بن بهثة ابن سليم ابن منصور
كذا ذكره الرشاطي وزغب هذا المنسوب اليه ضبطه الرشاطي بكسر الزاي والعين
المهملة وله ولد آخر يسمى باسمه خور ربيعة واليه ينتسب الزغبيون اخوة
بني ذياب ومثل ما للرشاطي للاجدابي ولما قدم على بني ذياب وفد اليه مسعود
ابن زمام من اعيان امراء بني هلال كان لم يدخل في بيعة عبد المومن ابن علي حين
تملك افريقية وفر منها للاعراب طرابلس فتارة يكون مع بني ذياب وتارة مع
اخوتهم زغب فاتفق معهم وكثر جمعهم ونزلوا على طرابلس فحاصرها مدة وضيق
على اهلها ثم فتحت فاستولى عليها قراقوش وكان ذلك سنة ثمان وستين وخمسماية
كما ذكرنا اولا واسكن اهله فعمرها وكانت قبل ذلك خالية من الاقوات والاجناد لانهم
بعد بيعتهم لعبد المومن بن علي واستقرار بلدهم في ايدي الموحدين لم يتوقعوا تدبير
ولا مخالف فلما اتاها على ذلك اخذها وتملك كثيرا من بلاد افريقية ما خلا المهدية
وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع وسار مع قراقوش
عسكر كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب فجمع اموالا عظيمة وجعلها بمدينة .
قابس وقوى نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع افريقية لبعد ابي يعقوب ابن عبد
المومن عنها وتملك علي بن اسحاق بجاية من يد عامل يعقوب سنة ثمانين وخمسماية
فوجه اليه يعقوب عسكرا واستنقذها وسبب استيلائه عليها انه لما
سمع بوفاة يوسف بن عبد المومن عمر اسطولا نحو من عشرين قطعة وسار
بجموعه فارسى بساحل بجاية وخرجت خيله ورجاله من السواني فكانوا نحو مائتي
فارس من الملتمسين[2] واربعة الاف راجل فدخل مدينة بجاية بغير قتال لانه اتفق هو
واهلها ثم سار عنها فبلغ ذلك الى مراكش ولم يترك فيها جيشا ولا سلاحا لعدم عدو
يحفظها منه لمجاورة الملثم ولم يكن في حسابهم انه يحدث نفسه بذلك فارسى بها ووافقه
جماعة من بقايا دولة بني حماد وساروا معه وكثر جمعه بهم وقويت نفسه فسمع
الخبر والي بجاية فعاد من طريقه ومعه الموحدين نحو ثلاثمائة فارس وجمع من العرب والقبائل
الذين في تلك الجهات فخالف فارس فسمع بهم الملثم ويقربهم منه خرج اليهم وقد سار

[2] الملثمين

العرب

معه نحو الفي فارس فلما لقيهم وتواقفوا ساعة فانضاف جميع الجموع التي كانت مع والي
بجاية الى الملثم وانهزم واليها ومن معه من الموحدين وساروا الى مراكش فجمع
جيشه وخرج الى اعمال بجاية فاطاعه جميعها الا قسنطينة فحاصرها الى ان جاء
جيش من الموحدين من مراكش في صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة الى بجاية
في البر والبحر وكان بها يحيى وعبد الله اخوا علي بن اسحاق الملثم فخرجا منها هاربين
ولحقا باخيهما فرحل عن قسنطينة وسار الى افريقية وصار في افريقية الارض
وكانت الدعوة لبني العباس واجتمع عليهما سليم ورياح ومن بارض طرابلس
وافريقية ومما يليهما من العرب ورحل اليها من مصر مملوك لتقي الدين ابن اخ
صلاح الدين اسمه بوزابه فكثر جمعهم وقويت شوكتهم فلما اجتمعوا بلغت عدتهم
مبلغا كثيرا وكلهم كاره لدولة الموحدين فتبع جميعهم علي بن اسحاق الملثم لانه من بيت
المملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقبوه امير المومنين المسلمين وقصد افريقية
فملكوا جميعها شرقا وغربا الا مدينة تونس والمهدية فان الموحدين اقاموا بهما
وحفظوهما على خوف وضيق وشدة فانضاف الى الملثم كل مفسد في تلك الجهة
ومن يريد النهب والفساد والشر فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحرم وقطعوا
الاشجار وكان الوالي على افريقية من قبل الموحدين عبد الواحد بن عبد الواحد بن عبد الله
الهنتاتي وهو بمدينة تونس فارسل الى ملك المغرب يعقوب بن يوسف ابن عبد
المومن بن علي وهو بمراكش يعلمه الحال وقصد الملثم جزيرة باشرا وهي بقرب
تونس تشتمل على ثلاثة قرى كبيرة فنازلها واحاط وطلب اهلها الامان فاجابهم
وامنهم فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الغلات والدواب وسلبوا الناس
وامتدت ايديهم الى النساء والصبيان وتركوهم هلكى وقصد تونس فحاصرها وضيق
على من بها حتى مات منهم خلق كثير ولما استولى على افريقية قطع الخطبة عن بني
عبد المومن وخطب لناصر الدين العباسي وارسل اليه يطلب الخلع والاعلام وقصد
في سنة اثنين وثمانين مدينة قفصة فخرج من بها من الموحدين وسلموها اليه فرتب فيها
جندا من الملثمين والاتراك حصنها بالرجال مع حصانتها في البلاد ولما وصل الخبر
يعقوب بن يوسف اختار من جنده عشرين الف فارس من الموحدين وقصد قلة العسكر
لقلة القوت في البلاد ولما جرى فيها من التخريب والاذى وسار في صفر سنة ثلاث
وثمانين وخمسمائة فوصل الى مدينة تونس وارسل ستة الاف مع ابن اخيه فساروا
الى علي ابن اسحاق الملثم ليقاتلوه وهو بقفصة فوافوه وكان مع الموحدين جماعة
من الترك فغدروا عليهم فانهزم الموحدون وقتل جماعة من مقدميهم وكان ذلك في ربيع

الاول سنة ثلاث وثمانين **ولما** سمع يعقوب الخبر قام بمدينة تونس الى نصف رجب من
السنة ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثم والاتراك والتقوا بالقرب من مدينة
قابس واقتتلوا فانهزم الملثم ومن معه واكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفنونهم ولم ينج
منهم الا القليل فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه الى قابس ففتحها واخذ منها اهل
قراقش واولاده وحملهم الى مراكش وانقادت له البلاد كلها من طرابلس الى افريقية ثم
ظهر قراقش الانابة الى الموحدين ومات علي بن اسحاق الميورقي وتولى اخوه يحيى وكان ذلك
سنة ست وثمانين وخمسماية ولحق قراقش بالصحراء فحصر ابن عبد المومن
بتونس وهو يومئذ الوالي عليها من قبل المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن فاقام
بها زمانا تحت كلامه ثم انصرف عنها فارا الى قابس ثم خادع اهلها حتى دخلها فقتل
جماعة منهم واظهر الرجوع بعد ذلك واستدعا جماعة من اشياخ العرب الذبابيين
فقتل اعيانهم وممن قتل منهم محمود بن طرف بن بقية واليه تنتسب المحاميد وحميد
بن جارية في سبعين واستولى عليها وعلى طرابلس بعد انتقاضها عليه ثم وقع
التغير بينه وبين يحيى بن اسحاق الميورقي وكان يحيى ببلاد الجريد فسار الى طرابلس
الى لقاء قراقش فخرج اليه قراقش وجعل عليها نايبا بها فتاه ياقوت المعروف بالافتخار
التقيا بمجلس وهو الذي يقول فيه الشاعر • الا لا سقى الرحمن محسن قطرة • ولا زال
مغبر الجوانب محسن • وخيب الله فطيسا من الغيث كله • ولا انزل فيه للركايب وسن
وهو يعرف اليوم بواد الصبر بها بعدها مسناة تحتية بعد دارا مهملة وكانت
الوقعة ليحيى على قراقش وقعة شنيعة وفر قراقش للجبال وتوغل فيها وتبعه الميورقي
اياما ثم رجع الى طرابلس وحاصر فيها ياقوتا نايب قراقش فلم يقدر على دفاعه وضيق
البلاد ضيقا عظيما وكتب الميورقي الى اخيه عبد الله وهو اذ ذاك صاحب ميورقة من بلاد
الاندلس يطلب منه الاعانة ببعض اسطوله فوجه اليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس
تضييقا شديدا الى ان استولى عليها وامتن على اهلها بالعفو وحصل ياقوت فوجهه
في القطع التي وصلت اليه من ميورقة فقيد بها ولم يزل هنالك الى ان استولى الموحدون
على ميورقة وذلك سنة تسع وتسعين وخمسماية ولما انفصل عنها استخلف عليها
ابن عمه تاشفين بن الغازي فاقام بها مدة ثم قام عليه اهلها واخرجوه منها
وتوجه يحيى لقابس واستولى عليها وبقيت في حكم يحيى ابن اسحاق الملثم الى ان
وصل الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الى افريقية سنة احدى وستماية
فاستنقذ قابس وبايعه اهل طرابلس وتردد عليهما عمال الموحدين من قبله
ثم من قبل الشيخ ابي محمد بن ابي حفص ابن عبد المومن بعد انفصال الناصر واستخلافه

عليها

له عليهما وكان يحيى بن اسحاق لما استولى على البلد بن طرابلس وقابس
واستقر عنده ان شرق الدين فرافش اخاه بودان توجه اليه بمن استصحب من العرب
الدبابيين من اولاد محمود وجارية ابن وشاح وغيرهم الموتوريين من قبل فرافش
وحصره بها الى ان افنى طعامه واعطى بيده فسلموا واشترط على العرب ان يقتلوه
قبل ولده وكان شديد المحبة له فلما خرج هو وولده بعثه وطلبه البعض قال له الولد يا ابت
الى اين يروحوا بنا قال الى حيث رحنا بآبائهم فقتلوه وقتلوا ولده بعده وطلبه يحيى
فظاهر ودان ويحيى هذا هو يحيى ابن اسحاق المعروف بابن غانية من اعيان الملثمين
الذين كانوا ملوك المغرب وافتكوه من ايدي زناتة الذين ثاروا ابان العيش بعد خروج او بقية
عن بيعة بني عبيد وهي دولة ردية مذمومة سيئة لا ديانة ولا سياسة فيها جلندي
تسميتهم وسبب لزومهم الوصف وسبب توليهم تمنيهم اللعابدة فنقول هم
عدة قبائل ينتسبون الى حمير اشهرها لمتونة ومنها امير المومنين علي بن يوسف بن
تاشفين وجدالة ولمطة وكان مسيرهم من اليمن ايام الصديق رضي الله تعالى عنه امرهم
بالمسير الى الشام وانتقلوا الى مصر ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع
طارق الى طنجة واحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها الى سنة ثمان واربعين
واربعمائة توجه رجل منهم يقال له الجوهر من قبيلة جدالة الى [illegible] طالبا الحج وكان
محبا للدين فمر بفقيه بالقيروان وعنده جماعة يتفقهون قيل هو الفقيه ابو عمران
الفاسي فاصغى اليه الجوهر واعجبه حاله فلما رجع من حجه قال للفقيه ما عندنا في هذا
الصحراء شيء غير الشهادة والصلاة في بعض الخواص فابعث معي من يعلمهم شرائع
الاسلام فبعث معهم رجلا اسمه عبد الله ابن ياسين الكزولي وكان فقيها صالحا فشخصا
فصار معه حتى اتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر عن جمله واخذ بزمام جمل عبد الله
ابن ياسين تعظيما لشريعة الاسلام فاقبلوا للجوهر يهنوه بالسلامة وسالوه عن الفقيه
فقال هذا رجل حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء يعلمكم دين الاسلام
ففرحوا به وانزلوهما وقالوا اذكر لنا شريعة الاسلام فعرفهم عقائد
الدين وشرائع الاسلام والفرائض والسنن فقالوا اما ما ذكرت من الصلاة
والزكاة فهو قريب واما ما قلت من قتل يقتل ومن سرق يقطع ومن زنى يرجم
او يجلد فهذا امر لا نلتزمه فاذهب لغيرنا فرحل عنهم فنكر الى الفقيه الشيخ
المذكور فقال لا بد ان يكون لهذا الحمل في هذه الصحراء شان يذكر في العالم فانتهى
الجوهر والفقيه الى جدالة قبيل الجوهر فدعاهم ابن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم
الى حكم الشريعة فمنهم من اطاع ومنهم من اعرض وعصى ثم ان المخالفين لهم تحيزوا

تنبيه ٢

وتجمعوا فقال ابن ياسين للذين اطاعوا وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق
وانكروا شرائع الاسلام واستعدوا القتال لكم فابعثوا لكم راية وقدموا عليكم اميرا
فقال الجوهري انت الامير فقال انا حامل الشريعة ولكن انت الامير فقال الجوهر لو فعلت
هذا لتسلط قبيلتي على الناس ويكون وزر ذالك علي فقال ابن ياسين الراي ان نولي ذالك
ابا بكر ابن عمر راس لمتونة وكبيرها وهو رجل سيد مشكور الحال مطاع في قومه مستجيب
لنا يحب الرياسة وتتبعه قومه فيقوى بهم فاتيا ابا بكر بن عمر فعرض عليه ذالك فاجاب
وقد والاه البيعة وسماه ابن ياسين امير المسلمين ورجعوا الى جدالة وجمعوا اليهم
من حسن اسلامه منهم وحرضهم عبد الله بن ياسين على القتال في سبيل الله وسماهم
مرابطين وتجمع عليهم من خالفهم فلم يقاتلهم المرابطون واستعان ابن ياسين وابو بكر
ابن عمر على اولئك الاشرار بالصالحين من قبائلهم فاستمالوهم وقربوهم حتى حظوا
منهم نحو الفي رجل من اهل البغي والفساد فتركوهم في مكان واحد وخندقوا عليهم
وحفظوهم واخرجوهم قوما بعد قوم فقتلوهم فحينئذ دانت لهم اكثر قبائل الصحراء
واهابوهم وقويت شوكة المرابطين هذا وعبد الله ابن ياسين مشتغل بالعلم
وقد صار عنده منهم جماعة يتفقهون **ولما** استبد بالامر هو وابو بكر بن عمر
عن الجوهر الجدالي وبقي لا حكم له داخله الحسد وشرع سرا في افساد الامر
فعلم في ذالك منه وعقد له مجلس وثبت عليه ما نقل فحكم عليه بالقتل لانه نكث
البيعة وشق العصا واراد محاربة اهل الحق فقتل بعد ان صلى ركعتين واظهر السرور
بالقتل طلبا للقاء الله تعالى واجتمعت القبائل على طاعتهم ومن خالفهم قاتلوه
وبقوا على ذالك الى سنة خمس واربعمائة فقحطت بلادهم فامر ابن ياسين ضعفاءهم
بالخروج الى السوس واخذ الزكوة فخرج منهم تسعمائة رجل وقدموا سجلماسة
وطلبوا الزكوة فجمعوا ما قدر الله لهم ثم رجعوا الى الصحراء ثم ان الصحراء ضاقت بهم
وارادوا اظهار كلمة الحق والعبور الى الاندلس ليجاهدوا الكفار وخرجوا الى
السوس الاقصى فاجتمع لهم اهل السوس وقاتلوهم فانهزم المرابطين وقتل
عبد الله بن ياسين في عقبه وعاد ابو بكر بن عمر وجمع جيشا وخرج الى السوس في
الفي راكب فاجتمع من بلاد السوس زناتة اثنا عشر الف فارس فارسل اليهم
وقال افتحوا لنا الطريق لنجوز الى الاندلس ونجاهد اعداء الله فابوا ذالك
فصلى ابو بكر ودعا الله تعالى وقال اللهم ان كنا على الحق فيسر لنا والا فارحنا من
هذه الدنيا ثم قاتلوهم وصدقوا في حملة القتال فنصرهم الله تعالى وهزم اهل
السوس ومن معهم واكثر القتل فيهم وغنم المرابطون اموالهم واسلابهم وقويت

نفسهم

نفسه ونفوس المحابد و ساروا الى سجلماسة فنزلوا عليها وطلبوا من اهلها الزكوة
فامتنعوا منهم ثم سار اليهم صاحب سجلماسة فقاتلهم فهزموه وقتلوه ودخلوا
سجلماسة واستولوا عليها وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة واستعمل عليها
يوسف بن تاشفين اللمتوني وهو ابن عم الامير ابو بكر ورجع الى الصحراء فاحسن يوسف
السيرة في الرعية ولم ياخذ منهم سوى الزكوة فاقام بالصحراء مدة ثم رجع ابو بكر بن عمر
الى سجلماسة فاقام بها سنة والخطبة والامر والنهي واستخلف عليها ابن اخيه
ابو بكر بن ابراهيم بن عمرو فهزم مع يوسف بن تاشفين جيشا من المرابطين الى السوس
ففتح على يديه وكان يوسف دينا حازما داهيا مجربا وبقوا على ذلك الى سنة اثنين وستين
واربعمائة وتولى ابو بكر ابن عمر الصحراء فاجتمعت طوايف الموحدين على يوسف بن
تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه امير المسلمين وكانت الدولة بالمغرب لزناتة الذين ثاروا
في ايام الفتن وهي دولة ردية مذمومة السيرة لا سياسة ولا ديانة وكان امير
المسلمين وطوايفه على نهج السنة واتباع الحق والشريعة المطهرة فاستغاث
به اهل المغرب فسار اليهم يوسف المذكور وفتحها حصنا حصنا وبلد بعد بلد فايسر
كلمة واحبه الرعايا واطاعة احوالهم ثم انه قصد موضع مدينة مراكش وهو يومئذ
قاعا صفصفا لا عمارة ولا بلاد هناك وهو موضع متوسط في بلد المغرب كالقيروان
بافريقية تحت بلد المصامدة الذين هم اشد اهل المغرب قوة وامنعهم معقلا
فاختط هناك مدينة مراكش ليقوى على قمع اهل تلك الجبال ان هموا بفتنة واتخذها
موطنا ومقرا فلم يترك احد بفتنة و~~اتخذها~~ وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة
وطنجة وسلا وغيرهما وكثرت عساكره وخرجت جماعة لمتونة وهي قبيلة وغيرهم
من الصحراء وضيقوا حينئذ لثامهم وكانوا قبل ان يتملكوا يلتثمون في الصحراء من الحر والبرد
كما يفعل العرب والغالب على الوانهم السمرة فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام واختلف
في سبب التزامهم اللثام فقيل ان طايفة من لمتونة خرجوا غازين على عدو لهم فخالفهم
العدو الى البيوت ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ
العدو امروا النساء ان يلبسوا ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن
ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان امامهن ثم استدار
النساء على البيوت فلما اشرف العدو راوا جمعا عظيما فظن العدو انه رجال
وقالوا هولاء عند حريمهم يقاتلون قتال الموت والراي الحسن ان نسوق الابل ونمضي
فان منعونا قاتلناهم خارجا عن بيوتهم فبينما هم في جمع النعم بالرعي وقد اقبل رجال
الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فقاتلوا وقتل من عدوهم جمع كثير وكان من قتله

النساء اكثر من ذلك الوقت فجعلوا اللثام سمة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب
ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا ومما قيل فيه من الشعر قول القائل ؛

قوم لهم درك العلا في حمير . واذا انتموا صنهاجة فهم هم . لما حووا في الناس
كل فضيلة . غلب الحياء عليهم فتلثموا . ولم يزل مالكا ارض المغرب والاندلس بيده هم
الى تمام الخمسمائة توفي وتولى بعده ابنه علي وكان يوسف حسن السيرة خيرا
عادلا يميل الى اهل الفقه والدين وللعدل والعلماء ويكرمهم ويقنع بقولهم ورايهم
ولما ملك الاندلس جمع الفقهاء واحسن اليهم فقالوا ينبغي ان يكون ولايته من الخليفة
لتجب طاعتك على الكافة فارسل الى الخليفة المستظهر بالله العباسي ببغداد رسولا
معه هدية كبيرة وكتابا يذكر فيه ما فتح من بلاد الافرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام
ويطلب تقليدا بولاية البلاد فكتب له تقليدا من ديوان الخليفة بما اراد وسيرت
اليه الخلع فسر بذلك ولقب بامير المسلمين ولقب بعده ابنه علي بذلك وازداد بعد
توليه في اكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم وكان اذا وعظه واعظ احدهم خشع
عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر عليه اثرها وكان يوسف حليما كريما
دينا يحب الصفح عن الامور العظام فجملة من صح عنه ثلاثة نفرا اجتمعوا فتمنى
احدهم الف دينار يتجر بها وتمنى الاخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الاخر
زوجته النفزاوية وكانت من اجمل النساء واشهرهن عقلا ولها الحكم في بلده فبلغه الخبر
فاحضرهم فاعطى متمني المال الف دينار واستعمل الاخر وقال للمتمني الزوجة ما حملك
على هذا يا جاهل ثم ارسل اليها ثم تركه في خيمة ثلاثة ايام تحمل اليه كل يوم
طعاما واحدا ثم احضرته وقالت ما اكلت قال طعاما فقالت كل النساء شيء واحد
وامرت له بالمال والكسوة واطلقته فانظر هذا الصفح ولم يوثر عنه رذيلة الا
ما فعل بالمعتمد بن عباد وبنيه لما افتك بلادهم واخذهم اسارى وكان يوسف
قد سير العسكر مع سير ابن ابي بكر وحاصر المعتمد باشبيلية واخذها سنة اربع
وثمانين واربعمائة وقاتله اهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة
باسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره وكان يلقي نفسه في المواطن
التي لا يرجا خلاص منها فسلم بشجاعته وشدة باسه ولكن اذا انقرضت نفدت
المدة لم تغن العدة ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من
رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على اهل البلاد ودخله
المرابطون ونهب جميع ما فيها وسلك الناس بل سلب الناس ثيابهم فخرجوا
من مساكنهم يسترون عوراتهم بايديهم واخذوا المعتمد اسيرا واولاده ،، ،،
الذكور

الذكور والاناث بعد ان استأصلوا جميع ما لهم فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد
وسير المعتمد واهله الى مدينة اغمات فحبس فيها وفعل معهم امير المسلمين يوسف
افعالا لم يسلكها احد قبله ولا يفعلها من يأتي بعده من رضي لنفسه بخطة الرذالة
وذلك انه سجنهم ولم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كانت بنات المعتمد يتضورن جوعا
وصرن يغزلن للناس بالاجرة ينفقنها على انفسهن فابان امير المسلمين بهذا
الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة واغمات هذه في سفح جبل بغرب مدينة مراكش بينهما
نحو اثني عشر ميلا كذا ذكر صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق قال واغمات
وريكة اسفل جبل درن من شماله في فحص افيح طيب التراب كثير الغياض[2] والاعشاب
والمياه تخترقه يمينا وشمالا وتطرد بساحتها ليلا ونهارا وحولها جنات محدقة
وبساتين واشجار ملتفة ومكانها احسن مكان من الارض فرجة طيبة الثمر عذبة
الماء صحيحة الهواء وبها نهر ليس بالكبير يشق المدينة ويأتيها من جنوبها
فيمر الى ان يخرج من شمالها وعليه ارحى يطحنون بها الحنطة وهذا النهر يدخل
المدينة يوم الخميس ويوم الجمعة والسبت والاحد وباقي الايام يأخذونه لسقي
جناتهم وارضهم ويقطعونه عن البلد فلا يجري منه اليها شيء ويكتنفها جبل درن فاذا كان
زمن الشتاء تحللت الثلوج النازلة بجبل درن فيسيل في ذلك الوادي الى مدينة اغمات وربما
جمد به النهر بوسط المدينة حتى يجتاز عليه الاطفال وهو جامد فلا ينكسر لشدة
جموده واهلها هوارة من قبائل البربر المتبربرين بالمجاورة وهم املياء تجار مياسير يدخلون
الى بلاد السودان باحمال الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون
والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار
من الافاويه والعطر وآلات الحديد المصنوع وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله
الا وله في قوافلهم المائة جمل والسبعون جملا كلها موقورة ولم يكن في دولة الملثم
احد اكثر منهم اموالا ولا اوسع منهم احوالا وبابواب منازلهم علامات تدل على مقادير
اموالهم وذلك ان الرجل منهم اذا ملك اربعة الاف دينار يمسكها مع نفسه واربعة
الاف يصرفها في تجارته فيجعل العلامة على يمين بابه وعلى يساره من ضبير من الارض
الى السقف وبنيانهم بالآجر والطوب فاذا مر الناس بجداره نظروا الى تلك العرض
مع الابواب قائمة وعدوها كم مبلغ مال صاحب الدار لانه قد يكون من هذه العرص
خلف الباب اربع وستة مع كل عضادة اثنان وثلاث الى اخر ما ذكر ولم يزل المعتمد
بها مسجونا الى ان توفي سنة ثمان وثمانين واربعمائة وكان المعتمد
من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة واخباره مدونة وآثاره

[2] النبات

مشهورة وله اشعار حسنة فمنها ما قاله رحمه الله تعالى لما اخذ ملكه وحبس

سلت علي يد الخطوب سيوفها · فجذذن من جسدي الخصيب الامتنا

ضربت بها ايدي الخطوب وانما · ضربت رقاب الاملين بها المنى

يا املي العادات من نفحاتنا · كفوا فان الدهر كف اكفنا · وله من قصيدة يصف فيها القيد

في رجله · وتعطف في ساقي تعطف ارقم · يساورها عضا بانياب ضيغم · واني لم كان

الرجال يهابه · ومن يعصه في جنة وجهنم · وله في يوم عيد · في ما مضى كنت بالاعياد

مسرورا · فصرت في اغمات كالعبد ماسورا · قد كان دهرك ان تامره ممتثلا · فرد كـ

الدهر منهيا وماسورا · من بات بعدك في ملك يسر به · فانما بات بالاحلام مسرورا · وكانت

العاشورا، بكلا نبوته وذهوب السحر بالنظم والنثر يتودونه ويذمون الزمان واهله حيث

مثله منكوب قال الشاعر ابو بكر ابن اللبانة · زرته بعد اسره باغمات وقلت ابياتا عند دخولي

اليه · لم اقل في الثقاف كان ثقافا · كنت قلبا به وكان شغافا · يمكث الزهر في الكمام ولكن

لم يكن ذلك المغيب انكسافا · انما انت درة للمعالي · ركب الدهر فوقها اصدافا · حجب

البيت منك شخصا كريما · مثل ما تحجب الزمان سلافا · انت للفضل كعبة ولو اني

كنت استطيع لالتزمت الطوافا · ومن كلامه عبد الجبار بن ابي بكر ابن حمديس ابيات

وهي هذه · جر الك جد بالكرام عثورا · وجار زمان كنت منه مجيرا · لقد اصبحت بيض الظباء

في غمودها · اناثا لترك الضرب وهي ذكورا · ولما رحلتم بالندى في اكفكم · وقلقل رضوى

منكم وثبير · رفعت لساني بالقيامة قد اتت · الا فانظروا كيف الجبال تسير · ورثاه

ابو بكر ابن اللبانة عند حادثته فقال · تبكي السماء بمزن رائح غادي · على البهاليل من ابناء

عباد · عن نعمة ذ خلتها الايام ثانية · اسادة منهم فيها واساد · كعبة انت

الامال تعمدها · فاليوم لا عاكف فيها ولا بادي · ولما قتل ولد المعتمد بين يديه

حين اخذ اسيرا · اصيرا وهما ابو الفتح الرشيدي ويزيد انشد · يقولون صبرا

لا سبيل الى الصبر · ساابكي وابكي ما تطاول من عمر · افتح لقد فتحت لي كل رحمة

كما يزيد اسعد زادني اجر · هوى بكما المقدار عني ولم امت · وادعى وفيا قد نكصت

الى الغدر · لو عدتما لاخترتما العود في الثرى · اذا انتما ابصرتماني في الاسر

ابا خالد اورثتني البث خالدا · ابا النصر مذ ودعت ودع نصري · وكان ابنه

الرشيد جرت له حادثة قبل اخذ المرابطين اشبيلية شبيهة بحادثة الامين

ابن هارون الرشيد قال ابو بكر بن عيسى بن اللبانة الداني كنت يوما عند الرشيد

ابن المعتمد في مجلس انسه في سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وقد ذكر غرناطة وملك

امير المسلمين يوسف لها يعني يوسف بن تاشفين قال فلما ذكرناها تفجع

وتلهف

علی نعری

واسترجع وذكر قصر بها جد عونا لعصر بالدوام ولملكه بزيادة الاعوام فامر عند ذلك
ابا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى : يا دار ميّة بالعلياء فالسند ، اقوت وطال
عليها سالف الامد . قال فاستمالته مسرته ، وتجهمت اسرته . ثم امر بالغناء
من وراء ستاره فغنى : ان شئتنا الا اصبر المصطبر ، فانظر الى حال اصح الطلل
فتاكد تطيره ، واستد ارتداد وجهه وتغيره ، وامر مغنية اخرى فغنت ثم قالت
يا الطيف نجيس على مال او حرفه . على المقلين من اهل المروات ، ان اعتذاري الى من جاء
يسال النيء مالبس عندي من احدى المصيبات . قال ابن اللبانة فقلت ابين الحال بان قمت
فقلت ـــــ على مكرمة لاهد مينا ، وتنقل مأثورة لا تنتقل الـ
البيت كالبيت لكرام تا شربا ، ان الرشيد مع المعتمد ركناه ، تاق على النجم
الجوزاء مقعده ، وراح يبتسل الله مثواه ، ختم على الملك ان يقوى وقد وصلت
والمشرق والغرب يمناه ويسراه . باس توقد فاحمرت لواحظه ، ونايل فاحمرت عذاراه
فلعمري لقد بسطت من نفسه ، واعدت عليه بعض انسه . على اني وقعت فيه
ومع فيه الجميع بقول البيت وامر اتردد لك بالغنى فغنى . ولما قضينا من منى
كل حاجة ، ولم يبق الا ان نوع الركايب . قال فايقنا ان هذه الطيرة تعقبها الغيرة
فلم يمض الا قليل من الدهر حتى حاصروا اشبيلية عسكر امير المسلمين وضيق
عليها فقاتل اهلها قتالا شديدا وظهر من المعتمد ماذكرنا وانقضت ايامه
فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول ولنرجع لذكر ابتداء ولاية الموحدين بطرابلس
وكان ابتداء دولتهم في سنة اربعة عشر وخمسمائة واول من قام بها المهدي
ابو عبد الله محمد بن تومرت العلوي الحسني المصمودي الهرغي نسبة الى هرغة
فخذ من المصامدة كانوا يسكنون جبل السوس من بلاد المغرب نزلوه لما فتح المسلمون
في دولة موسى ابن نصير كان قد رحل في شبيبته الى بلاد المشرق لطلب العلم
فتفقه وكان فقيها عالما فاضلا حافظا للحديث عارفا باصول الدين والفقه
محققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل في رحلته الى العراق فاجتمع بالغزالي والكيا
وابي بكر الطرطوشي بالاسكندرية وقيل انه جرا له حديث مع الغزالي فيما فعله بارض
المغرب من التملك فقال الغزالي ان هذا لا يمشي في هذا البلد ولا يمكن وقوعه لامثالنا
هكذا قال بعض مؤرخي المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فخرج من هنالك وعاد الى
المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر من المركب والزم من به
باقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية سنة خمس وخمسمائة
وبها حينئذ يحيى ابن تميم فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت وله معه

ذكوة وعصى لا غير فسمع به الناس فقصدوه يقرؤون عليه انواع العلوم وكان اذا مر
به منكر غيره وازاله فلما كثر ذلك منه احضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما
راى سمته وسمع كلامه اكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المهدية واقام بالمنستير
مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فاخرج منها الى قرية
بالمغرب اسمها ملالة فلقيه بها عبد المومن بن علي فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس
فيه التقدم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فاخبره انه من قيس عيلان ثم من بني
سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ينصر هذا
الدين في اخر الزمان برجل من قيس فقيل من اي قيس من سليم فاستبشر بعبد المومن
وسر بلقائه وكان مولد عبد المومن بضيعة تاجوراء من عمل تلمسان وهو من بني
عابد قبيل من كومة نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين وماية ولم يزل المهدي ملازما
للامر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه الى ان وصل الى مراكش دار امير المسلمين
علي بن يوسف بن تاشفين فرأى فيه من المنكرات اكثر مما عاينه في طريقه فزاد في امره
بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس به فبينما هو في بعض
الايام في طريقه اذ رأى اخت امير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان
كثير وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويلثم
الرجال فلما رأى النساء كذلك انكر عليهن وامرهن بستر وجوههن وضرب هو
واصحابه دوابهن فسقطت اخت الامير عن دابتها فرفع فوصل امره الى امير
المسلمين فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فاخذ يعظه ويذكره ويخوفه
فبكى امير المسلمين وامر ان يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة
الحق الذي فعله وكان عند امير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب
فقال والله يا امير المسلمين هذا لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد
اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وقلدني دمه فلم يفعل ذلك
فقال اذا لم تقتله فاحبسه وخلده في السجن والا اثار شرا لا يمكن تلافيه فاراد حبسه
فمنعه رجل من اكبر الملثمين يسمى بيان ابن عمران فامر باخراجه من مراكش
فسار الى اغمات ولحق بجبل درن وسار فيه حتى لحق بالسوس الذي فيه قبيلة
هزرجة وغيرهم من المصامدة وكان ذلك سنة اربعة عشر وخمسماية فاتوه
واجتمعوا حوله وسمع به اهل تلك النواحي فوفدوا اليه وحضر اعيانهم بين
يديه فجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها
وما حدث وذكر من اهل الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه

الدولة

الدولة لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه واقام عندهم نحو سنة
وتبعه على ذالك هزرعة وسمى أتباعه بالموحدين واعلمهم ان النبي صلى الله عليه
وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى
فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المومن بن علي فقالوا لا يوجد هذا الا فيك انت المهدي
فبايعوه على ذالك وانتهى خبره الى امير المسلمين فجهز جيشا مع اصحابه وسيرهم
اليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لاصحابه ان هولاء يريدوني واخاف عليكم منهم فالراي
ان اخرج بنفسي الى غير هذه البلد لتسلموا انتم فقال ابن توفيان من مشايخ
هزرعة هل تخاف من السماء فقال بل من السماء تنتصرون فقال ابن توفيان فليا
تنا كل من في الارض ووافقه جميع قبائلهم فقال المهدي ابشروا بالنصر والظفر بهذه
الشرذمة القليلة وعما قليل تستاصلون دولتهم وتورثون ارضهم وديارهم فنزلوا
من الجبل فلقوا جيش امير المسلمين فهزموهم واخذوا سلبهم وقوي ظنهم في صدق
المهدي حيث ظفروا كما ذكر لهم واقبلت اليه حينئذ قبائل العرب افواجا من الجبال
التي حوله شرقا وغربا وبايعوه واطاعه قبيلة هنتاتة وهي قبيلة من البربر وهي
اكبر قبائلهم فاقبل عليهم واطمان لهم واتاه رسل اهل تِينَمَلَّتْ بطاعتهم له وطلبوه
اليهم فتوجه الى جبل تينملت وبنى له مسجدا خارج المدينة واستوطنه والف لهم
كتابا في التوحيد وكتابا في العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض وامرهم
بالاقتصار على القصير من القليل الثمن وحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار
من بينهم ولما رأى كثرة اهل الجبل وحصانة المدينة خاف ان يرجعوا عليه فامرهم
ان يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذالك عدة ايام ثم امر اصحابه بقتلهم ففعلوا وهم
غافلون فقتلوهم في ذالك المسجد ثم دخل المدينة فقتل اكثرها ونهب الاموال وسبا
الحريم فكان عدة القتلى خمسة عشر الفا وقسم الارض والديار بين اصحابه
ولما خاف اهل تينملت على انفسهم بل على نفسه لما فعل اراد ان يوقع بينهم
وبين المرابطين فتنة فنظر اولادهم فاذا الغالب عليهم الشقرة والزرقة
وعليهم السمرة فقال مالي اراكم ان اولادكم سمرا وشقرا زرقا فقالوا كان لامير
المسلمين عدة مماليك من الافرنج والروم وكانوا يصعدون الجبل في كل عام
ياخذون الاموال المقررة لامير المسلمين وكانوا يسكنون بيوتنا مع الحريم ويخرجونا
منها فلما اخبروه بذلك قبح لهم الصبر عليهم وازرى عليهم وعظم الامر عندهم فقالوا
له كيف الحيلة في الاخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال اذا حضروا عندكم في الوقت
المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فيقتله واحفظوا جبلكم

فلما كان

جيلكم فإنه لا يرام ولا يقدر عليه أحد فلما حضر عندهم العبيد قتلوهم وخافوا على أنفسهم
من أمير المسلمين فامتنعوا في الجبل وسدوا ما فيه من طرق تسلك إليهم فعو بيف
نعسر ابن تومرت بذلك وأرسل إليهم أمير المسلمين جيشا قويا فحصروا الجبل وضيقوا
على أهله وقلت عندهم الميرة حتى عدم الخبز رأسا وكان يطبخ لهم ابن تومرت كل يوم
من الحساء ما يكفيهم وكان قوت كل واحد منهم أن يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها
فما تعلق بها قنع به في يومه فلما اشتد عليهم الأمر أراد أهل تينملل إصلاح حالهم
مع أمير المسلمين وبلغ ذلك ابن تومرت وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الونشريسي
ملازما لقراءة القرآن وطلب العلم وسر الحديث لم يعلم به أحد فلما كان في سنة تسع
عشرة وخمسماية خاف المهدي من خروج أهل الجبل عليه فأمر الونشريسي ببعض
بفعل أمور أراد لها على زند فتنة ليخدع بها العوام وذلك أنه أمر الونشريسي بالحضور
بإزائه عند المحراب وأن يتطيب وأظهر أنه لم يعرفه وهو لا يعرف بقراءة القرآن فجعل
فلما صلى والناس حوله سأله من أنت فقال أبو عبد الله الونشريسي فقال المهدي إن أمرك
لعجيب ونادى في الناس فحضروا فقال هذا الرجل يزعم أنه الونشريسي فانظروه
وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فسأله المهدي ما قصتك فقال إنه أتاني
الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني القرآن والموطأ وغيرهما من العلوم
فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ بقراءة القرآن
فقرأ قراءة حسنة من أي موضع يسئل ثم قال إن الله قد أعطاني نورا أعرف به أهل
الجنة من أهل النار وأمركم أن تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله ملائكة
إلى البير التي بموضع كذا يشهدون بصدقي وكانوا وضعوا فيه رجالا فسار إليها المهدي
والناس وصلى عندها المهدي وقال يا ملائكة الله إن أبا عبد الله الونشريسي
قد زعم كيت وكيت فقال من فيها صدق وكان أمرهم بالشهادة له فلما قيل ذلك من البير
قال إن هذه البير مطهرة مقدسة قد نزل إليها الملائكة والمصلحة أن تطم لئلا يقع فيها
نجاسة أو ما لا يجوز فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها بمن فيها وفعل بأهل
الجبل من حضورهم للتمييز وقتلهم بعد ذلك ما دل على تزندقه ووقائع مع أمير المسلمين
كثيرة ولما بعث جيشه وكسر سأل هل مات عبد المؤمن فقيل لا فقال إن الأمر
باق وهو الذي يفتح البلاد ووصى أصحابه باتباعه وكان إذ ذاك مريضا وحرضهم
على اتباعه وتسليم الأمر إليه وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسماية واستقر
الأمر لعبد المؤمن ورجع بعد اللقاء لتينملل فلما بها يؤلف القلوب ويحسن إلى
الناس وكان جوادا مقداما في الحروب ثابتا في الهزاهز إلى سنة ثمانية وعشرين وخمسماية

فتحرك.

عله يقدح

فتحصن في مدارج جمع كثير الى ان وصل الى تادلة فمانعه اهلها فقاتلهم فقتلهم
وقهرهم وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى في الجبال يفتح ما امتنع
عليه واطاعته صنهاجة ووقعت بينه وبين امير المسلمين حروب فتارة له
وتارة عليه الى ان نزل مراكش سنة احدى واربعين وخمسمائة وبها حينئذ
اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي فضرب خيامه في غربيها على جبل
صغير وبنى عليه مدينة صغيرة له ولعسكره وبنى فيها جامعا وبنى له بناء عاليا
يرى منه مدينة مراكش ويرى احوال اهلها واحوال المقاتلين من اصحابه وقاتلها
قتالا شديدا واقام عليها احدى عشر شهرا حتى فتحها سنة اثنين واربعين
وخمسمائة وقتل اعيان دولة المرابطين ولما استولى اسحاق بن علي صار
يرتعد ويسال العفو فلم ينفعه البكاء ويدعو لعبد المومن فقام اليه سير بن الحاج
الامير وكان الى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه وقال تبكي على ابيك وامك اصبر صبر الرجال
فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه
حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقدم اسحاق على صغر
سنه فضربت عنقه وقبل استيلاء عبد المومن عليها وكان ذلك سنة ثلاث
واربعين من التاريخ المذكور وباسحاق انقرضت دولة الملثمين وكان مدة ملكهم
سبعين سنة وولي منهم اربعة يوسف وعلي وتاشفين واسحاق ولما
فتحها عبد المومن اقام بها واستوطنها واستقر بها امر بهدم الجامع الذي
بناه يوسف بن تاشفين وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه واحسن عمله
ولقد اساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب سجنه على الحالة
التي ذكرنا اقبح مركب فلا جرم سلط الله على اعقابه من اربى في الاخذ عليه وزاد
فتبارك الحي الدائم الملك الحق الذي لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا فلانها
ثم انا نسال الله ان يختم اعمالنا بالحسنى ويجعل خير ايامنا يوم لقائه بمحمد
وآله ولما استقر واخذ بلاد بني حماد اجتمع العرب بنو هلال والاثبج
وعدي ورياح وزغبة وغيرهم من العرب من ارض طرابلس الى اقصى المغرب وقالوا
ان جاورنا عبد المومن اجلانا من المغرب وليس الراي الا الجد والجهد في لقائه
واخراجه من البلاد قبل ان يتمكن وتحالفوا على التعاون والتظافر وان لا يخون
بعضهم بعضا وعزموا على لقائه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوه قتال الحريم
واتصل الخبر الى الملك رجار الافرنجي صاحب صقلية فارسل الى امراء العرب منهم محرز بن
زياد وجبارة بن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحضهم على

لقاء عبد المومن ويعرض عليهم ان يرسل اليهم خمسة آلاف فارس من الافرنج يقاتلون
معهم على شرط ان يرسلوا اليه الرهان فشكروه وقالوا ما بنا من حاجة الى نجدة من
ولا نستعين بغير المسلمين وساروا في عدد لا يحصى وكان عبد المومن قد رحل من بجاية
الى المغرب فلما بلغه خبرهم جهز جيشا من الموحدين يزيد على ثلاثين الف فارس من
واستعمل عليهم عبد الله بن عمر الهنتاتي وسعد الله بن يحيى وكان العرب اضعافهم
فاستجرهم الموحدون وتبعهم العرب الى ان وصلوا الى ارض سطيف بين جبال فحمل
عليهم عسكر عبد المومن فجاءت العرب على غير اهبة فالتقى الجمعان واقتتلوا اشد قتال
واعظمه فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونصرت الموحدون وترك العرب جميع ما لهم من
مال واثاث واخذ الموحدون جميع ذلك وعاد الجيش الى عبد المومن بجميعه فقسم جميع
الاموال على عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط ووكل بهم من الخدم الخصيان من
يخدمهم ويقوم بحوائجهم وامر بصيانتهم فلما وصلوا معه الى مراكش انزلهم في المساكن
الفسيحة واجرى لهم النفقات الواسعة وامر ابنه محمدا ان يكاتب امراء العرب ويعلمهم ان
نساءهم واولادهم تحت الحفظ والصيانة وامرهم ان يحضروا ليسلم اليهم ابوه ذلك جميعا
وانه قد بذل لهم الامان والكرامة ولما وصل كتاب محمد الى العرب سارعوا الى مراكش فلما وصلوا
اليها اعطاهم عبد المومن نساءهم واولادهم واحسن اليهم واعطاهم اموالا جزيلة فاسترق
قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان يثق بهم جميعا واستعان بهم على ولاية ابنه محمد وكانت
بيعة محمد سنة احدى وخمسين وخمسمائة وفعل ذلك عبد المومن حيلة عظيمة وذلك
انه كان الامر بين عبد المومن وبين عمر الهنتاتي ان يلي عمر الامر من بعده فلما تمكن عبد
المومن من الملك وكثر اولاده احب ان ينتقل الملك اليهم فاحضر امراء العرب من هلال وزغبة
وعدي وغيرهم اليه ووصلهم واحسن اليهم ووضع عليهم من يقول لهم يطلبوا من عبد
المومن ويقولون له نريد ان تجعل لنا ولي عهد من ولدك يرجع الناس اليه بعدك ففعلوا
ذلك فلم يجبهم الى ما لعمر الهنتاتي لعلو منزلته في الموحدين فقال لهم ان الامر لابي حفص
عمر فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المومن واجاب الى خلع نفسه فحينئذ
بويع لمحمد بولاية العهد وكتب الى جميع بلاده بذلك وخطب له في جميعها وخرج
عبد المومن في ذلك اليوم نثرا كثيرا وفي هذه السنة استعمل عبد المومن اولاده على البلاد
بحيلة عظيمة وذلك انه قد كان استعمل على البلاد شيوخ الموحدين المشهورين من اصحاب
المهدي بن تومرت فكان يتعذر عليه عزلهم فاخذ اولادهم وتركهم عنده يشتغلون
بالعلوم فلما مهروا فيها وصاروا يقتدى بهم قال لآبائهم اني اريد ان تكونوا عندي استعين
بكم على ما انا بصدده ويكون اولادكم في الاعمال لانهم فقهاء عقلاء فاجابوا الى ذلك وهم
فرحون.

فرحون مسرورون حول اولادهم ثم وضع عليهم مصحفا يعتمد عليه فقال لهم ان اردت امرا
عظيما قد تعلمون، قد قارفتم فيه الحزم والادب فقالوا ما هو فقال الولاية في الاعمال، واولاد
الامير امير المومنين ليس الفرح منها بشيء، مع ما هم فيه من العلم وحسن السياسة
وان اخاف ان ينظروا في هذا فتسقط منزلتكم وقالوا نحب نستعمل على البلاد السادة
عنده، فيعلموا صدق القبايل فحضروا عند عبد المومن وقالوا نحب ان نستعمل على البلاد
السادة اولادك فقال لا افعل ذلك فلم يزالوا به حتى فعل ذلك بسوالهم فاستعمل ابنه
ابا محمد عبد الله على بجاية واعمالها واستعمل ابنه ابا حفص عمر على تلمسان واس
واستعمل ابنه ابا الحسن علي على مدينة فاس واعمالها وولى ابنه ابا سعيد سبتة
والجزيرة الخضراء ومالقة وكذلك غيرهم واستولى على ارض افريقية وطرابلس والمغرب
والاندلس وازال منها دولة الملثمين فتوفي سنة ثمان وخمسين وخمسماية
وكانت وفاته بسلا لانه سار من مراكش الى سلا فمرض بها فمات بها فلما حضره
الموت اجتمع اليه جميع شيوخ الموحدين من اصحابه وقال لهم قد جربت ابني محمد
فلم اره يصلح لهذا الامر وانما يصلح له ابني يوسف فهو الوالي فقدموه له وصافحه
به وبايعوه ودعي بامير المومنين وكتموا موت عبد المومن وحمل في صورة انه مريض الى ان
وصل الى مراكش وكان ابنه ابو حفص في تلك المدة حاجبا لابيه فبقي مع اخيه على مثل حاله
مع ابيه يخرج فيقول للناس امركم امير المومنين بكذا ويوسف يقعد مقعد ابيه
الى ان كملت له المبايعة في جميع البلاد واستقرت قواعد الامر له ثم اظهر موت ابيه
وكانت ولاية عبد المومن ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا وكان عاقلا حازما سديد
الراي حسن السياسة للامور كثير البذل للاموال سفاكا للدماء على صغير الذنب
وكان يعظم امر الدين ويقويه ويلزم الناس في ساير بلاده بالصلاة ومن رايناه في وقت الصلاة
غير مصل قتله وجمع الناس بالمغرب على مذهب مالك في الفروع وعلى ابي الحسن الاشعري
في الاعتقاد واصول الدين وكان الغالب على مجلسه اهل العلم والدين والمرجع اليهم
والكلام معهم ولهم واستقر الملك بيد يوسف ووقع له من الانزاك ما حكيناه في شان
قراقوش كذا من علي بن اسحاق ثم توفي يوسف سنة ثمانين وخمسماية فكانت ولايته
اثنين وعشرين سنة وشهورا وكانت وفاته بمدينة شنترين بعد ان حاصر اهلها الى نحو
شهرا ثم مرض فمات في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية وتولى ابنه
المنصور وابو يوسف يعقوب ابن يوسف بن عبد المومن في الوقت الذي مات فيه ابوه فقام
بالامر احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة في الناس وكان دينا مقيما للحدود
في الخاص والعام فاستقامت له الدولة وانقادت له الناس باسرها مع سعة اقطارها

وكان يوسف ابوه حسن السيرة وكانت طريقة ابنه يوسف احسن من ابيه مع الناس يحب
العلماء ويعظمهم ويقربهم دون غيرهم ويشاورهم وهم اهل خدمته وخاصته واحبه الناس
ومالوا اليه واطاعه من البلد ما امتنع على ابيه وسلك في جبايته الاموال ما كان ابوه ياخذه
لهم يتعداه الى غيره وقام على يوسف محمد بن عبد الكريم بالمهدية وهو رجل جبار وقبض على
والبلد من قبله وهو الشيخ ابو علي بن نصر ابن الشيخ ابي حفص بن عبد المومن وكان ذلك
سنة خمس وتسعين وخمسمائة واخذ يحيى ابن اسحاق الميورقي طرابلس وقابس وتونس
فاتفق ان قتل بعضهم نفسه لما فعل بهم ابن اسحاق من تغريم المال والتعذيب عليه وراء ذلك
اروح له وقد ذكرنا تاريخ ذلك ولما بلغ الناصر بن يعقوب ما دهم اهل افريقية من الميورقي
وابن عبد الكريم امتعض لذلك واخذ في الحركة اليها وكان يبلغ الميورقي يبعد عن خبرها الى
ان وصل الناصر الى بجاية ووصله رجاله واخبروه معاينة بوجه ذخايره واموالها الى
المهدية لتكون تحت يد ابن عمه علي ابن الغازي وخرج من تونس وتوجه الى القيروان ثم
الى قفصة واجتمع بالعربان واخذ رهاينهم وواثقهم معه على الخدمة ثم اتى بلد نفزاوة
واطلق فيهم ايدي الجند فقتلوا كثيرا من اهلها وانتهبوا اموالهم واطلقوا النار في بعض
دورهم وذلك لما كان بلغه عنهم من المخالفة ثم انتقل الى مطماطة وبلغه ان الناصر
نكب على طريق يوسف واخذ على طريق قفصة في اتباعه فانتقل الى جبل دمر متحصنا
به ووصل الناصر الى قفصة مستقبعا اخبار يحيى فعرف بانتقاله الى جبل دمر ورجع
الى تونس وولى على البلد ابن حبيبطا من الموحدين وقدم في رجوعه على قتال يحيى الشيخ
المقدس ابا محمد عبد الواحد ابن ابي حفص ووجه معه جيشا عظيما فاتى يحيى الفرار من الجبل
الى الصحراء فعلم به اصحابه وحرضوه على الثبوت في القتل وكانت للشيخ ابي محمد عليه الوقعة
المعروفة بتاجرا فاستاصل فيها كثيرا من اصحاب يحيى وفر يحيى في شرذمة قليلة وكان
قدم اهله واولاده امامه بنحو خمسة فراسخ فلما فر اخذهم ولولا ذلك لسبقوا
واستنقذ الشيخ ابو محمد من يدي السيد ابا زيد حيا بعد ان ضربه الموكل به
ضربات بسيف قصد بهم قتله فلم يمهل عن الاجهاز عليه واستنقذ جماعة من الموحدين
كانوا في يده واخذوا الراية السوداء واحاط الموحدون بجميع عسكر يحيى وما معهم من
الاموال والابل فانتهبوها ورجع الشيخ ابو محمد بجميع ذلك الى الناصر وهو محاصر
للمهدية وبها علي بن الغازي الميورقي واركب الامين الموكل بثقاف الشيخ ابا زيد على
جمل سلاح شهرة له وبيده الراية السوداء فطوف به على المهدية وكانت الهزيمة
في الثالث عشر من ربيع الاول سنة اثنين وستماية وكتب حماد الملقب المشهور
بالابداع في قطعة كاغد هاذين البيتين مقطعين في الكاغد كله يهجوا يحيى ويذكر

الهزيمة

الهزيمة. ورأى يحيى اسلام الخلق بلاده. ففر امام من اجاليه. فشبهت الشمس بلام يعزاه.
ولام الامر داخلة عليه. وعرضت الغنائم على الناصر على ملاحظة من المحصورين بالمهدية
وهم مع ذلك مكذبون بهزيمة يحيى فتحصنوا بالسيف والح الناصر في قتالهم ونصب
عليهم المجانيق على جهة واحدة في السور حتى كثر الموت والجراحات وتحققوا انهزام
يحيى فسقط ما في ايديهم وطلبوا الامان فاسعفوا به ونزل علي ابن الغازي واتباعه
وشيعته على ان يخلى لهم سبيلهم ويسلموا البلد ويكونوا في امان الموحدين
الى ان يصلوا الى يحيى وكان ذلك في السابع والعشرين من جماد الاولى فكان بين
هزيمة تاجرة وفتح المهدية اربعة وسبعون يوما وخرج علي ابن الغازي على المهدية
ومن تبعه من حاشيته وضرب اخبيته بخصر فراضه فبات هنالك تلك الليلة
ثم دعته نفسه الى الدخول في طاعة الموحدين وقال طعف بعد ان كنت في حكم نفسي
فاستحسن ذلك منه الناصر واستدعاه واحسن اليه ووافق ذلك وصول مملكة
الناصر ناجح صاحب ديوان يمسته بالمهدية العظيمة التي جمعها في المدة
الطويلة وكان فيها ثوبان قد نسجا بانواع الجواهر وجعلت فيها اعلاق من اليواقيت
والحجارة النفيسة فامر الناصر بحمل جميع الهدية الى علي ابن الغازي فمات ناجح من
اثر ذلك كمدا وحسدا ثم انتقل الناصر من المهدية في عشرين من جماد الاخرة سنة
اثنين وستمائة واراد النقلة لارض المغرب فجنبه احد فيها تحدث مع اشياخه
ومدبري امر دولته فيمن يترك بافريقية فاجمع رايهم على الشيخ ابي محمد ابي حفص
ولم يختلف في ذلك اثنان وكانهم راوا في ذلك بعده من الخلافة فامر الناصر بعض خدمه
في الحديث معه في ذلك استخبارا من مواجهته به فامتنع ولم تسمح نفسه بمفارقة
وطنه فعاوض الناصر في ذلك بنفسه فاعتذر له ببعد الشقة عن خليفة بمراكش
من اهل وولد وبما استلزم ذلك من مفارقة الخليفة والبعد عنه ونظر الناصر فلم يجد
عوضا عنه ولم ير ذلك اهلا عن المقام وعظم عليه امر شرقي البلاد وما ناب اهلها
من بعده عنهم من الفيلق فارسل اليه ولده ومعه ولد الشيخ ابي محمد من ابنة
المنصور وهو المعروف بالسيد ابي الحسن وكان للناصر خاله فقد رباه مع ولده
يوسف المنتصر ولي عهده واختصه كولده فوجهه مع ولده في طرف حاشيته
ليلا يدخلوا عليه فقام الشيخ ابو محمد لولد الناصر واجلسه معه وقال ما جاء بك
ايها الطالب ولو كان عندي غير نعمتكم لفاديتكم به فاجابه الحاشية كرامته فضلا
مصلحته قال نعم نقضي فقال ان مولانا وسيدنا يخصكم بالسلام ويقول لكم هذه
البلاد من اول هذا الامر العزيز وهي مع هؤلاء الثوار في امر عظيم وتحت ليل بهيم وقد

وصل اليها سيدنا عبد المومن وسيدنا ابو يعقوب وسيدنا الناصر وما منهم الا انفق اموالا
وافنى في الحركات اليها رجالا والمشقة شديدة والشقة بعيدة وما عاد واحد منهم
الا وعاد بالويل واظلم ذلك الليل وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها
كذلك يجب عليكم وقد طلبنا في جميع اخوانكم السادة واعيان اهل الجماعة من ينوب
عنا في هذه البلاد فلم نجد عنك معدلا فلا تحصر الامر الينا واليكم فاما ان تطلع الى حضرة
مراكش فتقيم هنالك مقامنا ونقيم نحن بهذه البلاد او نطلع نحن فقال الشيخ ما ينبغي
اما القسم الاول فهما لا يكون واما القسم الثاني فاجبت اليه على شروط فسر الولد بذلك
وقبل يد الشيخ وراسه وانفصلوا وكان ما عند تلك الليلة فتجدد بالسرور الخبر
عنهم والطمانينة مما كان اهمهم ثم خلا الناصر به مستفهما به عن شروطه فاشترط
الا يتولى افريقية الا بقدر ما تحصل احوالها وينقطع طمع الميورقي منها ويتخير الناصر
في رجاله من يوجهه عوضا عنه وجعل الغاية في ذلك ثلاث سنين وانه يعرض عليه الجيش
فيبقى معه من يقع اختياره عليه وانه ان فعل فعلا كاينا ما كان لا يسئل عنه ولا يعاتب عليه
فيه الى اخر الشروط من راسها فلير اجعه في محلها وكذلك والناصر مقبل عليه وقابل
للشروط وخرج الناصر متوجها لارض المغرب وكان في سبع خلت من شوال وصحبه الشيخ
ابو محمد ثلاثة ايام ثم رجع واستقر ملكه وملك طرابلس في يده وفي يد بنيه من بعده
الى ان اختلفوا واستعان بعضهم بالافرنج واخذ صاحب جنوة طرابلس سنة ستة
عشر وتسعماية واخذ حلق الوادي صاحب صقلية وملكت طرابلس تحت تغلب
النصارى ثلاثا واربعين سنة وقيل خمسة واربعين سنة فيكون اخذهم لها سنة
احدى وسبعين وثمانماية او ثلاثا وسبعين وثمانماية وسبب اخذهم لها
ان اهلها بعد دخولهم في طاعة الموحدين كثرت اموالهم وتجاراتهم واطمانوا ولم
يشتغلوا بالحرب حتى لم يكن لهم به خبرة فقدمت قطاعة سفن للعدو موسوقة
بانواع البضاعات وفيها من كل نوع كثير فتقدم اليهم تاجر من تجار المدينة فاشترى
جميع ما فيها من سلع ونقد لهم ثمنه واستضافهم رجل اخر وصنع لهم طعاما فاخرا
واخرج فاموتة مثمنة قد نقشها نقشا عجيبا وذرها على طعامهم فبهتوا من ذلك فلما فرغوا
رجعوا الى جنوة فسالهم ملكهم عن حالها فقالوا ما راينا اكثر منها مالا واقل سلاحا
واعجز اهلا عن دفاع عدو وحكوا له الحكايتين فتاقت نفسه لاخذها وجهز اسطولا
فدخلها في ليلة واحدة بلا كبير مشقة واستولى عليها ولم ينج من اهلها الا من تسور
البلد وانحاز المسلمون الى تاجوراء وجبال غريان ومسلاته وصارت للنصارى وقيل ان
دخولهم لها كان بموافقة البعض من اهلها والله اعلم اي ذلك كان ولعله

قف

ان جاز

ان حاز المسلمون الى تلك الاماكن انتدب جماعة من اهل تاجوراء وركبوا شيطيا وتوجهوا
الى صاحب القسطنطينية يطلبون منه اعانة وكانوا اهل خبرة بلغة الترك فلما حضروا
القسطنطينية استغرب اهلها زيهم وسالوهم من اي الاراضي انتم فاخبروهم انهم من
ارض طرابلس الغرب فقدموا لحضرة السلطان مستغيثين فحضروا بين يديه وكان مراد
علجا خصيا للسلطان ربي بارض المشرق وتعلم العربية فكان يعرف للسلطان عنهم
فاخبروه عن حال بلادهم واخذ النصارى لها وتضييع ملوكهم ودولتهم وانهم يريدون
منه اعانة على افتكاك بلادهم والي يلي امرهم فاستعمل عليهم مراد ووفدوا به الى بلا
دهم ودتواله فبايعوه اهل غريان سنة اثنين وخمسين وتسعماية وبايعه اهل زيهة
كلهم قيل وراسلته خودة بنت شرومة ابا محمد العباسي صاحب فزان فارسل اليها طايفة
من جنده سنة ستة وخمسين وتسعماية فملكوا ارض فزان والصحيح ان اخذ فزان انما
كان سنة خمس وثمانين وتسعماية بعد فتح طرابلس وموت درغوث باشا اذ كان امر
الجند شورى بينهم وسياتي ان شاء الله تعالى ذكره ولم يزل يوالي الغزو على طرابلس
ويضيق على من بها من الروم ومن ظهر منهم اختطفه المسلمون وبنى بعضهم قصرا
بين البلد بن لاختطافهم الى ان دخلت سنة ثمان وخمسين وتسعماية فمر اسطول
السلطان سليمان بالمدينة المذكورة مدد العلج علي باشا اذ كان محاصرا لحلق الوادي
وبه درغوث باشا وهو قايد فخرج اليهم مراد ومعه اعيان بيعته من اهل تاجوراء في شيني
وطلبوا منه الاعانة فابى عليهم وتعلل بانه لم يوذن له فيها فهونوا عليه امرها
وحقروها بين يديه فاجابهم الى ذلك بشرط ان يعطوه حجة ان كان درك من السلطان
لحالفته امره اخذهم بذلك فاعطوه بذلك حجة واحضروها برا وبحرا فاخذوها قيل
عنوة وقيل طلب اهلها الامان لانفسهم فاجابوهم لذلك وخرجوا عنها وتسلم درغوث
البلد وكاتبوا السلطان سليمان بذلك فسر به سرورا عظيما وكتب له بولاية
البلد وبايعه اهل جربة وقابس واهل عمالتهم وقيل كان فتحها زمن ولاية سليمان
بايزيد والصحيح ما ذكرناه من انها زمن السلطان سليمان ابن السلطان سليم
ابن السلطان بايزيد بن السلطان مراد بن محمد بن يلدريم بن اورخان بن عثمان
ابن طغربل بن سليمان وكان سليمان ملكا في الشرق في بلاد ماهان بمقربة من بلد
بلخ واختلف في نسبه فقيل من التركمان الرحالة النزالة من نجد التتار منهم وينفصل
نسبهم بيافث ابن نوح عليه السلام كذا ذكر القرطبي وقال صاحب درر الاثمان
في منبع ملوك بني عثمان ان اصلهم من عرب الحجاز وزاد جماعة من المورخين انهم
من اهل المدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام و على انه من التركمان

في تولية مراد اغا واحكام الترك

في درغوث باشا

كان سبب خروجه من بلخ لارض خراب جنكيز خان بلاد بلخ فتوجه سليمان شاه هذا وصحبته
خمسون الف بيت الى الروم فلما جاوزوا الفرات غرق سليمان فدخل ولده طغرل
ارض الروم فاكرمه السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان الروم ومات بالروم
وخلف عدة اولاد انجاد اشدهم باسا واعلاهم همة عثمان نشا مولعا بالقتال
وجهاد الكفار واعجب ذالك السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان الروم فارسل
اليه الراية السلطانية والطبل والمزمار فلما وصلته تلك الالة وضربت بين يديه قام
تعظيما لامر السلطان وفرحا باقباله فصار شعارا لال عثمان ومن يليهم من المنتخبين
لذالك الوقت عند ضرب ذالك الى وقتنا ثم مات عثمان وانتقل الملك لبنيه وقيل ان اصل
عثمان من اعراب الحجاز وهاجر منها لغلاء بها واستقر ببلاد قرمان واتصل باتباع
سلاطينها وكانت رحلته لارض الروم سنة خمس وستماية وتزوج من قونيا فولد
له سليمان وسلطون وهو الذي فتح برصا حدود ~~[illegible]~~ الثلاثين وسبعماية
ثم ملك بعده ابنه عثمان خواني الاصغر وقيل هو الذي فتح برصا وهو الذي استقل
بالامر خلاف ابائه فانهم كانوا من اتباع السلاجقة ولم يزل الملك يتداوله بنوه الى ان
انتهى الى بايزيد وكان له عدة اولاد وكان يعرف بالملك الاكبر ولده احمد وعسكره يميل
الى سليم فخرج سليم عن الطاعة وخلع البيعة لما راه من جعل ابيه بالعهد لاخيه بعد
ميل اليه من العسكر فتحاربا ووقعت بينهما مقتلة ثم ال الامر بينهما الى ان كتب
العهد له لما راه من ميل العسكر فتولى الملك واتسعت مملكته فملك مصر والشام
وساير ممالك العرب وتولى الملك سنة سبعة عشر وتسعماية فاقام في الملك
تسع سنين وثمانية اشهر وتوفي سنة ستة وعشرين وتسعماية وتولى
ابنه سليمان في السنة المذكورة وعمره حينئذ ست وعشرون سنة ولبث
في الملك تسعا واربعين سنة وتوفي سنة خمس وسبعين وتسعماية وهو الذي
فك ممالك بني حفص من ارض افريقية طرابلس وتونس لابنه سليم قاله الشيخ
مرعي مورخ ملوك بني عثمان وابي سالم العياشي وذالك انه اتفق على ان فتح طرابلس
كان سنة ثمان وخمسين وتسعماية وفي ذالك كان الامر لسليمان وقد ذكر غير واحد
ان اخذها كان من العدد الالة خلق الوادي نصرة وهو يقتضي حصر الجيش له
وقد ذكر الشيخ مرعي ان المحاصر لذالك فلج علي باشا وسنان ولم يل فلج علي
الوزارة لسليم انما وليها لابيه سليمان وكانت ولاية سليم بعد موت ابيه سنة
خمس وسبعين وولاية فلج علي باشا الوزارة لسليمان سنة ستة وخمسين وتسعماية
واقام بها اربع سنين وستة اشهر وكان سليمان بن سليم سعيدا عادلا فاضلا

جوادا

جوادا ممدوحا مجاهدا في سبيل الله ناظرا الى الرعية بالعدل لم يل الامر من بني عثمان
قبله او بعده مثله وخلف سراياه الى اقصا المشرق والمغرب وغزى بنفسه
ثلاثة عشر غزوة عظيمة وكان مفتوحا على يديه ايالات سلك ملك واني توجه فتح
وفتك سويداء حروبه مسددا في رايه مسعودا في وقايعه ولم يزل متوليا قايما
بامر الدين واظهار العدل وتاييد الشريعة وتجديد دين الامة في القرن العاشر
الى ان جاءه الله وكانت ايامه من غرر الزمان وقتل اول امره اولاده خوف العقوق
والخروج عليه حتى ولده مصطفى بعد توجيهه الى تبريز لاخذ العجم وتخلع فخيل
ولده بايزيد فلم يمكن ذلك الا بعد حتى قتل فيها نحو الخمسين الفا وحصل بقية
اولاده محمود وعبد الله وعثمان وبذل مالا كثيرا حتى ظفر بهم فخنقهم وخنق اولادهم
ولقامات رثاه الشعراء بكل لسان منهم ابو السعود المفتي صاحب التفسير بقصيدة
قال فيها اصوت صاعقة ام نفخة الصور فالارض قد ملئت من نقر ناقور اصاب منه الورى
دهياء داهية وخاف منها البرايا ظلمة الطور تهدمت بقعة الدنيا لوقعته
وانهد ما كان من دور ومن سور فيا كئيب وملهوف ومن ذنب عان بسلطنه
الاحزان ماسور فيا له من حديث موحش نكر باعث السمع مكروه ومنفور
تلاهت عقول الورى من هول وحشته فاصبحوا مثل مجنون ومسحور تقطعت
قطعا منه القلوب فلا يكاد يوجد قلب غير مكسور اجفانهم فيض مشحونة بدم
تجري بحر العبرات مسجور اذا دعي سليمان الزمان ومن قد خفت وامره في
كل مامور ومن ومن ملا الدنيا هاتفه وسخر كل جبار وتيمور لواءه في
في الافاق شايعة اخباره زمرت في كل تامور ورايته بعفو للمجد خافقة
تجري على علم النصر منشور يا نفس مالك في الدنيا المخلفة من بعد رحلته من هذه
الدور وكيف تمشين فوق الارض غافلة اليس جثمانه فيها بمقبور فللمنايا
مواقيت مقدرة ثابتة على قدر في اللوح مسطور وليس في شانها للناس من نظر
ومدخل بتقديم وتاخير يا نفس فانهض لا تهلكي اسفا فانت منظومة في
سلك مغرور اذ لست مامورة بالمستحيل ولا فيما سوى بذل مجهود وميسور
اما الصبا يا وان عمت محرمة على شهيد جميل الحال مبرور مرابط في سبيل الله مقتحم
معارك الحتف بالرضوان ماجور ما مات بل نال عيشا باقيا ابدا عن عيش كان بكل الشر
معمور ولم يزل درغوث باشا واليا بها ومراد اغه بتاجوراء محترما مكفوفا ايده عن
التصرف في الارض الى سنة سبع وستين وتسعماية فتوفي مراد في مدة درغوث //
اشتغل بغزو ارض الروم وعمر شوانيا وجلب الناس من اطراف البلاد لعمارة المدينة

علمه سوانيا
بالسين
المهملة

فعمرت وقصدها اسطول النصارى سنة ستة وستين وتسعماية ليملك البلاد منه
فرجع خائبا ولم يزل بها منصورا مواليا حروبه ناظرا للرعية بالعدل لم يفرض عليهم
خراجا ولم يطالبهم بشيء الى ان دخلت سنة اثنين وسبعين وتسعماية وجه
السلطان سليمان اسطولا كبيرا لاخذ جزيرة مالطه لانه بعد اخذه جزيرة
رودس انتقل منه اهلها بامتعتهم وخرجوا منها وعمروا الى جزيرة مالطه ولحق
المسلمين منهم اذى كثير الى وقتنا هذا فلما بلغه ذالك ندم على تركهم وامانهم
ووجه اليهم اسطولا اخر سنة اثنين وسبعين وتسعماية فلما حاصروها
ارسلوا الى درغوث يطلبونه مددا فخرج اليهم في اثني عشر سفينة فلما حاصروا
بعض قلاعها اصابته رحمه الله كورة قيل لم تصبه جسمها وانما اصابه حرها فنزل
من حلقه دم كثير حتى استفرغ فمات وقيل اصابه جسمها في جوفه فقطعت
امعاءه فتوجه الاسطول به الى طرابلس فدفن بها وقبره الان مشهورا بمقبرة
من جهة البحر بازاء مسجده الذي بناه بها بنكيا شرقيها والجوف ولكن لما
ارسلوه وقع بين اهل الاسطول خلف ادى الى انكسارهم فاقلعوا عنها اي
عن مالطه ولم ينالوا منها المراد ولما بلغ الخليفة سليمان ابن سليم الخبر
اغتم لذالك وعزم على تجهيز جيش عرمرم لها ليقتص للمسلمين ولكنه
مات بعد درغوث ارسل الخليفة سليمان واليا الى طرابلس من قبله يشغول
سوا ابنيتها وتدبير امورها وامر الجند الذي بها وامير الجند يقال له الرجبي فما فعل
الى سنة ثلاثة[2] وسبعين وتسعماية فمات ودفن خارجها بقصر قرا قاش
الارضي وهو على نحو ستة اميال وتغلب الجند على امر البلاد فلم يبق لواليها
الذي هو من قبل السلطان معهم تصرف له واضطرب امرها وفسد نظام
الملك وكثر الهرج والقتال في الرعية فغلبت على غيرها رجل يقال له حاج سنة
اثنين[3] وثلاثين وتسعماية ومنعها الطاعة فلما كانت سنة خمس وثمانين
وتسعماية ارسلت خودة بنت مسعود بن محمد العاص زوجة المنتصر
صاحب فزان العسكر الى المدينة المذكورة ان يجد مواعيدها لتملكهم البلاد
ووعدتهم بالعطايا الجزيلة الى ان وصلوا اليها وسبب ذالك انها
كانت عصمة ابن عمها المنتصر ابن الناصر بن محمد وكانت له زوجة اخرى بمرزق
من اهل بلد مرزق ولم يكن له منها سوى بنتا وكان له من المرزقية عدة
اولاد وكان اكثر اقامته بمرزق وكانت تسكن القصر الاحمر بسبها[2] وكان
قصرا منيعا فدخلها ما داخل النساء من الغيرة ففعلت ذالك فتوجهوا اليها

طايفة

(في الهامش الأيمن:)
[2] هذا الكلام فيه بعض خفا
والعلم ... وتسعماية
وهو الحق ...
... درغوث

(في الهامش الأيسر:)
بسبها

طرابلس فلما تحققوا ان قدم عليها المنتصر من مرزك جددت ابواب القصر عنه
واحصنت لحرا سيتها وقاتلته محاصرها ثلاثة ايام فمات كمدا ودفن
بالجامع الجديد فلما مات زال ما بها من الحقد وحدثتها نفسها بالملك فبدرت
على مراسلة الترك بالقدوم ندامة كبيرة ومكرت في نفسها حيلة تستعد بها
لهم ان قدموا عليها فجعلها قدومهم بالقرب من موته فلما رات نهم احالتهم
على حجارة على جبل بمقربة من القصر بان البستها اقبية الرجال وعمايمهم
حتى ظنوا انهم رجال وانقطعت بهم في الارض فراسلوها تقي بما وعدت بعد
ان سدت القصر تغلق ابوابه فامتنعت فظنوا ان ذالك يقيها فلما ايقنوا تلك
الجبل حجارة هجموا على القصر فملكوها واخذوها وعذبوها عذابا شديدا
ثم حرقوها وتوجهوا الى مرزك بعد ان ملك سبهة وكان بمرزك الناصر
بن المنتصر بن محمد الفاسي وكان اكبر اولاد المنتصر فلما بلغه الخبر وتيقنوا
ان لا طاقة له بقتالهم لعدم استعداده لهم فر بخزائنه واخوته ومن تبعه من اعوانه
لارض كاشنة وملكوا الترك البلاد وجعلوا عاملا عليها رجلا يقال له مامي منهم
وقاموا معه طايفة من الجند ورجعوا فاقبلوا فلما قفلوا من ارض فزان وبلغوا البلد
ودخلت سنة تسعين وتسعماية قام اهل البلد على مامي ومن معه من الجند فقتلوهم
عن اخرهم ولم يفلت منهم احد الا طايفة اولاد علوان كانوا عونا للجند وارسلوا الناصر
بارض السود ان يقدم عليهم وبايعوه واستقر بها الى سنة ثمان والف مات بها
مريضا واشتغل جند البلد بما لا يعنيهم وجاروا على الرعية جورا فاحشا فقدم رجل
من ارض المغرب يقال له يحيى بن يحيى السويدي واظهر العلم والورع وفي ذالك الوقت
صابر الجور من الجند ما الله به عليم وحكى ان رجلا من الجند كان نفوه لارض الجزاير
اذ كانت لجند طرابلس وهم الذين نفوها فقدم مع رجل له قدم في الولاية والتصرف
مع الله فاستشارهم على ان يمكث في البلد او يمضي بحجته للحج فاثنوا عليه
وامروه بان خاله فاد خله فلما نزل الركب تاجوراء فاتلوه فبلغه الخبر بذالك مع شكاية
الرعية جورهم وفسادهم فدعى الله عليهم فانتدب لذالك يحيى بن يحيى السويدي
فدعى الناس الى قتالهم على يده الحتف فقام عليهم سنة ثمنة وتسعين والف
اهل تاجوراء سرا وخرج ونزل بمصلاتة وكان ذو لسان فصيح جوادا مقداما مثل
وادعى فيه اهلها وبايعوه وتسامع به الناس فاتاه حاضر الوطن وبادر به فخرج
الجند له وهو بها فالتقوا بمسلاتة فكسر الجند وقتل منهم نحو الالف او اكثر الذين
قتلهم اهل زليتن ومن حولهم وقويت نفوس الناس معه ودها الجند ومن

من ارض السودان واستقر بعد يتكلا نقية صح

تابعهم بداهية لم يسمع بمثلها ثم جند وقدم تاجوراء وانتقل منها وحاصر
العدبية حصارا شديدا حتى فني مالا يستقبلا عليها فخذله شيخ العرب ابن نوير
ومن تابعه وقاموا عليه وامسكوه ومكنوه من الجند فقتلوه سنة ثمان وتسعين
وتسعمائة وارسلوه للسلطان مراد واخبروه بما فعل ابن نوير فكتب لهم في خارج
البلد وجعل لهم منه سهما وامر بتعظيمهم حين القدوم لدار الملك بطرابلس
فلم يزالوا على ذلك الى وقتنا هذا ولم تزل طرابلس تتولى جند من الامراء وامرهم
شورى بينهم ولم تزل في ضعف وتعب شديد والقيام في كل ناحية ثم قام بعد
ذلك يحيى سنة اثنا عشر بعد الالف في تاجوراء رجل يقال له نيال وقام قبله عبد
الصمد وخلع البيعة سنة تسع والف ثم تابع الخبر منهم رجل يقال له سليمان داي
وتسمية العوام صفر داي يتولى امر الخزانة والخراج فاحسن السيرة في ذلك
وتقوت شوكته وقتل بعض رؤساء الجند وفي ايامه في سنة خمسة عشر والف
خلع بيعته اهل تاجوراء وبايعوا رجلا يقال له ابو يسرع تبعهم على ذلك بنو رفيعة
ونزلوا حوالي بلد تاجوراء فقاتلهم فخرج لهم سليمان داي براونجرا وقاتلهم
فلم يعد فيهم شيئا لقوة الاعراب وتنحا عنهم فاتفق لهم بارادة الله تعالى خراب
تاجوراء ان وقعت دابة لبعض رؤساء بني رفيعة بزرع لبعض اهل تاجوراء فقتلها
فاثار اهل تاجوراء فخلعهم بنو رفيعة مخاصمة افضت الى الكفت فارتحل عنهم
بنو رفيعة فدخل الجند البلاد وقتلوا كثيرا من اهلها وهتكوا الحرم وذهبوا
الاموال وزادت بذلك شوكة سليمان داي فتجاوز الحد في الجور على الرعية
وقمع فساد الجند ولم يزل على ذلك الى سنة عشرين والف تاقت نفسه
لطلب المنصور بن الناصر بن المنتصر بن محمد الفاسي صاحب فزان فالاتاوة فراسله
بذلك فامتنع عليه فوجه اليه جندا فلما بلغ المنصور ذلك جند قومه واستعد
للقائهم فجمع عشرة الاف مقاتل ولقيهم بمحل يقال كنبر بين القعيبة والرملة
خارجا عن ارض فزان من جهة الجوف على مسيرة يوم من قرية الزيغن فالتقوا
هنالك واقتتلوا قتالا شديدا وظهرت فيها شهامة المنصور وشجاعته حتى هزم
عسكر سليمان واكثروا اكثر فيه اهل فزان القتل ثم ردوا بعد الهزيمة وكسر
المنصور واثخن بالجراحات ولما علم عدم سلامته بعث رسولا لاخيه الطاهر
ان يفر ويهرب بحريمه والخزانة فيفر لارض السودان كما امره ومات المنصور
من جراحاته وقتل اكثر عسكره واستولوا على اثاث العسكر وسلاحه وتوجهوا
لارض فزان فملكوها وجعلوا عليها عاملا تركيا يقال حسين النعال ومكث بها

الى سنة

الى سنة اثنين وعشرين والف وجعلوا معه طايفة من الجند فقام اهل البلد عليهم
فقتلوهم عن اخرهم واستاصلوهم وارسلوا الى الكافر بارض السودان فقدم
عليهم وبايعوه، ولما رجع جند سليمان من ارض فزان امر بخراب قرية تاجوراء
لما كان بلغه عنهم ثم رجع اهل تاجوراء به الشكاية بواسطة للسلطان
احمد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان سليم بن السلطان سليمان
واخبروه بما فعل فشكاهم وارسل سطول حشوا فيه فدخلت طرابلس سنة ثلاث
وعشرين والف بالاحتيال فابدها اخذ سليمان ضاي فارسل اليه حتى اتاه داخل
السفينة فصلبه في محل القلع من السفينة واختلف فيمن تولى امرها من جهة السلطان
اثر سليمان ضاي فقيل الشريف باشا وقيل بعد رجب باشا واتفق على امر تولية
امر البلد من جهة السلطان وبعد رجب بيزا سوجدة مفتوحة وبعدها صاد
ثم دال ثم راء مهملة ثم ميم وجيم لقب له وهو اسم للقديد بلغة الترك غلب
عليه اللقب حتى كان لا يعرف الا به وسبب تغلبه عليه كثرة هداياه السلطان
بقديد الغزال ثم بعد موت سليمان بايع الجند رجلا شريفا كان من اهل
القسطنطينية قدم طرابلس زمن سليمان داي وهو حكيم يداوي المرضى ثم انتقل
منها لتونس وانتقل منها للجزاير واقام بها مدة ثم رجع الى طرابلس فوجد
سليمان قتل وكان معه لطافة وظرافة فولاه العسكر امر البلد وبايعوه على
ذالك ولم يزل واليا لامرها خمسة وثلاثين والف وقيل الى سنة اربعين والف
قام عليه الجند فلما حس بذالك غلق القلعة واستعد لقتالهم هو ومن معه فيها
فكبر عليهم ذالك فاستنزلوه منها بحيلة وذلك انه كانت له عقيدة بالغة
في الشيخ العارف بالله سيدي محمد الصيد البجاوي نسبة لبجي ابن رفيعة
فخذ من بني رفيعة القبيل المشهور بالبلد وقد كان فاضلا متنكسا منقطعا
الى الله تعالى عارفا به دالا عليه له كرامات ظاهرة كان في ابتداء امره في ديوان
الجند فبعثوه في بعض الخدم له بجهة الشرق فلما مر بقرية العواتير وجد بها
رجلا مجذوبا فانجذب باللحظة فما انفك عن حاله وتوجه بكليته الى الله
تعالى وتوفي رحمه الله لست بقين من رمضان سنة خمسين والف فالبس
الجند بعضهم لبسة الشيخ واستنزلوه عن اذن الشيخ فامتنع الا ان يرى الشيخ
فلما راه من البعد شبهه لم يشك انه هو فالقى السلاح ونزل اليه فقطعوه
قبل ان يصل للارض فسبحان من لا يحول ملكه ولا يزول ثم بعد موته بايع الجند
رجلا منهم يقال له رمضان يدبر امرهم وكان ضعيف الكفاية فبذلك تقوت شوكة الاعراب

حتى ارادوا اهل عن الاثارة وكانوا ياخذون الملح من المجزرة اذ كانت خارج باب هوارة من
جهة الغرب وفي ايامه قدم محمد باشا الصفاقسي نسبة لصفاقس

البلد وهو على دين النصرانية

نوتيا في بعض سفن النصارى فحضر مجلسا اخذ الفال بالحصا خارج باب هوارة فاخبره
الاخذ ان تلك البلد يصير اليه فاعادها فاخبره الفال بذلك فتعجب في ذلك وهو على دين
النصرانية وهي قضية اتفاقية كقضية عمرو بن العاص رضي الله تعلى عنه
حين قدم الاسكندرية في جاهلية مع بعض اشقية النصارى بسبب معروف كان صنعه
فيه عمرو ولما قدم الشام تاجرا وكان عليه رعي الابل وكان الاسقف من العباد فاصابه
العطش الشديد فمر بعمرو بن العاص فسقاه ثم نام بازائه فجاءته حية لتنهشه
فقتلها عمرو دونه فلما افاق ونظر اليها سال عمرو عن ذلك فاخبره الخبر فقال كم
دية الرجل عندكم معشر العرب فقال مائة بعير فقال كم يساوي البعير عندكم فقال
عشرة دنانير فقال هل لك ان تقدم معي الى الاسكندرية فاعطيك ديتين لاحيائك امرتين
فاجابه عمرو الى ذلك وقدم على اصحابه فاخبرهم بذلك ووعدهم ان ينتظروه الى قدومه فاعطاهم
احدى الديتين فاجابوه الى ذلك وانتقل معه حتى وصل الاسكندرية فبينما هو فيها
اذ راى مجلسا يلعب فيه اولاد الملوك بكورة يترامونها بينهم فمن خرجت من كمه يتولى
ملك مصر فرموها بحضر عمرو فاصابت كمه فخرجت منه فتعجبوا من ذلك فاعادوها
فاصابت كمه ايضا فخرجت منه فما كان الا قليل فتولاها عمرو في خلافة عمر
رضي الله تعلى عنه ففتحها وكتب له العهد عليها ثم اشتغل محمد باشا الجزائر
وهو على دين النصرانية فاقام بها ثم اسلم وحسن اسلامه واراد الله به خيرا
وحسنت سيرته ثم شحن شيني واشتغل يغزو ارض العدو ثم قدم بشيلبته
على طرابلس واحب الدخول في جندها فاتى رمضان المذكور واعلمه انه لا يحب الدخول
في جندها فرقيه في ديوانها وسماه السبق فغزى ارض العدو واصاب غنائم ثم تلاطف
بجسمه لمصاهرة رمضان فعقد له على ابنته منا ودخل بها وكان الغالب على دولة
رمضان امراة يقال لها مريم بنت جوز شيلبية لنفوذ كلمتها عند الاعراب
الغالبين على امر البلد وهي التي تتوسط بينهم وبين الجند بالخير فلذالك عزت
كلمتها وارتفع كعبها في البلد حتى كان الديوان ياتيها ببيتها وكانت تخف بعض
رؤوس الجند فلما راى محمد الصفاقسي ذلك وضعف رمضان وخوره راوده
على تسليم الامر فاجابه الى ذلك ودبر حيلته في ذلك خشية الا يرضى الجند فامره
ان يخرج غازيا وان يعلم ما يعنيه بذلك ويدخل البلاد ويستاذن في دخول القلعة

فجعل

فجعل ودخل البلد واستاذن في الدخول فأبى عليه الجند المرتب للحراسة
حتى استاذنوا له فاستاذنوا رمضان فأذن في دخوله فدخل في معه فلما
استشعروا بالدخول فطش في القلعة من الجند واصبح فبايعه الناس فلما
تمت له البيعة وضف على دور البلد في كل شهر شيئا لضعف الخزانة
واجرى بالابواب مكسا على الداخل والخارج وكان عدة ما يأخذه من ما استلزم
بالابيني في كل سنة الفين وخمسماية ريالا وقدر على الشجر من النخيل والزيتون
وضيفا قليلا يعطوه في كل سنة حكير من يوتون نخرو فان جذت النخلة الواحدة
بيضة وكانت جبايته ذلك عند قلع السنة وكان عثمان الساقسلي علجا لبعض الجند
وقيل للشريف داي الذي تقدم ذكره فاستعمله قايدا بساحل الحامد لاخذ العشر
وما فرض على الشجر وكان اكتسب من اخلاف العرب والشجاعة فيهم فظهرت منه نجابة وكان
محمد المذكور اراد ان يبطش بمريم بنت قرو فمرض زوجها فاتاه يعوده واستصحب معه دواء
مسموما ودفعه له فلما تناوله خرج محمد من عنده فما بقي الا قليلا وقد قضى نحبه
ولما خرجت مريم من العدة خطبها قيل لنفسه وهي رواية الاكثر وقيل لبعض علوجه
وامر بدخولها للقلعة مصحبا لها بيتا ووعف ما كان بيدها له فلما استقرت به
امر بها فقتلت واستولى على ما بيدها ثم دبر مع احمد ابن رفيعة حيلة في
قمع محاربي الاعراب فاشار عليه بترتيب جند بري وان يركبه الخيل فرتب جندا وركبهم
الخيل وولى قيادة جيشهم عثمان الساقسلي لما ظهر منه من نجابة وشجاعة وصار
يغزو اهاليهم فيأخذ بهم ويحتال على رؤساءهم فيأخذهم بالامان فيقتلهم حتى
خمدت شوكتهم وضرب الخراج على من استضعفه ودان له منهم ولم يزل هذا دابه
مع محمد الى ان دخلت سنة تسع وخمسين والف فمات في ذي القعدة ليلة الجمعة
لليلتين خلتا منه وقيل بسنة ستين والف والاول اصح وكانت ولايته سنة
اربعين والف وقيل سنة اثنين واربعين وهي رواية الاكثر من وحضر موته بعض
من يحق له وقع في تفاحة واعطاه اياها طبيبا افرنجيا كان اسيرا عنده كما قد بين
تدان ولما اكل التفاحة اشتد به الالم وصاح بخازن دار رمضان حتى حضر فبقي
بيده لم يسمع منه كلمة سوى لفظة اغا اولدي ومات ومعنى هذه اللفظة بالتركية
يا اغا ولدي منك ولما مات غلق رمضان المذكور دونه باب الدار ولم يدع احدا من
الغلمان الحاضرين يخرج الا غلاما له يقال له محمد ارنووت اوصاهم بعدم الصياح
وان لا يخبروا احدا من خارج ونزل فاخرج خلف محمود بخية فحضر فاخبر بموت
الباشا واستفتيهم على وجه الراي في ذلك فأجاب محمود الراي عندي ان لا

انت الامير فبايعك على ذالك وانا نعينك وعلى ضبط البلاد احرص مما كانت في مدته
ولا ادع مشتوشا عليك بشيء فقال لا طاقة لي بهذا ولا احمل هذا الخطب
العظيم والراي ان تتولى انت مكانه اذ كذالك القانون فقال محمود لا افعل فهل
وكل هذا الكلام وليس معهما احد الا علاجين او ثلاثة لهما قال رمضان كان
الباشا يقول في حياته سئمت من هذا الامر وكبر سني ومات ابني واريد
ان اسلم لعثمان باي واستريح وكان ابنه مات ليلة السابع والعشرين من
رمضان من سنة موته فلم يكن بينهما الا نحو الخمسة والاربعين هكذا سمعت
فلما سمع ذالك محمود كتخية نهض لنداء عثمان باي لذلك الامر واستصحب
معه محمد ارنووت تابع رمضان خازن دار اتبادار وصاحبه اشرف عليهما
وسالهما الخبر فاخبروه فامتنع قليلا فاستمالاه فلما تخفف نزل وسار معهما
الى القلعة ففتح لهم رمضان خوخة الباب وادخله وحده ومنعوا الاربعة نفر
الذين اتوا معه من الدخول وغلقوا الباب دونهم فلما استقر بهم المجلس
قال رمضان تولى الامر وانا خادمك كما كنت مع سيدنا ولا ناس في محبة اهل البلد
لك وكذا رعيتها وحاضرها وباديتها واعلم ثناءهم الخير عليكم فامتنع وقال لا طاقة
لي بهذا الخطب فرغبه عثمان ومحمود على ذالك الامر وتكلفوا له بتطبيع
البلاد وضبط خراجها وجندها وحالفوه على ذالك فابى وقال سمعت من الباشا
في حياته يريد تسليم الامر اليك فاخذه محمود كتخية واجلسه على الكرسي وبايعه
وتبعه على ذالك رمضان الخازن ثم ارسلوا خلف مصطفى بنشلي فحضروه واخبروه
بالخبر فرضي وبايع وحضر محمد باي فرضي وبايع وجعلوا يصيحون باهل
الحصار فردا فردا وكل من اتى اخذوا بيعته حتى بايع اهل القلعة كلهم واشتغل
بعد ذالك بالكتب للعمال واهل الطاعة يخبرونهم بموت محمد وتوليته فلما
اصبح فتح القلعة والمدينة وامر المنادي بالنداء الاول بالرحمة للميت والثاني
بالنصر فلما سمع اهل البلد ذالك دخلوا فبايعوه كلهم ولم يختلف عليه احد
من اهل البلاد ولا من العسكر واقبلت عليه الرعية يبايعونه افواجا افواجا وفرق
في العسكر لكل عشرة ريالات ثم اخرج محمد باشا ودفنه بازاء تربة رمضان داي
على السكة النافذة للبحر من شرقي المدينة وبنا عليها بناية عظيمة ووقف عليها
اوقافا وغرس في التربة غرسية كرم البستان الحل انسا وبهاء واسقط على دور
البلد الوظيف الذي كان وضعه عليها محمد باشا تؤديه كل سنة للحراسة
واسقط عليهم وظيف الفضلات الذي كان ياخذونه من الميت وكان الفضلات اذا مات

جبن

حيث ارسلوا لورثته فيأخذوا منهم ربع سدس ماله ويسموا ذلك فريضة وهو
ظلم وجور لم يقل به مسلم ولا ملة من الملل الا ما حكى بعض الاخباريين فرعون كان
في ابتداء امره كان يأخذ المكس من الميت فان عنوا بالفريضة فريضة فرعون
فالاسلام نسخ ما قبله على ان ذلك لم يكن في شريعة ولا ملة وانما هو ظلم ونسبوه
فريضة اسلامية واعتقد واحلّه فهم كفار ملحدون اذ الاجماع والكتاب والسنة
على حرمة مال المسلم ودمه بغير حق شرعي اما الكتاب فقد قال الله تعالى ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل فعلى على ما قبله من تبيين حدود الله تعالى فهو منه والاية
محكمة واما السنة فحديث الصحيح كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله
والاجماع على ذلك وكانوا من احتياطهم على هذا السحت يفوّتون على ورثة
الميت جميع ما خلفه من عقار وغيره بالغلا نقف واخذوا ربع سدسه ويزيدوا
فوق ذلك اه فحمد اهل البلاد على منعه لذلك واثنوا عليه بالجميل ثم
ارسل الى السلطان محمد في طلب الامارة فكتب له السلطان ذلك وولاه امر
طرابلس وعملها وعمارة السفن والغزو في البر والبحر فغنم من الكفار سفنا
كثيرة وامر الاغزية وكان جماعا للاموال بكل وجه امكن واستمر على ذلك
وكل سنتين يجدد له السلطان تشريفا وكلما جاء رسول من قبل السلطان
احسن اليه الاحسان الكلي فلما تمكن اشتد ظلمه ومنع التجار المسافرين لارض
فزان من التجارة في الفخار والخز والكاغط ونادى ان لا يتجر احد بذلك غيره وحجر
على الناس شراء السلع المهمة الغادمة من البحر واقام رجلا لشرايها ودفع
للرجل مالا يشتري كل سلعة تاتي من بلد النصارى او غيرها ولا يستطيع
احد يشتري سلعة من اربابها غيره وهو يبيع لاهل الاسواق فبذلك ضعف
تجار البلاد والمسافرون لارض فزان وضعف الجالبون حيث لم يحصل لهم ربح وذلك
بسبب الحجر عليهم قال حسين بن احمد البهلول فيما كتب ومن خطه
نقلت كان ذا حزم وعزم وشجاعة طالت دولته واشتهر خبره في مشارق الارض
ومغاربها وكان قبل ولايته وهو قائد الجيش عند محمد باشا له فتكات في مغازيه
واحواله قل ان توجد في الاكثر من امثاله وكان شديد العزم في غزوه على الاعراب
ربما يغيب الستة ايام او السبعة لم ينزل على فرسه الا لضرورة فيمشي على
الفرس ليلا ونهارا وربما يعلق على الفرس ويركب فرسا اخر ولم يسترح في
ذلك وكان في ايام محمد باشا خلع بيعته جايراب بوسي التاورغي ولم يدخل
في الطاعة واجتمعت عليه الاعراب فحكى انه نحر في عيد اربعين بعيرا وثلاثماية

فشاة ومدحه الشعراء فوجه اليه محمد باشا عثمان باي في جند فحصره بتاورغاء
وهي بلدة وخيمة لها حصار شديدة الحر على مسافة ستة ساعات من
مصراتة او ازيد فيقليل وبها عيون ماء عذب يشبه النيل ماؤها في الغزارة ومنها
يتفجر الانهار والسواقي الجارية في البلاد لسقي النخيل وبها من شجر النخل
وصنوف انواعه ما لا يحصى وارضها سبخة يغلب بها طعم الماء الى الملوحة
فاذا ركد نمر من صعبة المسالك لا يكاد يهتدي لمنازلها الخبير من صعوبة ذلك
فحاصره بها ودخل وقطع نخل بعض جهاتها فالتقى الفريقان فوقعت الهزيمة
في جنده فلما راى ذلك نزل عن فرسه واسند ظهره الى نخلة واخترط سيفه
واقسم لا يزول من محله الى ان تكون الكرة عليهم او يموت وصاح بالجند وهو يحرضهم
على الثبات ويقتل القوم في اعينهم ويقول اينتون وانا اكفيكم حتى رد عليه الجند
فوقعت الهزيمة عليهم وانهزم جبر بمن معه وخرج من البلاد واستولى
على حريمه وبعض اولاده فاستصحب الاولاد والحريم حتى نزل مصراتة فنزل
الحريم بها وقتل اولاده بمحل السوق القديم بالبلد بقرية اولاد شوشان وهي
قرية صغيرة غربي قبر الشيخ احمد زروق ودفنوا بزاوية يقال لها مسيد بردخان
بميم وسين مهملة بعدها مثناة تحتية ودال مهملة آخر الحروف خارج
البلد بنحو ميل عنها بجهة الجوف ولم يتركهم يدفنون بمقابر المسلمين ثم كان
مؤيدا بالنصر والظفر اينما توجه الى ناحية الا ظفر بها وكان في عداد جند
محمد باشا وظهره رمضان وكان اهل فزان قتلوا حسين النعال كما ذكر
سنة اثنين وعشرين والف وبايعوا الطاهر ولم يزل بها معتدل الحال الى سنة
اثنين وثلاثين والف فطغى الطاهر وتجبر وزاد في الخراج على الخرصان اهل
وادي الاجال وهو واد متسع كثير النخل وبه من شجر الغضا كثيرا نحو الثمانية
عشر يكتنفه من جهة الغرب رمال ومن القبلة والشرق جبال شواهق وفيه
مراتع الابل فلا توجد في مكان مثله واهله يشربون من الابار وماؤه عذب فرات
وهو واد مخصب في الزرع والتمر وكل الفواكه واهل الجوف الخرصان ومن الجنوب
طايفة من العرب يسمون المحاج واليه ياوي التوارق واكثر اهله بيض وبالرملة
التي غربيه قطع ماء تكتنفها الرمال من جهة وهو ماء اجاج اشد ملوحة من
ماء البحر ونتنه يشبهه ولا يعلم له عمق ومن غرق والرمال تنهال فيه ولم يظهر
لها فيه اثر لشدة عمقه واعظم تلك القطع القطعة المسماة بفيرعون فيسكن
حولها قوم من اهل الوادي يسمونهم اهل تلك البلاد الدواده لاصطيادهم من ذلك

البحر

البرد بدا نا طوالا تشبه الدود الكبير واكثر ما يكون اصطياده في زمن الربيع والخريف
ويقل في الصيف ولا يمكن اصطياده في الشتاء لصعوبة البحر وهو مسهل نافع
جدا مخرج للصفراء وهي اطيب البلاد هواء واهلها لا ارض عندهم تزرع
لاستيلاء الرمال عليهم ولهم غرس نخل بجنب البحر وبازائه احساء ماء عذب
لا ينضب له وبانة لذلك البحر من به علة ويغتسل به فيبرا بحول الله تعالى وقوته كل سنة
ما كانت وماؤه يخرج اهل تلك النواحي يستشفون به وهو على مسيرة نصف
يوم من الوادي والقطعة الاخرى تسمى مندر وهي مثل الاولى في النتونة والملوحة
ويلبس بها من الديدان شيء ويكتنفها من كل جهة النخل وبها انواع عجيبة وتمرها
يتب اطايب الطيب الباكورة منه تكون في اخر الخريف وباقيه يكون في الشتاء وبه رجل صالح
يسمى زايد بن رزق يقصده اهل تلك النواحي بالزيارة وحوله ناس وبينها وبين فرعون
نحو الستة اميال والقطعة الاخرى تسمى اللاطرون لاستخراجه منها زمن الصيف
فانتقلوا فاربين لطرابلس فاحتش الطاهر لخبرهم فارسل الى مرابطي مسلاتة بالتعرض
لهم وردهم فتعرضوا لهم واسترضوهم فلم يرضوا وارسل عامله على سوكنة ابا نوح
المصراتي بالتعرض لهم فلم يقدر فقدموا على رمضان داي وصهره محمد الجزايري وهو
الغالب على امره فاكرمهم ووجه معهم جيشا لارض فزان **فلما** سمع الطاهر بذالك
عن ابن نوح **وكان** ملكه اذ ذاك الامير عمر المقدمي وكان في نفسه من الطاهر شيء
بسبب سمله عيني ابن اخيه محمد المنصور بن المنتصر ومحمد وارثا لها لدار ملكه وكان ذلك
بسبب تغير المقدمي عليه فتغير تغيرا شديدا حتى عزم على التوجه اليه فاخبره
بعض منجميه بانه سيقدم عليك الطاهر ارضك فلما فر هو واعوانه وبلغوا
قرية يقال لها بلد المراة ومنها كان افتراق طريق السودان وبر نوح ولم يكن لارض
السودان طريق الا هنالك والطريق المارة اليه على قرية غات حديثة عهد
فلما بلغوا تلك القرية اراد اعوانه التوجه لارض السودان واراد ابن نوح فافترقوا من
هنالك بعد ان كان بدا اعوانه معه تشدد في عدم التوجه اليها فابى عليهم الا التوجه
فتوجه وكان معه معه اثنا عشر حملا ذهبا **فلما** بلغ الامير عمر احاط عليه
وعلى من معه من اولاده ومن توجه معه من اعوانه فشكا برواغ فرقهم في البحر وتولى العسكر
البلد وجعلوا احمد بن هويدي الخرمان عاملا عليه وابقوا معه طائفة من الجند لحراسة
البلد وضبط خراجها فلم يزالوا بها الى سنة ستة وثلاثين والف فتوجه الامير
محمد بن جهيم ابن اخ الطاهر وكان قد فر معه فلما توجه عمه لارض ابن نوح كره ذالك
وتوجه لارض كلا ثمة ومات والده جهيم بها فراسل اهل فزان فجيبة ولده محمد

فتوجه اليهم بمن معه **فلما** سمع بذلك الحاكم جند من عنده ومعه من وافقه
وخرج للقاء فالتقيا بحمير بلد بين زويلة وتراغن فاوقعهم محمد ففروا لمرزك
فتبعهم محاصرهم بها حصارا شديدا حتى كمل طعامهم واكلوا جميع ما معهم
من الدواب من حمير وغيرها وارسلوا وهم محصورين لمحمد باشا يطلبون المدد فوجه
اليهم مددا ولم يكن للامير محمد بن جهيم علم بالمراسلة وكان سلطان بن مرعي
الغيلاني نسبة الى قبيل الغيلان فخذ من بني مغرح محصورا معهم وكانت له صداقة
مع عبد الله باشا الحسناوي وكان عبد الله المذكور مع الامير محمد بن جهيم وكان
في الحصن مواضع لا صديقه سلطان المذكور كان يصنع في محلات وبات بها قبالة العفر
فما يستطيع احد ينزل اليها غير سلطان فاذا جن الليل نزل اليها وافرغ ما
فيها ووضعها محلها ورجع فكان هذا داب عبد الله معه فلما جاءهم الخبر ان المدد
قرب منهم اراد سلطان مكافات صديقه باعلامه به خوفا ان يستولي عليه اذا لاعلم
للامير محمد ومن معه بهم فاعلمه تلويحا خاطبه بخبر ان العودة ولدت مهرا فكنى
عن انفسهم بالعودة وهي الفرس من اناث الخيل لانها لا تقدر على الكر ولا الفر
كما ان المحصور كذلك وعن المدد بالمهر الصغير من ذكور الخيل لقدرته على الكر
والفر ففهم عبد الله انه اتاهم مدد واخبر محمد بن جهيم عن ذلك فافرج عليهم
الحصار وانتقل عنهم وفر امامهم متنقلا ببلاد ارض فزان اذا دخل ارضا دخلوا
عليه وقاتلهم يسيرا حتى سئم الجميع من ذلك فحضر مرابطوا فزان من كل
قطر وعقدوا بينهم صلحا على ان يكفوا بعضهم ويعفوا عن القتال الى ان يرد
جواب محمد باشا فراجعه سيدي علي الخضيري المقدم في العقبة واخوه كذلك
سيدي حامد الخضيري وجعلوا صلحا بينهم على ان يخرج الترك من ارض فزان وتبقى
بيد صاحبها ويؤدي اتاوة كل سنة اربعة الاف مثقال ذهبا التبر منصفا
تبرا والنصف يعطوا فيمنه عبيدا واماء وجعلوا كل عبد ثمنه خمسا وعشرين
مثقالا والامة ثلاثين مثقالا والخصي ثمانين وتحملوا بنفقة الرفيق وان معطات
منهم عليهم الى ان يبلغوا سوكنة ومنها الى المدينة على السلطان وكرى رواحل
الرفيق على السلطان صاحب طرابلس كلما ذكرنا للخزانة واشترطوا للاغة
العسكر ثلاثة عشر مثقالا وثلاثة ذهبا ولكتبة دار الملك سبعة مثاقيل
الا ثلث ولصغير النوبة والاتراك ثلاثة وثلاثين مثقالا وثلث وخصيا
من المذكور وانعقد الامر بينهما على ذلك وبعث محمد باشا لجنده بالانتقال
ان التزم محمد بن جهيم بذلك **فلما** بلغ محمد ما فعل الشيخان التزم
بذلك

مه الشق

بذالك وسلم له الجند في بلده وانما ذكرنا القصة هنا مع ما فيها وان كان محلها عند
ذكر محمد باشا لما اشتهر ان كبير جند البرى عثمان المذكور عليهم كانت على يديه
ولم اقف على من ذكر انها كانت على يده ولم يزل محمد بن جهيم متوليا للارض فزان الى ان
دخلت سنة ستة وتسعين توفي وتولى ابنه جهيم موضعه بعهد منه **قال**
حسين بن احمد فيما كتب في شانه كان عثمان هذا ذا هيبة احاز ما له من الراي والتدبير
وكتمان السر ما لم يكن لغيره كان اذا ورد عليه كتاب قراه بنفسه ثم وضعه في جيبه
واذا امر بكتب كتاب ثم عرض عليه فقراه بحيث لا يفقه منه حرفا وكان مكر وخداع لا يرقيب
في موضع الاولاد منه **ولما** عقدت له البيعة ورآه بعض الاعراب وهو مشرف اعلى
برج القلعة فقال الان استراحت الاعراب واطمانت وحق لها السرور حيث سحر
هذا الرجل بنفسه فقال من سمعه الرجال كثيرون غيره يقومون مقامه وقال اما الذي
احد يقوم مقامه هيهات هيهات ان يكون احد مثله **ولما** كان في خدمة محمد
باشا كان احمد بن عبد الهادي صاحب اوجلة ومعه نحو العشرين رجلا يرمون
بالبندق اتى بهم من مصر ملك بهم الجبل الاخضر كلهم ودان له بذالك اهله فشكاه
عبد الله بن سيدي احمد بن حمودة وكانت بينهما صداقة واخبره بذالك وهو في
عليه امراء اوجله والجبل فاعرض ذلك على محمد باشا وطلب منه الاذن فاذن له في ذلك
فخرج بطايفة من الجند معه في البر وحده محمد باشا بطايفة اخرى من البحر **فلما**
بلغ عثمان باي اوجلة خرج اليه احمد بن عبد الهادي وجنده واهل البلد في قوة
عظيمة لا يقدر عليها فلما راى ذالك ذهب الى الخديعة على عادته فاظهر لهم الاسف
والندم على تعبه اليها وقال لو علمت ان اوجلة هكذا بلدة في صحراء وليس لها اضياع
تقوم بسكانها ولا قوة نخل ولا امياه ولا غيرها لما كنت قدمت اليها ولا جيرت على
هولاء المساكين والله ما في الاذلك واما انا لا يهمني التعب لان خديم السلطان
معد لذالك وجعل يتاسف ويتاوه ويظهر الندم على ما فعله مع هولاء الفقراء
والمساكين المنقطعين في هذه الصحراء حتى لم يشك احد منهم في ندمه واشتغل
يقول ضعوا اسلحتكم ايها الفقراء وارحموا انفسكم واجعلوني في حل مما نالكم
بقدومي بل بقدومنا عليكم وانا ان شاء الله استريح يومين هنا وارتحل
عنكم ولن تراعوا بعد اليوم ان شاء الله فرجعوا لبلادهم ووضعوا اسلحتهم
واطمانوا ولم يبق في قلب احد منهم شك انه نادم على صنيعه **فلما** كان من
الغد اتاه كبراؤهم وسالوه ان ياخذوا له من البلد شيئا يقوم سافرا على جهته
فقال الامير غنيي عنكم ولا يطمع فيكم وانا ان شاء الله امضي اليه واخبره بذالك

غير انّ الطلب منكم ان تجعلوه في حلّ من فزعكم وروعكم بسبب قدومنا اليكم ثم التفت
الى الشيخ وقال يا احمد يا مسكين استوصِ بهؤلاء المساكين خيرا واما انا
لا اطمع فيكم ثم سألهم ان يتركوه داخل البلد في الجمعة وعلل لهم ذلك بان قال
اراها واخبر الامير بحالها داخلا وخارجا وانقطاعها في الصحراء وقلة نخيلها
وعمارتها ومالها لانه يسمع بها ويحاطوا انها من امهات الفيفاء
وليس الخبر كالعيان فاجابوه حبا وكرامة فدخل وانظر فدخل ونظر وصلى في
الجمعة ودخل معه بعض الصحابة وامر الباقين بالاحداق بها فاحدقوا ولمّا
استمتع الصحابة بالدخول وجلسوا واتوه اهل البلد يشتكون اليه اهل البلد حالهم
مع شيخهم وظلمه لهم واخذه اموالهم فقبض عليه وسجنه وجعل يتتبع
تجار البلاد ويسلب اموالهم ويسجن حتى يسجن من النساء من لم تعط المال
حتى اديته وبالغ في نهب اموالهم حتى ان الخرص الذي وزنه مثقال في اذن الصبية
وهي البنت الصغيرة جيدا نهبه فلم يترك فيها ذهبا ولا فضة الا اخذه
وجمع ما فيها من الرقيق وقيد الشيخ واتى به وبنسائه وحريمه وبنيه
واخوته وجميع من تبعه الى حضرة محمد باشا وكان ما جمعه منها من فضة
شيئا كثيرا فضرب ذلك محمد باشا سكة زنة كل قرميل نصف درهم واجراه
من الصرف باربعة طرانشو واستمرت تلك السكة بطرابلس الى ان ضرب
خليل سكة وكانت لم تستمر في غير طرابلس وعملها من البلدان وكان لم من
الرايب وكتمان السر ما لم يكن لغيره وكان اذا اتاه كتاب لم يوقف عليه كاتبا ويتولى
قراءته بنفسه قال البهلول ومن عظيم ظلمه البلاد حتى كان اذا باع احد شيئا كان
في عقار ولو جزء الا يتحرى غرم البايع ويجبر البايع مكس العقار كله ولو يبيع
قيراطا واحدا اخذ صاحب المكس مكسه كله فمن باع ومن لم يبيع وربما كان يبيع
من لم يبيع يتيما او ارملة فظلمهم باخذ المكس وهذا شيء لم يسمع بمثله
في ملة من الملل ولذلك كان المكس اولا ثلاثة من الماية فترقى الى ان بلغ مكس
العبد عشر ثمنه او اكثر وجعل على مطلق العبد القادم من فزان ريالا وثمنا
ويسمى ذلك عجيرا وان كان الاتي به اخر لم يحصل له الا هو او خاطر ولم يزل يترقى
المكس بسبب ذلك الى ان بلغ استلزام البابين اربعا وعشرين الفا
بعد ان كان الفي ريال وخمسماية وكان يجبرا على الرغبة لا يرقب الّاً ولا ذمة
ثم زاد في الخراج عن القانون القديم شيئا كثيرا وسلط عليهم القواد ولم يقبل
لهم شكوى فان كثر عليه اللوم قال ان القواد استلزموا بذلك فهل لكم ان تتحملوا

بذلك

بذلك ولم اخرج لكم قايدا فيتحموا بذلك مضرة القواد وعدم تشكيهم له وعدم
سماع قوله فيهم فبذلك لزم البلد الذي كان وظيفه اربعة الاف عشرة الاف
اربعة في الخراج المعهود وسنة استلزام القواد حتى افتقر الرعية واجلاهم
وشتت شملهم ومن فر منهم لم يتعرض له ولم يرضيه بشيء ومن بقي منهم يغرم
ما لزم البلد كله اذ عنده ما اخذ عليهم بدفتره آية محكمة لا يجوز عليها النسخ
حتى ان دفترنا نسخة من الطرابلسية المودين الخراج شيء كثير وكان اذا اتاه شيخ
كبير هرم لا يستطيع خدمة ولا عنده مال ولا اولاد فيطلب ازالة ما فرض عليه الزمه
ذلك ولم يقبل منه في ذلك عذر وكان باقيه اهل القرى يتحملون باستلزام القواد
فاذا فعلوا ذلك امهلهم عاما ثم باعهم من قايد آخر وسلطه عليهم ولا يقبل منهم
فيه قولا ولا حجة وكان ما فرضه من قبله من العشر على اهل الفلاحة وما اجرى عليهم
الخراج ضبطوه على كل بلد بسكة معلومة ياخذون ذلك بمكيال مراد لا يزيدون
شيء ولا ينقصون من ذلك فلما جعل كل سنة يزيد في المكيال ويرسل لكل بلد
كيلا يكتالون به الوظيف وكل سنة يزيد المكيال حتى يبلغ كيله ثلاثة كيلات
بالمرادي واحتال في زيادة الخراج عليهم من جهة العشر فيضعف اهل الاسلام
ويهدم اركانه ففرض عليهم المطيرة زيادة على العشر وعم بها كل اهل البلد
من عليه فريضة ظلم الخراج ومن لا من اجنبي وغيره وجعل هذه المطيرة في القدر
تعدل السكة القديمة وربما اعطى الرجل المعروض الذي زعم انه عشر جميع
ما بيده ويبقى هو وعياله يسألون الناس حتى اضر بالخلق الضرر الشديد ولم يول
من حاشيته موصلا في الاسلام متصفا وانما تولى المناصب مثل قيادة الجيش
ومنصب الكاهية احداث العهد بالاسلام ولا قيادة الجيش ابن اخته رجب باي
وولى الكاهية اولا محمد ابن اخته ثم مات بالطاعون فاقام بعده ابن بنت اخيه
سليمان وقدم عليه ابناء ابن اخيه وهم على دين النصرانية فحكمهم في هذا
وقيدهم على البلدان فظلموا ظلما شنيعا ولم يستطع احد يشكوهم وتعدى
ظلمهم الى ان اجابوا سنة عملوق بن طسم فكان احدهم اذا زفت عروس الى
بعلها بدأ بها ظلما وافتض بكارتها ثم يتركها لزوجها واذا اخبر بامرأة
جميلة في بلدة الذي هو بها فلا بد ان يرسل اليها واتى بها اليه ويفعل بها ما اراد
ولم يستطع زوجها ولا غيره عن دفع ولا منع ومن اراد الشكوى منع من الدخول
الى الامير عثمان وهذا الشيء لم نسمع بمثله الا عملوق الاكبر بن طسم الحميري
وقد ذكر المؤرخون ان قبيلتي طسم وجديس كانتا اخوين فلما كثر عددهما اجمع

رايهم على ان يجعلوا ملكا منهم يرجعون اليه في امرهم فملكوا عليهم عملوقا
واتخذ قبيلة اعوانا وحواشيه ولم يزل ياخذ من جديس الاتاوة ويقوي بها قومه
ويزيد في الظلم الى ان وقع لهزيلة بنت مازن الجديسية ما وقع وذلك انه كانت تحت
ابن عم لها وولدت منه ابنا فطلقها قبل فطامه فلما تم فطامه اراد اخذه منها فابت
عليه فحاكمها الى الملك عملوق فلما حضرت بين يديه قالت اصلح الله الملك ان هذا الولد
حملته تسعا ووضعته دفعا وارضعته شفعا ولم انل منه نفعا فلما استتم
اوصاله واستوى فصاله اراد اخذه مني كرها ليتركني بعده ورهاء وقال
الرجل ايها الملك اخذت مني المهر كاملا ولم تنلني طائلا الا الولد جاهلا فافعل
ما انت فاعل فامر الرجل فبيع واعطى المراة عشر ثمنه وباع المراة واعطى الرجل
خمس ثمنها واسترق الولد ووضعه في جملة غلمانه فانشدت هزيلة

اتينا اخا طسم ليحكم بيننا • فانفذ حكما في هزيلة ظالما • لعمري لقد حكمت لا متورعا
ولا فهما عند الحكومة عالما • ندمت ولم اقدر على متزحزح • واصبح زوجي عاثر الراي
نادما • فلما بلغت عملوقا الابيات اقسم الا تدخل امراة على رجل في جديس الا بعد
ان يأتيها قبل زوجها فان كانت بكرا افترعها وفض بكارتها وبعث بها الى زوجها
والا امسكها ثلاثة ايام وصبيحة الدخول يعمل الولي الوليمة ويحضرها بين يدي
السلطان ويقف على راسه ليعلم من يحضرها انه الولي زيادة في النكاية والنكال لهم
ولم يزل على هذه الحالة الى ان تزوجت سعدى بنت غفار اخت الاسود بن غفار ابن
عمها وكانت يغالي فيها الطسمي لفرط حسنها فلما سمع عملوق بذلك ارسل
لها فتيات زيادة في التعظيم وكانت تخشى ان يفعله ذا الكهانة جديس الا خاصيته
فاحضروها بين يديه فافترعها وكانت تزعم انه زوجها فلما فض بكارتها
امرها باللحوق بزوجها فقالت الست زوجي فقال بلى انا الملك عملوق فلطمته
وشقت ثيابها وخرجت على اخيها وقومها وهم على باب الملك ينتظرون هل ويلها
يكرمها او يتخذونه في شان الوليمة وما هو اللائق بها فجاءهم ان خرجت عليهم
بثيابها مشقوقة ودمها على فخذيها وانشدت • لا احد اذل من جديس • اهكذا
يفعل بالعروس • يرضى بهذا يا لقومي حر • اهدى وقد اعطى وسيق المهر •
لاخذة الموتة للعروس • اجل مما حل بالعروس • فلم ياخذ فيهم ذلك فلما استقرت
في البيت انشدت لهم قصيدة وهي هذه • ايجمل ان يؤتى الى فتياتكم • وانتم رجال
فيكم عدد النمل • وتصبح تمشي في الدماء غريقة • صباحا وقد زفت عروسا
الى بعل • فان انتم لم تغضبوا بعد هذه • فكونوا نساء لا تعاب من الكحل • ودونكم

طيب

طيب العروس في نفاء خلقتم للاثواب العرايس والغسل • فلو اننا كنا رجالا وكنتم
نساء لكنا لا نقر بذالك الفعل • فقبحا وتبا لكم للذي لبستم اجمعا • والقتال بينهم
بيننا مشتبة المجل • فموتوا كراما واصبروا لعدوكم • بحرب تلظى بالضرام من الجزل •
ولا تخلوا ظهرها وتحملوا • الى بلد قفر وهزل من الهزل • فللبين خير من مقام
على اذى • وللموت خير من حياة على الذل • ولا تجزعوا بقوم من الحرب انها • تقوم
بأقوام كرام على رجل • ويهلك فيها كل نكس مواكل • ويسلم فيها ذو النجابة والعقل •
فأخذ تنهم الحال وشق اخوها الاسود ثيابه غيرة وساعده قومه فيما اراد ///
فغدروا بطسم بعد ان تحققهم سعاد عن ذالك ولم يفلت منهم الا رباح بن مرة الطسمي
فلحق بحسان بن تبع مستغيثا فاغاثه وطعن جديس في قومه ودروه في الرياح وقتل
قومه اجمعين ولم يترك منهم احد فانظروا عاقبة الامر والجور فانه يرجع على صاحبه
ولو بعد حين فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين فمن اراد ان يدوم له الملك فليعدل
بين عباد الله لان الله قهار يغار على عباده فليكن هذا مثلا وقصتهم مشهورة
وزاد ذالك الامر حتى اشتغل به اشر قواده لما راوا من تعاقبه على ذالك حتى تعدوه
الى الفاحشة اللوطية فقد ذكر البهلول ان احد قواده بساحل الحامة جمع
الرعية لخدمة بستان فاجتمع له اهل البلد كلهم فراى فيهم غلاما امردا جميل
الصورة فقبض عليه والناس ينظرون وفعل به اللواطة على اعين الاشهاد وكان
ابوه من اعيان البلد فجعل يستغيث ويصيح فامر القايد المذكور غلمانه فقبضوا
عليه وصرعوه ومازال يضرب فيه بالسوط الى ان مات في موضعه ذالك وحملوه
ميتا ودفنوه ولم يستطيع احد يرفع شكاية لعلمهم بعدم قبولها ان وصلوا ومنعوا
من الوصول وكان الامير عثمان لم يدخل يده في الصلح في اكثر الاوقات مع اجناس النصارى
وكان مفتوحا على يديه وابلى جميع اجناس النصارى فملأ ما يعهد ومن مثله
واخذ اساطيل غزوهم العدة له و سمعت كذالك عند طاينا سبعة من الاثابيات
القبصيدان نثل الله تعالى وكان اذا غنم غنيمة وفيها بضايع رمى تلك البضايع
على التجار باغلا ثمن يلحق التجار والفقراء وغيرهم من اهل الصنايع حتى ان ما
قيمته في الارضية اربعين باعه لمن اخذه بثمانين بل بثمانية عشر
وكلما اغتنم غنيمة فيها بضايع فعل بها ذالك وعمم حتى لحق ذالك الحطابين
والبقالين والحجامين والنساجين وغيرهم ولحق بعض ايمة المساجد وكان بعد
يعامل باهل البلد ذالك اراد نهب املاكهم فصار اذا اسمع بملك يبع بعث اليه واخذه
حتى اذا دفع اليه وضعه له بعد ان يشهد العدول عليه بالقبض ثم من جوره فاخذ هو

الشمس ولم تكن املاك اهل المدينة تؤدي في خراجها الا زكاة ما يعمرونه من السواني وهو
نصف العشر واكثر اهل البلد لا يؤدي شيئا وبقي الى ان اخذ محمد باشا ممن له نحو العشر
عشر الاربع ولما اراد محمد باشا تكليف اهل المدينة على تعمير ارضهم احصى سوانيهم
وترك العشر وفرض على كل سانية اربعة ريالات وربع كانت كبيرة او صغيرة فليعطى
على ذلك فاجاب بعلة ذكرها ليشتغل الناس بخدمة سوانيهم فيحصل النفع لان
اكثرهم يترك سانيته من غير عمارة كسلا فيضر بنفسه واذا اعطيه للمخزن لا يتركها
داثرة بل يعمرها وينتفع وتكثر العمارة والغلة وقد احصى محمد باشا النخيل وفرض
على كل نخلة عشرين عثمانيا في العام وفرض على اجنة العنب شيئا خفيفا فلما تولى
عثمان اعاد الزمام في الجميع فزاد شيئا كثيرا في النخيل والابار والاجنة ولم يترك لاحد
شيئا وكذلك اجنة العنب حتى ربع الجابية في سانية او غيرها كتبه وجعل الاجنة
صنفين سمى صنفا مرصدا وهو القوي الشجر وسمى الضعيف غير المرصد ووظف
على المرصد كل جابية ريالين الا ربع وعلى غيره نصف ذلك وربما كان المرصد في بعض
السنين لا يفي بما عليه وربما اعطى الخدمة ولا يحصل له شيء او احترق العنب في بعض
السنين بحيث استاصله الحر ولم يبق منه لا كثير ولا قليل وطمع الناس انه لا يطالبهم
في ذلك فاخرج لهم شاوشا لخلاص الوظيف قبل الابان إبّان سنّا لكم في الطمع
فرفع اليه بعض الناس الشكاية فلم يقبل منه شكوى ولا عذرا وزاد على الزيتون
النصف على ما كان موظفا به اذ كان وظيفه قبل ذلك خ مسيلا فانهاه الى خرميلين
والزمهم ذلك اثمر او لم يثمر وربما بقيت الخمس سنين او الست او السبع
لا تثمر شيئا وكل سنة يغرمون خراجها بلا وجه ولا شفقة في كل ثلاثة اشهر
ولم يضع عنهم شيئا واعاد احصاء النخيل الذي احصاه من قبله وظهرت له الزيادة
الكثيرة بحيث لم يترك حبسا لمسجد ولا غيره فقد اكثرت الزيادة وما علم انه
نقص من شجره شيء من الاوطان اقره ولم يحصره عدا ولم يلتفت لمدعي النقص
ولو نقص نصف شجره ادى ما تناوله الزمام رغما على انفهم وكان نخل تاجوراء
لم يؤد خراجا لان اهلها كانوا يرون ما طلبوا به من الخراج جعله على الرؤوس اولى
منه على النخل فكانوا يفعلون كذلك ويرون ان في ذلك صلاحهم كذا قال البهلول
قلت وهذه نزعة يهودية اذ لا تصدق على الرقاب الا الجزية ولا يرضى
بها الا يهودي قال البهلول وكان شرطهم في ذلك ان الرجل منهم اذا مات وترك
اولادا صغارا اكلوا ملكهم بلا خراج حتى يبلغوا مبلغ الحلم ويلبس عليهم خراجا
في ذلك فاذا بلغوا حسبه وحسب رغايبهم وادوا عليها ما كان مفروضا واذا اراد

الرجل المتغلب باع ملكه بأغلى قيمة لسلامته من الخراج فهذا نظرهم الذي لم يره عاقل
إلا استقبحه لشبهه في الصورة بالجزية بل هو أخوها فلم يزل عثمان يحتال عليهم إلى أن
أحصى نخيلهم كله ووظف على كل نخلة في العام قرصيلا ونصفا نكالا لهم وأبقى رقابهم
ملزومة بما كان مفروضا عليها ومعروض النخل في غيرها قرصيلا سنويا لا غير فضعف
بذلك أهلها وتفرقوا في الأوطان شذر مذر وكان قائد عدة سفائن معدة
للجهاد في غاية من الإتقان والقوة والسلاح ولم يقع منها شيء مدة ولايته وكانت
أربعا وعشرين عاما سوى سفينة غلبها الريح وهي بأرض العدو فانكسرت وأسروا
من كان فيها جميعا وكانت سفنه لا أهلها أبدا الطول في الغنائم بحيث لم تخرج سفينة
إلا أتت بغنيمة أو غنائم وجلب وقل أن رجعت بغير غنيمة وكلما أتت غنيمة
حصلها في حواصل وبيوت وأعطى للمجاهدين ما أراد ولم يبال بهم إلى أن أوغر بفعله ذلك
صدورهم وسعى بذلك على حتفه بظلمه وكل ذلك من عظيم ظلمه الذي لم يسمع بمثله
في الأمة قال ولو تتبعنا ذكر ظلمه ونوادره لم نحصها فلما أراد الله انقضاء دولته
خرجت سفن الغزو للجهاد فغنمت أربع سفن فيها من الأموال والجواهر شيء
كثير فأجرى ذلك على عادته السابقة معهم فلم ترض نفوسهم بذلك فأجمع رأيهم
على خلع بيعته فخلعوها أول يوم من شعبان سنة ثلاثة وثلاثين وألف وكان
سبب ذلك السفن الأربع المذكورة فإن الجند الذين أخذوها لما تغفلوا وهم بالبحر
على أنه أعطاهم خمسة ريالات لكل واحد منهم وإلا حاصروه وخلعوا بيعته فلما
دخلوا إليه وطلبوا ذلك أبى عليهم وأعطاهم ريالا لكل واحد في حصته ولهم حصص
يختلفون فيها على ما اصطلحوا عليه في البلد في تقسيم الغنائم على خلاف ما هو مقرر
عند الفقهاء في قسم الغنيمة وكان قبل خروجهم لهذه الغزوة وهم في الأهبة لها
أعطاهم ريالين لكل واحد للاستعانة فلما أتوا أراد محاسبتهم على ما قرض لهم
معا دونا أمر الكتاب أن يقاسمهم بما دفعه لهم قبل الغزو وهم يختلفون بالسهام فمنهم
من له عشرة ومنهم من له اثنا عشر ومنهم من له الثمانية وغير ذلك فصار لصاحب العشرة
ثمانية لغض الريالين وجعل لكل سهم ريالا فأخذ البعض وأبى البعض فأخبر بذلك
وبعث للكاتب من أخذ ذلك ومن أبى ليثني بسهمه وليمدد بسبب إلى السماء وما
عساه أن يفعل فلامه بعض الحاشية على صنيعه ذلك وعلى ذلك بأنك أوغلت صدور الجند
عليك فأبى وراجعه رجب بيك فأبى فكان من جوابه لهم وما عساهم يفعلوا فلما كانت
العشية من ذلك اليوم وهو يوم السبت التاسع والعشرين من رجب سنة ثلاث
وثلاثين وألف ملأ أحدهم بندقية وصرخها في القهوة بسوق الترك وهي ملكا له

فراجعه عثمان وكيل خرجه واخبره بما شاهد وانه تجسس فيهم انهم يريدون ان يخلعوه
ويخلعوا بيعته بل بيعتهم وانهم يثيرون فتنة بهذه الليلة وان تداروها عسر دفعها
فلما تحقق ذلك امره بالمسير الى الفندق المعلوم بسكنى عزاب الجند وان يلاقيه منهم بملاقية
يثقون معه فاتاهم وكلمهم في ذلك فلم يجبه الا نحو الثمانية فرجع اليه واخبره فامره
بالرجوع اليهم ووعدهم بالعطا فلم يجبه احد وكان ذلك قبل الزوال فغلق باب الحصار
واختفى عثمان الوكيل في الفندق وبذلك كانت فتنة مذ عبالة واخوانه من المصائب النازلة
بالامير عثمان ولما مضى طرف من الليل بل من ليلة الثالث من الشهر المذكور خرج مصطفى
بلهوان الجليي في سبعة نفر ولبسوا الة حربهم وطافوا على محل سكنى عزاب الجند من
الفنادق وتبعهم من اجابهم الى ان انتهى بهم الامر الى الفندق المعروف بفندق الباشا
فاجتمع به نحو الاربعين واتفقوا على خلع بيعته وخرجوا واصرخوا بذلك فهم نحان
الحصار ليظهروا انه ما عزموا عليه وخرجوا من الفندق واتوا دار علي قبطان فاخرجوه وعزم
جميعهم الى دار عثمان ر، يس المرسى فاخرجوه وجعلوا يطوفون على بيوت الاكابر
والرؤساء من الجند المتاهلين واخرجوا الفاظ وقرعوا باب محمد بن مقيل المفتي فوجدوه
فاختفى عنهم بحيلة فلما استتموا امرهم اتوا السوق وامروا بايقاد الشمع والقناديل
وفتحوا الحانوت الذي بازاء فندق الباشا واجلسوا القبطان ور، يس المرسى بها وجعل
الجند واهل البلد كلهم يأتون لذلك الامر فلما احس عثمان ذلك وتحقق خلعهم خرج الى
الرحبة خارج باب القلعة ومعه كاهية وجماعة وامر الكاهية بالمشي الى رجب بيك
اذ هو بيته الذي براس شارع البلدية الكبير بازاء المدرسة العثمانية فذهبوا اليه
فلما حاذوا حوانيت القشاشين وسمعوا كلام القوم وكثرتهم رجعوا للامير ودخلوا الحصار
وغلقوا الابواب ولما اصبح جعل يرمي على البلد بالكور والرصاص من الابراج والحراريق
فهدم غرفة عثمان ر، يس المرسى واستعد القايمون للرمي على القلعة فنصبوا بالبرج
المعروف ببرج التراب مدافع وجعلوا من البارود ما يكفيهم وكذلك كل برج وجعلوا
يرمونه فلما رأى ذلك امسك على الرمي ولما امسك ارسلوا عثمان ر، يس المرسى
لرجب المذكور يطلبونه ينزل على الامان ووعده القبطان ان يلي الامر فلم يتركه علي الجربي
ينزل اليهم وخاطبهم لا ترفعوا اصواتكم فقد رميتم الباي بعلو اصواتكم فرجعوا عنه
ووعدوه شرا فلما اصبح تعلقت العساكر بجدران بيته وصعدوا فوق اسطحة
الدور التي تلي دار رجب وجعلوا يرمون دار رجب بالرصاص فمات من جماعته نحو
الخمسة ومات من الجند رجل ثم مضوا فرتبوا مدافع تجاه دار الباي من ناحية الكنيسة
وضربوها فانغلق بعضه وقتل رجل بالقرب منها وانهدم ركن كشك رجب ثم رتبوا

مدافع

مدافع اخر من ناحية درغوث فلم يمكنهم ذالك فاتاهم بعض الاسارى من الافرنج
وحفر لغما حتى قرب من الدار فاحس به علي الجربي فحفر حتى لغاه فهرب الافرنج
وبطل فعله **ولما** ضاق به الحال راسلهم بطلب الامان فاتاه بعض الفقهاء
وغيرهم فانزلهم على الامان وهم رجب وحرب الزبلة وابراهيم جلبي واحمد الشعير
وعلي الجربي فقتلوهم عن اخرهم وجعلوا كل اثنين بسلسلة وتركوا جثثهم تاكلها
الكلاب واخرجوا محلة للغاء محلته فهزمتها محلة الجند فلما عاين عثمان ذالك
شرب سما فمات تاسع شعبان سنة ثلاث وثمانين والف **قال** البهلول ولو
استقصينا ظلمه لجمعنا من ذلك شيئا كثيرا انتهى باختصار **ولما** مات
عثمان خرج من القلعة حسين الريس بكر الجماعة يعوقه فلما اصبح قاموا ذاهبين
الى القلعة وقدموا عثمان الريس بكر اميرا وجعلوا علي قبطان كاهية واجلسوا عثمان
الريس على تخت الملك وبايعه الحاضرون وكان ابراهيم بن المصري المسمى مصرل
اغلي في المحلة بقابل فلما دخل من معه من الجند لم يرض بيعة عثمان وقال انما قا
تلنا لننزع الملك من ايدي الروم وتمكين الترك منه وقد تولاه الروم فتابعه
على ذلك كور محمد واجمعوا على باي شاوش بلهوان مصطفى كاهية وكان ذلك
لعشر مضت من شعبان سنة ثلاث وثمانين والف فمضى كور وعمه طايفة من
الترك واخرج عثمان واجلس باي في موضعه وعثمان هذا شوطلي نسبة لشوطلة
جزيرة مقطوعة في البحر تجاه خافية ثم قتلوا عثمان هذا ونفوا كاهية علي قبطان الملقب
فربقواي سفينة كانوا عدوها لاستبدال من يدرنة والجند عند محمود باي يد الحكم
فبعثوا اليه رسولا فقتله بالجزيرة بالمرسى **ولما استقر** باي على تخت الملك وقع
بينه وبين سيدي عبد الحفيظ بن سيدي محمد الحميد وحشة كان سببها كثرة توجه
الشيخ في الشفاعة فيمن يريد البطش بهم فاتهمه فخرج الشيخ من محله الى جربة
فارا **ولما** تم له الامر جهز له اسطولا نحو الخمسة سفن للجهاد وكان قائده
مصطفى الكبير اللاسننكري نسبة لاستنكوا وابراهيم مصرل اغلي وعمر قارد
اغلي وكان احمد رايس درغتلي وكان واحد فاخذت سفنهم سفينة حرب لبعض
اجناس النصارى على جزيرة كاربة وهي جزيرة بين رودس وبين سقز لونق ورجعوا
قافلين وكان ذلك سنة ستة وثمانين والف فلما دخلوا مرسى قصر احمد بدجانة
اخبروا ان باي شاوش مات مريضا وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة
ستة وثمانين والف **وتولى** موضعه مصطفى بهلول بل بلهوان وجعل كاهيته
سليمان توكلتي نسبة لتوكلة بلد من عمل قارد نفر بركيز ولاية صاحب القسنطينية

واخرج

به من انواع الخيرات والشجر والحيوانات ما لا يحصى جمعه وصفته، ادم اصناف مختلفة
الالوان وشيئا لا يحصى لكثرته من كونه يجلب العاج والخيرات الى القسطنطينية ومنها
يتفرق في ساير البلاد **فلما** سمعوا بذلك اضمروا الرؤسا على عدم بيعته وكان قد صار
ببيعته قبل دخول السفن عليه خمسة عشر يوما وقبل اربعة عشر يوما ولهذا خلوا الظهر
واخلع بيعته في ليلتهم وبايعوا ابراهيم مصرلي اغا على تولي امر المسلمين والخزانة وتفريق
رزق الجند وجعلوا كاهيته عبد الفتاح الرملي وكان بينه وبين بايلي شاوش قرابة
وكان بايلي في حياته نقض ما كان من صلح بين الانكليز والامير عثمان **ولما** تولى ابراهيم
المذكور الامرا ستمر على ذلك الفساد وجهز من اسطوله ستة سفن وتوجهت الى
الاسكندرية فاصابوا ثلاث سفن من الانكليز موسوقة بالبضايع الثمينة فدخلوا
الاسكندرية وباعوا غنايمهم واظهروا ما للسلطان على حدة **وكان** ابراهيم مصرلي
اغا الزم العسكر امورا شرعية ضيق بها عليهم منها عدم حلق ذقونهم وذلك
تشبيها بالمجوس ومنها عدم لبسهم الحرير والذهب ومنعهم من المجاهرة بالزنا والخمر
فاصطنعوا ذلك عليه فطرحهم شرا فارسل معهم طليعة فاتبه تخبرهم وهو وزن حسن
شاوش الرملي ولما فعلوا ذلك اجمعوا على خلع بيعة ابراهيم مصرلي وبايعوا مصطفى
الكبير الاستنكولي نسبة لاستنكو، جزيرة بقاعدة قرى تجاه كاربلاغ ومعناه بالتركية
الجبانات السود سميت بذلك لكثرة ما بها من العقب والاشجار وهي على ساحل
ارض الانضولي ومعناه بر الاسلام كما انه بر الروم الى ارض الروم كتب الطليعة كتابا
لابراهيم المذكور تخبره بما فعل الجند من خلع بيعته وارسل به رسولا في البر فقدم عليه
في مدة قليلة فغراه، وعزم على الخروج من البلد **وكان** له ابن ولاه امر المرسى فاستشار
كاهيته في امر الخروج فاشار به فدبر لذلك حيلة فاظهر ابراهيم ان ابنه فسق وارتكب
ما لا يليق من الزنا والظلم فما نهى عنه غيره وظهر للجند انه يريد نفيه فاجتمعوا
لمحل التدونة وهو بيت معد لسكنى الجند تجاه الداخل من باب هوارة قبلا، ومقابله تجاه
القلعة لناحية الشرق بسوق الحصرة

ويسميه الجند لاوه معناه بالتركية جمع الدبار
فراسلوه يستشفعون عنده في عدم نفيه فابى فاجابه الجند لذلك وارسلوا من اخذه
وبلغه لسفينة المرسى للرايس عمر الموشنشو المصراتة كانت بالمرسى متوجهة
للاسكندرية واخذ في بعث اثاثه من داخل القلعة وتخرج الصناديق مملوة مالا
والقلال شبه العويب وهي مملوة نقدا حتى افرغ الخزانة ووصل ذلك للسفينة
والناس في غفلة من هذا وكان يومئذ مشتغلا ببناء البرج الشرقي الذي بساحل

البحر

البحر المعروف ببرج الشعراء اليوم وبناء المرسى فضى وطرف من الخزانة الظاهر انه
يريد التطرف ببناء البرج فاعاد قبلة واسرجها وخرج براوا امر الكاهية ان يركب
شقيفا ويأتيه في البحر ففعل فلما اجتمعا بالبرج لامه الكاهية على نظر ابنه فأبى
عليهم ثم استعفاهم لذلك فركب الشقيف ومعه خاصته فلما دخل السفينة امرها
بالقلع فاقلعت واخبر نوتية الشقيف بما فعل الجند من خلع الجند بيعته بالاسكندرية
وفيها بيعة مصطفى الاستنكولي وكان ذلك ضحوة الخميس في الليلة العاشرة من محرم
سنة سبعة وثمانين والف فرجع الشقيف واخبر بذلك فغاض ذلك اهل البلد والجند
ونكد عيشهم ثم اجمع الجند على بيعة ابراهيم قشليلي الانيلي نسبة الى انيل
مدينة بارض المورة كثيرة الخيرات سعة الخصب وجعل كاهيته احمد باي اندري نسبة
لاندر قرية من عمالة فيرو فما مضت لبيعتهم الا خمسة ايام حتى قدمت السفن
وكانت تلك السفن جمعت جل العساكر فراسلهم الجند الذي بقي بمصر ان ابراهيم مصرل
اغلي هرب وفعل ما فعل فما ستكذب بهم اهل السفن وارسلوا رسولا من جهتهم ليعاينوا
الامر فلما عاينوا اصدق الخبر نزل العسكر على عين القضة فقال مصطفى ان البلد امرها
بيدها وبايعه اهلها وانا لا اريد شغل الناس فاختبر الجند الذي معه على ذلك
فاشترط عليهم شروطا ان التزموا بها اسعفهم والا فلا فمنها تنقيص رزق الجند
وجعل من ذلك ثلاثة بل ثلثه نقصا وكان رزق الجند عنده يعطي لكل واحد كل يوم نصف
ريال فنقص له ثلث ذلك ونصف سدسه وهو قرميلان ونصف القرميل والتزموا
بذلك فصار رزق اعلا الجند اربعة قراميل في اليوم لا يزاد عليها وان على كل قرميل عشرون
عثمانيا فلوس من نحاس صغار الاول يبسر كبيرة السعر المسمى فبطانا فجاء له ريال
وربع في اليوم رزقه ولم نخبه المسمى بشرونا ريالا كاملا ولم نخبه ريالا الا ربع وهذا
بشرط ان يكون سعيهم اسطولا لا شوانيا فوافقوه على ذلك ودخلوا البلد
واخرجوا الانيلي والبندري من التخت وابقوهم في مناصبهم لكبر سنهم واستقر
عليه مصطفى للبيع خلت من محرم سنة سبعة وثمانين والف ولما استوى
على البلد والخزانة ووفوا له بما شرط وكان من شرطه عليهم ان يتصرف في مفسد
الجند من غير عذر ولا مشورة في شانه تصرف في الكثير منهم بالقتل ولم تكن له عشرة
فاوى اليه وعظمت هيبته على الجند حتى انه يبعث للعصابة الجند رجلا من
طرفه وهم باسلحتهم فياخذهم ويقتلهم حتى نفى منهم في يوم واحد ثلثمائة وكان
مصطفى رءوفا بالرعية محبا لاهل البلد لا يحب من يسعى اليه بشر في الخلق واسقط
على الرعية بعض الوظيف المخزنية المرتب من عشور غيره ولما عاد ابراهيم المصرل

اغل

للبلد من القسطنطينية بجبة محمد بن مراد الجعص والبا على البلد من قبل السلطان
محمد ومعه ثلاثة مدافع نحاس خرج الرعية لرسول السلطان واهل البلد وكانوا
يعرفونه بجبة فيه واخذوا المدافع وتركوه فرجع محمد الجعص لتونس وكانت ولاية
مصطفى ثمان وثمانين والف ايا في سنة ذلك مرض بالطاعون **ولما** مات ثالث
الجند رجلا كبير السن اسمه عثمان علجا لبعض الجند الجزيري كان بيده، تعرف
عيش الجند المعروض لهم وبيعه وبين السطي مصطفى العلج فرابته واستقر
امره بالبلد عاما وشهرا ثم مرض فمات في ربيع الاول سنة تسع وثمانين والف
ورابع الجند، اي محمد الحداد الا ندلسي في الشهر المذكور، اي لقب بالتركية
معناه الابيض واستقر على تخت الملك سنة وستة اشهر وكان سيء الخلق
رديا راكبا هواه جبارا وابوه كان بالبلد باشا من قبل السلطان يقال له خليل
ارنوود نسبة للقبيل المشهور بارض الروم وهي في الاصل عرب من غسان تروموا
بالمجاورة **وسبب** نقلهم من ارضهم على ما ذكر غير واحد ان ملكهم جبلة
وفد على عمر بن الخطاب في خمس مائة فارس من قومه بالخيل المسومة والعدد
والعدد المزخرفة والاسلحة العظيمة فاسلموا وسر بهم عمر رضي الله تعالى
عنه سرورا كبيرا **فاتفق** بعد ذلك ان خرج امير المومنين للحج فخرج معه جبلة بمن
معه وقدموا مكة فحل لهم المناسك فطاف جبلة فزحمه رجل فزاري فوطئ
الفزاري بردة فلطمه جبلة بكفه فرجع الفزاري الى الشكاية لامير المومنين فاحضره
واخبره بما قال الفزاري فاقر به وطلب ان يرضي الفزاري بما احب فابى عليه الفزاري
الا القصاص فقال تسوي بي عمر فقال الاسلام ~~كذا~~ سواه فطلب الامهال فا
مهله عمر فرضي خصمه فهرب من معه من ليلته ولحق بقيصر وتنصروا وقطعه
قومه الى الارض المعروفة بالرميلي وقام قيصر جبلة بالقسطنطينية معناه
جبلة فلم هو قيصر واجرى عليهم جرايات واسعة والحية فنخج لم يرى مثلها
ولم يزل بها الى ان قدم رسول عمر يدعو قيصر للاسلام فدخله قيصر عليه فرءا
ملكا عظيما وسأله جبلة عن عمر وحسان ابن ثابت وكانت بينه معرفة مع الصحابة
فلامه الرسول على ما فعل فاظهر له الندم عليه وانشد، لنفسه ؞ ؞
• تنصرت الاشراف من عار لطمة • وما كان فيها لو صبرت لها ضرر • تعنقني
فيه لجاج ونخوة • وبعت بها العين الصحيحة بالعور • فيا ليت امي لم تلدني
وليتني • رجعت الى القول الذي قاله عمر • ويا ليتني بالشام ادنى معيشة •
اجالس قومي فاقد السمع والبصر • ويا ليتني ارعى المخاض بقفرة ؞

وكنت اميرا في ربيعة او مضر. اذ ينوا بما دانوا به من شريعة. وقد يصير
العود الكبير على الدين. فقال له الرسول هل ترجع فقال على شرط ان يزوجني
عمر ابنته عمر من ابنته وان يكتب لي العهد من بعده فرجع الرسول واخبر عمر
في ذلك فالتزم عمر بالشرط فلما عاد مات يوم دخوله مدينة قيصر وبقي قومه
بارضهم ويسمى اليوم سومى وكافر قد طالت ايام خليل في البلد وليس له نظر في
بسبب تجرولات العسكر على والبعاس قبل السلطان فتاقت نفسه بالقيام
ليستقل بالتصرف وكانت بينه وبين وزن احمد كاهية ومحمد الملقب بالنه باي
وعلي قبطان منكيشالي نسبة لمنكيشة بالتصغير قرية صغيرة على ساحل البحر
من ارض المورة قد احاط بها البحر من ثلاث جهات ويدخل لها على قناطر واهلها
يشربون من ماء السماء والابار بها وانضاف اليهم محمود خازندار وكان
علجا بلنسيان اسلم وحسن اسلامه دلت على ذلك اثاره من المساجد نحو الخمسة
بداخل المدينة وخارجها منها المسجد الذي بقصر احمد بالشروع منها وهو مسجد
حسن متقن الصنعة ومنها المسجد الذي غربي الزندانة الكبيرة من ناحية الغرب
منها بحومة اولاد نوير وسليمان داي المعروف بصفرطاي ومصلى العيد
الذي بازائه وغيرهم ودبروا حيلة يجمعوا بها الناس عليهم فجمع كل من يأوي
اليه من وجود البلاد في نفق معهم ومعهم ابن الفقيه الصالح سيدي احمد بن
عيسى وانعقدوا واتفقوا على ليلة معهودة بينهم يكون قيامهم فيها ووافق
الجند على ذلك واجمعوا المجلس لحل ندوتهم وارسلوا الى محمد فلما تراهم
وبعد ذلك عقبه خليل على القلعة فلما خرج ليحضر صاح به رجل ان خليلا اعقبك
على نحتك فرجع بمن معه وضرب بعض الجند خليلا بحجر كاد ان يرميه من على فرسه
فرجع خليل واتصل الى محمد بالقلعة واجتمع اليه اكثر الجند وفشا امر قيامهم
في البلاد ووشى بعض بعضها ببعض من اولاد البلاد للى محمد فبعث في طلبهم اليه في
جماعة فاول ما بدا به ان هجم على بيت الفقيه سيدي احمد بن عيسى يطلب ابنه وكان
ذلك بعد اذان الفجر فوجد والفقيه بيده ابريق يتوضى وقد نزلوا عليه من السطح
وبحثوا على الولد فلم يجدوه فاخذوا الفقيه واحضروه بين يدي الى محمد فوبخه
واراد البطش به فحماه الله وامر بربطه فربطوه وكان الى محمد حسن الخلق فصيح المنطق
وظفر بنحو الثمانية من اولاد البلاد ممن وشى بهم عنده فقطعهم من خلاف الا اثنين
احمد الحامدي ومحمد المرابط الدمنهور المسلاني فلانه قطع ايديهم وارجلهم
وكان مصطفى بالهواري الحليب لما بقي بقرية خرج على الحامد و خلعوا

ببيعة محمد باي وظهر خلافهم وكان قايد جيشه حسن عيازة وفي نفسه منه شيء
وكان باي محمد يتقي مراد المذكور وكان اذ ذاك قايدا بغريان فلما جاء الرسول بذلك
اخذ باي اغة الجند الذي بالعسكر وربطه ليقتله بالليل فاحتال حسن لما سمع بيعته
اليه في استخلاصه ليستعين به عليه فاشار عليه بعدم قتله وقال اخشى ان يكون
فات فقال ابعث رسولا واكد عليه في المسير فان ادركته استعنا به والا فاعرضت
الله فيه خيرا فيعفو الناس وشرا فالعبد المسلم بعدم قتله فقبل وكان ثقة الاعراب
قد تشوفت للخلاف فاحتال حتى بلغ اليهم في مدة قليلة وكان الاكثر من اهل
غريان اظهر الخلاف وسبب ذلك اتاهم مراد حتى يبعث في قتله فلما بلغ الرسول
القصر وجدهم احضروا له آلة الخنق فقالوا لهم كذبا انعفوا ان تحضروا لحقيقة
المدينة وانه جعل كاهية لقايد الجيش حسن عيازة واخبروا مراد بذلك فخشي
ان خرجوا ليلا وتوجهوا للمدينة ان يتبعهم من خالف من اهل غريان ويظفروا بهم فيقتلهم
فدبر لهم حيلة في خروجهم بان يدخلوا عليه آلة الخنق فيقاتله من وافقهم من اهل غريان
فلما فعلوا ذلك رقى بعض اهل غريان ممن معهم في القصر اعلا القصر وصاح باهل غريان
سمع ذلك مراد فبعث الاغة القصر فقسم على من عنده من اهل غريان ان لا يمكنوا معه
في القصر فلما خرجوا ركبوا على خيلهم وساروا حتى وصلوا المدينة وقت الصبح وكروا
بالباي محمد ومن معه وبايعوا حسن موضعه وكان ذلك لثلاث بقين من شهر شعبان
سنة تسعين والف وجعل مراد بايا واغة حسن عيازة فدبر امر الناس والخزانة
وتعريف الرزق ثلاثة سنين وتسعة اشهر وخمسة عشر يوما وكانت بيعته سنة
تسعين والف وكانت تلك المدة الغالب على دولته مراد باي وعظمت شوكته وتوجه
في سنة ثلاثة وتسعين والف لودان **وموجب** ذلك ان صاحبها النجيب ابن محمد بن
جهيم امتنع من اداء الخراج زاعما انه اداه وناكره فيه متولي الخزانة وزور عليه
بغلامه فرجع في ذلك فلم يجب اليه فتوجه اليه مراد واظهر انه يريد الجبل الاخضر
حتى نزل بالجديدة من ارض سرت فصير للحسون حوله سواء عامرة مستغرق به
يضعون به اثاثهم الذي لا يمكنهم الضعن به ولم يظهر ذلك لاحد من خواصه حتى
بلغ المحل المذكور واخبرهم وجرد خيله وسارت ثلاثة ايام وعند اليوم الثالث
الجند يسوقونه ووادان هذا على خمسة مراحل من مدينة سرت بجهة الجنوب
وكان بها قصران بينهما رمية سهم فالذي الساحل خلاء والذي يلي البر به
عامر ولها آبار كثيرة يزرعون بها الذرة وبغربيها غابات نخل وحولها من شجر
التوت وشجر التين والنخل كثير وتمرها بينها ليس حلو وهي وادان كانت او جلة اكثر

منهم

في ظهور الخلاف بان مراد قد قتل محمد

مثلها نخلا لم يكن في بلاد وتمرها الطيب طعما كذا ذكر صاحب نزهة المشتاق وأما الآن
فالقصر أعلا منها وهو عامر كثير العمارة يسكنه قوم من الأشراف وطائفة من
البربر كالخدم لهم والأجنة من نخيل وعنب وتين وليس بها من التوت شيء، وماؤها
خبيث المطعم مسهل وبينها وبين قرية سوكنة نصف يوم أو أزيد من ذلك وهي قرية
في بنية من جبل طنطه ماؤها عذب فرات طيبة الهواء، وبها من النخيل والتين والعنب شيء
كثير يسكنها أخلاط من البربر والعرب يمر عليها من ودان ما بين الجنوب والغرب وبينهما
قرية أخرى يقال لها هون متوسطة نخلها أجود من نخيل البلدين وأقوى وهي في الكبر
دون سوكنة وفوق ودان وماؤها خبيث مثل ماء ودان سواء، وخرج من أرض ودان
عاجلا ولم يعلم أحد خبره حتى أتى سبهة وأحاط بها فلم يفلت منها إلا فارس واحد
ذهب منها إلى جهة مرزق فلما أحس بذلك ارتحل من وقته ولم يبت بها ليجد حال
مرزق على حين غفلة من أهلها فعاجله انجار عنها فأخبر أهل مرزق بدخوله
سبهة فخرج النجيب بما تيسر له من الجند فالتقيا الفريقان في بير قرية صغيرة بينها
وبين مرزق نحو الست ساعات أو خمسة واقتتلوا قتالا شديدا فكانت الوقعة لمراد
عليهم وقتل النجيب واستاسر أخوه وقاتل ابن أخيه علي عند أبيه لما أثخنته الجراح وكسر
حتى مات وخرج محمد الناصر وأثخنته الجراح وكان مراد أوصاهم عند اللقاء أن لا يقربوه
وتوعد من يضربه بالقتل فلما لحق مسكوه وربطوا به وقدم مرزق واستولى على خزائنهم
فالقى خزائنهم فيها من المال كثيرا وطيب الناصر وأظهر الأسف عليه وبعد سبع من
دخوله ولاه البلد وأقام بها واحدا وعشرين يوما ولم يغير على التجار والرعايا شيئا
لا مثقال فتيلة بالخيانة ثم ارتحل عنها وأسقط على الناصر خراج ثلاث سنين إلى أن تستقيم
حال البلد ولما وجد على طرابلس سعرته وعظم أمره وكان فخبسه من حسن شيء
نافت نفسه لخلع بيعته وكان يسكن بالمنشية خارج المدينة فراسل العسكر الذين
في داخلها لخلعه بيعة حسن فأجابوه لذلك وأرسلوا حسن بذلك وهو بالقلعة
فالقى السلم وكان ذلك في منتصف جماد الأخيرة سنة أربع وستين وألف ونحو
لجرية وبايعوا رجلا منهم يقال له بلك محمود بوسين وبلك بالمثناة التحتية المضمومة بعدها
هاء مضمومة وكاف بالتركية مجرى الماء وبايعوا الجزايري نسبة لمدينة الجزاير بأرض
المغرب لترتيبه جنده ونوار في الأصل لثلاث عشرة بقين من جماد الأخيرة
من السنة المذكورة فمكث لسيهته تدبير الأمر سنة ثمانية عشرة يوما والغالب على
الأمر مراد باي وأحكامه نافذة في البر والبحر وله أعوان من الجند، ورؤساء غيرهم فمن
الرؤساء حسيني قبطان الملقب كللي يحي نسب لصنعته وهي تلبيس النحاس القدير

وكلاي بكاف مفتوحة بعدها لام بعدها الف لينة وياء تحتية اخر الحروف بالتركية العصدار ومراد العجشتي نسبة لعوشة قرية بالاناطول بلد ملاحة وبها اجنة كثيرة الخصب بينها وبين ازمير نحو العشرين ميلا وبها بئر ماؤها يشبه الثلج في كل الفصول بخلاف غيرها من الابار ويسميه اهل البلد بماء الثلج فيقولون كرتل بسي وكرتل بكاف مفتوحة بعدها راء ساكنة ومثناة فوقية مفتوحة بعدها لام بالتركية الثلج وبسي بسين مضمومة وهمزة مكسورة بالتركية الماء الان لغتهم تقديم المضاف اليه على المضاف وماؤه عذب مفرط في العذوبة فلما تم عامه اراد مراد واعوانه خلعه واجتمعوا ليلا على خلعه ولم يكن له علم واعلموا اهل الديوان ومعهم عبد الله الازميرلي نسبة لازمير مدينة عظيمة بالاناطول كثيرة الخصب والتجارة براؤكر المجتمع فيها البحرين الاناطول والرملي ويجلب اليها الجيران من كل الارض والبضاعة الثمينة والجواهر ومنها يجلب لقسطنطينية ومصر وافريقية وطرابلس وغير ذلك من بلد الروم فاخذوه وهبى على كرسي الحكومة ونفوه لبر الترك وكان ذلك يوم الاثنين لخمس خلت من رجب سنة خمسة وتسعين والف و اجلسوا الحاج عبد الله سكانه وبايعوه في ذلك اليوم وتولى الخزانة وتعريف زرق الجند ويتصرف في الولاية والعزل بمشورة مراد عاما وتسعة اشهر الا احدى وعشرين يوما وفي ايامه في السنة المذكورة اتى الافرنج بالبونبه لاخذ البلد ورموا بها وكان عبد الله هذا ضعيف النكاية اصفر العواد والغالب على تدبير امر المدينة وعبد الله ومراد بنوا وشلوم بن ليتين عمر ومحمود محض عندهم اعيان البلد عبد الله الرحيمي وبنوا المكني وغيرهم من الاعيان واتفق امرهم على ان يعطوا مالا للافرنج ويكفوا عن الرمي فردوا الامر على عبد الله فوافقهم وكانوا اتوا البلد على حين غفلة من اهلها ثم ردوا الامر على مراد فابى عليهم فراجعوه فرد عليهم رابا هو انكم اتركوا البلد وانا ابني لكم مدينة بالهانة عظيمة الغدر احسن منها لا يلحقها اذى الافرنج واستعمل لغزوهم اسطولا ويكون بناؤها من مالهم وفعلتهم جابوا عليه والحوا فوافقهم ذلك وقد رواما اعطوه على دور البلد ولغدا خطوا وستسند خطاهم استبدالهم الحياة الدنيا بالاخرة فاهانوا البلد بتلك الفعلة فمروقية نقوى امر الافرنج في البلد وعلا شانهم واسترضوا صلحهم ذلك اموال الا يلتزم بها سومي يوفى بلغا. الله وعده منها دخول طاغيتهم كلينا معاكان بنعله على ملكها يطى فيها بساط الملك خليفة الله ورسوله في الارض ومثى كبيرهم الموضوع شاهد بسلاحه بين يدي الملك وان لا يحاكموا مسلما في خصومة للشريعة المطهرة

المطهرة وانما تكون الحكومة بيد اكابيرهم فيض الله لهم ملك الاسلام واعانه حتى
يردهم للصغار وكل هذا ومراد خارج المدينة وكان مراد بمستغانم فعل الاتراك وبكره
تجبرهم واذاهم وبكره محاربة الاعراب فلذلك كان لا يستقر بالمدينة الا قليلا اذهب شوكة
بني محمود بن طوق ابن بقية واستعان عليهم بالمنصور بن خليفة الترهوني وجيء فيهم في البلاد
تشديدا صدرا حتى رادوا على الاتاوة ولم يرض واستعان على شوكة الاتراك بمراد
العقيل صهره وحسين قبطان كلانجي حتى روعهم ثم اراد المكر بهم
فاحتال على اخذ مراد العقيل واستعان على ذلك بحسين كلانجي وعبد الله داي وبني
قشلوم وراسلهم بقتله اليه فوجهوه اليه مع رسول منه فلما اخرج جوابه وابعدوا
وقتلوه قبل وصوله اليه وكان اذذاك نازلا بعين زغه بارض ترهونة ينزلها جابه عشورهم
لماؤها عذب وهي على مرحلة ونصف من المدينة ولما بلغ الرسول قتلهم مراد راسل
بني قشلوم وعبد الله في بعث جيش كلانجي فاحتالوا عليه حتى حضر عندهم فمكنوه من
رسله بكرة وخرجوا به فلما مر بالمقبرة التي خارج باب المدينة تجاه هذه الناحية المعروفة
بالشيخ حمودة وجد بعض الجند بها على عادة اهل البلد في خروجهم نحوه لذلك المحل
يستريحون ويحتشون ما يحتاج اليه من حطب وتبن وغيره فصاح بهم الكلانجي
مستغيثا فافتكوه من ايديهم بالحجارة وادخلوه المدينة وغلقوا ابوابها وكان ذلك
لخمس عشرة بقيت من ربيع الثاني سنة سبع وتسعين والف ووافقه الجند وخلعوا
بيعة عبد الله وقتل بني قشلوم عمر ومحمود وامر بوضع راسهما على حربتين خارج
باب المدينة فبراهم عاضدهم من اهل البر فينكف عن نصرة مراد وحبس عبد الله داي وكان
ذلك لنصف بقيت من ربيع الاول سنة ثمان وتسعين والف وفي ذلك اليوم بايع النارزبا
ابراهيم وتبعه الناس على ذلك وراسل المحاميد الموتورين من مراد فاصلحوا عنده
يطلبون ثارهم واخرج الجند لقتال مراد خارج المدينة وجعل في يد الخيل وبينهم محمد الملقب
صكال دلسو وصكال بصاد مهملة بعدها كاف مفتوحة والف لينة بعدها لام معناه
بالتركية شعر اللحية ودلس بدال مهملة مفتوحة ولام وسين مهملة مكسورة نبه
معناه بالتركية قلة العقل والنعت العربي فلان يعرفونه تاجورا وهو تل ينبت الديس
المرعى كثيرا به مزارع لاهل المدينة وتاجوراء فكانت الوقعة على مراد فخذله من معه
من الاعراب له شبلبين وغيرهم واستولوا عليه وقتلوه واكلوا بعض الجند من
لحمه وبقي ابراهيم النارزبا مولى امر الخزانة والغالب على الدولة حسين كلانجي
سبعة اشهر فلما تمت له تلك المدة خلع حسين بيعته وتابعه الجند وكان ذلك اواخر
ذي الحجة سنة ثمان وتسعين والف وفي ذلك اليوم قدموا محمد الامام فبايعوه وهو فار داغ

النسبة وتولى الخزانة وتعريف رزق الجند والغالب على الامر حسين بحيث لا يصدر تصرف
ظاهرا وباطنا الا عن رايه واقام على ذلك سنتين فلما تمت سنة المائة والف تجهز حسين للسفر
مجاهدا في خمس سفن كبيرة يفضل بعضها بعضا فيه وكان ذلك في عشرين من جمادى الاخيرة
سنة واحد ومائة والف فما مضت لهم مدة حتى التقوا بسفينة للروم موسوقة
ملحا اخذوها ورجعوا راجعين فلما كشفوا بربة بليلة ارسلوا طريدة للبر لتأخذ
لهم علم ما حدث بعدهم فاخبروا ان محمد الامام استعمل كبير الخيل المسمى ببا احمد الغرطاس
الانطولي فوقع في نفس حسين شيء من اقدامه على ذلك من غير مشورة **وسبب**
اقدام محمد الامام على ذلك انه عرضت له حاجة عند حسين قبل سفره فبعث اليه فيها فاتى عليه
ثم راجعه فيها بنفسه فقضاها حسين فيلا وطلب منه محمد كتابا في ذلك فاستعجل عن ابراز الكتاب
فيه فدفع الخاتم لمحمد الامام وامره ان يكتب بنفسه ويختم الكاغط ومضى وكان حسين قبل ان
يسافر فرق رزق الجند عليهم اعطاهم خمس ريالات لكل فاطلبوا الاتمام فابى عليهم
وتعلل لهم بضيق ما بيده ووعدهم باعطاء ذلك ان قدم فلما سافر كتب محمد الامام على لسان
حسين فيما ختم من كاغط خطابا لمحمد الامام ان يجعل رزق الجند اعلاه اثنا عشر ريالا
فاوغر بذلك صدور عليه حتى وافقوه على قتله ان عاد وفعل ما يعاب التولية بغير اذنه
فلما روئي السفر بعث الى اهله محمد الامام فطلب حسين كلا يجيء ومن وافقه
من الروسا الذين معه فان سلموا لما اراد والا رجعوا الى اين احبوا وكان من طلب
معه مصطفى صرك بصاد مهملة مكسورة وراء مفتوحة وكان لقب لمصطفى معناه
بالتركية شيخ السروال لقب بذلك لطوله من استغانه وابراهيم صفجكلي نسبة لصفجك
بصاد مهملة مكسورة وفاء معجمة مفتوحة وجيم مكسورة وكاف ساكنة قرية على ساحل
البحر بغربية من قارباغ لارجا تيقن الجند الذين بالسفر على اعطائهم واعلموا بذلك
محمد بكتاش الامام فارسل من تولى قتلهم فمكنوهم من ذلك فقتلوا بالجزيرة التي
في المرسى واخذوا روسهم ودخلوا بها المدينة وامر محمد بوضعها بازاء راس ابن
كنيالة وكان قد قتل في بيته وكان وضعها اعلا الدرج المحاذي لباب هوارة على يسار
الداخل من جهة الغرب فلما ظفر بهم استقل محمد الامام بالملك وعزل احمد الغرطاس
عن رياسة جند الخيل وتولاها الحاج عثمان الانطولي مدة ثم يعزله عنها
وولاها كنعان كان كنعان هذا علجا روميا بارض المشرق وتفقه بالعربية واقام
بها مدة وبقربة من استقلال محمد الامام بالملك حركت مصطفى شربان همة
الخلع فبيعة محمد الامام ووافقه على ذلك بعض الجند فلما احس بهم خليل قارداغ
تسلح ودخل عليهم وقتل مصطفى وبعض من وافقه ولم يكن لمحمد الامام علم بذلك

فلما اخبر

فلما اخبره بذلك سره وولى خليل وركب اسطولا للجهاد واخذ يغزو فاصاب
غنايم وعقد له محمد الامام على ابنته زينوبة وقبل دخوله بها حركة محمد الامام همته
لنقض الصلح الذي كان فعله عبد الله والطاهر بنوا مشلوم مع الافرنج بنقضه فلما
بلغ ذلك ملك الافرنج وجه للبلاد اسطولا نحو الخمسة عشر سفينة كبيرة ومعهم
البونبة جاءوا البلاد اول ليلة بقيت من رمضان سنة اثنين ومائة والف واشتغلوا بالرمي
على البلاد واستعد الناس لهم وظهرت شجاعة محمد الامام وحزمه حتى كان يطوف
على الابراج بنفسه ولم يعتمد على احد ويوعد الرماة بالعطاء الكثير فرمى بعض
هوان البونبة بكورة فنفع الهوان فقتل من حوله من النصارى نحو الخمسة
عشر وتاخروا قليلا بعد رميهم شيء ورجعوا خائبين بلادهم رجعوا لملكهم واخبروه
بعدم اجادة رميهم فلما جاء خليل جهز اسطولا كبيرا لاخذ سفن الجهاد بالمدينة المذكورة
فاتفق ان التقى اسطوله بسفينتين من سفن الجهاد المدينة المذكورة رئيس
احدهما خليل المذكور فجاهدهم جهادا كبيرا لم يعهد مثله حتى لم يبق لهم من
الذخائر شيء فاسروا ووجدوا فيهما وكان فيهم وجد جبالجي وجه شماله معدومة واقلعوا
بهم نحو بلدهم وراسلوا محمد الامام بالصلح فكان اخذ خليل سبب صلحهم فانعقد الصلح
بينهم وبين محمد باشا على ان جعلوا فداء كل من المسلمين والنصارى مائة وخمسين ريالا
ويقابل الرجل بالاخر فمن زاد عنده اسيرا اعطى ذلك ولم ينقضوا من صلحهم الاول شيئا
فكانوا يدخلون عليه كما كانوا يفعلون من قبله غير انه لقوة ايمانه لم يدخلهم محلا
به جرش يطئونه باقدامهم قط وطالت ايامه وغلب على امره فؤاده والترك فكان الفؤاد
يغرونه بمنصور بن خليفة لما كان منه من اعانة مراد فكان يبغض من حقده فتوحش
منصور من ذلك وامتنع من المثول بين يدي محمد الامام وبلغته عنه اشياء استغلظها
وكي هذا فجمع امره واستشار ارباب دولته في تجهيز جند اليه فلبوا الامر فشرع
~~تجهيز~~ في تجهيز الجند فبعث اليه جيشا كبيرا فيه عامة فؤاده ورؤساء
عسكره وكان قايدهم يومئذ يوسف بيك وانضم اليهم اكثر العربان لعلو نفس
منصور وكعبه عليهم فلما بلغ منصور الخبر جزع امامهم متوجها للارض برفقة
فلحق بنجع سرت واعرابها بتاورغا وتوجه معهم فلما نزلوا محلا يقال له ام
اللجم بين تاورغا والهيشة على مسافة ستة ساعات من كل لناحية الجوف
من تاورغا، ولناحية الغرب من الهيشة وهما بلدان بناحية الجنوب من مصراطه
بين تاورغا، ومصراته اقل من نصف مرحلة وهو بلد متسع المساحة ليس بها
نبات ولا شجر الا النخل وفيه منه ما لا يحصى كثرة وهو انواع مختلفة وبه عين ماء عذبة

واظهاره

لا خطير لهاء العورة ومنها تنتجع اعمارتاورغا، **والهيشة** بلد صغيرة بين القبلة
والجنوب من تاورغا، وكل منهما في ارض سبخة لاتنبت سوى النخل ويسقى نخلهما من
من العيون غيران عيون الهيشة صغيرة قليلة النبع عكس تاورغا، **ولمّا** التقى
العريغان بذلك المحل الذي كانت الوقعة لمنصور عليهم وقتل من رؤوس الجند والقواد
كثيرا وفي تلك الوقعة مات رجب فصنة ولمّا رمى رجب عن وكمه حضر بين يديه
منصور بن خليفه مكشوف العورة فاستغاث به ولم يغثه فباشر قتله بنفسه
وهذه الفعلة منه السبقت عن لوح قدره **وكان** ايقاعه بهم سنة ثمان ومائة والف
برجب واخوه شعبان **ولمّا** بلغ محمد باشا الخبر اغتم لذلك غمّا شديدا وعزل
يوسف عن قيادة الجند وولاها خليل يوم الجمعة لست بقين من ذي القعدة
من السنة المذكورة وطغى منصور وتجبر واكل موالشي الرعايا وافسد زرعهم وتوجه
للارض برقه وارسل الامير محمد باشا عاملة على الجبل الاخضر محمد بن محمود بالاخذ،
بجمع من جند اهل البلد من درنه وابي غازي ممن ولد بها من اهل مصراته وبوزلينس
وبني الجند المسمون بالقورغلية واضاف اليهم اعراب طاعته من اهل الجبل الاخضر
جبارنه وبراغيث واهل الغابة واولاد ابن عوض واولاد علي فاجتمع عشره
اثنا عشر مائة فارس وتوجه اليه وبعث الاعراب المذكورين طليعة فالتقى
العريغان فهزمهم منصور حتى بلغت هزيمتهم اخبية محمود باي ومن معه من
جند البلد فبرد وا عليه وهزموه هزيمة منكورة حتى اباتوه اهله واستولوا على
حريمه ولم ينجح له الا ذوداً بل فرجع الى وطنه واجتمع اليه من يجب من اخدانه
واحبابه ورجع لما كان عليه وثارت بينه وبين عبد الله ابن عبد النبي الصنهاجي
حروب ادت الى هزيمته وذهاب شوكة اعوانه ومات سنة تسع ومائة والف
على يدي عبد الله ابن عبد النبي الصنهاجي ومن انضاف اليه من اولاد عبد
الرحمن الجبالي واولاد زيان واولاد سلطان التاورغيين وبني معدان واولاد
الجند من اهل مصراته في ارض تسمى بغرارة ابن جدّي بالتصغير محل حدث للاولاد
علي العماير بين بوزلينس ومصراته مسافة من كل نحو الثلاث ساعات بقصد هما
ابتهم من مصراته بين الجنوب والغرب وفي ايامه سنة احدى ومائة امتنع الناصر
صاحب فزان من اعطاء الخراج واعجب بكثرة باديه وحاضره فوجه اليه جندا كبيرا
يوسف بيك ومشى على جهة تاورغاء حتى نزل على مرزك فخرج له الناصر واقتتلوا
قتالا شديدا خارج البلد وكانت الوقعة ليوسف على الناصر وكانت في اليوم الثاني
للناصر على يوسف وفي الثالث تكافوا وكان بالمحلة اولاد المكني علي ومحمد الغزيل

وهم المغرون بالناصر محمد الاملح والمحسنون له الخروج للارضة فلما مهد يوسف على ذلك
وتوعدهم بالشر فراسلوا خفية اخوة الناصر وابناء اخوته واكابر جنسهم ووعدوا
كلا بالملك فحيث لم يدر كلا بما ارسل في الاخر فاصبحوا بالمحلة من غير علم من احد منها للاخر
فسقط في يدي الناصر وعلم ان ملكه هدت اركانه فراسلهم يطلب الامان له ولوزيره
المسعودي ولمن معه من حاشيته باد وحاضر فراسل يوسف قاضي الناصر حماد بن عمران
واعطاه الامان على يد بن مخرج من قصره حتى اتاهم فلما اتاهم دخلوا البلاد وتولى يوسف
خزائنه ثم لم يف للناصر والناصر بالعهد فغدر الناصر والقاضي وابنه والتجار ونهب
اموال الناس وهتك حريمهم واستولى على كل ما ظفر به المال وكان من جملتهم تاجرا
من بني نوح مسكوه ووكل بتعذيبه القوم مصطفى البسكري الملقب بالخنشي وكان
شديد العداوة للعباد فلما رأى ذلك التاجر ما حل بالناس من امره وتعذيبه بالنار
سأل رجلا بازائه مكتوفا من اقارب القاضي المذكور فقال بالحجاج نجاه فيما يوجد
ثم جاء ثم بات موجودة بعد ها الى ليلة بعد ها جاء مهملة هذا الخلق الذين تراهم
فيعلمون انهم من اهل النار او اهل الجنة فزجره عن ذلك الخنشي ان يسمع منه
ذلك من جهتهم فيزيدون في العذاب فلما سمعهم الموكل بالعذاب يتكلمون بذلك
سأل الحجاج عما قال فأبى ان يخبرهم فتوعده ان لم يخبره بعذاب اشد بيدا
فاخبره انه سأله عن القيامة وقال انا لم اسمع بهذا العذاب الا في زبانية جهنم اهؤلاء
هم الزبانية ونحن متنا ونشر نلاع الزبانية تأتي الخلق قبل موتهم فلما اخبره بذلك
وراجع يوسف رفعه وكانت تلك الكلمة سبب النجاة وهذه مثل كلمة بعض
اصحاب ابن الاشعث لما ظفر بهم الحجاج بن يوسف الثقفي وجعل يقتلهم علامة
النهار ولما كان العصر اخرج لبعضهم للقتل فقال ان اسأنا يا حجاج في الذنب
فما احسنت في العفو فعفى الحجاج عنهم وقال اف لهذه الجيف اما فيهم
من قال هكذا او لكن اي المقام من المقام ذلك رجل عربي فيهم مذاق فعمل ولما
اراد يوسف التغلب عنها اراد ان يستخلف عنها محمد بن جهيم ابن محمد بن جهيم
لانه عمه فلما احس بذلك علي المكني وابن عمه محمد الملقب الغزيل بالتصغير اطلع
له كتاب الامير محمد الاملح بتولية محمد الغزيل ارض فزان فانكف عما اراد ورحل
عنها واستصحب معه الناصر ووزيره المسعودي فلما بلغ معه المدينة سجنهما
بها واجرى عليهما من الرزق ما يكفيهما ومكثا بالسجن خمسة عشر شهرا
منها خمسة محمد المكني مقيما بفزان واليا هنيئا فلما تمت له الخمسة قام عليه
اهل البلاد بعد ان خرج منها من سلم من اولاد جهيم وحاصروه بقلعتها ثلاثة

ايام ثم خرج وهو بها وانعقدت مقاتله فلما علم المحلة بذلك طلبوا الامان لانفسهم
فامنوا وفتحوا القلعة ودخلها اهل البلد ووجدوا محمد رمضى الجبالة فربطوا برجله حبلا
وجذبوه الى خارج القلعة وكان وقت ولايته قطع يد رجل من اهل البلد فاحضروه وامروه
بقطع يده فقطعها وقتلوه وراسلوا نعمان بن محمد ومحمد بن جهيم بارض السودان بقدما
عليهم فبايعوا نعمانا وراسلوا محمد باشا بانهم التزموا بالخراج فحثه اولاد المكني على الاخذ
بثارهم ودبروا معه رايا ان يرسل النوبة ويجعل البعض على المكني ويبعث معه جماعة
من الجند شبه تجار حتى يتقدموا ويخدعوا من بها من اولاد محمد واعوانهم ويستعان باهل
بني وليد من ورجلة واتباعهم فلما قربوا من البلد لم تخف حيلتهم على محمد بن جهيم ومن
معه من كبراء جنده فخرجوا وراودوا نعمانا على الخروج فعلم فابى عليهم اعتمادا على مراسلة
علي واجتبه المصري له انهم اتوه بالخلع والتجديد من حضرة الامير محمد الامام وبعثوا
له بلغاء بمن معه من كبراء جنده واولاد الملوك وامر المحلة بالتاهب لقتلهم ان قدموا
ظنا منه ان ما احتال به خافي عليهم فخرج للقائه نعمان وحده فلما راى ذلك سقط في يده
فدخل علي واخوه البلاد واقاموا بها نعمان شبهة في يده مربوطة عن التصرف ولما
بلغ محمد بن جهيم وادي الخرمان بايعه على قتالهم وكان علي خرج في غزا زنبية في اثرهم
وابيس عشرة من تخبيرهم بالوادي فلما نزل بازاء قلعة بالوادي هجم محمد والمحلة عليهم
واخذوا اسلحتهم وامتعتهم وقتلوا بعضهم ولم يفلت علي الا قليل فخرجوا في اثرهم
حتى ادخلوهم مرزك فدخلها محمد بن جهيم والمحلة للبلد واخرجوا نعمانا واحاطوا
ببيت علي فلما اصبح طلب الامان فاعطيه على شرط ان يرد ما اخذ من خزانة الناصر
برد ذلك وارسل اخاه يوسف يقدم عليه بعد ان اخرجوه منها للقصر الاحمر
بطعنه وكان قتل محمد المصري من البوادي ايامه ولدي بيسهم جبر البلعاطي
السليماني محاصروه بالقصر الى ان ادركهم يوسف في خمسماية فارس من
الجند فرق عليهم من نجدته فلما قدم به طرابلس استخرجوا الناصر من الحبس
وكساه محمد الامام ووجهه اليها واليا وولى محمد الامام قيادة جيشه خليل خازداغ
وكان ذلك يوم الجمعة لست بقين من ذي القعدة سنة ثمان ومائة والف وعزل
عنها يوسف وعقد له على ابنته زينوبة ولما تولى ذلك كان عمر الناصر عبدا لبني
شغوف بشوكته وحار في بعد ان كان متورعا على طريقة ابائه وانتمى اليه اولاد
سلطان الناور وغيرهم وكل مفسد شلهم من الاعراب واغروه بخراب البلدان وذهب
اموال الناس محاصرتنا ورغاء ولم يكرم اهلها بها الا اولاد محرز وبعض اولاد دفاض
فقاتلوه قتالا اشد بدا نحو السنة ايام وكان مع اولاد محرز بعض من بني الجند من اهل سيرانه

وكثر

وكثر عليهم الناس ممن اعان عبد الله ابن عبد النبي على العسكر واحدقوا بهم فقاتلوا
قتالا شديدا وقتل منهم كثيرا وكانت الوقعة لعبد الله عليهم فاخرب نابل وغار ونهب
مالهم وتوجه منها لمصراتة فخلا ذلك صاحب امرها يوميذ احمد ابن ضيف الله واظهر
له الصداقة وهاداه وفي خلال ذلك برا سلامة خليل وكان عبد الله قبل ذلك ذهب جيشان
بزليتن واخرب بلاد العواتير ولم يبق الا القليل فلما نزل لمصراتة ورحل عنها خرج
له خليل بشرذمة من الجند حتى نزل عليه بوادي حسان وهو حرث لاهل تاورغا
على مرحلة منها لجهة ما بين المغرب والشمال فالتقيا فكانت الوقعة لخليل على
عبد الله واستولى على اكثر نعمه وحريمه وخرج فارا بنفسه ومن سلم من خيله
وكان ذلك احدى عشر ومائة والف ولما استولى عليه عظمت شوكته وهابه
اهل النواجع من سكان البوادي وازداد هيبة في اعين الجند ولما دخلت
سنة اثنا عشر ومائة والف توجه خليل في محلة جمعت راكب الجند وراجلهم
الى قبائل الجهة الغربية لما عهد من اهلها من التشوف للخلاف وسار
حتى بلغ تشكشوك قرية صغيرة بسفح جبل نفوسة بها قوم مرابطون يهادون
العرب محمود وجارية قبيلة الشيخ بها من النخيل قليل ثم رجع حتى نزل بمحل
يقال له غدير علايشة فاحسن العسكري القيام عليه فظفر بهم في ذلك المحل وقتل اكثر
ن، وساطهم وفعل منه حتى نزل جبالة على مسيرة ساعة ونصف من زنزور فبات
هناك ووجه اكثر الجند للمدينة فلما دخلوها قاموا من ليلتهم تلك بخلع بيعة محمد
الامام وراسلوا من بالقلعة من الجند يمسك محمد باشا ان لم يجبهم الى الطاعة فلما علم
بذلك اجابهم وفتح لهم باب القلعة وكان ذلك ليلة الاربعاء لاحدى عشرة خلت
من ذي القعدة سنة اثنا عشر ومائة الف وفي تلك الليلة بايعوا عثمان القهواجي
الدرغثلي كان بطباخ القهوة بسوق الترك فنفي محمد باشا واولاده لبلد الترك وتولى
عثمان الخزانة وتفريق رزق الجند ثلاثة اشهر وخمسة وعشرين يوما وكان قتلا
عظيما وفر خليل لتونس ولحق بصاحبها يوميذ مراد بن محمد ابن مراد الجبار واقام
بها مدة ثم انتقل منها لبر الترك واجتمع فيه بصهره محمد باشا وعمر شبيبا
من نفعه بمن بر معه وكان من له صداقة من الاعراب يكاتبونه وهو بتونس وكان
ممن كاتبه عبد الله بن احمد بن حمود الجبالي الملقب باب طرطور فخرج تشيبه عليه وقد
بايع الناس بعد اربعة اشهر من بيعة عثمان الحاج مصطفى قال التوجاني نسبة
لقابول مدينة على الساحل من ارض الرملة بلد فلاحة وبها اودية ماء يسقون
منها زرعهم ان احتاج وبذلك اخصبت جوانبها واستقر على تخت الملك اول يوم من ربيع

الاول من سنة ثلاثة عشر ومائة والف واخذ في تدبير امر الناس وتعريف رزق الجند احد
عشر شهرا في مدته مع الشهر عثمان اتصل خليل بتونس وبر الترك كما ذكرنا وكان
قد اجعل الريال عشرين قرميلا ليرضي الجند فذلك حصل للرعية ضرر كبير وزاد عليهم
في الخراج الثلث وزيادة اذ قد كان الريال ثلاثة عشر قرميلا واشتد على الناس الامر
فلما بلغهم ان خليلا نزل بالزعفران وراسل ابا طرطور وبايعه تشوف الناس للخلاف وهذا
المحل الذي نزل به فيه احساء ماء عذب لا نظير له في العذوبة والمراوية يقوم لحيوان
مقام العلف واذا خرجت الديدان بافناء الابل مع لسع الذباب لها اوردوها ماءه
فاذا شربته تساقط ما بها من دود وهو مشهور في ذلك على مسافة اربعة
ايام من مصراته بقصده في قبلة منها بين الجنوب والشرق ولما استقر خليل عند
عبد الله راسل الرعية واخذ له من العرب والجند فلم تختلف عليه اثنان الا من كان
من الجند الذين مع مصطفى وسعيد ابن المنتصر المرموري في نشرة منه قليلة كان قد
استعان بهم قايلوي على غريان لما خرجت عن بيعته وكانت خرجت عن بيعته
بعد خمسة اشهر منها فلما احس سعيد ببيعة الناس خليلا واقبال الرعية
عليه وان اضمر مصطفى نخذ بيدا مع خليل واظهر المصاحبة الاعانة فلما سمع مصطفى
فرح خليل اليه جند الجند وفرق بينهم عشرة ريالات لكل نفر وانفى في البلد خفية
كاهية مصطفى تشتتا وكانت عنده مودة لخليل يحبه وظهر ليلقاه بنفسه
وراسل خدنه سعيد المذكور وخرج لناحية غريان يظهر انه ياتيهم لما بينه وبينهم
حتى نزل واد الصماد

هكذا بنسخة بغير تنقيط

فلما نزل بالواد المذكور بلغه ان خليلا سابقه على البلد من جهة
من جهة الساحل وكان قد وضع الجند من اعوانه بتاجوراء فسابقه خليل
عليهم فقتل منهم من استحق القتل ودخل المدينة بواسطة كاهية البلد واهلها
وكان خليل قد وعد الجند بالعطاء كل واحد عشرين ريالا جنبيو ريال وزيادة
ثركة في الجند والتركة عند زيادة ربع قرميل كل يوم في الجند فخذلوا مصطفى ومسكوه
واعلموا خليلا بذلك فبعث به للناورغاء فقتل بها بعد الاهانة على يد محمد بن علاق
الناورغي واستقر على الملك يوم الجمعة في ربيع الثاني سنة اربعة عشرة ومائة
والف ولما تمت له الامور بعث لصهره وعياله سفينة اتت بهم وعياله من بر
الترك فوافق دخولهم عليه صبيحة اول ليلة من محرم سنة خمسة عشر ومائة
والف وكان صهره محمد باشا خليل الجانب حسن السيرة فاتخذ اعوانا لخاصته
تخير عبيد زنجي كان له قبل ان يلي الملك مستعملا الحرير ولا ذهب ولا مرتكبا المحرم في

من

في غير الغالب المخزني وأما هو فقد غلبه فيه العمال في الجند حتى أنهم يغلبونه في
أحداث الخوارق وهو لا يريدها وربما صرح بذلك وتظلم وكان ملازما للصلاة
الخمس في الجماعة مع الناس إن غاب من عينه للإمامة بالقلعة كثير التوقير
للعلماء يقف لأدناهم منزلة ويعارض كبراءهم على سرير ملكه سهل
التناول يطوف بين جليل الناس وحقيرهم ويخرج لهم بنفسه ويسمع الشكاية
من الكل وإذا أتاه شاك وقت ما كله خرج إليه وأكل معه جبرا للخاطر ولم يتأنق
في مأكل ولا في شرب ولا بناء سوى مسجده الذي بناه بسوق الترك المعروف فإنه
بذل فيه وسعه من معروضه في الغنائم وكان بناؤه على يد ثقته مصطفى غار بطاف
التونسي سنة عشرة ومائة وألف وقد أشار إليه ابن حسين سيدي أحمد
العقبي في أبيات فقال · جامع أسس قد بناه · ذو العطا وحسيب · محمد الباشا لعله
الله شرف أسماه · وكان للناظم عونا · ولقد شيد سناه · إن قيل فيما تاريخه · فقلت
بتقوى أسسناه · وهو كما أشار إليه العقبي انتفع به انتفاعا زائدا جعله الله
له جنة من النار وفي سنة إحدى عشرة ومائة وألف جدد بناء السوق المحدق
بمسجده من جهة الغرب والجوف بناء لم ير مثله في سعة المساحة وحسن الشكل
كان في مدة ولايته وقع بينه وبين محمد باي صاحب تونس وحشة أدت إلى اخترام محمد
باشا فراسل صاحب الجزائر شعبان خوجة بمساعدته على تونس وسببها أن محمد
باي ابن مراد جند نحو من أربعين ألف مرتزقة من أبناء الترك والترك سوى مرتزقة
العرب فبعث إلى محمد باشا يطلب منه من بطاعته من أهل الخراج ممن هو من أهل تونس
كأهل جربة وصفاقس وسوسة وقابس وغيرهم ولو رضوا بسكنى تونس فما جاءه
لذلك مسالمة إلى أن يستعد وراسل شعبان صاحب الجزائر يطلب منه الإعانة
فأمر بالتأهب إليه واتحد معه سعيا بعناية بلد من عمل الجزائر به أنواع الخيرات
كثير فأرسل محمد باشا أسطوله وجهز فيه من خيرة مرتزقة العام ما يشير
وخمس عشر التونسية وكان ذلك في ربيع الأول سنة ست ومائة وألف فبلغوا
عنابة والتقى الجند بين الطرابلسي والجزائري عليه فردوا أمامه ودخل تونس
وقفوا أثره حتى نزلوا بها وحاصروه وفي مدة حصارهم أرسلوا طائفة من الجند
لمدينة غار الملح فحاصروها وأخذوها

قف المراد به قنطاريب العيب

وجدت هكذا في الاصل بحروف كتبت تركناها بيضاء لئلا يكون فيه زيادة

ولما استقر خليل في الملك وقدم عليه صهره وعياله من بر الترك واسلم محمد باشا بالامر التزم شانه تشوف اهل غريان للخلاف وخلعوا بيعته فخرج اليهم وحشد الاعراب وبني الجند لهم باكثير خارج المدينة في سائر المملكة وحاصر غريان وقطع شجرها وكان ذلك سنة خمسة عشر ومائة والف ودخلها من وادي الاربعاء ونهب اكثر بلادها وقتل منهم كثيرا **ولما** دخلت سنة ستة عشر ومائة والف قدم عليه الشريف صاحب تونس ليفتك البلد من يده واستصحب معه عثمان القهواجي وشعبان ابن فار ابو يوسف اغة الكرسي كانا نفيا عنه ظنا منه ان اهل طرابلس يوافقون اذا راوهم معه وقدم في جند كبير نحو الثمانية عشر الفا ونزل برملة المنشية من جهة طرة وخرج خليل للقائه فلما التقيا اخبر خليل بخلاف الجند الذي في المدينة عليه وان بعضهم ادخل بدامع الشريف فجرى راجعا الى المدينة وترك اثقال المحلة ودخلها وغلق الابواب ودخل الشريف المنشية واجلس جنده بها وحاصر الجند وكان نزوله بالرملة لخمسة عشر بقيت من شعبان سنة ستة عشر ومائة والف وقطع نخيل الاجنة والسواني التي بالقرب من المدينة وجعل براجا ليحاصر به المدينة وبرمى عليها الكور وكان من السواني المشهورة التي اخربت اذ ذاك سانية الفقيه العالم الصالح سيدي عبد الرحمن احمد ابن غلبون التي كانت تسمى ارم ذات العماد لحسنها وما حولها من الاجنة وراسل اهل الطاعة واقام على الفساد ومحاصرة البلد نحو من اربعين يوما وقرب من المدينة بابراجه واشتغل بحفر سرب من تحت الارض ليضع فيه بارودا كثيرا ليخرب المدينة فلما احس به اهل البلد فتحوا باب البحر وخرجوا اليهم بكرة وحملوا عليهم حملة منكرة فلم يغلب من جنده الا من تبين بابراجه الا قليلا وصاحوا بهم فوقعت الهزيمة عليهم وقتل منهم خلق كثير فتم الامر لخليل وعظم في اعين الرعية والجند وازدادت هيبته فكان اذا ارسل السرية القليلة من جنده وانقطعت الاعراب امامهم وهو اول من اتخذ الحجاب من ملوك طرابلس واول من لبس الحرير والذهب واكثر المماليك وتانق بالماكل والملبس ولم يكن لملوك طرابلس الذين قبله عهد بمثل هذا ونحا في ذلك نحو ملوك تونس

وسبب الوحشة بينه وبين ابراهيم الشريف ان خليلا كانت بينه وبين مراد صاحب
تونس مصادقة لتداخل الجوار، فلما اتى من طرابلس فاحسن اليه غاية الاحسان وكان
ابراهيم غدر به فبقي في نفس خليل من ذلك شيء، فمرت به خيل ابراهيم في الركب فاخذها
مما هي ليده، بصورة بيع اكرهه عليه فبلغ ذلك ابراهيم فبعث اليه يهدده ان لم يردها
فاغلظ عليه خليل في الجواب وكان خليل جبارا ذا نخوة لم يؤثر عنه شرب مسكر منذ وسد
في العهد ثم تثبت عنه فلتة بجناية قط قوي العزم محبا للحق واهل العلم يكرمهم ،،،
ويعظمهم كثير التعلق بالمشارقة فاذا اتاه من ينتسب للعلم القى عليه مسئلة يعسر
فهمها على مثله فان اجاب زاد في تعظيمه واحترامه والا غض منه اذا كتب لو فيما في شيء،
لا يمكن منه الرجوع فيه اصلا يتحمل شيء فوادى، حامل كتابه ويخشون سطوته كان اول امره
ارسل كتابا لعمالة احمد بن احمد الشيخي وعمل لخلافة فبعث في طلبه في جمع داره
وجعل الكتاب على جبهته فصلب كذلك كان في العهد لا ينقضه ولا ينقض ما ابرمه
ولو عليه فيه مضرة وكان يقول القى الله بكل ذنب ولا القاه متشوق الى الوراء ولا يكون مني
الغدر يتحامل على اهل البدع حتى قتل البدع في ايامه واذن يسهم في العرجاء وسامه
خمسة ولم يدخل ارض طرابلس الا بعد موته بنا مسجدا حسنا بالظهرة غير انه كان مروابا
في ارخاء عنان عبيده، وظلم حاشيته ولم يزل كذلك ان دخلت سنة احدى وعشرين ومائة
والف فخرج كبيرا سطول السفن الجهادية علي قبطان غازيا وخرج معه الاميري في
سفينة صغيرة غازيين فلما علم ان الافرنج الذين بالبلد صاحب مالطة عنها واخبروه
بما فيه فبينما الغدة والعدد فجهز اليها شوانيه واسطوله فطاردهم علي قبطان
وقاتلهم قتالا شديدا وكان ذلك من البعد فلما ذاهم بان يحط على احد السفن يربط
بها هربت منه حتى اعدموا السفينة عن بعد فلما علم انه لا نجاة له منهم اخرق السفينة
ونزل من كان بها في جباب البحر فاخذوهم منه وكان ذلك في ربيع الثاني من السنة المذكورة
وفيها خلع عبد الله ابن عبد النبي بيعته واظهر ذلك واخذ الركب الغرابة اللاتي
بالخراج منها ولما بلغ خليل ذلك اواسط شعبان من السنة المذكورة خرج
له في طرف من حاشيته وعبيده من غير اهبة فلما نزل مزدة وهي قصران حصينان
من بناء الاول الشرقي منهما يسمى الشارف يسكنه اولاد مرعي القبلان والغربي
لقوم يسمون قنطرار لكنهم الان يسكنون القصرين وهم كالخدمة لاولاد مرعي
القبلان وحواليها من جهة الجنب اجنة قليلة بالغرب من القصرين بحيث تصيب
الرمية من القصرين الاتي تلك الاجنة واهلها مشهورون بالرمي وحسن
الصناعة في البارود بحيث يضرب المثل به فقصدها من بابنها من واد بني وادي

ولبد بين الجنوب والمغرب وهي منه على مسيرة ثلاثة ايام او اقل بالسير وباجنتها نحل قليل
بلحقه الخبر ان ابراهيم خلع بيعته ووافقه الجند واهل البلد على ذلك وابراهيم هذا البلبي
العسبنة والبل على ساحل البحر بالانطول وهو بهمزة مفتوحة ولام مكسورة كذلك
ومثناة تحتية بعدها اللام مكسورة وحاصر حسين نايب خليل بالقلعة خمسة عشر يوما
ورجع خليل حتى نزل بطرة بالمنشية بمن معه وخرج لقتاله اهل البلد والجند وفتح باب
زناته ولم يقاتله احد قبله ثم رد بعد انفضاض القتال واقام خليل سبعة ايام ثم توجه
لعبد الله الجبالي وانضم اليه بمن معه فجعل ابراهيم قار محمد قايد جيش الخيل واخرجه
للقايد والتقوا بمحل يقال له الشرعي فكانت الوقعة لمحمد على خليل وفر خليل بمن
معه للارض مسرت وسار محمد في اثره الى ان نزل ببعض ناورغا فراسل عبد الله ابن عبد
النبي فود عليه واغراه بقتله فقتله في بوب الجبالي فقتله ومن معه الا ابنه عليا فسكنه
لياخذ من الخراج الخراج فزان ورجع محمد واقام خليل قليلا بمسرت ثم توجه منها
لودان ولحق بالناصر صاحب فزان ويعرف عبيد وانباعه شذر مذر ولم يبق معه
الا القليل فاخذه رحومه بن جويلي المصراتي كبير ركب تجار مصراته للارض فزان معه
حتى ادخله مصر فلاقى ابراهيم بيك واهلها الى ان مات ابدا وخرج منها للقسطنطينية
شاكيا لحضرة السلطان وما دراه الله يمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته
واستقل ابراهيم بالملك عاما كاملا وفي خلال العام شرد بشيعة خليل قتلا ونهبا
وكان شيعته اكثر جند البلاد فضعف بذلك امر الترك ووهنت شوكتهم ووقع في
نفسه من محمد قار الانطولي شيء كرهه فازاله عن موضعه وجعل قايد الخيل خليلا
تركيا يقال له حسين شاوش وكان ذلك في ربيع الاول لخمس خلت منه فبقي على
ذلك اربعة اشهر وتسعة عشر يوما ثم عزله عنها لست بقين من رجب سنة اثنين
وعشرين ومائة والف وكانت ولاية محمد قار اغة الخيل سنة اشهر وثمانية عشر
يوما وقلدها محمد باي الملقب ابن الحي العول اغلى كان رئيس للشيخ مشتغل بغزو
العدو شرد بهم في غزواته ووقايعه معهم وتجربته فراجم مشهورة لو تتبعناها
لاحتاجت لديوان مستقل ولما نفى ابراهيم محمد الانطولي لناحية الغرب خرج
للاعراب حتى اتوا به غريان فدخلها ووافقه اهلها فخلع بيعة ابراهيم وخرج بمن
وافقه على الفساد زاحفا للمدينة حتى اتى تاجوراء فالتقى قومه مع قوم محمد باي
الحي واقتتلوا فيما مضى برهة من الزمان حتى هزم قار محمد ومن معه واخذتهم
السيوف ومات منهم نحو الثلاثمائة ورجع محمد باي منصورا ظافرا وكانت
الوقعة اواخر رجب سنة اثنين وعشرين ومائة والف وتسلل قار محمد وفر بمن معه

وافق

واقعة لناحية الجبل وكان الله سبحانه وتعالى اراد انقراض الدولة التركية واقامة
الدولة القول اغلية فايد محمد الجي وسلط الترك على بعضهم حتى قتلوا وضعف امرهم
فتلافت نفسه رحمه الله تعالى لخلع بيعة ابراهيم بجمع كبراء البلد بين الساحل والمنشية
وشاورهم على ذلك فاشاروا عليه بخلع بيعته لخمسة عشر خلت من رمضان وقيل
لاربع عشر مضت من رمضان من السنة المذكورة وحاصره بالمدينة ستة عشر يوما ثم
وافق اهل المدينة محمد باي المذكور وخلعوا بيعته ليلة عيد الفطر ليلة الاحد ووثقوه
ونفوه للاسكندرية واقاموا مكانه اسماعيل خوجة كان اماما بجامع الخروبة وجلس
للحكومة وتعريف الرزق للجند وذلك في يوم العيد وكانت اغاته اهل البلد له براي محمد باي ولم
يختلف على بيعة محمد اثنان من اهل البلاد حاضرها وباديها واشتغل اول امره بتتبع
طغاة الترك وقتلهم حتى اباد جميعهم الا القليل منهم ممن لم يكن تعلقت به مدتهم
وزال الملك من ايديهم وتولى ولاية الملك القول اغلية ولما استتم امره عزل اسماعيل
المذكور عن موضعه وكان ذلك ليلة بقيت من ذي القعدة من السنة المذكورة وولاه رجلا اخر
يقال له الحاج رجب وفي ايامه اتى قايد محمد لاهل تاجورا وطردوه ورجع لغريان ولما
مهد البلاد ودخل القلعة احس منه محمود الملقب ابو موية كان كاتبا بالديوان سواد
عواه وغدر به وقتله وتولى موضعه وكان قتله اياه يوم السبت سنة ثلاثة وعشرين
ومائة والف وبايعه الناس وبايعه الناس على ضغينة من جهلة فاقام خمسة
وعشرين يوما وارسل مولانا احمد بن يوسف قرمانلي لغريان ليقدر به حقا لكن لما
توسع فيه من النباهة والصلاحية للملك دونه فاتفق اهل البلد على صلاحيته
فرجع من غريان قبل وصوله اليها لما توسم من خدعه فلما قدم البلد بايعه
اهل البلد بين الساحل والمنشية ولم يخالف عن بيعته احد لما جبل عليه من
الرفق واللطف وهو الذي اسس قوانين الدولة واجرى رسوما دائرة من قواعدها
كانت بيعته ضحوة الثلاث ثالث عشر جمادى الثانية سنة ثلاثة وعشرين ومائة
والف وقيل الثلاث في الحادي عشر من الشهر المذكور فلما احس بذلك محمود اقام يومه
ذلك متاهبا للحرب ثم في ليلة الاربعاء قام الشريف حسونة عليه من داخل المدينة
وقبضه ودخل القلعة صبيحة الخميس الثالث او الخامس عشر من الشهر المذكور
وظن انه يشتغل بالامر وفتحت ابواب المدينة فقبض على الشريف المذكور
وقت العصر من ذلك ودخل امير المومنين القلعة في ذلك اليوم ولما مرت له ايام جعل
يوسف قايدا عمه خليل محمد باشا سابقا دايا بالقلعة وكان ذلك لتسع بقين من
الشهر المذكور وفي ذلك اليوم من الشهر المذكور قدم خليل باشا باسطول من حضرة

السلطان وسيأتي خبر ذلك مستوفى عند ذكر شمائل امير المومنين عند ما يناسبه
من ابيات القصيدة قال الناظم • اذا افتخرت بشانها بلاد • واوحشته دار من
حماتها • تصان عن نفس ومال وعشيرة • ويحيى بعز ان اتى لجهاتها • فكم من
ثغور اقربت وكنائس • وكم من حصون حوصرت بسراتها • وكم بلد كانت للملوك
مراكزا • احاطوا بها ليلا وافنوا كماتها • وكم من جنود للملوك ضيعت • في سعي
الاسلام بحجاتها • فذا الحق يمر ساها اسيرة • فكلها وعسكرها جزها من
صفاتها • وكم من اولياء بها او معارف • وكم من جنيد على شر ما نتها • بها افضل
ما الفضيل يعرفهم • فوارس انجاد وهم من حماتها • فقد اختارها الزروق دارا او موطنا •
كذا ابن سعيد مقتد بهداتها • تواترت الاقطاب تترى بارضها • وكم سيد رام المقام
بذاتها • بها علماء عاملون بعلمهم • خمولا على الاظهار في خلواتها • ولم تر غشا
قط في جميع اهلها • ولا فحشا في بيع جهاتها • اذا حان وقت للصلاة وا ينهم •
سراعا وخلوا الربح في عرصاتها • اذا امها قدها من ثانه بلاده لم يعد نه ما شا بي
اذا بعد وعداه بنفسه لتضمنه بعد بالتضعيف بلاد، البلد مكة شرفها الله
تعا وكان قطعة من الارض متحيزة عامرة او عامرة وهي المراد هنا واحشه اخافه
وذ ويعني صاحب الامر ضد النهي وانه لولا امر الرؤسا والعلماء والحماة جمع حام
وهو من يمنع جواره ان اضيم واطمان قاصده عن نفسه وماله ان دخل جواره والبيت
مقصود مشهور قصد هاز يادة اليه ابن الاغلب لما افتتك السبعي بلاده محتفه
ولم يصل اليه مكروه حتى انتقل وحمت بالفوت المعروف بالافتخار نايب قد افتشر لهذا
طلبه يحيى ابن اسحاق الموزة ولم يسلموه حتى قهروا واخذت اموالهم وحلابهم
لمرامها قديما وحديثا شهيرة اشهر من ان تذكر وسيأتي ذكر نبذة منها عند
التعرض لذكر شمائل امير المومنين احمد ابن يوسف ان شاء الله تعلى **واما** خرابه
الدبور والكنائس فلم اقف على اخبارهم شيئا الا ما نقل مصطفى العلجي الرئيس
ببعض كنائسهم فان تجير الدبور سنة تسعة وثلاثين ومائة والف او اوائل
الاربعين فانه اخربه واخذ ما فيه وانني ببد منه معظمة عندهم يزعمون انها
تعبد من دون الله وتعبوا على ذلك ودفعوا اموالا عظيمة لخاتنه السلطان حتى
كاتب امير المومنين احمد بن يوسف يرده لهم فردها والا ما فعله بشعى عثمان باشا
بكنيسة جورجو التي ابتناها بجزيرة لم يسبق بتعميرها احد وبنا حولها اوانا
وفنادقا ومحلا للسكناه وحبوسا للنصارى المسلمين واتخذ ثلاث سفن حربية
ضيق بها على المسلمين اشد التضييق فاخرج اليه عثمان باشا سفينة للجيش

القسطنطينية

القسطنطينية في النفق معه وقتلوه واستولوا على سفينته واخربوا كنيسته وصادره
وكان ذلك في ربيع الثاني سنة تسعة وسبعين والف وان اراد بالكنايس والديور محالّها
من الغزو فذلك شيء لا يحصى حدثني من اثق به قال حججت في سفينة رهبانها
صولونه العلجي فقال لنا الان اغزوا بكم بلدنا قال فلا تبنوها لنا ابدا واحصلوا واخربنا
ديارهم قال فقلت مثل هذا في عدة غزوات ومثل هذا فعل ابن الحسن رحمه الله وامّا
اخذ بلكهم سواحيل غزو النصارى فمما سمعت من سفن جرجو التي ضيقت على كافة
الاسلام اشد التضييق سفينتهم للافرنج كانوا ارسلوها مشحونة جندا ومالا وخيلا
مددا للجزيرة الكبيرة المعروفة عند المغاربة بكنديه وغير ذلك كثيرا وامرهم في الغزو
والكلاب بنتهم في العدو شهيرة هذا من سفن النصارى المعدة للغزو على الاسلام واما سفن
تجارهم فحدث على البحر ولا حرج وقد اخبرني بعض الثقات من تجار البلد قال دخلت
مدينة بلنسية واتيت سوقها فسالني بعض التجار بها المار القبالة مغربية
من اي بلد المغرب فاخبرته عن وطني فسالني اتبيعون ببيوت طرابلس بلبس الذهب والفضة
ام هي كسائر الدنيا قال فظننت انه يسخر بي حتى اقسم لي بمعبودهم قال ودارني على
السوق وجمع ما هو مكتوب على ابواب حوانيتهم ما ضاع لكل وجمع ذلك فخرج شيء لا يحصى
لكثرته فقال ما ضاع لاهل بلادهم فكيف بغيرها من بلاد النصارى قال وهو يكتبون ما اخذه
لهم كل مركب من المسلمين وامّا اهل الاحوال فهي مشهورة باقامة اهل التصوف
في الاحوال بها قديما وحديثا ولم تزل على ذلك وامّا موافقتهم اويس القرني رضي
الله تعالى عنه في الوصف فهم في الزهد والتقشف والقناعة بالرتبة الاويسية وان كان
اختصه الله تعالى بزيادة يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامّا موافقتهم
للامام ابي القاسم الجنيدي ابن محمد القواريري سيد طايفة اهل عصره وامام من بعده في الدعاء
الى الله سبحانه وتعالى على اصول الكتاب والسنة فقد كان منهم شرذمة على ذلك قديما وحديثا
فمن القدماء العارف بالله ابو الحسن ابن النصر كان مولده بطرابلس سنة ثمان واربعين
وثلاثماية اخذ عن احمد ابن زريق البغدادي بمكة وروى عن ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
الجوهري ثم عاد الى طرابلس ودعى الى الله تعالى وقرر الشريعة اصولا وفروعا واظهر
السنة بها لمّا عمّ الرفض ومات رحمه الله واول من اقام رسم صلاة القيام بطرابلس
لما محى اثرها من ارض افريقية واحيا طريقة الجنيد وكان قد جمع الفقه والادب
مع الله وهو اول من صلى نافلة الضحى جهارا بطرابلس ولم يكن احد في مدة بني عبيد
يصليها الا مستخفيا وله تاليف كثيرة في الحساب والازمنة وغير ذلك وله الكافي في
الفرايض واقام بطرابلس الى سنة ثلاثين واربعماية فخرج منها لمحنة جرت له واقام

بغابيمة قرية من قرى مسلاتة فأقام بها عامين ثم مات ودفن هنالك على الطريق ومعركان
كان على سنة الجنيد وهو بالغرب منه العارف بالله تعالى الشعاب كان تاجرا بالمدينة المذكورة
وكان يبعض الناس ابتدأ المسجد الذي هو به الآن الذي ينسب اليه وعجز عن اتمامه في كنه همته
لاتمامه فرمى القدوم من يده واتى الفلاح وامر باحضار رب المسجد فلما احضر امره الفلاح
بالاتمام فأقر بالعجز وأذن للشعاب في اتمامه فأتمه ولزم السكنى به ودعا الى الله على نهج
الكتاب والسنة وكان يجتمع بالخضر عليه السلام في مسجده وكان مجاب الدعوة لوقته تسمع
من جاءه امرأة في باب المسجد فخرج اليها عن الحال فأخبرته ان لها ابنا اسره العدو فسألته الدعاء
بخلاصه فدعا وامنت المرأة على دعائه ثم انصرفت الى بيتها فإذا ولدها اصبح في السكة
بسبيل دارها يعرف بها فخرجت فسألته عن الحال فأخبر عن فراره وسلامته ووصوله عن قرب
عهد فتوجهت المرأة الى الشيخ تشكره وتعرفه بوصوله وان ذلك ببركته وبركة دعائه
فهنأها بسلامته قبل قطعها بالخبر وقال انما نجاه الله تعالى ببركة دعائك لما علم باضطرارك
وتوفي رضي الله عنه ونفعنا به سنة ثلاثة واربعين ومائتين ومن الاوليين بها
ابو نزار الشيخ خطاب البرقي كان صالحا دينا ذا كرامات خصوصا في باب الكشف
والعزلة وكان زاهدا ملازما السكنى بمسجد خارج المدينة وكان يخاطب في النوم بما
يكون في اليقظة قيل كونه حكى عنه ابو عبد الله الحباري قال قال الحمزة خرجت للحج منفردا فبينما
انا في البرية اذا مر بي رجل توسمت فيه الخير ووقع في قلبي انه الخضر فبادرته واقسمت
عليه بالله تعالى انت الخضر فقال الفقيه فيكم من الخير فيغنيه لم يزده على هذا ثم غاب
عني ونقل عن الحباري ايضا قال قال الشيخ خطاب بينما انا في البرية اذ بسبع قد عارضني
فقلت له يا ابا الحارث ان كنت قد امرت فيّ بشيء فدونك والا فالطريق قال فعفر مني [?]
ووقف هنيهة ثم انصرف وحكي عنه انه قال بينما انا في البرية اذ رأيت شخصا فاستغربت
وجوده هنالك فقصدته فوجدته مفرج ابن ابياضة فقلت له يا ابا عبد السلام الى هاهنا
فقال نعم يا ابا نزار فاستغربت معرفته لي مع كونه مكفوف البصر ومن الاوليين بالبلد
المذكورة الشيخ ابو عثمان الحسناني وهو سعيد ابن خليفون الحسناني المعروف
بالمستجاب اصله من اهل قرية حسان احد قصور قرى طاعة طرابلس كان استحدث
بناء هذه القرية حسان ابن النعمان كان وجهه عبد الملك ابن مروان لقتال عسكر
الكاهنة في افريقية المعروفة بالكاهنة لو انه في عسكر عرمرم وكانت هذه الكاهنة تسكن
الحصن المعروف بالجم وهو اعظم حصن بافريقية وكان توجيهه لها بعد انتقاض
افريقية وموت زهير ابن قيس البلوي بها ولما بلغ عبد الملك ذلك استشار فيمن
يوجهه عوضا عنه فأشاروا عليه بحسان هذا فوجهه في جيش لجب فدخلها فبلغ

للمسلمين انهزم منه محاصر قرجنة فاستفتحها واخربها وتوجه الى حفدة الكاهنة
فهزمته واسرت كثيرا من فرسانه واتبعته حتى اخرجته من قابس فكتب بالهزيمة
الى عبد الملك وسار متوجها الى دمشق وبيده اطمعا ان يلحق به من جعلت
من اسارى المسلمين فعاد اليه جواب عبد الملك يامره ان يقيم حيث وافاه كتابه
ولا يبرح منه فوافاه الكتاب بسرقة فاقام هنالك وابتنا بها القصور المعروفة
به الى الان وهي على ثلاثة مراحل من مصراته واقام هنالك الى ان وصل اليه المدد
قبل عبد الملك فعاد الى افريقية وكانت الكاهنة اخذت في قطع الشجر وتغوير
الماء لتزهدهم في افريقية ولم يزل حتى نازلها والتقا الجمعان حتى نصر الله العتا
الاكبر وكانت لحسان عليها وتبعها حتى قتلها عند البير المنسوبة اليها وعقد
لابنيها على البربر وكان الشيخ ابو عثمان هذا زاهدا فاضلا منقطعا الى الله تعلى
وظهرت بركاته حتى عرف بالمستجاب كان له بالمسجد الذي كان به خارج المدينة
قضية مشهورة **وذلك** انه كان ذات يوم جالسا في المسجد على عادته فسمع
تحته دويا عظيما اهتز له المسجد فخرج بعض من كان معه للاستخبار ذلك فوجد
شخصا يقطع الحجارة من تحت كهف المسجد فنهاه عن ذلك فلم ينته فرجع
الى الشيخ فاخبره فنزل الشيخ اليه وقال اتق الله فان فعلك زلزل المسجد فاجابه
ارجع ايها الشيخ الى مسجدك فان الوالي امرني بهذا فقال الشيخ لو امرك الوالي بهدم
المسجد كنت تهدمه فقال نعم لو امرني لفعلت فرجع الشيخ الى المسجد وقال اللهم
احصد عمره فسمع دا استغفار الشيخ بالمسجد سقط حجر من ذلك الكهف على
الرجل فقتله **وقال** الشيخ ابو الحسن الغاضي رحمه الله خرجت مع الفقيه ابا الحسن
ابن المنتصر من طرابلس لزيارة الفقيه ابي محمد عبد الله بن ابي زيد رحمه الله تعلى والسلام
عليه فبينما نحن عنده يوما تحدث ابو الحسن فقال اراد الشيخ ابو عثمان مودة الحج
فاتفق مع جماعة اخوانه اهل الدين والفضل وكنت معهم فخرجنا مع الوجوه
وقطعنا صدرا من الطريق واصابنا ثلاثا لم نطعم فاتى الشيخ ابو عثمان الى ربوة
فمسح وجهها بيده وجعل ياخذ ترابها ويضعه في اناء كان في يده ثم امره بشيء
من الماء كان معه وقرا عليه وسمى وقال لنا سموا الله عليه وكلوا قال فجعلنا ناكل
ونطعم طعم السويق قال فاطرق الشيخ ابو محمد ابن ابي زيد ساعة ثم رفع راسه
وقال هذا داخل في الامكان سيما وقد ذكر انكم اقمتم ثلاثا لم تطعموا وقرا قوله
تعلى امن يجيب المضطر اذا دعاه **ولما** رجع المؤدب محرز ابن خلف من الحج الى تونس
ساله اهلها من رايت في طريقك من الصالحين فقال رايت بطرابلس رجلا وامراة

اما الرجل فابو عثمان الحساني واما المراة فسعدونة هذه المراة كانت افضل نسا العلمين
الا مريم وازواج النبي صلى الله عليه وسلم واسية بنت مزاحم وكانت من الصالحات وكانت تسكن
مسجد الشعاب وكان ابو عثمان بل ابو نزار البرقي يعتقد بركتها ويكثر من زيارتها
ومن الجنيد يبين بها ابو الحسن علي بن احمد ابن الخطيب الطرابلسي كان يسكن بمسجد
المجاز لزم سكناه اربعين سنة كان فقيها صالحا عالما بعلم الفقه والفرائض والشروط
وكان زاهدا يدعو الى الله اقام اربعين سنة لم يضحك ونحوا من خمسين سنة
لم يحلف يمينا وقال له ابن اخيه عند ما املى وصيته انحسبت الكفارة فقال لولا
انه الموت ما اخبرتك ما حلفت يمينا بالله منذ كذا محقا ولا مبطلا وما علمت
ان علي يمينا اكفرها وقد سيل سحنون بن سعيد لما رجع الى افريقية عن الحال
فقال رايت بطرابلس رجالا ما الفضيل ابن عياض افضل منهم والفضيل ابن عياض
هذا خراساني من ناحية مرو وقيل انه ولد بسمرقند ونشا بابيورد ومات بمكة
سنة سبع وثمانين ومائة واما اختيار شهاب الدين سيدي الشيخ احمد الزروق
البرنسي الفاسي واقامته بها الى ان توفي واتخذها وطنا اقوى دليلا على ذلك
وهو العلامة المحقق المدقق العارف بالله تعالى الامام الاوحد الفهامة الجامع
بين الشريعة والحقيقة صاحب التصانيف المفيدة ابو العباس احمد ابن محمد
ابن عيسى البرنسي الفاسي الملقب بالزروق معناه غير ظاهر به وانما هو لقب
لجده فاستمر الوصف لعقبه كما هو شان انتقال الالقاب من الاصول للفروع وبرنس
بموحدة ثم راء مهملة ساكنة ثم نون مضمومة بعدها سين مهملة قبيلة
من العرب تسكن ارض المغرب بجهات فاس وزروق بزاء معجمة مفتوحة ثم راء
مشددة مضمومة بعدها واو وقاف اخر الحروف وقد ذكر سيدي زروق في رحلته
الا ان نسبه يتصل بالمصطفى صلى الله عليه وسلم من جهة ام جده قال ولكن لا احقق
ذلك لموت ابي في مدة نشاتي وشرف المرء انما هو في سلامة دينه ولا شرف
اكبر من تقوى الله ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولد رضي الله عنه ثامن عشر من المحرم
سنة ست واربعين وثمانمائة عند طلوع الشمس توفيت امه ثالث ولادته
وابوه خامسها وعمه بقربه فما استتم سبعا وله غير الله مستند اذ بقي له
قريب ابدا من جهة الاباء ولا من جهة الامهات اللاتي ماتوا جميعا وكانت مدة
عمره اربعا وخمسين عاما صرفها في العلم والتعليم تفقه بالمغرب ثم اصابته
محنة فارتحل للمصر ~~الشرقي~~ ولقي بها الشيخ ابا العباس الحضرمي اليمني
وعنه ورث السر والف تواليف عديدة مفيدة وطريق القوم شرح على الحكم لابن
عطاء الله

عطاء الله ستة عشر شرحا وقفت على السادس عشر بخطه وفي آخره هذا تمام
الستة عشر شرحا وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه شرحا عظيما مفيدا
في أربعة أكثره بخط يده وشرح منظومة الوغليسي والإرشاد في الفقه ومنظومة ابن
البناء وابتدأ شرحا على سفينته وضيعته وله كتاب الحوادث والبدع وهو كتاب أجاد فيه
ونقل أقاويل العلماء في البدع وحكم من ترتكبها وله القواعد في أصول الطريقة والكناش
والرحلة وكتب كثيرة رضي الله عنه ونفعنا به كان زاهدا منقطعا إلى الله تعالى عارفا
به دالا عليه همته عالية تخرج عليه جماعة وانتفع به الناس شرقا وغربا وله بركات
وأسرار وكرامات ظاهرة في الحياة وبعد الممات **حدثني** العارف بالله تعالى المحقق العلامة
شيخنا سيدي محمد العياشي قال حدثنا العارف بالله سيدي أحمد اليمني قال لما توجهنا
من أرض المشرق لأرض المغرب نزلنا ببرقة سألنا الله تعالى ببركته أن يجعلنا في جواره لما
تقرر عندنا أن زروق له اليد العليا في أرض المغرب بعد موته قال على نزاعي أمي وسعة إلى
حالنا مدينة فاس وتوجهنا لأرض السودان فلما توغلنا فيه أصابنا حر شديد وكاد يكون
معناه الماء شيء فسألنا الله تعالى ببركاته أن يرزقنا الله الماء فبينما نحن كذلك وإذا بدابة
وعليها قربة من الماء ومعها سائق حتى دنى منا وقال خذوا ولستم بجوار سيدي برقة
وبعقل هذا حدثنا عبد الله ابن أبي بكر المصراتي البلالي قال خرجنا من أرض فزان ومعنا
رفقة وقد خلفت نفسي في جوار الشيخ زروق فبينما نحن ذات ليلة إذ حدثتني
نفسي باعتزال الرفقة المبيت عنها في جهة فيعلق بها جانبا إذ الليل فطاع
الطريق يوقعون برفقتي شرا فأقمت بلا زاد ولا ماء ولا رفقة ولا خبرة لي بالطريق
وكانت تلك الأرض قفرة لا يهتدي لطريقها إلا خبيرا ثابت ما هو قال فبقيت ليلي وأنا
أسمع قائلا يقول عن يمينك فإذا وقعت في اليمين قال عن شمالك حتى أصبحت فرأيت
رجلا قصيرا أبيض أمامي فإذا هممت أن أدنو منه بعد عني فإذا أخذت بغير القصد
صاح بي إلى جهة القصد إلى أن أدخلني وادان يوم ثالث الوقعة ولم أحس بتعب ولا
عطش وكان زمان صيف وبالجملة فكراماته بعد موته لا تحصى ولو تتبعنا ذلك لجمعنا
فيها مجلدا ضخما وفيما ذكرناه كفاية توفي رحمه الله سنة تسعة وتسعين وثمانمائة
ودفن بمصراتة وكان استوطنها وانخرط في سلك أهلها من أولاد الشيخ الجعاونة
وولد له فيها وبقوا بعد موته ثم لحقوا به عرفي وليس له بها نسل ومقامه مشهور
وتولى خدمته وأوقافه قوم من أهل بيت كانوا في سالف الزمن لهم تشبيه بالصالحين
ونشأ من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وكان محل الشيخ معلوما
لقراءة القرآن بأوقاف لبيه المتعلمون فلما غلب أولئك الخلف على الأوقاف والفتوحات

ونجاذبوها بينهم حتى انقطع منه الطالب والمطلوب الى ان وفق الله امير المومنين
احمد بن يوسف بلاشا لرد النظر اليه فرفع ايدي المغتصبين الوقف عنه وولاها الفقيه
الخير الصالح ان شاء الله سيدي احمد ابن عمر واخاها سيدي خليل سنة اربعة
واربعين ومائة والف فعاد المحل لشبه حالته الاولى وورد محصول الوقف لبيته وتتابع
الطلاب والواردون ووفق الله الامير بمثل هذا واما ابن سعيد هو ابو عبد الله الشيخ
محمد ابن سعيد بن الحق الهبري المستغانمي ومستغانم بلد من عمل الجزائر قرب
من وهران قال صاحب الابيات حدثني ذات يوم من سبب استقراره بطرابلس
قال كنت متعلقا بالبحث عن صاحب فلا عن صاحب الوقت فجمعت اماكن بالغرب
اسال عنه فقيل لي انه في ناحية المشرق فاتيت تونس وزرت اولياءها فاخبرنا عن
صاحب الوقت فقال لي رجل اعتقد صلاحه انه بطرابلس فخرجت من تونس
فاخبرني عنه الى ان اتيت جبل غريان فزرت فيه الاولياء وظهرت لي كرامة احد الاولياء
فيه وشاهدت له من الاسرار وظهور الانوار ما لم نشاهده لغيره فوجدت عند
قبره رجلا بصيرا فتحدثت معه فقال يا ولدي ان كنت تريد صاحب الوقت فهو الان
بغارتنا جورا، ووصف لي البلد والمنزل فخرجت من غريان صباحا ووصلت البلاد
قبل العصر وكنت البس قلنسوة اعطانيها رجل اعتقد صلاحه وقال هذه فيها
السر وهي من اعز الاشياء فبينما انا بازقة البلد واذا برجل عليه ~~قلنسوة~~
قلنسوة حمراء جديدة متقنة اختطف قلنسوتي والقى قلنسوته وغرزها ذلك
وقال لي هذه فيها السر فسالت عن الرجل فقيل هو لسيدي احمد ابو قطاية وكان قطبا
له كرامات مشهورة فاتيت الدار التي قصدتها فخرج لي الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ القطب
سيدي على النعاس ونظارحت بين يديه وتكلمت له بمرادي فقال لي يا اخي لم ار شيئا في
شيئا سوى ما ترى من ارض ونخيل ولكن اذهب الى ابن اخي سيدي احمد فانه تكلم بعدما
تكلم به جده وهو الان بالظهرة التي في المدينة يعلم الصبيان امض اليه لعل الله يفتح
لك الباب على يديه فاتيت بالموضع ووجدته يعلم الصبيان فلما رايته وجدته الذي
اراني البدر منامي فسلمت عليه فلم يكترث بي ثم قال لي من دلك علي واغلظ في الجواب
بالفاظ منكرة فلما ازددت الا تعلقا به ثم قال اما علمت ان اهل بلادي يسمونه احمد الكذاب
فقلت له يا سيدي ان كنت كذابا فاكذب معك والحالة التي انت عليها انا معك فيها مجيئة
ورحب بي وجدد لي السلام وربما قال لي وتحرى انتظارك وكان له صاحبان وهما سيدي احمد
ابن شمس الدين وسيدي علي البصير وكان يبشرهما بقدومي الشيخ محمد فصار تلميذه
فاخذ عنه واهتدى بهديه واستنار بانوار طريق القوم ورسخ قدمه فيها وكان

مع كبار العارفين

من كبار العارفين بالله له اتساع في علم الباطن عظيم الحال الشهير بالزكي اماما
اذا شرع في تفسير القرآن العظيم تتزاحم عليه العبارات بكلام ما سمع من عالم
وكذا في الاحاديث النبوية والاسرار القرآنية و سئل عن غوامض المسائل فاجاب
عنها واجاد اذا حضرت مجلسه ونظرت الى اصحابه لم يخطر ببالك الا الصحابة وما كانوا
عليه رضي الله عنهم واما نفوذ الكلمة وظهور الكرامات وخوارق العادات فحدث
عن البحر ولا حرج لكنه هو واصحابه لا يعبؤون مع ذلك ولا يكترثون به لقوة عزمهم وعلو
همتهم ولو تتبعنا ما شهدناه من امره لدونت دواوين عديدة وفي هذا القدر كفاية.
ولقد كان علماؤها قديما وحديثا عاملين بعلمهم بامر غير خفي على من وقف
على تآليفهم وشهد على حالهم **فقد** كان بها الفقيه ابو الحسن ابن المنمر وابو
الحسن علي ابن احمد ابن الخطيب وشيخنا العارف بالله تعالى سيدي احمد زروق
وقد تقدم ذكرهما وكان بها الامام الحافظ الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن احمد
ابن عبد الله الاجدابي اللواتي الطرابلسي كان من اعلم اهل زمانه بجميع العلوم كلاما
وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا وله تواليف جليلة واسئلة مفيدة في الفقه
وغيره فمن تآليفه كتاب كفاية المتحفظ وكتابين في العروض صغير وكبير وكتاب
الرد على ابن حفص في تثقيف اللسان وشرح ما آخره ياء من الاسماء وبيان
اعتلال هذه الياء استوفى فيه جميع احكامها على اختلاف احوالها من تصغير
وتكسير وغير ذلك ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جماليا تعرض فيه لشرح مقاطع
الواقعة في سورة مريم لاشتمالها على كثير من تلك الاحكام فجاء هذا التاليف
في غاية الاجادة والتحقيق وله كتاب مختصر في علم الانساب وآخر مختصر في الانواء على
مذهب العرب ورسالة الحول ونقر عن اداب كثيرة وجمع عزيز **وكان** سبب تآليفه
انه حضر يوما عند قاضي البلاد ابي محمد عبد الله بن ابراهيم ابن هاشم الطرابلسي بحكم
بحكم اخطأ فيه فرد عليه الفقيه فزجره وقال اسكت يا احول فما استند عليك ولا انبنيت
فالف تلك الرسالة واختصر كتاب نسب قريش لابي عبد الله ابن الزبير ابن
ابي بكر ابن عبد الله ابن مصعب ابن ثابت ابن عبد الله ابن الزبير ابن العوام رحمه الله تعالى
قال التجاني وحسبك بهذا التاليف علما وفائدة وقد مدح هذا الكتاب
الشيخ ابو الحسن ابن مغيث بقوله هو كتاب محتاج للكتاب نفيس وقد ادخل ابو
اسحاق فيه من حفظه زوائد تشتمل على فوائد نبه عليها ولم تكن له رحلة عن طرابلس
الى غيرها وقد سئل انى لك هذا العلم ولم ترحل اليه فقال اكتسبته من بابي هوارة
وزناتة وهما بابان من ابواب البلد اولهما شرقيها والثاني غربيها نسبا الى من

نزل بها في سالف الزمن وهذا ما اشار الى ما استفاده من العلوم انما كان بلقاء الوافد
عليها من الغرب والشرق وكان له رضي الله عنه اعتناء بلقاء الوفود والى امثالهم ولم اقف
على تاريخ وفاته وممن كان بها من العلماء ابو محمد عبد الحميد ابن ابي البركات ابن ابي الدنيا
وممن كان بها ومن اهلها الحافظ الامام ابو فارس عبد العزيز ابن عبد العظيم
ابن عبد السلام بن عبد العزيز ابن عبد الله ابن عبد بن عبيدة كان فقيها حافظا
حاز من العلوم الاصولية والفرعية الغاية والمنتهى وهو سبان النسب ومولده
بطرابلس سنة ستة وثلاثين وستمائة وتفقه على يدي القاضي ابي موسى ابن عمران
الطرابلسي وارتحل الى الحج سنة ثلاثة وسبعمائة وكان شيخه ابو موسى الهواري
المتقدم الذكر فقيها عالما تولى القضاء بطرابلس نيفا وثلاثين سنة استن فيه
سنة اهل العدل والفضل وكان ذا اخلاق جميلة وسيرة حميدة مشهورا بالعدل
واتباع الحق ولذلك ارسله الخليفة الحفصي سنة ثمان وخمسين وستمائة فوصله
بتونس فولاه القضاء بها واقام بها نيفا وعشرين سنة ثم توفي رحمه الله
سنة ستين وسبعمائة ومن اشياخه ابو محمد ابن ابي الدنيا المتقدم الذكر كانت له
رحلة من طرابلس الى المشرق في طلب العلم فقضى فريضة الحج وادرك الربيعي والصفاوي
واخذ عنهم وارتحل الى تونس في مدة الامير ابي زكرياء ابن ابي حفص فاقام بها زمانا
ثم عاد الى بلده طرابلس واستدعاه الامير كما ذكرنا فولاه قضاء الجماعة والانكحة
والخطابة بالجامع الاعظم وله تصانيف كثيرة منها العقيدة الدينية وشرحها
وحل الالتباس في الرد على نفاة القياس وكتاب مذكي العوائد في الحث على الجهاد
وكان ذا نبل شاعرا ومن شعره قوله • طرق السلامة والفلاح قناعة • ولزوم بيت
بالتوحش مؤنس • يكفيه انسا ان يكون انيسه • ابدا القرآن وتورع الحنادس •
واذا ارادت عيناك اشانا انني • فليستعرن بعور ضبي كنس • ولغلما يبنيك
صاحب مقول • من عثرة او زلة في المجلس • نحصي ونكتب والجهول مغفل •
حتى يرى هذا في مقام المجلس • واظهر له الخليفة المستنصر الحفصي تغيرا في بعض
الاوقات فكتب اليه يستعطفه بقوله • امولاي ما زلتم تنيلون عبدكم •
ضروبا من النعماء جلت عن المثل • ولم يبق الا العفو وهو اجلها • يقال لما كمل
به منحة الفضل • فما العيش في الدنيا بغير رضاكم • يطاق ولا طعم الحياة يحول
وقد كدر الاعراض صفو معيشتي • فانكرت احوالي وانكرني اهلي • ولي امل يقضي
بغفران زلتي • وبالعفو عن جرمي وبالصفح عن مثلي • بقيت تزيد الملك عزا وبهجة •
وتحيي رسوم الفضل والدين والعدل • فلا يخطئني منك عفو ورحمة فانهما ما خطاني

احد

احد قبلي وصلى الاله العرش بدءا وعودة • على المصطفى من خلقه خاتم الرسل • وتوفي
بتونس رحمه الله يوم الجمعة لثمان بقين من ربيع الاول سنة اربع وثمانين وستمائة
وممن كان بها من العلماء الفقيه ابو الحسن بن موسى ابن عمر الهواري الطرابلسي
احد ارباب الرتب الجامعين بين رياسة الفقه والادب ولد بطرابلس سنة ستين
وستمائة وقرا بها يسيرا ثم توجه مع اخيه القاضي ابي موسى المتقدم الذكر للمهدية
للقراءة على ابي زكرياء البرقي فلازماه مدة ثم عاد ابو موسى لطرابلس ولزم البرقي
ابو الحسن وتفقه عليه واختص به اختصاصا كثيرا فلما كانت فتنة ابي حمراء ،،
بالمهدية وبعث الشيخ ابو علي ابن ابي موسى بن ابي حفص والي المهدية
اذ ذاك بالتحديد من ابي زكرياء البرقي وابي حمراء، وتوجه الامر من الخليفة له بقتل
ابي حمراء، وازعاج البرقي الى الحضرة فقتل ابا حمراء، وحمل البرقي على حمار ومعه
خواص اصحابه فذكر من راى ذلك ان البرقي رحمه الله يتمثل عند اشرافه على
الحضرة بقوله • هاكذا البين يفعل بي • كيف لو زلت بي قدمي • وكان ممن وصل معه
ابو معمر الطرابلسي فتم ادركت الامير شفقة على البرقي فاعاده الى وطنه واقام ابن معمر
بالحضرة وكان فقيها متفوها لسنا خطيبا غير انه كان في لسانه فضول كثير كثير
امتحانه به والتعرض له بسببه وتوفي في دولة الخليفة المنتصر رحمه الله وكان اديبا
عاقلا وله شعر كثير حدث ابو يعقوب يوسف ابن ابي موسى ابن اخيه قال كنا جلوسا
بين يديه فانشد بعض من حضر بيتين لابي الوليد سليمان بن خلف الباجي
وهما • مضى زمان المكارم والكرام • سقاه الله من صوب الغمام • وكان البين فعلا
دون قول • فصار البين نطقا بالكلام • قال فانشدنا لنفسه متمما عليهما
قوله • وزال النطق حتى لست تلقى • فتى يسخوا برجوع السلام • وزال الامر
حتى ليس الا • سخي بالاذى او بالملام • وكان تغير عليه الخليفة مرة فتقعد بدار
الاشراف وكان ممن ثقف معه ابو عبد الله محمد بن يحيى الفضيل فحصل بينهما
اتصال وود فاتفق ان سرح ابن معمر قبل الفضيل ففقده الفضيل رحمه
الله فذكر فانشد مرتجلا قال • لئن سرني فك الاسارى من الحبس • لقد ساءني
فقد لما فيه من انسي • ولو انني خيرت فيما اريده • لآثرت تقديمي سراحك عن نفسي •
وفي مدة لزومه بيت الجفوة التي كانت له من الخليفة قدم صديق له من السفر فمنعه لزومه
زيارته فكتب اليه • كتبت ولولا الحكم كنت اليكم • من الشوق في متن الرياح اطير •
واني لسيران الكسير مسلما • عليكم على وجه وذاك يسير • ومالي جميع القلب
من خالص الوفاء • فسيان فيه غيبة وحضور • وله في معاتبات الخليفة من مرض

كان فيه • الله انعم بعد اليوسي بالفرج • يا ازمة الدهر عقد للشدة انفرجي • شكر
الخلائق لا يكفي لا يسر ما • كفى وسكن من رهج ومن حرج • ابقى الانام بابقاء الامام
وكم • يصونه من مال ومن مهج • اذا رعاه الله بالاسلام راعيهم • لم ناس من فقدة قدر
ولا هيج • ولدي مراغبة ان المجد الصوفي لتولعه بنكاح العجائز • في شرع النهى غير جائز
فالمجد كم تغري بحب العجائز • وذلك في شرع النهى غير جائز • كلفت بالاطلال محا الدهر رسمها •
فاصبحت تبغي الفوز بين المفاوز ولا ابقاء • اهلا بدهر لو تشيعني لنا كرباء • وبالتعلات
يحيى لو قضيت لنا اربا • وبالامانة ينال القلب بغيته • وقد تحقق من معتادها كذبا •
فبين تاج ان الاح برق من جهاتها • وما ترى انه الا وقد ذهبا • بشراه ما يوما جاء فيه
وما طال الاجد وانقضيا • ان عز ما يتبغيه فهو في رهج • ويختشي الفقدان ما يتبغي
قربا • وان حسناء لقلبي كم اجشمه • امر يذيب من الاكباد ما صلبا • وكم بعان ملمات
فلا يسرها • يهون الامر من دنياه ما صعبا • وكم يلج في امكاره لجاء • سود توحي
في احشائه لهبا • وكم تهب سموم من تنفسه • لو استمرت لما هبت نسيم صبا •
استغفر الله لا اشكو الزمان ولا • ابدي اذا طرقت احداثه رهبا • ولا افيد نحظ منه
اعوزني • ولا اسر اذا اصاب الغنا انسكبا • ان يعسر لبيب ان دعا حلما • وكيف يقرب
من حصر الفنا شربا • ومنهم الولي بفيس بالمدينة المذكورة عبد الوهاب الفيسي
رأى النبي صلى الله عليه وسلم نحو اسمائه بعماية مرة وكان يشاور النبي صلى الله عليه
وسلم في اكثر اموره • وقبره الان مشهور بها ولم يعلم قبر احد ممن كان ذكرنا ولم يبق موضع
سواه الشيخ الشعراء وموجب ذلك استيلاء العدو عليها وطال اقامته فيها ومن
استوطنها من العلماء الاعراب بعد فتحها الاخير الفقيه الامام العالم ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الامام استوطنها ونال بها خيرا الى ان توفي بها سنة
كان رحمه الله فقيها حافظا منقطعا الى الله لم يشتغل قلبه من
الدنيا بشيء ولم يتخذ ولدا ولا اهلا وكان اكثر اشتغاله بالمطالعة والذكر وشرح
خليل شرحا حافلا وقفت على قطعة منه اجاد فيها وذكر لي الاخ سيدي محمد ابن مصطفى
الماعري انه لم يكمله والفقيه الصالح الزاهد العالم ابو العباس احمد بن ثابت
تولى بها مسجد وبه كان يقرئ التدريس
وتفقه به جماعة من اهل البلد منهم الفقيه المفتي ابو عبد الله محمد ابن جحم بن عقيل وله
رحلة من بلده الى الازهر ثم الى الحج ثم عاد واستوطن طرابلس ولم يزل بها الى تاريخ
هذا وقد طعن في السن وانقطع عن التدريس ومن استوطنها من الافاضل ابو
العباس احمد القصري كان فقيها فاضلا خيرا انصدى للتدريس الى ان توفي بها سنة
هع

تسع وتسعين والف والفقيه ابو العباس احمد الغروي كان فقيها عالما اديبا توفي سنة
ثلاثة عشر ومائة والف والفقيه العالم العلامة الدراكة الفهامة الجامع بين المعقول
والمنقول شيخنا ابو محمد عبد الله بن يحيى ابن عبد العزيز السوسي الجبيحي الصفالي
الادريسي نشأ بحاحة بالصفال منها وارتحل عنها لمراكش وحضر بها مجلس الفقيه
سيدي احمد العطار في الفقه ومجلس الفقيه احمد بن ابراهيم السوسي وقرأ
في احكام القرآن وبعض رواياته على الاستاذ سيدي احمد اكز بهمزة بعدها كاف
وزاي مضمومة مشددة نسبة لقبيلة من قبائل حاحا انتقل منها لسوس ولقي
بها الافاضل وانتقل منه لدرعة واجتمع بالشيخ العارف بالله تعالى العالم الرباني
سيدي احمد بن محمد بن ناصر الدرعي والفقيه العالم سيدي عبد الكريم احمد الفشتوكي
والعالم العارف سيدي عبد الكريم التزغي نسبة لتزغة احد قبائل السوس وعدة
افاضل اخذ عنهم وانتقل منها لتافيلالت ولقي بها الفقيه العالم العارف بالله
حمزة بن عبد الله ابن سالم العياشي صاحب الرحلة واخذ عنه النحو والتصريف
وسمع منه صحيح البخاري وانتقل منها ولقي بها المشايخ واخذ عنهم الفقه رسالة
ابن ابي زيد وعقائد العارف بالله سيدي محمد السنوسي وانتقل منها للجامع الازهر
سنة ستة ومائة والف ولقي بها الشيخ الفاضل العالم ابا عبد الله محمد
النشرتي والشيخ احمد بن الفقيه الشافعي وشيخنا الشيخ عبد الرؤوف
البشبيشي الشافعي والشيخ احمد البقري والشيخ المختار التلمساني
والشيخ اللاصيلحي والشيخ حسن الشرنبلالي الحنفي وتفقه بهم في النحو
والتصريف واخذ عنهم الفقه والتفسير والكتب الستة وتفقه به جماعة
ولم نزل الى هذا التاريخ نصدر للقراءة واخذت عنه قطعة من البيضاوي ومسائل
من العضد على مختصر ابن الحاجب ابقاه الله تعالى للنفع ومصر نفعه بها وولد
بها الشيخ الفقيه الصالح سيدي احمد المكني كان صالحا مجاب الدعوة محترما موقرا
مهيبا تولى الفتيا بها وسلك فيه سنن اهل العدل كان مختصا بنفاذ الكلمة واعوانهم
لا تاخذه في الحق لومة لائم اذا رأى عظيم منكر تغييره ولا يتوقف فيه على المراجعة
لولاة الامر واذا بلغ ذلك لم يسعه الا مساعفة الشيخ ولد سنة اثنين واربعين
والف وتوفي رحمه الله سنة مائة والف ومصر نفعه بها وولد بها الشيخ العالم
الصالح سيدي محمد بن مقبل الكبير تفقه على يدي سيدي احمد المكني وغيره من
الوفود القادمين على البلد وتولى الافتاء بها عند كبر سيدي سيدي احمد المكني وكان هو
الشيخ بالبلد ولد سنة اربع وخمسين والف وتوفي ليلة الاحد لتسع خلت من

في جمادى الاولى سنة واحد ومائة والف كان رحمه الله فقيها اديبا شاعرا مجيدا
فيه ومن شعره يخاطب سيدي محمد الاملح رحمه الله لما وفد على طرابلس قوله:
لقد لاح في افق الذكاء ذكاء * به انجاب عن وجه الغريب غطاء * وما هو الا احد
الجهابذة الذي * عليه لمضمار الفحول لواء * امام همام قد علا منبر العلا * فافحم من تبيانه
البلغاء * رئيس له سلطان كل وبديهة * اذا ما نزع افحم العلماء * هو البارع
النجم الغباري محمد امام له في الاملاح جل اليد في البراعة سلمت فحولها
فخر به وعلى لطايفه جلت فكم من فضايل * اماثل اعيان لهن خطباء * ومنهن شموس
كالغزالة مسيل * عليهن جمال الكلغز وهي ضياء * تونس عن دار الدجاء ووصالهن * ووصل الملاح
الغانيات فجلهن جلاء * اذا لمحة تضنى يلذ عنه لحظهن * وفي شهدها اللذا يفيض شفاء *
فيا اذا خطرت كانشق المسك اصبح * لنفسي والعجز فيه وفاء * فلا زلت فاجر العوائد
للافظاء نفائس منها تنعف الادباء * و ممن ولد بها الفقيه العالم الخير الدين سيدي
احمد بن عيسى الغرياني وكان شديدا في الحق حكي انه لما وقف عثمان باشا املاكه
على بنيه احضر العلماء وسألهم عن صحة الوقف فافتوا بالصحة فامرهم بالنزول فنزلوا فلقي
الفقيه المذكور بالنزول والموافقة فابى عليه فسأله عن حكمه فافتاه بالبطلان والحق ما قال فقد
صرح شهاب الدين القرافي في فروقه ببطلانه ذلك ولحقه الاذى بسبب مخالفته
النصوص مرارا وسجن على ذلك ولم يفتو صالحا بشيء فجزاه الله عن دينه خيرا ولد رحمه الله تعلى
سنة اربعة عشر والف وتوفي رحمه الله ليلة الاثنين لعشر خلت من شعبان سنة ثمان
ومائة والف و ممن ولد بها وكان من الخيار وتولى الفتيا بها وسار سير العلماء العاملين
الفقيه العالم الصالح سيدي محمد ابن مساهل توفي ليلة الجمعة فاتحة رمضان سنة سبع
وسبعين والف وكان فاضلا لم تعلق زايدا بالوجود الفاد فير على البلد للقاء اهل
الخير وانتفع به جماعة وتفقه على يديه سيدي احمد المكني وغيره واخذ عنه سيدي
عبد الله بن سالم العياشي صاحب الرحلة وكانت له صحبة مع سيدي محمد الحيد حكي عنه
انه مكث اربعين سنة يصلي الجمعة في مسجده وله قدم صدق مع الله تعالى وكانت توليته
للفتيا واخر محرم سنة سبعة وثلاثين والف وممن ولد بفاس علما بها وهو من اهلها
الفقيه الصالح سيدي عبد الله بن احمد ابن غلبون نشا بمصراتة واخذ عن سيدي محمد بن
مساهل وسيدي احمد المكني وارتحل لمصر واخذ عن العارف بالله ابي عبد الله سيدي
محمد الخرشي وعن الشيخ عبد الباقي الزرقاني وجماعة كان فيها فاضلا حليما يتقي
ما يتشين عرضه حكي انه كان يعزره ولحق منه سفها وهو ما قابل الامير عليه
محمد بن محمود باي بشيء فاجمع امرهم على ان يغضبوه فاغراه بنيه من اخذ يتبل

فدبروا

وفي رواية لكحيلة بان بعثوا للامراة من بنات الخطى بالبلد وامروها ان تاتيه وهو
بالديوان وتناديه وتدعي عليه بخمسين املا بها امانة وضعتها عنده ووصفوا
لها ما تفعل فلما اقتنع علم من ذكائه رحمه الله انها خدعة فقصد بها بجاوزه فبادرتها
بالاقرار بذلك واستلف ذلك ودفعه لها ولم يغضبه ذلك وعفا عنها على ذلك عند ارادة
الامير محمد باي الانتقام منه توفي في صفر سنة خمسة عشر ومائة والف ومنهم كان بها
من العلماء من اهلها الشيخ عبد السلام بن عثمان نشا بتاجوراء وتفقه على يدي سيدي
محمد بن مقيل وغيره من اهل البلد ولم تذكر له رحلة عنها والف كتابا في الفتاوي وسماه التذييل
زعم انه ذيل به المعيار جمع فيه من الغث والسمين شيئا لم يسبق به وكتابا سماه
فتح العليم في مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم تعرض فيه لمن في البلد من صالحين
والمتعبدين وكراماتهم وخصائصهم على اختيار عوام المتعرفة وله فيه من المعاملات
تدل على عدم اتقانه وكان يميل لنصرة الطايفة المتعرفة المبتدعة ويجلب لديهم
بما لا ينكر بطلانه من له ادنى مسكة من عقل واباه اعتمدت الفرقة المتصوفة
حتى انهم ان احتج عليهم بحديث او اية عارضه بالشيخ المذكور وله كتابة على المختصر
زعم انه اختصر فيها شرح عبد الباقي عليه توفي عفى الله عنه ليلة الثلاثاء
لخمس خلت من شوال سنة تسعة وثلاثين ومائة والف وتلاه في الانتصار
للمتعرفة الوقت تلميذه الشيخ محمد النعاس وشد يده على تلك الطريقة
وحث عوام الناس وضعفاء العقول عليها وجعل لهم مرغبات من حكايات
الصالحين وفي طيها هلاكهم وهلاك الدين وقد بلغ عني ان اتكلم عليهم
وكنت قدمت على حضرة امير المومنين لمصلحة عنت واقمت بجواره مدة
فبلغني اقامتي فيها بعض الطلبة واخبرني بدعوة الشيخ فوعدته بالمرور
عليه ان اتيت الى اهلي فاتاني بعد وداع امير المومنين واستحثني في
الحضور عند الشيخ فهيات رواحلي وامرتها بالتقدم امامي والمرور
على الشيخ فان راوا منه بشاشة اقاموا الى ان التحق بهم والا فمضوا فلما
قربوا من منزله فقدوا البشاشة فمضوا وتخلفت بالمدينة لوداع من بها
من الاخوان الى بقي للغروب نحو الخمسة عشر درجة وسرت في التفتيت باخينا
سيدي عبد الله الشعاب الصيد فدعانا للطعام فلم يسعنا مخالفته فتناولنا
طعاما وصلينا المغرب فمررنا بالمدرسة التاجورية التي بها الطلبة المشتغلون
عليه فوجدنا ذلك الناصح محمد بن سالم رسول دعوتنا سابقا فبايتنا بالمحل
فاتيناه واكرم مثوانا واحسن نزلنا ووافق ذلك ليلة جمعة وبها كان اجتماعهم

فنزلنا بمجلسهم الذي يجتمعون فيه فلما صلينا العشاء دعانا لبيته وقرب الينا طعاما اخرجنا
منه لنعود لمحلنا فامر بسراج لنأتي بمحل آخر فدخلناه فوجدناه غير فسيح الساحة وغاب
عنا الشيخ لترتيب المتعرفة مدة قربتهم وقدم فلما مكث واستقر به المجلس سأل عن الحال
وبالغ في التلطف بنا والخير ثم استفهمني هل ما بلغنا عنكم من التعرض لمتعرفتنا حق
فاجبته هو كما بلغكم عني وقلت انك تعلم محبتي لكم واعتقادي فيكم الخير والآن تعلم ان الدين
النصيحة وانا الليلة ضيفكم وبجواركم فحق عليكم فيه بان تبينوا لي الامر ومستندكم
في ذلك بحجة واضحة وعلى قبولها او تقبلوا بياني وحجتي فتعتذرون فيما اتكلم به فكان من
جوابه ان هذه طريقة الشيخ سيدي عبد السلام فاجبته انه ليس له طريقة وحاشاه ان
يفعل ذلك وعلى تقدير فعله ذلك لا يقتدى به في ذلك اذ هو رجل مجذوب ذو احوال لا يعترض
له في خاصة في نفسه ولا يسلم فعله لمقتدى به فاضرب عن ذلك واخذ في الجد فقال
وما تنكرونه منا فقلت اجتماعكم للذكر ليلة الجمعة والاثنين بخصوصهما فقال هذه ليال
فاضلة ورد النص بتفضيلها فقلت نعم وهل ورد نص بتخصيصها بشيء من العبادات قال
لم اقف على شيء، فقلت اجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يقدم على امر حتى يعلم
حكم الله فيه فسكت فقلت اتعتقدون ان صنيعكم هذا ندب فاجاب لولا الندب لما فعلناه
فقلت فيما يثبت الندب فقال بالتواتر فقلت سلمنا ان الشيخ المستند برايه يسلم له ويقتدى
به فمن اثبت لكم هذا عنه ومن هذه الطريقة عنه فلا بد ان تكون رواية الدين بالعدول فقال
رواها شيخنا سيدي علي العرجاني فاجبته هو اصل ذلك الامر مؤسس قواعده وداعي
الخلق اليه فلا تنفع لونه فلما رأيت ذلك منه سألته هل يقبل قوله فيه او شهادته فاجاب
لا يقبل فلا تنقل الشيخ اي راوي فالتزمته بمثل الاول فاتى فيه كالاول ثم اهتدى للشيخ
عبد السلام بن عثمان بعد مدة واحتج بروايته فقلت هو منسوب للعلم ومشتهرا
بالعدالة فهل صرح بذلك فسألته هل يفعل ذلك فاجاب لا يفعل ذلك فقلت وهل هو راض به
فاجاب نعم فقلت ما حكم الذي تشهد له فقال لا تقبل فقلت حينئذ يجب عليكم الاقلاع
فاضرب عن كلامنا واخذ يسال عن المنكور من طريقتهم فقلت اخذكم مالا من غاب عن جمعكم
ليلة الاثنين والجمعة كما هو امر انتسب اليكم وتسمونه حقا واخذكم ممن فعل معصية
مالا سوى ما شرع الله فيه فقال مستندنا في ذلك جواز التاديب بالمال فقلت
انتم مالكية المذهب ومذهب مالك خلاف ذلك فقال نعم ولكن له وجه فقلت من جوز ذلك
ومن القايل به وانما جوز ذلك للامام بشرط ان يضعه في بيت مال المسلمين الى ان يتوب
فيرجعه اليه فقال واي الامام فقلت مذهب مالك يقول بطاعته بعد انعقاد البيعة ولو فاسقا
فسكت فكان آخر كلامه لي ان هذه الطريقة طريقة مشايخي لا استطيع تركها كاتبه [illegible]

محمد بومهدي

جمريع ميد زال ما كان عندي من انصافه واتباعه الحق هدانا الله واياه للصراط المستقيم وممن
كان بها من العلماء من علمائها ابو الحسن علي بن عبد الصادق بن احمد بن عبد الصادق بن محمد بن
عبد الله العبادي نسبة للعبادة قبيلة من بني سليم كانا اولهم استوطن الخضراء من ارض
جزان ثم انتقل الى ساحل طرابلس الشرق واستوطنه وتناسل منه خلف كثير وكانت لهم همة
وسطوة ولقب بعض اولاده بالجبالية وسبب ذلك ان عبد الله الجد المنسوب
كانت له اخوة ومحبة في الشيخ العارف بالله سيدي احمد زروق رضي الله عنه واتاه الشيخ
المذكور زائرا وكانت له زوجة تعطل ولا تشتكي للشيخ فكاشفه الشيخ بانها تولد جبلا فولدت
له ولدا فسماه محمد ولقبه الناس بلقب الشيخ له تبركا ويقال الذريته اولاد الجبل والجبالي وتسمى
اكثر بيت الوصف اولاد احمد بن حمودة لانهم اخوالهم حتى غلب الوصف الان عليهم كان فقيها
صالحا دينا زكيا الابتداع في الدين له تواليف عديدة في علم الكلام والفقه وكلام القوم شرح
الصغرى للشيخ السنوسي ومنظومة الشيخ عبد الواحد بن عاشر واختصر رسالة ابن ابي
زيد وشرحه وله منظومة في عيوب النفس وشرحها شرحين كبيرا وصغيرا وله تاليف في اسباب
الغناء وشرحه وشرح منظومة عبد الغني بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم عجنا وفيما يجب
على الكفاية والف كتابا في البدع سماه تحفة الاخوان في الرد على فقراء الزمان وشرح
منظومة ابي عبد الله محمد الصالح الاوجلي في التوحيد ونظم اصول الطريقة المنسوبة
للعارف بالله تعالى سيدي احمد الزروق رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وباسراره امين وسماه
هداية العبيد الى الطريق المبتغى الحميد وشرحه وله عدة تواليف كان رحمه الله تعالى
يحمل جميع المسائل دون تحرج ويكلمته في ذلك يقال قصد حفظ الدين ونقل اقاويل العلماء بالنية
لعله يتقبل عمله ويحسن ثوابه توفي رحمه الله لثمان بقين من ربيع الاول يوم الاثنين
بعد الظهر سنة ثمان وثلاثين ومائة والف تغمده الله تعالى برحمته امين وممن
ولد بها وهو من اهلها الفقيه العالم العلامة النحرير الاديب اللغوي سيدي احمد
ابن الحسين بن احمد بن محمد بن علي ابن احمد بن قايد بن احمد بن علي بن سيد
الناس كان بيته بيت علم ارتحل لمصر ولقي بها الشيخ احمد البشيشي الكبير والشيخ
محمد الخرشي والشيخ عبد الباقي الزرقاني والشيخ الشرنبلالي وعدة افاضل وتفقه
على يديهم ونقل عنهم كل العلوم واخذ عنهم التفسير والحديث والكلام واللغة
والاصول والنحو والتصريف والعروض والحكمة وله القصائد المشهورة البليغة
منها تخميس العياضية في مدح خير البرية جاء في غاية الاصل وغيره وله الرسائل المشهورة
في البلاغة والاداب السنية كالمقامة الثورية وغيرها واختصر العزية نظما
رائقا سالما من الحشو وله منظومة في العقائد سماها درة العقائد وهي سبعين

ببدايع تُرى مثلها في سلاسة النظم وعذوبة اللفظ اي بتاع علم غزير وله منظومة في مذهب
ابي حنيفة سماها المعينة كان رضي الله عنه علامة عصره وفقيه متفنن في كل فن وفي
اي العلوم تكلم اعجز محاوله لم يصحبه حظ مقدم عليه من هو دونه للعفيف وكان ينشد عند رؤيته
يحسبهم الجاهل اغنياء البيت وكان محسودا على فضله وقد مدحه الافاضل من اهل المشرق والمغرب
في القصائد مما مدح به قول القائل • يا فاضلا فضله بين الورى ظهرا • وعاقلا هو بالمعقول
قد اشتهرا • ويا فقيها له في الفقه مرتبة • ابدا بها سر ما خفي من اختصرا • وعالما
بتقارير الشعا شغلا • امراض قلب الذي في درسه حضرا • وفي لما رواه عنه مشايخه
صحيح متن البخاري وارتوا دررا • لقد حباك اله العرش جل بما • حباك مما به قد صرت
مشتهرا • يا ابن الحسين جزاك الله مكرمة • ابديت في كل علم للورى عبرا • عزيزة الشاذلي
كانت منتشرة • نظمتها فغلت قدرا على النظرا • وفي الفقه ابديت لمشتغل • يعلمها
درة فاقت الدررا • كفاك مذهب النعمان نظمكم • معينة سر هاء السالكين سرى • وكم
من مسائل قد كانت مشتتة • جمعتها فغدت كالدر جبريرى • يا ايها العلم الفرد الذي افتخرت
به طرابلس لما ان بها اشتهرا • دامت عليك من المولى نعايمه ولا برحت بستر الله مشتهرا
ودم منح قبلة للقاصدين ولا • زالت فضايلك في العالمين ترى • بجاه احمد خير العالمين ومن
على البراق الى السبع الطباق سرا • عليه والال والاصحاب قاطبة • تحية عرفها قد
افجل الزهرا • ولو تتبعنا ما مدحه به الافاضل من اهل المشرق والمغرب نظما
لجعلنا من ذلك مجلدا وفي هذا كفاية توفي رضي الله تعلى عنه ليلة الخميس لليلتين
خلتا من شهر رجب سنة ثلاثة عشر ومائة والف ـــــــ واما كون اهلها
يتحركون التجارة وقت صلاتهم اشتغالا بها فامرا اشتهر من اوقد كي ولم يزل منادي العيسلح
ينادي عليهم الى ان يسمع الاذان يضرب امينهم حلقة الباب فاذا سمعوا ضربها
انفضوا الى الصلاة وتركوا المتجر ثم قال فيها اندى من السحب راحة • واروى بالاء اي
من والد انفقا • له همة تدعو التاييد لسنة • لجمع مناقبها وجمع رواتفقا •
اقول الملك الممدوح وهو امير المومنين احمد بن يوسف بن محمود ابن مصطفى القرمانلي
نسبة للقبيل المشهور بارض الاناضول بيته بيت عز ومجد موثل كان جده مصطفى
كبير طايفة من الجند موقرا مهابا وابوه يوسف نشا عاملا ولم يزل كذلك بعلا موقرا
في دولة الاتراك الى ان ينله منال بيت الترك المسمون بالكوالاغلية من الهوان في دولة
الترك نصوحا في خدمته ودولته وسياسته وعقله وشفقته على الرعايا الى ان توفاه
الله تعلى وخلف امير المومنين احمد في رفاهية وعلو همة وولده خليل بن نشا عملا ابيه
على ساحل المنشية وكان يكرمه ويراعيه ولم يزل كذلك مهابا موقرا الى ان اراد الله تعلى

يتفق

حيلت ٢

بنقل الملك من يد ابراهيم الى محمد باي الملقب بابن الجن بنظر اهل الديوان بالبلد
مع سابق الارادة الازلية وكان ذلك لاربعة عشر خلت من شهر رمضان سنة اثنين
وعشرين ومائة والف فازداد امره وعلا شانه ولما قتل محمود ابو موسى بن الجن غدرا وتولى
موضعه وبايعه من بايعه على ضغينة توسم في امير المومنين احمد صلاحيته للملك دونه
فاراد الفتك به فارسله الى غريان ليبطش به من فيها من الجند فراسله اهل البلد والديوان
بالقدوم ليبايعوه فقدم عليهم يوم الثلاث لاحدى عشر خلت من جمادى الثانية
من سنة ثلاثة وعشرين ومائة والف فدخل السوق وبايعه من به ولم يختلف في بيعته اهل
البلد المنشية والساحل واهل الديوان والمدينة لعلمهم بصلاحيته لما قلدوه من
امرهم دون غيره وحاصر محمود في المدينة يوما وراسله اهل المدينة بالبيعة وامسكوا
محمود بواسطة حسونة الشريف وادخلوا امير المومنين المدينة وبايعه الناس وتمت
له البيعة وقدم عليه الوجود من اهل القرى والبوادي يبايعونه واعلن بنصرة الشريعة
واهلها وعقد مجلسا لحضور العلماء بين يديه لفصل الخصوم وامر عماله ان يفعلوا كذلك
ففعل البعض وبالغ في تعظيم العلماء واكرامهم وفوض لهم في العطاء وزاد في اكرام ارباب
البيوت القديمة وحمد الناس سيرته **ولما** مضت لبيعته عشر ليال خلع عن يوسف
باي وولاه داي واقامه بالقلعة وخرج عن المدينة وسكن بالمنشية وكان ذلك في اوايل
جمادى المذكور من السنة المذكورة فقدم خليل باشا في اسطول من قبل السلطان والبلاد
واراد الدخول فحضر العلماء والرؤساء من اهل الوطن بين يدي امير المومنين واجمعوا على
منعه من الدخول فامتنع واقلع لجهة الغرب فنزل بزوارة قرية من عمل طرابلس يسكنها
اخلاط من العرب والبربر يتمذهبون بمذهب ابن اباض فيكون العقل يرتكبون اهواء في
ولهم مذاهب شنيعة مذمومة لا تعرف لاحد من اهل الدين وانزلوه بحلف ثمانمائة
مقاتل وبعث للاعراب فقدم عليه ابن نوير ومن تابعه على الفساد وتقدمت السفن فقدمت
المدينة لست خلت من شهر رجب من سنة ثلاثة وعشرين ومائة والف وزحف خليل فيمن
انضم اليه من الاعراب حتى نزل زواغة فجهز له امير المومنين في الترك واهل البيعة من اولاد
العرب والتقى الفريقان بزواغة فانكسف عن خذلان خليل وتحرك جند امير المومنين
واخذوا اسعد وقدموا به على المدينة يوم السبت لثلاثة عشر خلت من رجب
سنة ثلاثة وعشرين ومائة والف بعد ان اقام على المدينة نحو الخمسة عشر يوما
يراجعون الناس في قبول ولاية خليل على الناس وخاصهم بابى قبولها وكانت
اقامتها قبل اقلاعها لجهة زوارة ولما عادت لبر الترك بلا مرية انت به نوهم امير
المومنين ابقاع اهلها شرا بينها وبين صاحب القسطنطينية مولانا الخليفة السلطان

احمد بن مصطفى باخبارهم بخلاف ما عليه الناس اذ مساعدته لخليل انما كانت لمعاداة
خليل بن محبة اهل الوطن له وانما اخرجه منها قوم بغاة خارجون عن الشرع والنظر الصحيح
فوجد وقد كبيرهم احمد بن عثمان

وجدها كذا
من غير كتب

ثم عزل يوم الاحد الرابع بقين من جمادى الثانية سنة اربعة وعشرين ومائة والف
محمد بن ... الملقب جاي نم خوجه بالشاش قبل السلطان احمد وكان قد ولاه للحد بعثه
فاحسن منه ذلك امير المومنين فجعل عليه رقيبا ان تراخى يقف بعد لمن ياتي من قبل السلطان
الذي نزله وبالغ في الاحسان اليه فبعث طلائعه لبعض اهل البلد ليعينوه على كيد مواقفه
رعاع من الناس وسفلة العقول من اهل البلد فاحس بهم امير المومنين ففرقهم شذر
مذر وبالغ في الاحتراس منه الى ان انقضت ايامه المعدودة له فاقامه بالبلد فاكرمه اجلالا للهيبة
من ارسله ووجهه اليه وفي سنة خمسة وعشرين ومائة والف في اوائل شعبان تنوى
اهل تاجوراء للخلاف واستندوا لعوام غوغاء من اهل ترهونة وبعض اولاد احميد اين
جارية وسوانيهم طبيعة الجبال فلما بان له منهم ذلك جند من ترفه وخيم ... عسكره
واظهر انه يريد غريان ليبيض نار خلافهم وارسل عامل تاجوراء يبعث له ...
ما بقي لهم من رماتهم بسلاحهم فاحضرهم وسجنهم بذلك نفوسهم وطنوا بجرءة
عن اقامة الملك دولتهم وواعدهم وقد يلاقوه خارج بلدهم ففعلوا فلما التقى بهم امر
باخذ سلاحهم ونوافلهم وفرقهم في خيام الجند وقدم البلد وخيم فلعنهم واغرمهم من
المال ما اثقلهم اداؤه وارتحل عنهم وولى تغريمهم ذلك صاحب اغتة فبلغه اخذه للامر
الخارج شعبان بن يوسف فلما كان التاسع والعشرون من الشهر المذكور من السنة
المذكورة اجمعوا امرهم ومن وافقهم وهجموا عليه بالقلعة يريد قتله وكانت معه
طائفة من الجند فامتنع منهم وتمكن من القلعة وحاصروه بها ورموه بالحجارة وامتنعوا
من الاداء وبلغ فعلتهم تلك امير المومنين بعد العتمة فاستنصر المنشية واهل
البلد بين المنشية والساحل ومحيهم فلم يقووا على حرب ولا دفاع واباح اموالهم
فنهبت ديارهم ومواشيهم ووثق منهم وقتل ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة واغرمهم مالا ثقيلا ووالى عليهم الغرايم حتى بدد
شملهم وتركهم عبرة لمن تاقت نفسه لما تاقت نفوسهم وفي السنة المذكورة اواخرها
خرج

خرج عن البيعة ابو حسين الكولاغلي ولحق بقرية مسلاتة وبايعه من بها من الرعايا
وغيرهم الا ال بيت النبي صلى الله عليه وسلم واعانهم على فسادهم محمد بن منصور الترهوني
الملقب بسوف الذيب هو ومن وافقه فلم يستفق امير المومنين جنده وتولى حربهم
بنفسه فبدد شملهم وفرقهم شذر مذر واحاط بهم الامن توغل في الجبال وخرب
بيوت الرعايا الذين بايعوه واباح نهب اموالهم واعراضهم ثم عفا عنهم وارتحل ورجع
مظفرا منصورا ثم خلع بيعته باثر ذلك ابن عشرين ووافقه ووافقه بعض اهل
البيوت الغدبية ولم يجعل الله لهم اثرا ثم بعد ذلك عفا عفو قادر على اهل البيوت واقر
فيهم الغايب واحسنه وبالغ في الاحسان للكل جزاه الله خيرا ثم دخلت سنة سبعة
وعشرين ومائة والف فخلع فيها علي ابن عبد الله ابن عبد النبي الصنهاجي المكني ابو
قيلة بيعة امير المومنين وانضم اليه كل مفسد من الجبال واودية الكمكوم ومن اراد
الفساد من اهل السواحل واخذ اموال الرعايا ونهب مواشيهم واكل الزرع واخذ
بني خليفة واولاد نصر ومساحريهم ودخل بعض بنائهم كرها وقتل منهم
نحو الستة عشر رجلا من بني خليفة وبني بطيم وكان ذلك قبل سنة سبعة وعشرين
ومائة والف واشتد امره على الرعايا وكثر تابعوه حتى ظن ضعفاء العقول انه العلج
الموعود به وارتحل بتابعيه الى ناحية الجبل الاخضر فالتقى بخراج اوجلة ووجدا
على حضرة امير المومنين فاخذه واخذ خيل الجند الغاديين به فلما بلغ امير
المومنين ذلك توجه للغاية وكان هو توجه للجبل الاخضر وهداه كبراء اهله واعطوه
اموالا واخذ منهم قطعه ورجع ولم يكن لامير المومنين علم برجوعه والا اقامته بالجبل فلما
نزل الزعفران من ارض سرت خرج من الجند طايفة تتصيد فالتقوا ببعض وراده
وبعض قناصة الصيد منه فاخذوهم واخبروا امير المومنين بدار الاعراب فارتحل من ليلته
حتى صبحهم على حين غفلة فاستولى على اموالهم وحريمهم وقتل اخاه عبد النبي
وفر علي بنفسه ولم ينج من ابطالهم الا اقل وحيد بنية الخارج الماخوذ كاملا ورجع منصورا
مظفرا وكان ذلك في اوايل ربيع الاولى سنة ثمانية وعشرين ومائة والف فلما
قدم المدينة انشد بين يديه بعضهم قصيدة وبذل له فيها كثير من المال وهي هذه
• هاذي جنابكم ذو المجد الورى • بالنصر والعز المبين مبشرا • قل للجحافل يصبروا
او يتغيروا • فاليوم يوم دمارهم متحدرا • جاء الصلاح الى الفساد فكيف لا • يضحي
الفساد واهله تحت الثرى • ان الجحافل حان وقت فنائهم • فبقاهم لا شك فيه ولا امترا •
وابادهم الدهر القوي ومن سوى • الدهر القوي على العدو بافترا • فتزلزلت بالقوم منهم
حافلاتها • تركت مقدم جمعهم متاخرا • واستسلمت طوعا وكرها نحوه • لما رات ظهر الفيل

مظفرا • مستعليا   الاريب مقلدا • سيف الغفار بنصر احمد سطرا • متغمدا فيموتة
بكتايب • كعتايبيس اكرم بذلك عسكرا • لم تلق منهم غير سابق كفه • كلا سر المنون يديرها اسد
الشرا • حامين حول لواء سابق طيه • لمع بجيل عزرابل مصورا • فسخت شعار صفاته من
كان من • كسرى ومن اسكندر او قيصرا • لا تسمعن لحديث ليث غيره • فالصيد كل الصيد
في جوف الفرا • افنا جميعهم وخرب ديارهم • فنواح اهلهم غدا مستكثرا • فاستسلبوا
الارواح حتف انوفهم • وكسى البغاة من الدماء معصفرا • فالموت انزلهم ونشرنا بخصم
لازال احمد منذرا او مبشرا • **ولما** استقر زيد له في الملكة التوجه لفزان وحثه
على ذلك فتوجه اليها حتى نزل على مرزك وحاصرها اياما نحو العشرة ثم قدم عليه خبر
ارتحاله فارتحل عنها ورجع للمدينة اواخر سنة ثمانين وعشرين ومائة والف ثم راسله
صاحبه مع خواص بلده وارباب البيوت منها وتلطف ان يقبل منه الخراج فقبل منه الى ان ظهر
منه من قلة الادب ما يوجب التوجه اليه فتوجه اليه بعد احمد علي بن عبد الله ابن عبد النبي
بعد عوده لمثل ما كان عليه بدريد وصل مورود وكان اخذه على يد صاحب اعنة خيله اخيه
الحاج شعبان باي فواياها ولم يخرجوا له من السور واقام عليها مدة قليلة واباح نهب
بعض البلاد التي لم تجب دعوته كالقطرون اقليم تحت ولاية صاحب فزان كثير النخيل والزراعة
يرده اهل كوار وما حوله من جبارة السودان واهل النوبة قليل ثم رجع ولم يصب
من مرزك مجلي حسبي صاحب فزان في تلك المرة وكان ذلك في محرم سنة احدى وثلاثين ومائة
والف وكان كبير الجند الذين ارسلهم لنهب القطرون وافدهم ابراهيم الملقب التربالفي
الكول اغا فاصاب منها مالا كثيرا اختص لنفسه ولم يعاقبه امير المومنين على ذلك **فلما**
كانت سنة اثنين وثلاثين ومائة والف ــــ خلع البيعة ابراهيم التربالفي وعلي خليل
الادغم وابراهيم ابليلو وطايفة من الجند وكان بسبب ذلك ان امير المومنين وجه
صاحب اعنة الخيل الحاج شعبان واليا على اهل برقة ابن غازي ودرنة وبلاد فيها وارسل
الغايبين من الجند محبته وصحبتهم مفتاح ابن عبد الرحمن الاصفر رجل يزعم علم الغيب وانه
اولاد الترك الذين هم بمصر الله اعتقاد الفضي بهم الى مغاربة دعوى النبوة فيه
بحيث انه اذا قال قولا او قالت العشير بعثه قولا اتبعوا قوله ونبذوا الكتاب بعده وراء
ظهورهم وهذه سنتهم في كل ناعق ضل يوافق هواهم ولو مجوسيا الا القليل
منهم ادركتهم للحق فلما صحب الوالي المذكور اسماء الاذى معه ظنا منه ان له
فيه من العقيدة كما للمذكورين فبالغ في الاعطاء اليه الى يكشف فبعض اهل درنة
وبعض من معه للامر قبل فيهم فبحث بهم من غير ترو فاجتمعوا على التربالفي
على المحذور في المذكور يستطلعون خبر الغيب ثم خلعوا البيعة من هناك وبايعوا ابراهيم

التربالفي

التريكي وعلي بن خليل على ان الاول ملك والثاني وزيره ووافقهم من شاء كلهم من الجند ومن
لم يشا كلهم لم يستطع دفعا فوافق ظاهرا وتوجه من برقة فلما مروا بقبيلة دعوها للبيعة
فاجابت طوعا او كرها الى ان قربوا من تاورغا وبها يوميذ القايد حسن اغا وكيل على
قبض الخراج فانتهض لمسكهم علي بن خليل وابراهيم ايليبلو فدخلوا البلاد وانحصروا
بعض كبرائها على فعلهم ومسكوا القايد واخذوا فرسه وسلاحه وتوجه لابن علاق
وحسن تنازل عنه فلما حلوا بينه ارادوا البطش بحسن فحماه ابن علاق منهم وتوجه
فارا للحضرة وفي معه سالم بن رمضان بفعلهم والاغفلهم ودخلوا مصراته وتمت لهم بيعته
الكول اغلية الا من القصرانية على مرسى قصر احمد من ٤٧ من سفن العدو فاخذوا
ما بيده من البارود والرصاص المعد للحماية بيعة الاسلام من النصارى واخذوا
سلاحه وفرسه وحصل عندهم من الدجاجلة المدعين علم الغيب خلق لا يحصون كثرة
وتقوى ظنهم في انهم يتملكون وتوجهوا حتى نزلوا تاجوراء وفي منهم حسن المعتبر
في شرذمة للحضرة وخرجت لهم خيل امير المومنين فاخذت منهم شيئا كثيرا وعفا عمن
اصابه منهم الا القليل وتفرقوا البوادي يحمون رؤوسهم فكاتبهم بالامان الا رئيس
القوم علي بن خليل والتريكي فتوجه علي بن خليل لمصر وبقي التريكي في الاعراب
يتنقل في البراري فلما كانت سنة ثلاثة وثلاثين ونحن يوميذ بمصر بالجامع الازهر
قدم كتاب من الحضرة يتاسف على ان يقدم فارقنا وتشكى نا عمن وقدمنا على الحضرة
فلما نزلنا بمرسى احسيا ماء عذب فيطس واد على دونه مسيرة يوم اخبرنا ان
محمد الملقب جانم خوجة اتى مطرودا من الحضرة السلطانية الاحمدية ونزل على
قرية بني غازي وبايعه كبراء الاعراب عبد الله ابو طرطور الجبالي وصالح بن سليمان
وحليد بن موسى وساير كبراء الاعراب الذي بالجبل وبرقة ووافقهم اهل البلد
وكانت مشيئتنا في الركب الحاج علي الماعزي وعلي بن خليل فوافينا جماعة
الجند كان ارسلهم امير المومنين في بعض السفن فظفر بهم جانم خوجة
وكنا اردنا الاقامة بالجبل لزيارة رويفع بن ثابت الانصاري البخاري
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وجدناه بها فحملنا عنها للحضرة فاخذنا
من وجدنا من جنودها وحملناهم وزودناهم مع الحاج علي الماعزي وسرنا
حتى انتهينا الى المنبع احسيا ماء عذب شرقي محروق وادي الكبريت فوافينا
جند الاصبرية وكبيره يوميذ ابراهيم تابعه متوجها للقاء جانم خوجة ومن معه
امير الحج كتاب من امير المومنين بالتحجير في بيع الخيل لغير الجند فنادى لنا امير
الحج فرفاته وشكرنا الله على العافية ونادى امير الحاج في الناس باع فرسا

لغير الجند لا يلومن الا نفسه وكانت بيدي فرس جيد وشى به بعض الناس عنده فلما بلغ
ذلك ارسلت به واحدا اليه فيفرح بذلك وردها علي وتعلل بانها لو وافقته لاعطى
اصحابها اضعاف القيمة وبالغ في الاكرام وكان ذلك اواسط شعبان سنة ثلاثة وثلاثين
ومائة والف فلما نزلنا مصراته افصحت بالاهل ولجوار الوالدة وكانت تحتي هدا ابل
للحضرة فارسلتها اليه ووجهت كتابا من عندي للحضرة اعتذر عن المثول بين
يديه فبشرني بكتاب للعمال يتضمن احترام رعاتي واعواني ومن لاذ بي من الطلبة
وحذر العمال فيمن قصد محلي من خائف اذا بلغ ارض كذا فلا يغرب ولا يمسك جزاه الله
عنا خيرا فاقمت شهر رمضان باهلي وكان عامل البلد يسير فيها قتل النخل وجعل فيها
محلا لبيعه فبعثت له ان هذا لا يسعكم في دين الله ولا يسع امير المومنين عند الوقوف بين يدي
الله تعالى وقرأت عليه كتاب امير المومنين وفهمته ما تضمنه من تعظيم المحل وتوقير الطلبة
فارسلت للمحتضرين واعطيتهم ثمن ما اشتروا به النخل وتركوه وقدمت على الحضرة
فلما مثلت بين يديه واخبرته بالواقع امر برفع يده ولا غير فاقمنا بجواره في كرامة
الى ان دخل شهر ذي القعدة فاجتمع جماعة منهم احمد المعروف بابن الرايس وبعض
بني علوان على خلع البيعة واستعدوا لوقت معلوم فهرب ابن الرايس ومن معه ودخلوا
على الحاج شعبان في محله فقتلوه وفشل مواعدوهم بالمدينة بغدر امير المومنين
وشتت الله شملهم ورجع كيدهم في نحورهم فاخذوا وقتلوا وفر ابن الرايس لجبل
المحاميد واستقر امير المومنين بخير وبقي ابن الرايس مع اعراب المحاميد الى سنة خمسة
وثلاثين ومائة والف فخرجت اعرابهم لارض سرت واخرجوا منها اهلها واخذوا اموا
لهم وقد كان جعل صاحب اعنة الخيل ابراهيم سوقا اخيه المقتول تداركه الله باللطف
فلحق بهم في ارض سرت فاخذهم وفرق جمعهم وهرب ابن الرايس فلحق ببعض الاعراب
فمسكه وقدم به على الحضرة فقتل صبرا كما تدين تدان وكذاك امر الله ووقفه وكذلك
فضله سارت به الركبان شرقا وغربا وقصده الشعراء والناس وامتدحوه واعطى
العطايا العظيمة لم يعطها احد مثله فقصده محمد جركسي واحمد بيه الاعسر
واحمد بيه الصغير وعمر بيه لما اخرجوا من بلدتهم فارين بنفوسهم اتوا اليه
اكراما كليا وبعث لكل هيبة حسنة الاحمر للقائهم وكان لما نزل الحاج بمصراته ومعه
محمد جركس التغيث به واوى منه مثواه عملا بحديث اكرموا عزيز قوم ذل وغني افتقر
وما كان له من منة على سيدي علي الشنتوفي الطرابلسي مجاور البلد بالازهر فاسر
اليه الحديث في شان امير المومنين وما به بالذمة فاخبر بما صدقه العيان فشكروا
واطمانت نفسه فلما اصبح لقيه الكاهية بخيرات كثيرة وانعام واسعة ولما قدم على

الحضرة

الحضرة هيأ له عرصة أنيقة البناء واسعة الفناء وأعد له فيها ما يليق بالهمة من فرش ومأكل
ومشرب من العسل والسكر وبعث إليه وقر أربعة أبغال من اللباس من ثياب الملوك والفقرا
الرفيعة وأقام في جواره مدة وانتقل للأرض الجزائرية فلم يجد من صاحبها ما وجده من حضرة
الأمير مع ما له عليهم من اليد إذ هو جاء جيرانه ولد صاحبها وكان قدم عليه بمحبة
الحاج حاجا ووجد عروته في الملك فلا ثبتة فأنعم عليه وأخذ بيده ولما انقلب الحاج لمصر
وجد أن السر قد زال النعمة عليه ورجعهم للمغرب مستمسكا بأذياله وكان قدومهم
عليه سنة سبعة وثلاثين ومائة وألف وأقام أحمد الأعسر ومن معه بجوار ابن أمير المومنين
محمود باي صاحب ولاية ابن غازي في أمد إلى أن قدم على الحضرة فهيأ له من المأكل والمشرب
والمركوب والملبوس ما يليق بعرضه عما أعد لهم وأقام لهم خدما وحن عليهم حنو الوالدة
على ولدها بل أبلغ ولما بلغ السلطان أحمد أنهم مقيمون بحضرته أرسل رسوله
بأخذهم فجعل أمرهم وهم ظاهرون وبذل ملكه وماله دونهم حتى هيأ لهم من يحتاجونه
من خيل وإبل وسلاح ومأكل ومشرب ووجههم في جند حربي عليه من خزائنه للأرضهم
وهذا نتاجه وفقه الله تعالى للخير وأعانه عليه في كل غريب حل بجواره ولما حلت
بجواره حفيدة حرم أمير المومنين بأرض الغرب مولانا السيد إسماعيل في شعبان
سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف وابن ابنها الطفل مولانا أمير المومنين السيد
عبد الله بن إسماعيل أمير المومنين أكرم مثواها وأعطاها مدة إقامتها ما تحتاج
إليه من مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك وأسكنها عرصة فسيحة وأعطاها من الخزانة
كفاية ما يحتاج إليه دوابها وخدمها ولما ضعفت منه للحج أعطاها خمسين
بعيرا وبعث لعمال البلدان بالوقوف إليها فيما تحتاج إليه فوقف كل على حسب
مقامه وقدر مجهوده إلى أن خرجت من عمالته وهي في نعمة سالمة شاملة
وكذا فعل بها لما قدمت سنة أربعة وأربعين ومائة وألف وأما علو همته لتأييد
السنة فأمر أشهر من أن يذكر فقد كان الوطن قبل توليته لتشغل أهله بما هم
من الظلم وعدم مراعاة أهل الفضل والدين غفلة عن أمر الدين ولما أراد الله بتوليته
العلم وتحرر فواء البلدان يطلبون العلم فيتفقه منهم خلق كثير وأتوا إليه فأكرمهم
فممن تعلم وتفقه الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن مصطفى الماغربي الكول أعلى ارتحل لمصر
ولقي بها الشيخ والأفاضل وأخذ عنهم العلم وتفقه وتفنن في جميع العلوم نحوا وكلاما
وحديثا وتعبيرا وانتقل إلى مكة ولقي بها الإمام الملتزم الصفدي وأخذ عنه والشيخ
أبا الحسن السندي وعدة أفاضل وأخذ عنهم ورجع لأرضه فأكرمه أمير المومنين
وأعانه على بناء زاوية بالمنستير فبناها وهو فيها مقيم لقراءة العلم نفع الله به

بعيرا

وممن تفقه بها ولم تكن له رحلة عنها ابو عبد الله الشيخ سيدي محمد بن محمد بن مقيل تفقه على يدي الشيخ عبد السلام بن عثمان والشيخ ابي العباس احمد بن ثابت وابي الحسن علي بن عبد الرحمن البخاري وجماعة من الوافدين عليها ، وممن تفقه بها ابو عبد الله محمد بن احمد المكني نشأ بها وتولى الفتيا بها بعد موت الشيخ محمد بن مقيل الاكبر ، وممن تفقه بل تولى منصب الافتاء بها ابلاغ كتبنا الفقيه ابو العباس احمد بن محمد المكني ولم تكن له رحلة في طلب العلم ولا كثرة رواية ونصب لهذا المكان البين وفقه الله للخير وفي الفقه ابي الحسن علي بن الشاهد نزيل جربة ، وممن تفقه بها ابو عبد الله محمد بن عبد الحفيظ النعاس التاجوري تفقه على يدي الشيخ ابي شيخنا ابي عبد الله بن محمد بن الشيخ عبد السلام بن عبد السلام بن عثمان واخلع بل لمدرسة التاجورية الى الان وله اعتناء زائد بنصرة المتفقرة واهل الطوائف هداه الله تعالى ، وممن تفقه بلاده وارتحل في طلب العلم لمصر الشيخ سالم بن علي بن فنونوا البازليتني لقي بها الافاضل واخذ عنهم العلم ورجع الى بلده فعمر بها مدرسة بازاء منزله وبالغ امر الامير الى امد ومراعاته حتى انتفع به الناس وهو مقيم على السنة لا يبتدع ، وممن تفقه بها ولم تكن له رحلة عنها لطلب العلم الفقيه النبيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد غلبون تفقه بالوافدين عليها واخذ عن اخيه ابي عبد الله محمد بن محمد بن مقيل وابي عبد الله محمد ابن حامد وعن العالم الفقيه الاديب ابي محمد عبد العزيز ابن احمد مروان والفقيه ابي عبد الله محمد بن مصطفى الماعزي وجماعة وكان ذلك في مدة امير المومنين ، وممن تفقه في ايام الامير وارتحل عن الوطن لطلب العلم وخيم له ارض مصر وجال فيها والحرمين الشريفين الفقيه الاديب العالم الشريف ابو عبد الله محمد بن العربي بن محمد بن حمودة ابن الصغير الهلالي نشأ ارتحل لمصر ولقي بها الافاضل واخذ عنهم واشتغل بالعلوم العقلية وتفقه في كلها وله باع واسع في الادب ورقة ولطافة زائدة وله القصائد المشهورة البالغة ومن قصائده لما فقد الوطن وقدم دار الملك واغتمص لبعضهم حقه قوله ، الا هل ترى العهد الاولى قبل ودعوا ، وهل سبيل اجياء التلاق والتسمع ، وهل تبلغن نفسي الاماني برهة ، وهل يسرح الاملاك من ليلنا تشمع ، او الموت ادنى ادنى لبانة قاصد ، يسامره جنح الدجى الشعر والدمع ، بلى ان دهري والع يتجدد دي ، الى الله اشكو ما زمان به ولع ، فما لي وللافراح من بعد جيرتي ، تقضى بهم رشدي واعوزني الجمع ، لقد سيمت الحياة وطولها ، تساوى لدى القبر والسيوف والربع ، اذا كرح غير مصر وجلق ، فيا حبذا لو كان من جند الطبع ولا سيما في منبر الجهل هزح ، فكل سليم الطبع ضاق به ذرع ، فلولا الامير المرتضى لم يكن لها ، سيجبس الليالي في خواطرنا وانع ، ولسفر امير المومنين

بتشد

بلغ

امير المومنين تلطفه وضافه دعه بما قال امر باعطائه ببيت بتربة الامير محمد بالشتا
في عطيه وبنزايه واقام بالمساجد يقرئ العلم واشتغل عليه الناس ونفع الله به ابيب
وانشا يقول ويمدح امير المومنين معللا * لك الخير عرج بي على طلل الربع * محط المعنى
معنى الحكمي المقنع * وكن خالعا نعليك ببرح ما بق * فقد يسنه تبلغ مناك وتربع *
هناك العنا والعز حيث تقطعت * تمائمه والمجد منك بمسمع * به صادحات
الورق تشدو في الضحى * تنادي هذه بلاد براد واح اجرع * فجاكينه اذا شط عنه
وليهم * وقد خلفوا جمع الغضا بين اضلع * وثم بلبل نا فقي كأنه * طمينة شرك
فرخها وسط بلقع * واحزان يعقوب تسر بلث دعها * وحيك في انتها من سلالة
ادمع * وزهر رياض ما دس بيعه جداول * به الماء منساب الى كل مصرع * فجاكي جنا
وردي بوجنة * ضياء بعضها في صدور ومشرع * فماذا عليهم لو باحوا جناء *
مغلة صب مدمن السهد مصرع * كمثل حبيب حجر به قد تشاءمت * غن يفتتها
تفيض على كل مربع * تحاكي نوال الله من كف احمد * يقسمه ما بين كهل ومرضع * على
الغيث تثنيه من نداه كانما * يمر بدا فوق السحاب المربع * الاما عجيبوا من اربع
وملاعب * سحايب سبيب * منه ليس بمقلع * فلم لا يكون الورد موطئ ارجلي * تجاورها
من كل شهم سميدع * اديب اريب فاضل متعفف * نجيب حسيب عالي القدر اورع *
اقوال الاصحاب عليكم باحمد * اجاد اجاد بالحباء المنوع * لك الحكم المحزون من نفثتر اسمع
وابكي جريا بالسكاسك مولع * اتيت وجيش الهم جر خميسه * فقهقر جيا من
حسام مروع * اليك ابا الامداد حنت مطيتي * واملالها سبق وجسمي بموضع *
لها منك حاجات وفيك مطانة * سكوة بها اولا لكم من توجعي * متى تعلم الابيات والدهر
مدتي * لكم ندعوي عنه وتدنت وتخضع * ولم يغيرها من القصائد زاده تباهته ونبع بسه
وارشد امير المومنين لحد النظر اليه فانه اولى الناس بنظره واحفهم به وتعقبه في ابائه خلف
كثير ممن لم يكن له رحلة ولا كثرة رواية واقتصرنا على ذكر المشاهير منهم وكلهم مراعون
لديه مكرومون عنده ومن مراعاته لجانب العلم الشريف فانه حقق مبان الشريعة جمعة
العلماء بين يديه لفصل الخصومات وتصريحه لهم بالمجلس احكموا بحكم الله ولو علي
وقبول تشفعاتهم فيما بينه ابدا للشفعاء في غالب الامر فقدوتي لكاتبه هذا معه
عدة وقايع تشفعت فيها منها انه ارسل اكرمه الله سنة ستة وثلاثين ومائية والف
في الشتاء يطالب ارباب البيوت والمحرر بين من وصيف المخزن شيئا من القمح على يد
العمال فاتاه عامل مصراته بعد ان وظف على كل من اهل البيوت ما يخصه من تلك
الطلبة وكان ممن كتبه بالطلبة بعض اقاربنا فلما تامله فاذا فيه فتوا فعلبون بكذا ا

احزان

فما رأى من الله وأمره لمحو ذلك وكان سبب بغضه وضغينته في العامل الذي بيده عمالته
أن اليهود الذين بمصراته أرادوا إحداث كنيسة في ذلك وذلك العامل غيره بحضرة عنده
وبالغ في التلطف والإحسان جزاه الله خيرا أي أحمد باشا فأخبرته بما فعل اليهود من إحداث
كنيسة في الإسلام فأجاب أن غيرها معه فقلت كيف يسعكم في دين الله وأنتم نواب أمير
المؤمنين تحدث فيها كنيسة لليهود ما ليس لهم الآن لأنهم طارئون عليها وفي الإجماع منعقد
على عدم إحداثها بل تهدم إن بنيت وإن زعموا قدمها فقال كنت متوقفا فحيث سمعت
ذلك أتولى هدمها بنفسي فهدمها وهدم الأصلية التي زيدت هذه عليها فرفع اليهود
أمرهم لأمير المؤمنين وأخبروه بأن الموقع فيهم هذا ابن غليون فسأل أبا محمد عبد العزيز بن مروان
عن حكم الله فيها ومن حضره من العلماء فأفتوه بالمنع فأعرض عنهم فراسلوا بعض من
ينتسب للعلم من أهل تاجوراء فأفتاهم بجواز هذا أي بجواز ترميم ما وهى وباد من كنيسة
الصلح فاستغاثوا ببعض الحاشية ومنهم العامل المذكور وراجعوا أمير المؤمنين وأطلعوه
على النص وهو غير عالم بالفروع فكتب للعامل بعد منعهم من بنائها وأرسل بذلك رسولا
وحضره الشافعيون لهم بالوقوف هنالك حتى تبنى فلما حضر الكتاب بين يدي العامل وهو
على الملف شتار لم نجد بدا من موافقة الأمر فبنوها فلما قاربوا الانقضاء رجع رسول
السلطان لحضرته فانتدب لخرابها طائفة من أولاد الجند الذين بمصراته فأخربوها بالليل
وأصبحت رميما فلما أخبر بذلك أمير المؤمنين سأل عن الحكم فيها فأفتاه أبو عبد الله محمد
ابن محمد ابن مقيل وأبو محمد عبد العزيز بن مروان بالمنع فوشى الشافعيون بأن هذا من فلان فلم
يلتفت إليه من الله تعالى لقولهم فاصطنع العامل على أن جاءت تلك الطائفة ممن تعلق في ظن
أنه يطفي بها ما يجد من حرارة هدم الكنيسة تخاطبني بالغلاظة فلما رأيت منه ذلك
أعرضت عن مجاوبته وسألته كتاب الأمير فإذا هو متضمن احترامي والنهي عن تشو
ش جنبي وكتبت فيه وانتهضت من عنده للحضرة العالية فلما مثلت بين يديه
فأنشدته أبياتا فقلتها • بسبب نصرة الظليم وعونه • للعفير إذا المظلوم فلاه •
رحمة يرتجي بيرتجا نوال فضل من بجنابكم من أراد عناه • أحمد بيتك الحكم عز • كيف
تخشى العنا من يغناه • ناظم القول جاركم ومحب • قد أناط ببابكم رجواه • ترتجي
نصرة وعزة فضل • من نوالكم وربع عناه • خادم العلم في جناب الأمير • منه دوما
بدعوة ما نساه • تقتضي رفعة وتشرح عزا • وهدى وتقوى ونيل مناه • ابن غليون
أتاكم تعيسا • زائرا حسن ظنه قد دعاه • أن يكون تشفع قوم إليه • نسبوا
دينه ومنه ولاه • قد أتاهم حديث عن مد بدا • منهم بعض طلبة ورواه • فأبيد لبنيه
يكون رفيقا • بالعفير وبنا قد هداه • وفق عدم لما أردتم وأنتم • نبل جود وفضلكم نرجاه

فلم

فلما انشدته الابيات قال شفعناكم وقبلنا شكواكم وامر بكتاب للعامل برفع يده
ان لم يأخذ والرد ان اخذ فوافاه الكتاب قد اخذ البعض فرده من بينه وامر بالاقامة
بجواره فاقمنا بجواره في كرامة وخيرات وامرنا بحضور المجلس مع العلماء لفضل الحصل
بحضرته ايام فلم اجد فيه انفع منه ثم اخرج للنزهة في رياض الربيع فلما جئته للوداع
اشار بالحضور معه فبقينا بعده في البلد ثلاث ليال ثم خرجنا ولحقنا اخونا الفقيه الاديب
ابو عبد الله محمد ابن عبد الله غلبون واخونا ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز مروان والاديب محمد
ابن قاسم الحنايشي فوافيناه بوادي المجينين في منزه انيق ورياض مخصبة عشية فلما
رءانا اظهر السرور على وجهه وبالغ في السؤال عن الحال واخبرنا انه رءا في ذلك اليوم
ان قائلا قال له انك تلام على حضور العلماء معك وقد خرجوا فقال هو ابن غلبون قدم
عليكم وخيرنا في النزول ففوضنا اليه الامر في ذلك فاختار لنا فسطاط كاتبه الاديب
الاريب البليغ الفاضل الاديب صاحب قلمه الكاتب قاسم بن احمد ابن مزور وامر لنا
بفرش وغطاء واقمنا بجواره في كرامة اربعة عشر يوما لا يحضر طعام الا احضرنا وانبسط
علينا وباسطنا بما يزيل الاحتشام ولا يرتفع الا بعد تحقق كفايتنا وربما عزم على من
يرى منا محتشما فجزاه الله من امام خيرا ما الطف خلائقه واعظم شمائله ثم لما عزم
على الرجوع الى دار المملكة احضرنا وقال قد وفيناكم في العطا فعرضنا وان قصرنا
فيه فتقبل الله عمله واحضره له متقبلا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ومن شمائله الكريمة التي بها
تأبدت الحسنة ما فعله مع جامع هذا المنزل ببلدنا لسحابة كانها سحائب
عاد لا اعاد الله مثلها في صيف سنة تسعة وثلاثين ومائة والف فاخربت الدور
والبيوت واهلكت المواشي ومعاهد من زاويتنا التي ابتنيناها لاهل السعيرة
لقراءة العلم ومسجد محمود خارج دار الذي ابتناه بغربيتنا وجعل نظره لابن غلبون
وعظمت علي الكلفة في الرد فتوجهت للحضرة العالية واخبرته بما فعلت الايام
بنا فما زال عني جودها وامدني بما سددت به ما دثر منها اعانه الله تعالى على ما اولاه
ومثل هذه ما فعله مع ابي الحسن علي ابن عبد الصادق لما هدم السيل زاويته
التي بساحل ال حامد وكم له من مكرمة من هذا القبيل فيه الله واعانه على الخير واما
حلمه فهو احنف وقته لم ينقل عنه عدو ولا صديق انه اظهر غضبا قط ولو راى او سمع
كل المغضبات واما حياؤه فحدث عن البحر ولا حرج حتى افضى به انه يبرم الحكم والامر فاذا
رءا المسيء عليه استحيا ونقض ما ابرم فيراه من لم يطلع على اخلاقه الكريمة
بعدم الوفاء بالعهد وقطع بان ذلك سليقة لما الموجب ولو علم اخلاقه لما ظن ذلك

ولا توهمهم • واما تاييده للاسلام والامر فيشهد به عمله من ذلك توقيفه على سور البلد اوقافا
كثيرة بسوق البقالة العام على الف وخمسمائة او اقل بقليل واجراؤه الماء للمدينة لينتفع
اهلها على حد لم يسبق بها وابقاؤه عليها ما يقوم بها • فمن ذلك السوق الجديد الذي
بازاء خندق القصبة من جهة الجنوب وهو سوق فسيح الفناء انيق المنظر والبناء وغير
وكان بناؤه سنة ستة وثلاثين ومائتين والف وبنا بالقلعة بيوتا ومقاصير انيقة وجدد
ما وهى منه وقد كانت قبله خرابا وهو الذي استجد البناء للخندق الغربي الكائن بين سوق
الخضرة والحدادين وبنا المخازن الذي على يمين الداخل منه للقلعة وشماله وبنا الحاجز
بين القلعة ومجلس قائد الخندق حتى منع الداخل لغير حاجة وبنا السقيفة لمستقي اهل
السفن على ساحل البحر التي لحق نفعها المسلم وغيره من غير تعب وبنا الحواصل على يمين
داخل القلعة من الباب الموصوف الملصقة بسور المدينة المفتتحة تجاه القلعة وغير ذلك
من مهمات المسلمين وكل هذا مع ضيق يده وكثرة ما يكلف شكاية الفقراء فيه فتجده ثم اعانة
المصالح يستدعي جباية الخارج وربما استعجله مولانا من لم يدر حاله بالجور اعانه الله
ووفقه • ومن حلمه تجاسر العمال على التجري على الرعية فيزيدون شيئا لم يدره وياتيه
الرعية فيقبل قولهم فيستدعي العمال فيسليهم فيحلم عليهم فيظن غير الخبير باحواله
انه راض وقد شاهدته مرارا يصرح بان الرعية ثقل عليهم المغرم وانه لم يجد سبيلا
عن رفعه عنهم للحاجة فعلمت ان ذلك من جور العمال وادراجهم في اللازم ما ليس
لازما فيقول السلطان لابد له منهم وهو كحد عاهد البيت جزء منه ويتعلق بالجباء وهو كما
لما شاهدناه من جبايته • فقد كان ارسل كاهية وهو صهر [illegible] يطلب
العامل في شيء يستعين به على مصلحة فلما اتى بلد تا يطلب عاملها في ذلك وهو اذذاك
سالم بن خليل اللادغم تعلل له بضيق اليد وانه لم يبق به المعروض له على الرعية على العمل
واستشار في ان ياخذ ذلك من اهل التحرير من الوظائف المخزنية ففوض له الامر
فاول من قصده بالسوء جماعة [illegible] واهل حمايته لمنافات طبعه طبع [illegible] اذ لم
لما عليه المحاباة من مداومة الطلب ولما كان يسمعه منه النصيحة [illegible] على
به من جهة الشرقي الخارج [illegible] اذ ذلك حتى يفضله فكتب
على لسان الكاهية وارسل يطلبهم وامر رسوله ان ياتيه مواجهة اقراء الدرس
عشية واتى بالمسجد ودخل يتخلل الطلبة حتى انتهى الى [illegible] خطاب
عام فعلمت غير المخاطب فقال امرني سالم ان ادفعه اليك على اي حالة كنت فلا [illegible]
الى ان توجه وفوت اثره حتى المت بالكاهية موجدته نخيلا معدلا له خارج بيت
العامل صلاة المغرب فحبسته وجابر على طبعه واحضر طعاما بين يدي الكاهية

فدعا

بعد عادة اليه فجلست بإزائه حتى تناولوا الطعام ثم سألته عن الطلبة أهي من أمير
المومنين لخصوص الفوج فقال إن أمير المومنين لم يعين أحدا وإنما أرسل لطلب
بطلب العامل بذلك وهو الذي عين فلا تستشفعوا عند الكاهية فتشفعني
ودعا العامل وقال أنا قد تشفعنا فلا نذ يمحي إليه أتنفعني فقال لا بد منه فأجابه
الكاهية أنا قد شفعنا فعاد في كلامه على مقتضى طبعه فأمر الكاهية
المسير لأهله وقبل الشفاعة وأصبح عازما على القفول بادية تلوح عليه يقتضي
من عمالهم مطلوبة فلما مضى وجه إلي كتابا أخر على لسان الكاهية ومكنه
من رسول لا يعقبه قولا وتهدده إن لم يفلح في القول بحقه وإنا لفي درس
الفقه بعد أن أفضيت من تفسير آيات كنت أقدمها أمام الدرس للتبرك بكتاب
الله فدخل الحلقة فقلطني وناولني فيها الكتاب فلما قرأته فإذا هو مزور على
الكاهية فعلمت أنها من العامل لدسرا سنة أخلاقه وعدامة ذوقه وغلظة
طبعه لما يعلم من غيرتي على حلق العلم فيقطعني بذلك فلا غلظ في القول فنبهته
فأشار وركبت متوجها لأمير المومنين فمررت بالكاهية فاحتشم وأعذر لي الخير
ولما أتى متوجها للحضرة أخذ بيدي وعاد العامل وحضر عنده الرسول وعاتبه
وكلمه بلسانهم وأنا لا أفهمه وقال إنما اختص بالترك وحط منهم فخدعني بكتاب
الغائب أرسله إليه بعدم مطالبة الفلان بشيء وأن يعلق فلا تلومني إلا نفسك
واصطنع علي حتى قدم على الغائب واعتذرت بجوابه وملاطفته فاتفقا أن يعلم الغائب
بأخبار رسله واضطمت جنابه بعد أن من الرعية لاحق لهم في أعينهم وتكون
الكاهية شاهدا بذلك فلما بلغ أمير المومنين الكتاب ظن صدقهم فبعث بطلب
أهل جمايتي بمبلغ من المال ونبه في الكتاب على عدم قرب حرمه وإخوانه وأمر أخص بنا
فركبت وهو مخمر وحضرت قبل أن أدخل حلقة الدرس فأمرني فجلست وسألته من
أمير المومنين أعندكم فقال من أمير المومنين فأجبت السمع والطاعة لما أراد بقتل
أو غيره فقال فعال فغلت عاقبة ما علينا نعمة وليته فينا وليته فلما قرأت الكتاب
فإذا فيه التحريض على عدم قرب ساحتي فشكرت الله وأثنيت على أمير المومنين
وعلمت أنها خديعة موجبها تصديق أمير المومنين كاهية حتى أوقع بحاشيتي ومكانها
وخاطبت العامل بلطيف القول فلما سمع من القول ما ينافي طبعه إذ قلت له تشترا
ولا فتوط بسببه وضرب فحماه الله من شره وود وبعث له الطلبة وتوجهت للحضرة
فلما قدمتها منعت الدخول يومين فلما خفت عنها وعزمت على الانتقال ثم أتاني منه
جواب لطيف وورد علي ما دام بقيت عن حاشيتي وأمر بدخول فحضرت بين يديه فلما سلم

شاهدته رأيت ماء الحياء يترشح من جبينه وتلطف واعتذر مما حل بي من الروع فكان
من جوابه فمن يوم ان حللتم بجواري رأيتم مني ما تكونون اهلا له احتراما على ما اوليتكم
من الاحترام فلم يبق الا ان اخص نفسي في العطاء الى احد زاويتكم على من يقصدها الا انه
لكم وظيف ما تأخذونه من الاملاك الموظفة من اهل الخراج وعدد علي من نعمه ما لا
استطيع ان اقابله الا بالدعاء الله فيكم كافأته فلما انتهى ذلك اخرجت له اوراقا معروف
فرأيت منه الكرم الله ان تعداد هذا لا يعنيه وانما هو شيء ينزجد فيه فلما اعترفت
بها زاد في الانعام ووعد بالزيادة في العطاء وعمل بمقتضى الابيات التي كنت
انشدتها توجيهي اليه وهي هذه • جئناك للفضل في سعي بلا حذر ولا •
تدع من الفضل شيئا للذي جاءك • هذا ابن غلبون قد امر جواركم • لدفع حادثة
عظمى برجاك • حلت به من عديم الذوق تحسبه • من لم يخالطه انسانا ولا ذاكا
عدم تشكل فيما في العالمين له • نظير الا اتانا جل ذكراك • خاطبته بكتاب فيه مطلب ما
العاطه عدته تثبيت بمعناك • وقلت ان الذي للعلم نسبته • كذا حرمه لا انظاه
خولاك • يخالف الامر فيه بالاذاله • وانت تعلم من يوذيه اذاك • تريد اعزازه
وهو يريد له • ذلا يجنبه في الملك ظاهراك • بل استقل به لو كان شاركم لكان
في بعض ما قد قلت راعاك • اتكفنا كفاك الله شر لظى • وكان في جنة الفردوس
ماواك • **فلما** بلغته الابيات رفع يده عن العمل والحق مثوانا وهذا العامل
واضرابه في التشكل العقل احدى المعايب التي يعدها العقلاء على امير المومنين
لما يشاهدون من جماله ولطيف شمائله وسليم طبعه وزايد دهائه وهم على
الضد من ذلك من جفاء طبع ونكر صوت وعدم تمييز فيما يصدر من لغو وعدم
دراية بالسياسة لكانهم اهل البداوة ومنهم تورطت وتوغلت وما دروا انهم لا يفد
منهم احد وانما لكن لغلبة الحياة عليه وتصليه وانشغاله عنهم في لا يسعهم
ردا شغلا عنه من حد في اوداد يوليهم رغبا للغير وهو مطلوب ولو حلى وتعصب
للتنزه عن النظر اليهم فضلا عن خطابهم او يصغي اليهم باذن او يكون علة والله
غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون **لطيفة** حكي ان المامون خلا
مجلسه يوما من المشاكسين وارباب الحوائج فدخل من دكة كان خاليا بها فوجد
بعض الناس منتسبا بلا قدر الكتابة فنظر الى صورة مهولة المنظر فاستنطقه
فلحن فامر باخراجه فتلطف اليه بالشفاعة فيه وقد من ادخل هذا دار الملك
قصد تكثير معايبنا روح الحياة ان ظهرت كان قد جمالا وان خفيت كانت ادبا وهذا
الادب ولا جمال فاخرجوه ولام من ادخله لوما شديدا وكم لذلك من فضايل

ابقاه الله
تعالى موفقا

تعالى توفيقا ورشدا، لما يعنيه من الخير وتداركه بالحسنات، ومن جميل فضائله الدالة
على تأييده الحسنة ما فعله مع رجل شريف من عقبي منتسب للعلم وجد عليه صفر
الكف فلما حل بجواره كفاه مؤنته وأقام في كرامة إلى أن درج من حضرته وصلته
بخمس بل بخمسة مطالبك ومائة دينار ذهبا كبيرا وأما فعله مع الفقهاء والعلماء
أبي الحسن علي المكناسي وأبي العباس أحمد بن الصغير وأخيه أبي عبد الله محمد المكناسيين
لما قدموا عليه صفر الأكف فرض لهم العطاء وأقام لهم ما يحتاجون من فرش ولحم وإدام
حتى غدت أيديهم عليا العلا والرفعة وله السياسة الفائقة على سياسة كسرى
أنوشروان العادل فلذلك طالت أيامه فبالعدل تطول أيام الدولة وبالجور تدهم الدولة
وتضمحل وتزول بالكلية فطالت أيامه وشاد ذكره، حتى صار جداء الملك وله أولاد
أنجاب وهم ثلاثة الأمير محمود باي صاحب ولاية برقة والأمير يوسف باي صاحب
أعنة الخيل بين يدي أبيه والأمير محمد باشا من تلف منهم تلف كأنك لا فيه تسيدهم
مثل النجوم التي يهتدى بها السارى وفقهم الله تعالى وأرشدهم للخير وفيهم
زائد لطف ورقة تواضع لم يوثر عليهم تجبر ولا غلظة مقتفون أثر والدهم أقر الله
بهم عينه وأخلد ملكهم وجعل منهم للإسلام خلفا موفقا وأما حسن محبته
لعبيده وحاشيته فهو الغاية القصوى التي لم تؤثر عن ملك سوى القليل كالمعز
ابن باديس ومحمود بن زنكي ومع هذا إذا كان لأحد قبلهم حق شرعي ألزمهم
الوقوف معه للشريعة فإذا وفوا ولزمهم أدوا ولو تتبعنا فضائله لعجز القلم
عن الحصر وفيما ذكرنا كفاية والله ولي التوفيق وهو المولي في إتمام النعمة
عليه والختم له بالسعادة والله على كل شيء قدير **خاتمة** تشتمل
على فائدتين الأولى في حقيقة الملك وتوابعه الثانية فيما يحتاج إليه من أعوان
وسياسة وأوصاف المعين والوزير وماله وعليه الإمامة المرادفة للملك على ما
اصطلح عليه عرفها الآمدي بقوله خلافة شخص للرسول صلى الله عليه
وسلم في إقامة الشرع وحفظ الملة على وجه يوجب اتباعه جميع الناس قال ابن
عرفة انظر هل تخرج عنها إمامة هدى فيتحقق وظاهر نصوصهم والأحاديث أنها إمامة
لا تنقض **قلت** النصوص الواردة في ذلك قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بهم الأمراء والآية
مطلقة في كل أمير عادلا كان أو فاسقا ومن الأحاديث الواردة في ذلك قوله عليه
السلام من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير
فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني وغير ذلك من الأحاديث وقد ذكر ناس

من ذلك جملة كافية في غير هذا الكتاب وعرّفها ابن عرفة بقوله صفة حكمية توجب امتثال
امر موصوفها في غير منكر عموما فيخرج القضاء لخصوصه **قلت** ويسمى
القائم بهذا المنصب خليفة لخلافته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته او العاصي
الذي قبله قاله الماوردي ونشأ من هذا فروع احدها اطلاق الخليفة كما تقدم عن الماوردي
وتقييدها برسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي ينبغي ان يقال خليفة الله بل يقال
الخليفة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامير المومنين وحكى هذا القول الماوردي
عن الجمهور وقال البغوي لا باس ان يسمى القائم بامر المومنين امير المومنين والخليفة
وان كان مخالفا لسيرة السلف وائمة العدل لقيامه بامر المومنين واعلم ان بيعة
الخلفا والملوك مدلوله لان احدهما بحسب العرف اللغوي والمعهود الشرعي وهو
العهد على الطاعة وذلك انهم كانوا اذا عقدوا عهد الامير جعلوا ايديهم
في يده توكيدا للعهد بذلك فاشبه فعل البايع والمشتري فسمي بذلك الفعل
بيعة وصارت مصافحة بالايدي ومنه بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
وتحت الشجرة والثاني في الاعتبار المشهور لهذا العهد قال ابن خلدون وهي تحية
الملوك الكسراوية وهو تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل ويطلق على هذا اسم
البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازا لكون الخضوع لوازمها علاقته اللزوم
واستمر الاطلاق حتى صار لفظ البيعة حقيقة عرفية لهذا اذ تستعلي الملك
بهذا عن مصافحة ايدي الناس لعاليه لكل احد من الابتذال المنافي للرياسة واعتمد
الملوك هذه البيعة دون البيعة الحسية لعاليه من صون الملوك عن الابتذال
في تراجمهم في الاغلب يجرون هذا مع عامة الخلق الا في الاقل من الناس من خواصهم ومشاهير
اهل الدين من الرعية وانما سقت هذه الفوايد احدها معرفة ما يلزم الانسان
مع ملكه شرعا والثانية رد ما سمعناه غيره واحدا من قبل في الملك ليس
بصايع فلا يلزمه ما يلزم المبايع والثالثة معرفة مصدوق البيعة لغة وعرفا ومن
توابع نظر الخلافة في مصالح الدنيا والدين لوازم الطاعة له في ذلك تولية
الخليفة العهد لمن يوصي به بعد مماته خروجا عما يخشى من التقصير في ذلك
وقد عهد ابو بكر لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعمر في الشورى الى الستة
العشرة بعد رضي الله تعالى عنهم وعند ما اوجبوا على انفسهم طاعة العهد
دل ذلك على انهم اجمعوا على جواز النظر به اولا وعلى انعقاده بعد الوقوع
ثانيا قال ابن الازرق في بدايع السلك واذا خص الملك الابن بولاية العهد
فلا تهمة فيه خلافا لقوم قال ابن خلدون فاذا كان القصد بالعهد حفظ المراد
على الابنا

على الابناء فليس ذلك من المقاصد الدينية والملك لله يوتيه من يشاء، **ولما**
كان الحرب امر طبيعي للبشر لا تخلو عنه امة ولا جيل ولم يزل واقعا في الخليقة مذ براها
الله تعلى وابتلى بعضهم ببعض واصله ارادة انتقام بعضهم من بعض وللاسباب
توجب ذلك وتحمل عليه واسبابه في الاكثر اربعة احدها الغيرة والمنافسة
واكثر ما تكون بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة الثانية البغى
والعدوان واكثر ما يكون في الامم الوحشية كالعرب المتوغلين في البيداء والترك
والاكراد وأشباههم لانهم جعلوا ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم في ما بايدى الناس
من غيرهم ومن دافعهم عن متاعه اذنوه بحرب ولا بغية لهم في ما وراء ذلك من رتبة
ولا ملك الثالثة الغضب لله تعالى اولدينه القويم وهو المسمى في الشريعة
بالجهاد الرابعة الغضب للملك والسعي في تمهيده وهي حروب الدول مع
الخارجين عليها والمانعين لطاعتها قال ابن خلدون والاولان منها حروب
بغي وفتنة والاخران جهاد وعدل قال ابن الازرق الجهاد في الاخير مقيد بعدالة
السلطان قلت ـــــ وفيه نظر يدانا نذكر ما يحتاج اليه الحرب من سياسة
اذ حكمة نصب السلطان تسكين روعة الخلق وكف اذاهم واقامة الشرايع وبالغنى
تنتفي فنقول احسن السياسة في الحرب واوثقها بالظفر الزحف صفوفا ــ
لتشبهه بالحائط فيرهب العدو ويزيل طمعه وكذا كان حرب الصحابة والسلف
الصالح وهذه الصفة محبوبة لله تعلى وناهيك بخصلة صرح الله بحبها فقال
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص اي يشد بعضه
بعضا بالثبات ولم يزل هذا داب صدر الاسلام في حروبهم الى ان خرج الضحاك
الخارجي عن مروان ابن الحكم الاموي فابطل مروان الزحف صفا ومال الى تعبية
الجند كراديس كذا ذكر الطبري قال فنوسي الزحف بابطال الصف واداب
تعبيته الجندي اذ يسران يجعل بين يدي الملك عسكرا منفردا بصفوفه متميز
بقايده ورايته يسمى المقدمة ثم اخر عن يمينه يسمى الميمنة ثم اخر شماله
يسمى الميسرة ثم اخر من ورايه يسمى الساقة ويوقف الملك واصحابه وسط
هذه الاربع الغريب ترتيبها من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ويسمى
جمعة القلب هذا ان كان ولابد من القتال واستعماله لا قبل هذا المكايد
وهي كثيرة لا تحصى ولنذكر منها نبذة للحاجة الى ذلك فان الوصية بذلك
متكررة والنفع بها مشاهد فقد قالوا رب حيلة انفع من قبيلة وقالوا اذا طالبك
عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه عنك واذا طالبك بالمكيدة فلا يفوتك

أمره عسكره وإن كان عظيما وفي المثل المكيدة أبلغ الأيد وفي الصحيح عنه صلى الله
عليه وسلم الحرب خدعة أي ينقضي أمرها بخدعة قال الزركشي المعنى أن المكايد
في الحرب أنفع من المكابرة والعناد فيقول إن كان القتال مع قوم يتحرزون عن الحصن
فأول ما يبدأ به الجواسيس الثقة بأن يبثهم في عسكر العدو وبلاده ليعرف
أخبارهم مع الساعات وما عندهم من العدة والعدد وما لديهم من المكايد
والحيل وكم عدد رؤسائهم وشجعانهم وما منزلتهم عند صاحبهم ويدس من
إليهم ما يخدعون به حتى يفسد ما صاحبهم أو يهربوا عنه ويخذلوه عند لقائه
قال الطرطوشي ووجوه الحيل كثيرة لا تنتهي إذ عقله لا ينكيف والحاضر يبصرها
أبصر من الغائب المكيدة الثانية أن يلقي على ألسنة الناس أن كبراء العدو
إنهم يكاتبون بالخدمة ووعدوا الوفاءات بإظهارها ويشيع ما يزور من
ذلك لتقوى به القلوب ويتحدث الناس يصفونه فإذا بلغ العدو ذلك لا بد
وأن يتأثر له وإن علم كذبه وكذا فيمن يرسل إليهم كأنه جواب ما وصل منهم المكيدة
الثالثة أن يخفي الأخبار عن العدو ويسدون أبواب العلم حتى لا يطلع على ما
يحمله على اغتنام فرصة أو يحاول فيه إبطال مكيدة وذلك بأن ذكاء العيون على
الجواسيس المترددة إليه من مراصد الثغور عليهم وأماكن الثغور إليهم وشاهد
هذه المكيدة ما في الصحيح من دعائه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة اللهم أعم
عن قريش الأخبار المكيدة الرابعة موالاة طائفة من العدو ومصالحتهم متى
قدر على ذلك وأمكنته الخديعة فيه فقد قيل ليكن السلطان الغريب من أعدائه
مداهنا ومصاحبا ليعرف به الأخبار بعينهم ويهدم به اتفاق جمعهم ويتسبب
به إلى خلافهم وتشتيت رأيهم وقيل الصلح أحد الحربين التي يرجع بها
العدو عن المضرة فإذا كثر أعداؤك فصالح بعضهم واطمع بعضهم فيصلحك
واستقبل بعضهم تحريك المكيدة الخامسة تولية بعض رؤساء العدو
المتمردين على السلطان وتضريب بعضهم ببعض فقد قيل إذا ابتلي
السلطان بقوم ذوي نفاق وشدة وقلة انقياد إلى الطاعة فليوقع منهم
رئيسا وليلق بينهم الخلاف ليكفيه بعضهم مؤنة بعض ويبقى هو في اس
راحة وليبدأهم بعزة قبل القتال فإن كان القتال فله مكايد تخصه الأولى
إعمال الجهد في تحصيل أن تكون الشمس في عين العدو والريح في وجهه قال بعض
فإن سبق العدو إلى ما هو الواجب ولم تمكن إزالته عنه اجتهد في الزحف
للعرض فيكون لك وعليك أمر الشمس والريح وكان أحب أوقات اللقاء للرسول
صلى الله

صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس وصليت الصلاة وهبت الرياح ودعا المسلمون
الثانية وهي أهم ما يعتنى به التكبير وإن كان يسيرا فإنه إذا ظهر أثره في القلوب رعبا
وفي الأعضاء ضعفا وفي العقول جمودا فأقل بعضهم ولا يدوم إدمان مقاتل على
خصمه إلا إذا أمن من ورائه ولو من رجل واحد ولا تحط كثرة العساكر
المهزومة فالتكبير في الجاهلية والإسلام الثالثة إخفاء مكان صاحب الجيش
من العدو وتحوله لخواصه وتنقل القتال من موضع لآخر لكي لا يقصد العدو
عزته وإن كان القتال المختص بحصن أو مدينة فالتكبير التي هي أولا أما
يبدأ به أهل الحصن استمالتهم قبل المناهضة فإذا دعوا فأخافهم فإن الحرب
إذا انتشبت كانوا بعدها أشكر وعاء أتسر بها فالوا وفي استمالتهم
خصلتان معرفة أسرارهم وتمكن إخافتهم وينبغي أن يدس فيهم من يصغر
شأنهم ويوبخهم من المدد ويعلمهم أن أسرارهم مكشوفة وأن يدار
حول الحصن ويشار إليه بالأيدي وكأن منه مواضع حصينة وأخرى ذليلة
وغير ذلك من الكتابة على النشاب فيما يخرجونه على الأغتدار وأعمال الحماسة
ليكون ذلك أرهب لهم وبالجملة فملاك الآداب كلها جمعها قوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا
ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين
الأربعين الثانية في العشير وصافيه اعلم أن أركان الملك وقواعد مشيداته
ضرورة وكمالا راجعة إلى أفعال تقيم وجوده وصفات تصدر بها تلك
الأفعال التي تقوم بالصورة الملك ووجوده ونذكر منها هنا طرفا مما لها إن شاء
الله تعالى الفعل الأول الذي هو ركن من أركان الملك نصب الوزير إذ السلطان
لما كانت قواه البشرية لا تستقل بحمل ما قلده اضطر لمشاركة معين يتم به
استقلاله وقد أرشد إلى نصبه الكتاب والسنة فالكتاب قوله تعالى حكاية
عن موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لما أرسل لفرعون وكانت فيه لكنة
وعلم أن قواه لا تستقل بما حمل واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد
به أزري وأشركه في أمري وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال إن لي في السماء
وزيرين وفي الأرض وزيرين فاللذان في السماء جبريل وميكائيل واللذان في
الأرض أبو بكر وعمر كذا رواه الترمذي في نوادر الأصول ومن لازم هذا الاضطرار
استحالة قصور الاستغناء عن مطلق المشاركة المنوطة بالمرتبة السلطانية
لامتناع تخلف ما هو طبيعي ومن ثم قيل لا تعتقد أن رياسة تقوم بغير

بغير وزير قال الشاعر • فهبك لم تصد فك ويكرنك النهى • فذا وهمتك عناء الوزراء
لم تغن عن احد سماء لم تجد • ارضا ولا ارض بغير سماء • نعم فمكرا الكفاية التي
تحصل في المشاركة كما في صدر الاسلام لعقد رتبة الملك وحيثما كانت الوزارة
بهذه المثابة يجب اعتقاد تعظيمها فقد قال الطرطوشي اشرف منازل الادميين
النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفي العهود اليونانية كان في الحكمة الجارية
في اليونانيين تعظيم الوزارة وتفضيلها على ساير الشئون قلت غير الخلافة
كما تقدم ويحتاج في النصب لها الى قيام اوصاف من الفضل بالمنصوب يستحق
فيها ما للرتبة من التعظيم والمشورة فاذا اتخذها السلطان كان من اعظم الشواهد
على احرار السلطان فضيلة السبق فقد قالوا اول ما يبدو من عقل السلطان
وقوة تمييزه وجودة عقله استنجاب الوزراء وانتقاء الجلساء ومحادثة
العقلاء وفي العهود اليونانية يحتاج من تنصب لها الى مكان من الفضل ورجاحة
في المعرفة يدبر بهما ما عسر على الملك حتى يخرج في احسن صورة فمنها ان لا يكون متكبرا
وان يكون عالما او اكد في علمه وان يكون عالما بادب الناس وسير الملوك وسياسة
الرياسة وادب الخدمة ومعرفة الخط والكتابة والحساب ومنها ان يكون جيد
الفهم ليتصور الامور على حقائقها ويحكم عليها بما يجب لها نفيا واثباتا ومنها الذكاء
والفطنة لئلا تدلس عليه الامور فيشتبه عليه ومنها قوة الحفظ ليتذكر ما يلقى
او يغفل عنه لانه شاهد له وعليه وشرط الشهادة العلم بمتعلقها اداء وتحملا
ومنها المعرفة بضروب الحيل بحيث لا يخفى عليه وجه المصلحة فيها ولا تشتكي
الرعية وفي السياسة المنسوبة لارسطو اذا علم الخدمة ان الوزير عالم بطرقهم لم يقدموا
على ادخال اخلال ومنها الحنكة والتجربة ليحمل على صحيح الراي وصواب
التدبير ومنها الصبر على ما يقوم به من سلطانه لا سيما مباشرة العامة وفي محاسن
البلاغة يحتاج ساير الناس الى سعة الصدور واستشعار الصبر في احتمال
بوادر العامة وابهام الجاهل وارضاء المحكوم عليه والمهلع والممنوع مما سال
وتعريفه من اين حكم عليه ومنع سايله ومنها قوة العزيمة على فعل ما ينبغي
بحيث لا يتنبه عنه ضعف نفس ولا خور طمع جسارة عليه واقداما ومنها حب
العدل واهله وبغض الجور واهله ليعطي النصفة لاهلها ويشتد للمظلوم
وينصره وان سخط الظالم وعز عليه ارضاء للحق وارغاما للباطل ومنها رحمة الخلق
ليداوي بها ما يخرج من السلطان بغلظته وقد كتب معاوية رضي الله عنه الى زياد انه
لا ينبغي لنا ان نسوس الناس بسياسة واحدة لا نلين جميعا فيجعل الناس في

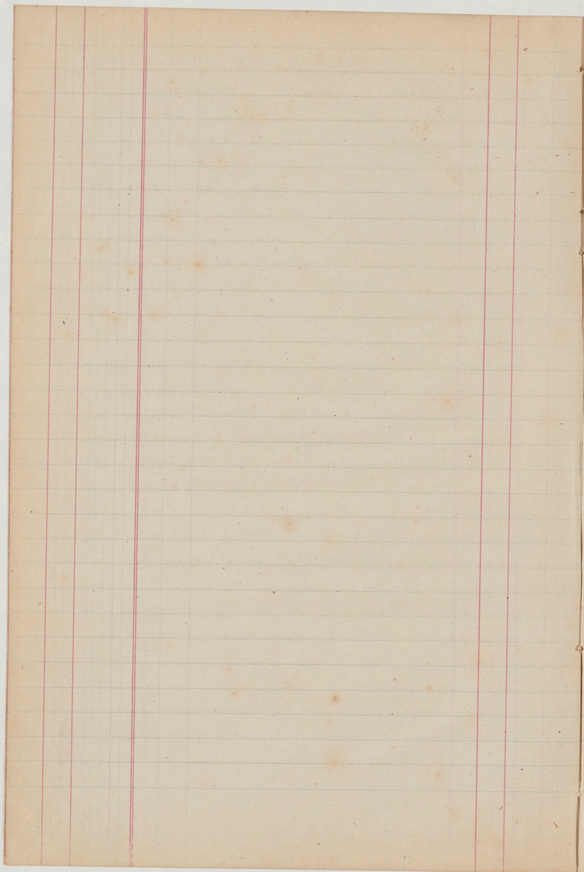
المعصية

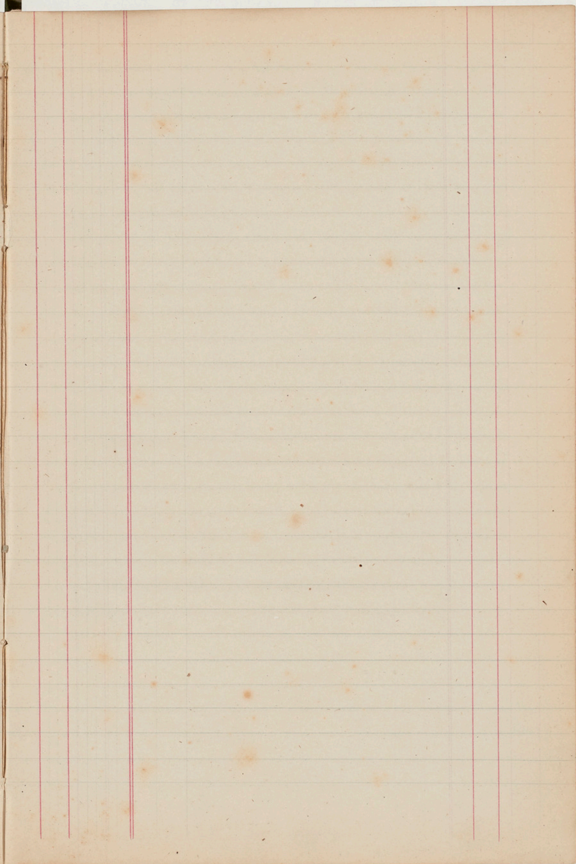
المعصية ولا تقتد فيبعد فيفعل التأسي في المهالك وليكن أبعد للشدة والغلظة
وإن اللرأفة والرحمة ومنها طهارة القلب من خبث السريرة ليكون نقي الجيب
ناصح الغيب وفي نصيحة بعض الملوك لوزيره لتكن أن ما يسرك منه أسرع فيما دونك
منك أنذار فيما تخاف عليّ منه وقال اجراعلم من أتاك فيما أتاك كما تقطع سوء
إياك ما لحب فإن من أي بكر كمن يشرك ومنها حسن المعاملة وسماحة الخلق
ولين الجانب وسهولة اللقاء واستعمال التواضع لتحمد عاقبته في العقود
المتواضع المتقلل من الوزراء الكثر الأمر طويل العمر مقبولا عداته قريب من الأحوال
المرضية عند ربه ومنها علو الهمة ليحب الكرامة ويانف من الفضيحة فتعز به
الدولة ويجمع جانبها من طوارق الذل والمهانة وعدم المروءة ومنها اعتدال الخلق
والسيرة قال أرسطو شيء من شرطه أن يكون معتدلا كليل تهامة لا حر ولا قر قال
ابن الأزرق وأن الحرفة سيرة السلطان تلطيف هو إلى الاعتدال كما يدل عليه كتاب معاوية
إلى زياد ومن قول أفلاطون أن من أخلاقه تامل معاوية الملك فإن كانت شدة بدة عامل الناس
بد ونها وإن كانت لينة عامل الناس بأقوى منها ليقرب من الاعتدال فيجمعه هذه جملة مما
يعتبر من أوصافه الخلقية نطق الحياة ويعتبر من أوصافه الخلقية أمور منها تمام الأعضاء لتأتي
له الأمور التي من شأنها أن تكون بها ومنها لأن منها تنفيس يتنفس عنه جمال الملك
ورتبته ومنها جمال الوجه وبطلاوته مع البشر والحياء لدلالة ذلك على شرف النفس
عكس الوقاحة المنفرة لا سيما مع الصلب والقباحة ومنها صدق اللسان ليصل
في الكذب من المفاسد المخلة بمصالح الدنيا والدين ففي دمنة وكليلة السلطان
كالطبيب والرعية كالمرضى والوزير كالسفير بين الأطباء والمرضى فإن كذب
السفير بطل التدبير وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب
نقيض دائه فإذا اشتغل الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل
للملك ما ليس في الرجل فيقتله ومنها حسن العبارة المؤدية لما في النفس بإفصاح
لغة وأوضح بيان ومنها صمت اللسان عن فضول القول وكثرة المزاح والتعريض بالناس
والاستخفاف بهم غيبة وحضورا ومنها الشجاعة وغيرها من الأوصاف الحميدة وفيما
عيناه منها كفاية وإنما اعتبرت فيه هذه الخصال لأن به تتم سعادة الملك ولا يكون
سعيد الأبها وبعد هذا فما روينا في سنن النسائي وأبي داوود من طريق عائشة
رضي الله عنها أن رسول صلى الله عليه وسلم قال إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزيرا
صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي
لم يذكره وإن ذكر لم يعنه ولفظ النسائي من ولي منكم عملا فأراد الله به خيرا جعل له وزيرا

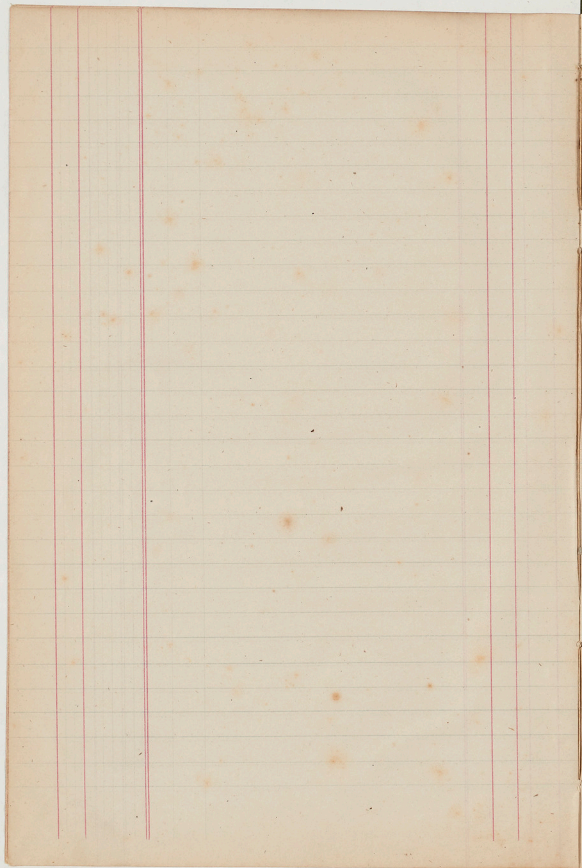
من الحال فينبغي ذكره وان تذكر اعانه وقد ذكر العلماء ان صلاح السلطان وفساده لازم عن صلاح
الوزير وفساده قالوا موقع الوزير من الملك وموقع الملك من العامة وكما ان السلطان اذا
صلح صلحت الرعية واذا فسد فسدت فكذلك الوزير اذا صلح صلح الملك واذا فسد
فسد الملك **قلت** واذا كان صلاح الرعية بصلاح السلطان وصلاح
السلطان بصلاح الوزير فصلاح الرعية بصلاح الوزير ضرورة وكذا في العكس
ومن ثم قال افلاطون طاعة الرعية بسداد الوزراء وصلاح الوزير يكون بصلاح بطانته
واعوانه ضرورة ان كان ذا بطانة صالحة صلاحه متوقف على صلاحهم لحديث ما من وال
الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تالوه
الا خبالا فمن وقي شرها فقد وقي وهو الى من يغلب عليه منهما كذا رويناه في
سنن النسائي من طريق ابي هريرة رضي الله عنه قال الاستاذ ابو بكر الطرطوشي شر
الوزراء من كان للاشرار وزيرا وبطانة ودخلا ويجب على السلطان المشورة
في كثير الامر وقليله قف وصية ارسطوطاليس للاسكندر راع وزيرك فقليلك
اكثر من اعانك لنفسك وشاوره في قليلك وكثيرك واذنه مجالستك فانه زينتك في الملا
وانيسك في الخلا وسائر الابناء والضراء ومواقفته على امضاء ما ظهر صوابه
من رايه ويجب على الملك اقامة الشرائع وتمشيتها على اصلها اذ بالشريعة
والعدل يبقى الملك وبعدم العدل يزول وبه تصلح الرعية وتعم البركة قال الله
تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا [illegible]
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض والايمان والتقوى لا يكونان الا باقامة الشريعة
الشريعة والعدل ولا انتفاع الا بالملك **قال المقفع** الملوك ثلاثة ملك دين وملك
حزم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا اقام للرعية دينهم فكان دينهم هو الذي
يعطيهم الذي لهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك وانزل الساخط منهم
منزلة الراضي في الاقرار والتسليم واما ملك الحزم فانه تقوم به الامور ولا يسلم
من الطعن والسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوي واما ملك الهوى
فلعب ساعة ودمار دهر وقال الحكماء الملك بيت الايمان وسقفه التقوى
واركانه الشرائع وفرشه العدل واستاره السيرة المحمودة فاذا تحلى الملك
باقامة الشرائع ابتهجت به الدنيا وتالفت به النفوس وعمرت به البلاد
وسرى في الرعية الصلاح وان اهان الشريعة ولم يلتفت اليها سرى الفساد
الى سائر طبقات العالم وقال ابن المقفع الناس على دين الملك وسرى الخراب الى

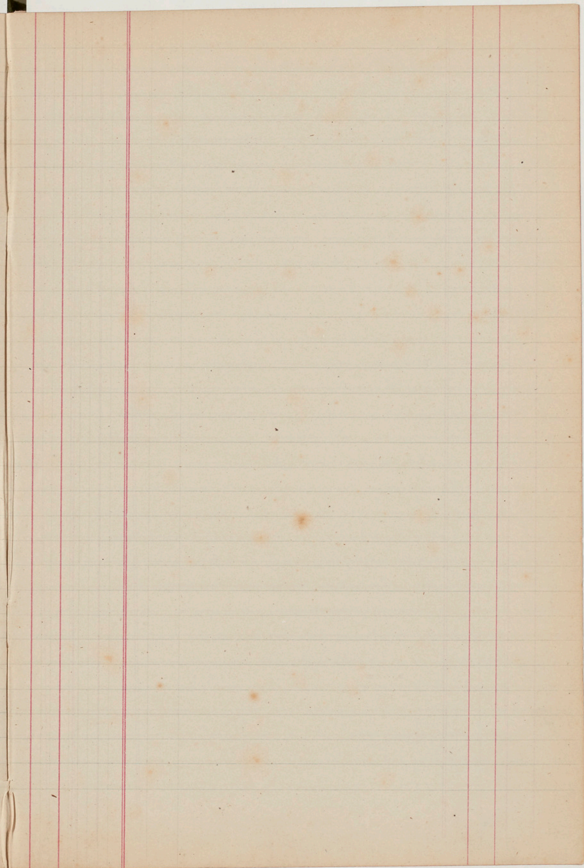
ملكه

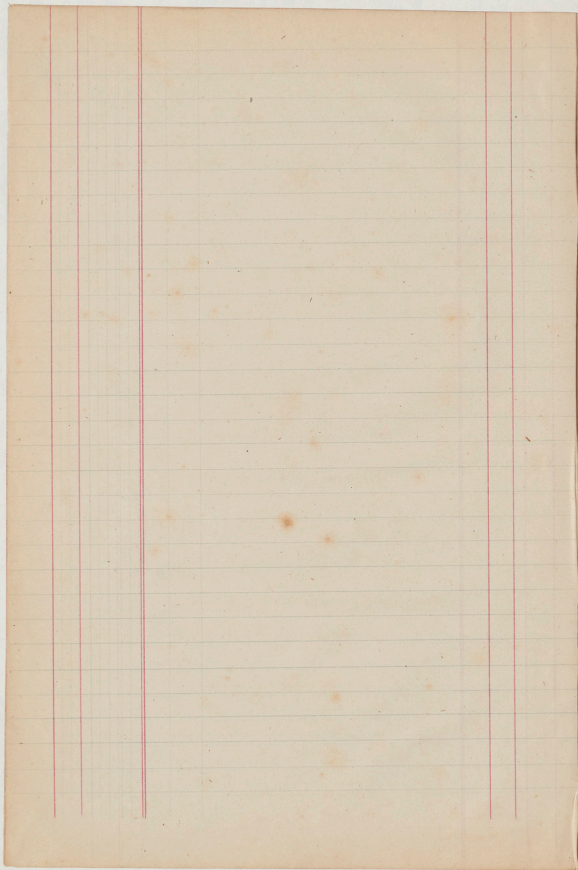
ملك طبعا لما تقدم من الملك الديني **قال** افلاطون اذا تخلى الملك عن الدين جاربته
الشريعة بالتخاصم ولم تحمله الا بمقدار ما يعد ملكا طبيعيا **فقد** حكى ابن
عبد الله مروان ابن الحكم اخر ملوك بني امية لما اقتفاه ابو العباس السفاح ملكه
وهرب الى النوبة بل الى ارض النوبة فسمع به ملكهم فارسل اليه هدايا واخبره
انه مرسل بعدها الى الامير قادم عليك فهيئ له فرشا وفرش محلا خاصا يطمع ان
يجلس عليه الملك فلما قدم عليه عارضه وادخله للجلوس على تلك الفرش فابى عليه
وجلس على الارض فقال له الا تجلس على فرشنا فقال النوبي لا فقال ولم قال لانه ملك
وحق على كل ملك ان يتواضع لله سبحانه وتعالى اذ رفعه ثم قال النوبي لم تشربون
الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطئون الزراعة بدوابكم والفساد محرم ولم تستعملون
الذهب والفضة وتلبسون الحرير والديباج فقال له انتصرنا بقوم من الاعاجم
حين قل انصارنا ولنا عبيد واتباع فجعلوا ذلك على كره منا فاطرق النوبي ساعة
وجعل يقلب يده وينكت في الارض ويقول عبيدنا واتباعنا دخلوا في ديننا ويكرر
ذلك مرارا **قلت** ——— واهل النوبة نصارى يعقوبية يغتسلون
من الجنابة ولا يطئون في الحيض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم
الله عليكم وظلمتم في ما ملكتم فسلبكم الله العز بذنوبكم ولله فيكم نقمة
لم تبلغ غايتها واخاف ان يصيبكم العذاب وانتم ببلدنا فيصيبنا معكم الضيافة
ثلاثة ايام فتزود واما احتجت وانصرفوا عن بلدي وفي هذا القدر كفاية ولو وجدنا
البدي اوصاف الملك وما له عليه لافضى بنا الامر الى ما فات عن هنا في الاختصار
والله تعالى الموفق وبحسب البداية تكون النهاية ولنكمل القصيدة التي بنا هنا هذا
الشرح • رويدك لا تعجل بدمك للبلى • فيا ايها الاسلام عزواته • فلا تفجع أمة
للثغور حنونة • فعاهدها فخا عدكم فهواته • ويفقد اهاليه من الفضل انها •
رباطا لمن قد قام في حجراته • صل وسلم با الهي على الذي • هدانا بنور الحق من
ظلماته • والال والاصحاب ما قال قائل • حذار فيم النفس شهواته •

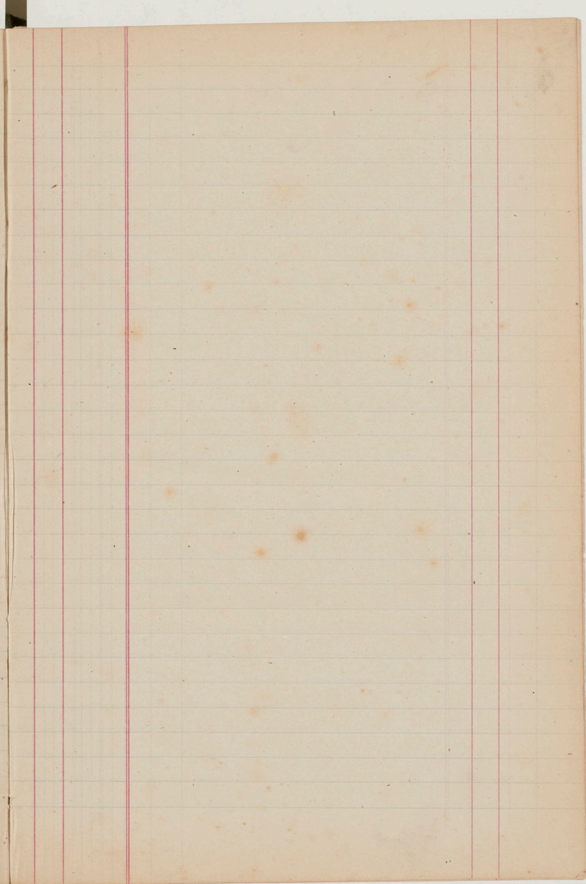


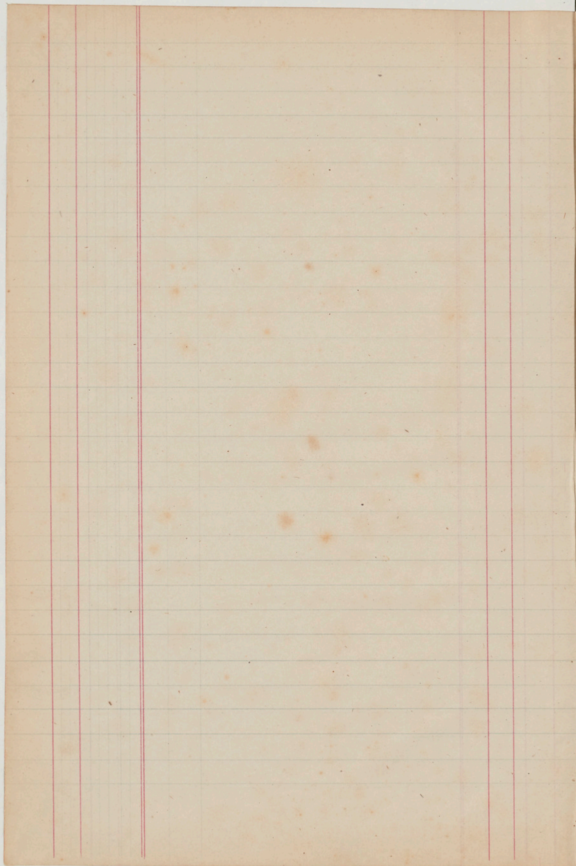


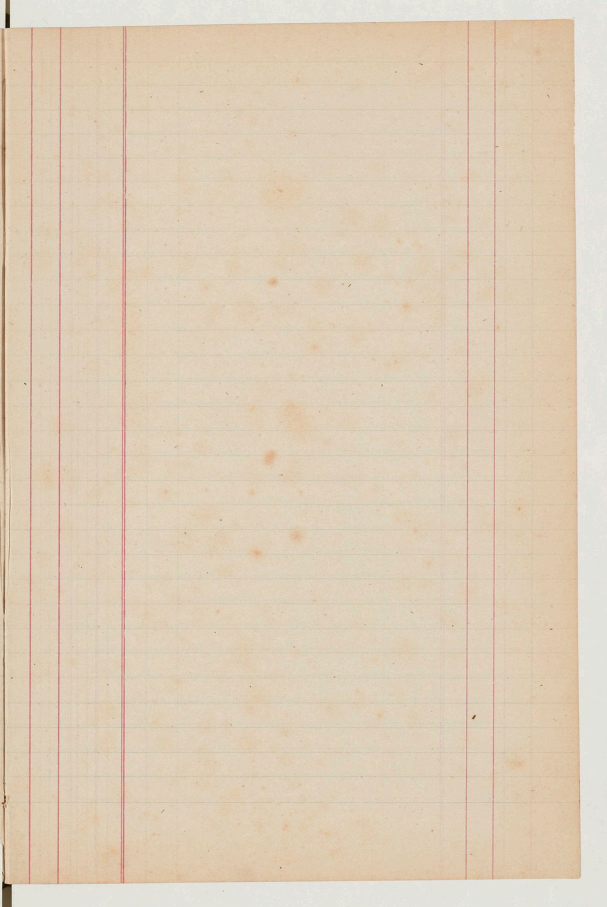


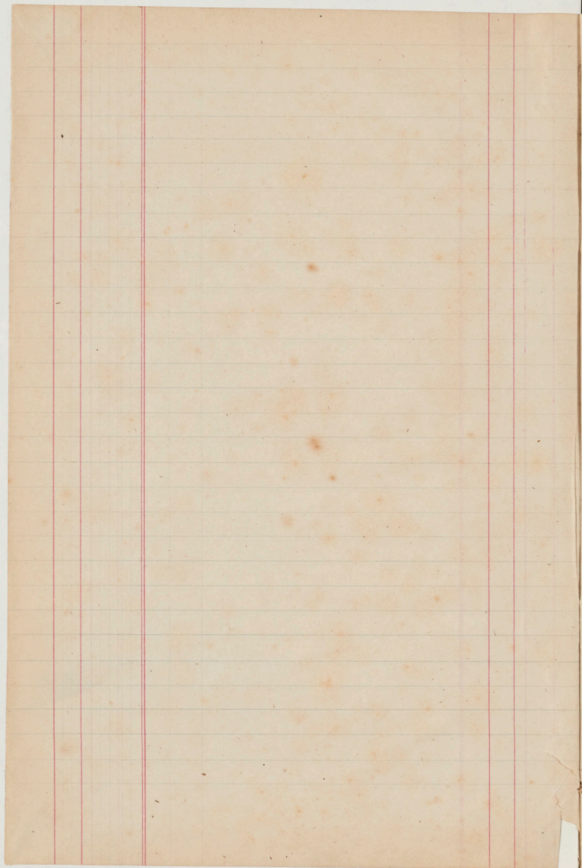


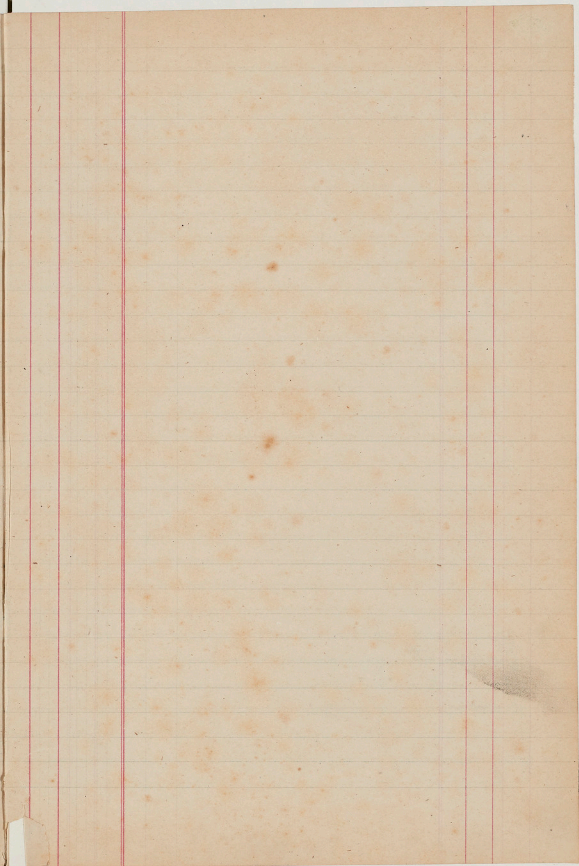


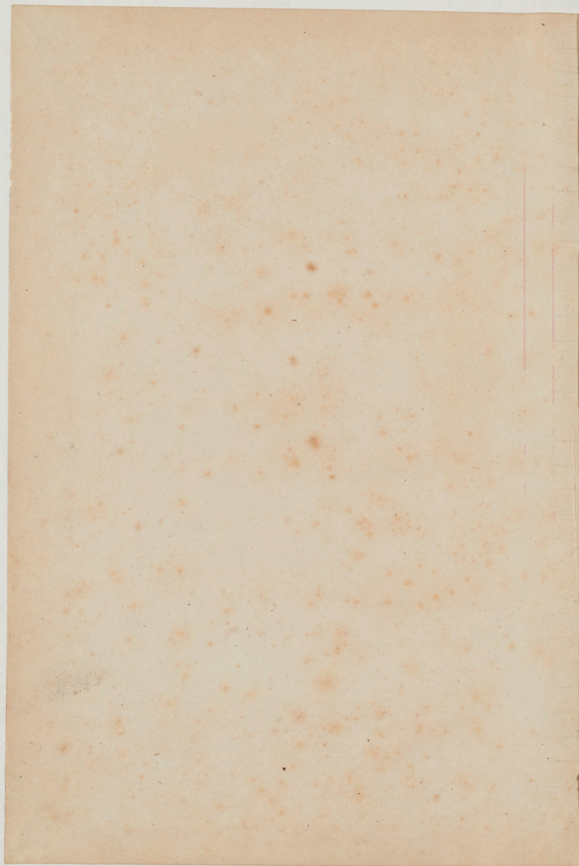


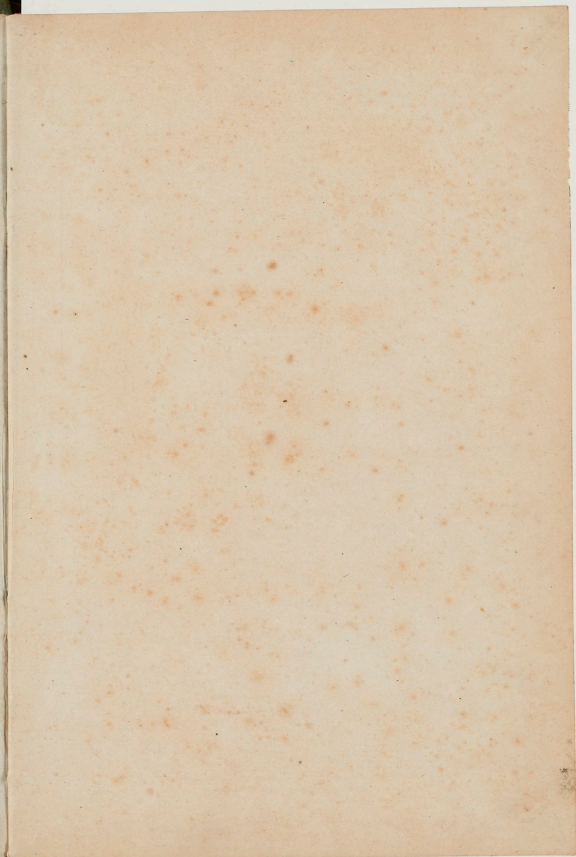


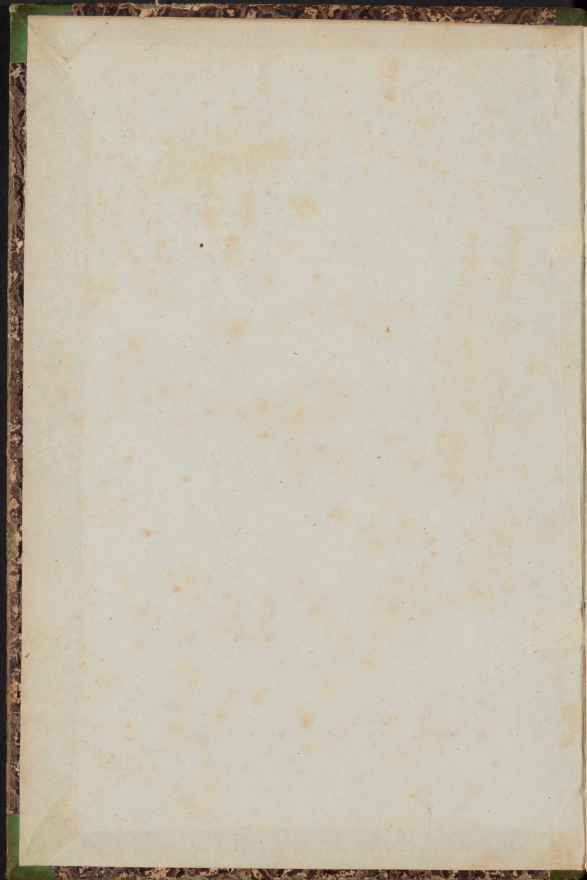


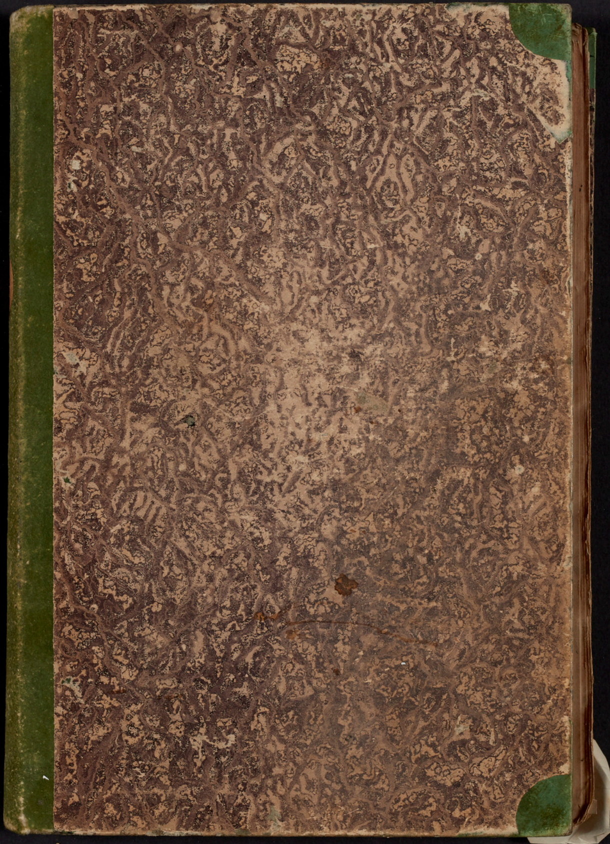


















Ms. 427.

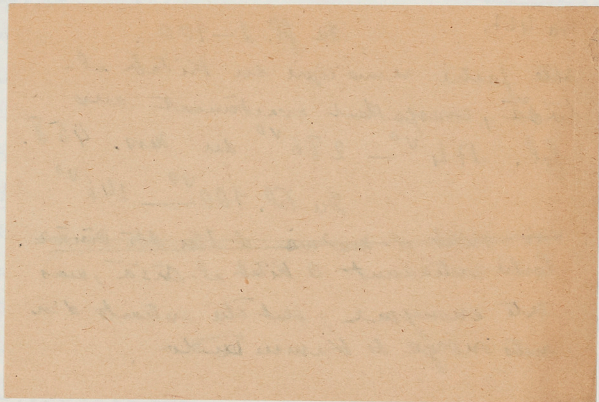
Du fol. 1–100.

Cette partie est une copie du Kitāb al-Bāšā, correspondant exactement aux fol. 174 v° – 286 v° du ms. 458.

Du fol. 100 v° — 146 v°

~~Voir Kitāb al-Muʾnis d'Ibn Abī Dīnār~~.

Partie continuant le Kitāb al-Bāšā, mais reste anonyme, peut être extraite d'un autre ouvrage de Ḥammūda.




x·rite
colorchecker CLASSIC
mm